بلاغة العدول المعجمي
في الأسماء والأفعال في السياق القرآني

أبو محمد محمود بن علام الكردوسي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جامعة سوهاج

كلية الآداب

قسم الدراسات العليا

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

تخصص الدراسات الأدبية البلاغة والنقد الأدبي

بعنوان

بلاغة العدول المعجمي في الأسماء والأفعال في السياق القرآني

إعداد الطالب:

محمود محمد سيد علام

معلم لغة عربية بالثانوية العامة بإدارة طما التعليمية

إشراف

أ.د بهاء محمد محمد عثمان — أستاذ البلاغة والنقد الأدبي

أ.د هناء عابدين عبد الله — أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد

٢٠٢٢م

أعضاء لجنة المناقشة :

أ.د: عيد محمد شبايك	جامعة المنوفية	مناقشًا ورئيسًا
أ.د : البدري فؤاد عبد الغني	كلية اللغة العربية بجرجا	مناقِشًا
أ.د : بهاء محمد محمد عثمان	كلية الآداب جامعة سوهاج	مشرِفًا
د : هناء عابدين عبد الله	كلية الآداب جامعة سوهاج	مشرفًا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جامعة سوهاج

كلية الآداب

قسم /اللغة العربية

صفحة العنوان :

بلاغة العدول المعجمي في الأسماء والأفعال في السياق القرآني

اسم الطالب: محمود محمد سيد علام

الدرجة العلمية : ماجستير

القسم التابع له : اللغة العربية

اسم الكلية : كلية دار العلوم

الجامعة : جامعة المنيا

سنة التخرج : ٢٠١١م

سنة المنح : ٢٠٢٢م

شبكة الألوكة - قسم الكتب

جامعة سوهاج

كلية الآداب

قسم /اللغة العربية

رسالة ماجستير

اسم الطالب: محمود محمد سيد علام

عنوان الرسالة : بلاغة العدول المعجمي في الأسماء والأفعال في السياق القرآني

الدرجة العلمية : ماجستير

<u>لجنة الإشراف :</u>

١ـ أ.د : بهاء محمد محمد عثمان (أستاذ البلاغة والنقد الأدبي)

٢ـ د : هناء عابدين عبد الله (أستاذ البلاغة والنقد الأدبي المساعد)

<u>لجنة فحص وتقييم الرسالة :</u>

١ـ أ.د: عيد محمد شبايك	جامعة المنوفية	مناقشًا ورئيسًا
٢ـ أ.د : البدري فؤاد عبد الغني	كلية اللغة العربية بجرجا	مناقِشًا
٣ـ أ.د : بهاء محمد محمد عثمان	كلية الآداب جامعة سوهاج	مشرفًا
٤ـ د : هناء عابدين عبد الله	كلية الآداب جامعة سوهاج	مشرفًا

تاريخ المناقشة ٢/٧/٢٠٢٢م

الدراسات العليا :

ختم الإجازة — أجيزت الرسالة بتاريخ

/ /٢٠٢٢م

موافقة مجلس الكلية — موافقة مجلس الجامعة

/ / ٢٠٢٢م — / / ٢٠٢٢م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٢٧ ﴾ [لقمان: ٢٧]

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
فهرس المحتويات	٣٩٦
شكر وعرفان	١١
مقدمة	**١٢ ـ ١٩**
أهمية الموضوع	١٤
أسباب اختيار الموضوع	١٤
أهـــداف الـبـحـث	١٤
منهجية البحث	١٥
الدراسات السابقة	١٥
خطة تنفيذ البحث	١٨
حدود الدراسة	١٩
صعوبات البحث	١٩
التمهيد	**٢٠ ـ ٣٣**
أسس التوظيف البلاغي للكلمة	٢١
العدول مفهومه وغاياته وأنواعه	٢١
بلاغة العدول المعجمي	٢٤
أنواع العدول المعجمي في القرآن الكريم	٢٩
السياق	٣١
السياق القرآني	٣١
أهمية معرفة السياق القرآني	٣١
أنواع السياق القرآني	٣٢
دور السياق في إيثار لفظ على آخر	٣٣

الباب الأول **بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء**	٣٤ ـ ١٥٧
الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات :	٣٧ ـ ٨٩
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى العَلَم:"	٣٧
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى العَلَم .	٣٨
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى العَلَم .	٤٦
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الجنس :	٤٨
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس .	٤٩
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الجنس .	٨٦
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الجنس .	٨٩
الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى والاسم المبهم :	٩٥ ـ ١٢٥
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى :	٩٧
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم المعنى .	٩٧
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم المعنى .	١٠٢
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم المعنى .	١٢١
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الاسم المبهم :	١٢٢
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي بين الظروف .	١٢٢
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي بين أسماء الاستفهام .	١٢٥

الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق :	١٢٧ـ ١٥٧
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الفاعل :	١٢٩
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الفاعل .	١٣٠
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الفاعل .	١٣٦
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الفاعل .	١٣٩
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى صيغة المبالغة .	١٤٢
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الصفة المشبهة :	١٤٣
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى الصفة المشبهة .	١٤٤
المطلب الثاني : العدول المعجمي من المشتق إلى الصفة المشبهة .	١٤٥
المبحث الرابع : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المفعول :	١٥٠
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم المفعول إلى اسم المفعول .	١٥١
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى اسمٍ بمعنى اسم المفعول	١٥٢
المبحث الخامس : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المكان المشتق :	١٥٤
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم المكان إلى اسم المكان .	١٥٤
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم المكان .	١٥٦
المبحث السادس : بلاغة العدول المعجمي من اسم إلى الاسم المنسوب .	١٥٧
الباب الثاني بلاغة العدول المعجمي بين الأفعال	١٥٧ـ ٢٨٢
الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل الماضي :	١٦١ـ ١٩٤
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي :	١٦٢

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي الثلاثي .	١٦٣
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي غير الثلاثي .	١٧٨
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي .	**١٧٨**
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي .	١٩٤
الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل المضارع	**١٩٧ـ ٢٧٥**
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع :	**١٩٩**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع الثلاثي .	١٩٩
المطلب الثاني : العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع غير الثلاثي .	٢١٣
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع :	**٢٢٣**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع الثلاثي .	٢٢٣
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع غير الثلاثي .	٢٤٥
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع :	**٢٦٣**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع الثلاثي .	٢٦٣
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع غير الثلاثي .	٢٦٥
المبحث الرابع : بلاغة العدول المعجمي إلى الماضي والمضارع .	**٢٦٧**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي والمضارع .	٢٦٧
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي والمضارع	٢٦٩
المبحث الخامس: بلاغة العدول المعجمي من الأمر والمضارع إلى المضارع والأمر .	٢٧١
المطلب الأول :بلاغة العدول المعجمي من الأمر والمضارع إلى المضارع والأمر .	٢٧١
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع والأمر .	٢٧٥
الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر :	**٢٧٨ـ ٢٩٠**
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر :	**٢٨٠**

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر الثلاثي .	٢٨٠
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر غير الثلاثي .	٢٨١
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الأمر .	**٢٨٣**
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر :	٢٨٦
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر الثلاثي.	٢٨٦
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر غير الثلاثي .	٢٩٠
الباب الثالث **بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء والأفعال**	**٢٩٥ـ ٣٩٢**
الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم :	**٢٩٧ـ ٣٦٢**
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الذات :	**٢٩٩**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات .	٢٩٩
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل والاسم إلى اسم الذات .	٣٠٥
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي إلى اسم المعنى :	٣٠٨
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المعنى .	٣٠٩
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى اسم المعنى .	٣٢٥
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى المشتقات :	٣٣١
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الفاعل .	٣٣٢
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة المبالغة .	٣٥٠
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الصفة المشبهة .	٣٥٥
المطلب الرابع : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم بمعنى اسم المفعول.	٣٥٩
المطلب الخامس: بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المكان .	٣٦٢

الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي إلى الفعل :	**٣٦٤ـ ٣٨٠**
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الفعل الماضي .	**٣٦٥**
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الفعل المضارع :	**٣٦٨**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع .	٣٦٨
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى المضارع .	٣٧١
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتقات إلى المضارع .	٣٧٥
المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع وفعل الأمر:	**٣٧٩**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر الثلاثيين .	٣٧٩
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر غير الثلاثيين.	٣٨٠
الفصل الثالث: بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما :	**٣٨٢ـ ٣٩٣**
المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم و الفعل الماضي :	**٣٨٣**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الاسم والفعل الماضي.	٣٨٣
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم والفعل الماضي .	٣٨٥
المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم و الفعل المضارع :	**٣٨٩**
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الاسم والمضارع .	٣٨٩
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الاسم والمضارع .	٣٩١
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من فعل الأمر إلى الاسم والمضارع .	٣٩٣
الخاتمة	**٣٩٥**
توصية	**٣٩٦**
فهرس المصادر والمراجع	**٣٩٧**
ملخص الرسالة بالعربي	٤٠٦
ملخص الرسالة بالإنجليزي	٤٠٩

شكر وعرفان

أشكر الله مولاي وخالقي الذي منّ عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع مع رجائي أن يتقبله مني وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم .

وانطلاقا من قوله تعالى ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل: ٤٠] ومن قول الرسول ﷺ (لا يشكر الله من لا يشكر الناس) [1] وإيمانا بفضل الاعتراف بالجميل, أتقدم بالشكر الجزيل والثناء العظيم لكل من ساعدني في إكمال وإنجاح بحثي هذا وأخص بالذكر : أستاذيّ ومشرفيّ الفاضلين الأستاذ الدكتور :(بهاء محمد محمد عثمان) والأستاذ الدكتور : (هناء عابدين عبد الله)، على متابعتهما لي وعلى ما منحاني من علمٍ ونصح وإرشاد ساعد على إخراج هذا العمل بهذه الصورة. أسأل الله أن يجزيهما عني خير الجزاء .

وشكري موصول لكلية الآداب بأقسامها عميدا وأساتذة ومدرسين , وأخص بالشكر أساتذة قسم اللغة العربية الذين أتاحوا لي أن أنهل من معين اللغة الصافي ,وعلى كل ما يبذلونه من جهود, كما أشكرهم على حسن تعاونهم وفتح صدورهم لي ومحاولة تذليل كل صعب أمامي .

كما اشكر كل أحبائي الذين شجعوني لمواصلة المسيرة العلمية . كما أتقدم بالشكر لكل أفراد عائلتي على تشجيعهم لي، ووقوفهم جواري .

والشكر أولاً وآخراً لله رب العالمين, الذي أسأله أن أكون قد وفقت في إعداد هذا البحث بالطريقة التي تنفع الإسلام والمسلمين وأن أنال رضا الله ﷻ.

---

١ . مسند الإمام أحمد، حديث رقم (٩٩٤٤)

مقدمة

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي المختار وآله العدول المصطفين الأخيار، وعلى من سار بِدَرْبِهِم، وعدل عن سبل الردى إلى نور الهدى ما بقي الليل والنهار، أما بعد:

فمن المعلوم لدى الدارسين أن القدماء قد تنبهوا إلى سمة بارزة من سمات الأسلوب العربي هي سمة المراوحة بين الأساليب، والانتقال المفاجئ من أسلوب إلى آخر ومن صيغة لأخرى، ومن لفظ لأخر، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة مصطلحات عدة منها: الانتقال والانحراف والالتفات والعدول ومخالفة مقتضى الظاهر وشجاعة العربية وغير ذلك.

وكل هذه المصطلحات تدور حول معنى واحد وهو نقل الكلام من حالة لأخرى، وظاهرة العدول المعجمي من أبرز الظواهر وأوسعها انتشاراً في القرآن الكريم؛ وذلك لما تشتمل عليه من إثارة ذهن المتلقي ولفت انتباهه نحو دلالات متنوعة، وهذا ما يحدثه الانتقال المفاجئ من لفظ لآخر " فإن كل خاصية أسلوبية تتناسب مع حدة المفاجأة التي تحدثها تناسبا طرديا بحيث إنها كلما كانت غير منتظرة كان وقعها في نفس المتلقي أعمق " [(١)]

ويتمثل العدول المعجمي بين " الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه، فطرفا العدول في هذا المجال لفظان يشتركان فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون: الدلالة المركزية أو المعجمية أو الأساسية ويستقل كل منهما عن الآخر فيما يسمى عندهم: الدلالة الهامشية أو السياقية أو ظلال المعنى وألوانه، أما قيمة المغايرة بينهما فتتمثل في ملاءمة كل منهما . بدلالته المنفردة . للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام "[(٢)] .

والعدول المعجمي يشكل ظاهرة لغوية بارزة لها أهميتها في القرآن الكريم ولها قيمتها التعبيرية في الدلالة القرآنية؛ فالعدول عن مبنى إلى مبنى آخر لا يكون إلا لخصوصية اقتضت ذلك، فهو يؤدي حتما إلى العدول عن معنى إلى معنى آخر أو إضافة دلالة جديدة، أيضًا فإن النص القرآني المعجز قد كان دقيقا في اختياره الألفاظ والصيغ واستعمالها في المواضع التي يقتضيها السياق فالمتأمل في هذه الألفاظ يقف مذهولا إزاء التناسب البياني العجيب بينها وبين سياقاتها إلى الحد الذي لا يمكن معه استبدال لفظ بآخر .

والشواهد على ذلك كثيرة جدا في كتاب الله المعجز، ويبقى السؤال الذي لابد منه: ما السر في هذا العدول القرآني العجيب، وما دلالاته، وإيحاءاته ؟ لابد من وجود أسرار بيانية وراء كل ذلك، يقول الخطيب الإسكافي: " إذا أورد الحكيم . تقدست أسماؤه . آية على لفظة مخصوصة ثم أعادها في موضع آخر من القرآن، وقد غَيَّرَ فيها لفظة عما كانت عليه في الأولى . فلابد من حكمة هناك تُطْلَب، وإن أدركتموها فقد ظفرتم، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم ."(٣)

فلهذا خصصت بحثي بدراسة ظاهرة العدول المعجمي في القرآن الكريم رغبة في إدراك الآثار الدلالية والجمالية لهذه الظاهرة، وقد جاء بحثي بعنوان: **" بلاغة العدول المعجمي في الأسماء والأفعال في السياق القرآني . "**

---

(١) ـ الأسلوب والأسلوبية، د . عبد السلام المسدّي ـ الطبعة الثالثة ـ الدار العربية للكتاب ـ تونس ١٩٨٢م، ص ٨٦

(٢) ـ يُنظر : أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، د . حسن طبل ـ دار الفكر العربي ـ القاهرة ١٩٩٨م، ص ١٥٩

(٣) . درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي . دراسة وتحقيق وتعليق : محمد مصطفى آيدين . رسالة دكتوراه . كلية الدعوة وأصول الدين . جامعة أم القرى . السعودية ١٤١٤ هـ . ١٩٩٤م . (٢/ ١٥٧)

أهمية الموضوع:

يعد الأسلوب العدولي موردا من موارد التأنق في الأسلوب القرآني، فالعدول هو الخروج عن اللغة االمعيارية إلى اللغة الإبداعية أي: هو الخروج عن المستوى النمطي إلى المستوى الفني الذي يسهم في توليد المعاني المبتكرة، فمخالفة مقتضى الظاهر في النص القرآني تكمن وراءها أسرار بلاغية، ودلالات متنوعة وفوائد شتى، لذلك فالموضوع تتجاذبه عدة علوم: هي علوم اللغة والبلاغة والتفسير؛ الأمر الذي يجعل البحث يجمع بين جدوى الدراسات اللغوية والبلاغية والقرآنية فهو من ناحية يعد تأصيلا لظاهرة العدول المعجمي ورصد أسراره ودلالاته في القرآن الكريم .

بالإضافة إلى ذلك فإن البحث في هذا الموضوع يأخذ أهميته من أنه يكشف عن وطيد العلاقة بين كل من الدرس المعجمي والبلاغي، وأهمية هذه العلاقة في فهم النص القرآني وتفسيره واستنباط أحكامه ومعانيه من ناحية، وفي الكشف عن إيجازه وإعجازه اللغوي من ناحية أخرى .

أسباب اختيار الموضوع:

تعددت الأسباب التي دعت الباحث إلى اختيار هذا الموضوع، ومن أهمها:

- **الميل الشخصي إلى الدراسات القرآنية**؛ لما أُحِسُّ فيها من المتعة اللغوية والأدبية، ورغبتي في فهم وتذوق النص القرآني باعتباره أهم مصدر عربي تنوعت فيه طرائق التعبير البلاغية .
- **كثرة النماذج العدولية في القرآن الكريم** ورغبة الباحث في كشف أسرارها البلاغية وملامحها الدلالية والطاقات التعبيرية المنوطة بها .
- **طبيعة الموضوع؛ فهو يبحث في الدلالات المتنوعة المنوطة** بصور العدول المعجمي في القرآن الكريم، وهذا له دور ظاهر في تبيين بعض أسرار إعجازه لاسيما الإعجاز على المستوى المعجمي .
- **صلة الموضوع الوثيقة بعدة علوم** هي العلوم اللغوية والبلاغية والتفسير مما يجعل الباحث يقارب بين مسارات فنون العلم المختلفة، ويجتني ثمار تلك البحوث والآراء، وهذا مما يزيد أهمية الدراسة في فهم النص القرآني ومعرفه إعجازه اللغوي .

هذه بعض الأسباب التي كانت الدافع لخوض غمار البحث في العدول المعجمي في القرآن الكريم .

أهــداف الـبـحـث:

ويسعى البحث للتوصل إلى مجموعة من الأهداف وهي:

- **التعرف على مفهوم العدول المعجمي**، وأبعاده، وأنواعه .
- **لم شتات الموضوع في دراسة مستقلة**، بهدف الوصول إلى معرفة شاملة وفهم دقيق لأنماط العدول المعجمي القرآني في جل مواضعه .

- **الإلمام بصور العدول المعجمي** في القرآن الكريـم والمعاني المبتكرة المنوطة بكل صورة منها، وفنية القرآن الكريم في استعمال الألفاظ المعدول إليها دون بدائلها .
- **إثراء المكتبة اللغوية** ببحث جديد في صورة من صور العدول القرآني المعجز .
- **التأكيد** على أن ألفاظ القرآن الكريم المتقاربة المعاني . والتي يُظَنُّ أنها مترادفة . بينها فروق دقيقة وأنها قد استعملت بإعجاز عجيب ودقة عالية تكمن وراءها ظلال وإيحاءات متنوعة .

منهجية البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة على **المنهج الوصفي التحليلي**؛ لكونه المرتكز الأساسي الذي تقوم عليه بقية المناهج، فنحن أمام نص لغوي فريد لابد من وصفه وذلك على نحو متدرج يبدأ بالوعي (الاستيعاب)، ثم التحليل، ثم المناقشة ثم التعليل .

ويقوم الباحث بتتبع صور العدول المعجمي في القرآن الكريم، وتوزيعها على فصول الدراسة ثم دراسة اللفظ معجميا ودلاليا ومحاولة الكشف عن السر البلاغي لهذا التنوع وتلمس الفروق الدقيقة بين اللفظين ودور السياق في اختيار تلك اللفظة والعدول عن غيرها وهذا يتم بدراسة المادة العلمية التي أفادها العلماء علماء التفسير واللغة والبلاغة في نظم هذه الآيات الكريمة للوقوف على أسرارها البلاغية والجمالية.

وقد آثر الباحث . بناءً على توجيه المشرفين الفاضلين . أن يكون الترتيب وفقًا لنوع الكلمة على المستوى الصرفي، فمعرفة نوع الكلمة وصيغتها ووزنها مسهمٌ بشكل كبير في بيان دلالتها، وقد ذكر الباحث اللفظين موضع الدراسة أولًا ثم أتبع ذلك بالشاهد القرآني ثم بيّن نوع الكلمات صرفيًّا ووزنها، وأحيانًا يكون ذلك بإيضاح المعنى، إذا تطلب الأمر ذلك، ثم ذكر سياق الآية أو الآيات المذكورة ثم بيان الأوجه البلاغية المعنوية فاللفظية .

والجدير بالذكر أن الباحث لم يرتب رسالته على الأغراض البلاغية . وإن كان له مزيَّة . لئلا يؤدِّي ذلك لتكرار الشواهد ودراستها في كل موطن، فالعدول المعجمي من لفظ إلى لفظ في القرآن الكريم له دلالات كثيرة وأغراض متنوعة على المستويين المعنوي واللفظي، فلو ذُكِرَت الشواهد وفقًا لكل غرض لحصل التكرار ولا بدّ؛ فتفادِيًا لذلك اكتفى الباحث بالترتيب الصرفي .

الدراسات السابقة:

اهتم كثير من الدراسين بظاهرة العدول بصفة عامة، فجاء عدد من البحوث متناولا هذه الظاهرة بالدراسة والتحليل، بيد أن تلك الدراسات لم تعالج ظاهرة العدول المعجمي بشيء من التفصيل سوى الدراسة التي أعدها الباحث: عبادة عقاب عواد التي بعنوان " **الأسرار البيانية في العدول الدلالي في السياق القرآني دراسة تطبيقية** "، وهي رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن من جامعة اليرموك / الأردن، نوقشت عام ٢٠١١م .

وهذه الرسالة لم يتسنَّ لي إلا الاطلاع على المقدمة وقد ذكر الباحث فيها أنه جعل هذه الدراسة في: مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول، فقد تحدث في المقدمة عن ظاهرة العدول لغة واصطلاحا، وتطرق إلى أشكال العدول، ومفهوم السياق وقضية اللفظ والمعنى، وتحدث في الفصل الأول عن العدول الدلالي في الأسماء، وخصص الفصل الثاني للحديث عن العدول الدلالي في الأفعال، والفصل الثالث جعله للحديث عن العدول الدلالي في حروف المعاني، كل ذلك في القرآن الكريم .

ومن المعلوم أن إعجاز القرآن الكريم غير متناهٍ؛ وذلك لأن عجائبه لا تنقضي {كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [سورة هود: ١] فلا تكفي دراسة واحدة للكشف عن وجه من وجوه إعجازه؛ فدراستي للعدول المعجمي تعدّ إضافة جديدة إلى الدراسات المعنية بالإعجاز القرآني لاسيما الإعجاز على المستوى المعجمي الذي ندرت البحوث البلاغية فيه .

وبعد التسجيل لموضوع الرسالة، وقف الباحث على رسالة بعنوان:" **الالتفات المعجمي في القرآن الكريم. دراسة لغوية ودلالية " للباحث : حسن أحمد حدّاد**، وهي رسالة ماجستير في اللغة العربية، تخصص "اللغة والنحو" في جامعة اليرموك، إربد. الأردن، نوقشت عام ٢٠٠٤م.

وهذه الرسالة تقع في ثلاثة فصول، الأول جعله الباحث. جزاه الله خيرًا ونفع به. للتعريف بالالتفات لغة واصطلاحا، والالتفات في دراسات البلاغيين، والفصل الثاني تناول فيه الالتفات المعجمي في سياق واحد، ويقصد به أن يرد اللفظان في سياق واحد ثم يعدل من اللفظ الأول إلى اللفظ الثاني، ودرس في هذا الفصل خمسة عشر نموذجًا، وخصص الباحث الفصل الثالث للالتفات المعجمي في سياقين والمراد به أن يأتي سياقان متشابهان في موضوع واحد ثم يرد لفظ في أحدهما يختلف عن الآخر معجميًّا ودلاليًّا (١) ودرس في هذا الفصل خمسة عشر نموذجًا.

والجدير بالذكر أن تلك الرسالة قد تناولت موضوع الالتفات المعجمي من ناحية دلالية، وأغفلت جانبًا مهمًّا من أغراض الالتفات المعجمي وهو الجانب الإيقاعي، أما رسالتي فقد تناولت ذلك الموضوع من ناحية بلاغية أبرزت فيه الأغراض البلاغية المعنوية واللفظية كليهما .

وقد تناول الفصل الثالث من رسالته الالتفات بين سياقين، وهذا النوع من الأولى أن يندرج تحت مصطلح الاختيار لا مصطلح الالتفات، لأن من شرط الالتفات المعجمي أن يكون اللفظان : المعدول منه والمعدول إليه حاضرين في سياق النص، فإن " البلاغيين قد صرَّحوا بأن صورة الالتفات لا تتحقق إلا إذا كان عدولًا عن " شيءٍ حاصلٍ متلبَّس به " أو عن " ظاهر سوق الكلام . " (٢)، فالذي يشبه دراستي من حيث طبيعة الموضوع هو الفصل الثاني من دراسة الباحث حسن أحمد حداد. مع الاختلاف الكبير. بين الدراستين تطبيقيًّا..

---

(١) . ينظر: الالتفات المعجمي في القرآن الكريم. دراسة لغوية ودلالية، للباحث: حسن أحمد حدّاد، ص ٨٣ .
(٢) . ينظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص ٤٨ .

أما بالنظر إلى ألفاظ دراسته فإنها تتقارب كلها دلاليًا من الناحية المعجمية لولا أنه أدخل ما يندرج تحت مسمّى العدول الصرفي وذلك في :(والد . مولود)، و(مشتبه ومتشابه) فالاختلاف ليس في المادة المعجمية بل في الصيغة الصرفية، فعلى هذا فالنماذج التي تناولها مما يحق له أن يكون تحت مسمًّى الالتفات المعجمي هي ثلاثة عشر من جملة ثلاثين، وذلك لا يكفي في دراسة هذه الظاهرة الفريدة في القرآن الكريم .

فلذلك رأيت أن الموضوع بحاجة إلى دراسة بلاغية شاملة تستوفي كثيرًا من نماذجه القرآنية؛ لاستيضاح فوائده البلاغية والفنية، فكتبت رسالتي في بلاغة العدول المعجمي، وقد بلغت الشواهد المحللة في الرسالة ما يزيد عن ٢٦٠ شاهدًا قرآنيًا، ولله الحمد والمنة

ومن الدراسات التي تناولت طرفًا من الموضوع:

١. كتاب " **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية** " للدكتور حسن طبل:

ففي الفصل الثالث وهو الفصل التطبيقي عرض الدكتور ست صور من صور الالتفات وجعل منها العدول المعجمي لكنه لم يتطرق لهذا الموضوع بالتفصيل غير أنه قد حلل خمس آيات فقط تندرج تحت هذا النوع من العدول، فقد تكلم عن الفرق بين (العام والسنة، والإكمال والإتمام، والإيمان والتقوى، والكفل والنصيب، والبحر واليم) وبيَّن سر العدول المعجمي بين هذه الألفاظ (١).

٢. " أسلوبية الانزياح في النص القرآني "، للباحث أحمد غالب النوري، وهي رسالة دكتوراه من جامعة مؤتة بالأردن، نوقشت سنة ٢٠٠٨م .

في الفصل الثاني من هذه الدراسة تناول الباحث الانزياح الدلالي وعد منه الانزياح المعجمي لكن الباحث لم يدرس هذا الموضوع دراسة توفي بالغرض فالألفاظ التي تكلم عليها هي بالترتيب: (اليم والبحر، والجزاء والأجر، والسنة والعام، والبعث والمجيء)(٢)، ومما تجدر الإشارة إليه أن الدكتور حسن طبل في كتابه " أسلوب الالتفات " قبل هذا الباحث تكلم

عن الفرق بين (اليم والبحر والعام والسنة)، فما أضافه الباحث في هذا الموضوع هو الكلام عن الفرق بين (الجزاء والأجر، والبعث والمجيء) فقط، وليس هذا بكاف في دراسة هذه الظاهرة القرآنية الفريدة .

بهذا العرض الموجز قد تبين أن الباحثين المحدثين قد اهتموا بدراسة هذه ظاهرة العدول وتتبعوا آثارها الدلالية والجمالية في لغة العرب عموما وفي النص القرآني خصوصا، لكن لم توجد دراسة مستقلة عن العدول المعجمي دراسة بلاغية تفصيلية تكشف

---

(١) . يُنظر: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية ص ١٥٩ . ص ١٦٧

(٢) . يُنظر: أسلوبية الانزياح في النص القرآني، لأحمد غالب النوري .رسالة دكتوراه . جامعة مؤتة ٢٠٠٨ . ص٨٩ ، ٩٢، ٩٧، ٩٤

عن صوره وأبعاده في القرآن الكريم، وهذا الأمر جعلني أكتب في هذا الموضوع الجدير بالدراسة؛ لأنه يتعلق بالبحث في أسرار الكتاب العزيز وبيانه المعجز .

خطة تنفيذ البحث:

المقدمة:

وتشمل (أسباب اختيار الموضوع، أهمية الدراسة، أهداف البحث، منهجية البحث الدراسات السابقة، خطة تنفيذ البحث، صعوبات البحث) .

التمهيد:

ويكون الحديث فيه عن الآتي :

- أسس التوظيف البلاغي للكلمة .
- العدول: لغة واصطلاحا .
- العدول المعجمي : مفهومه وغاياته وأنواعه .
- السياق : لغة واصطلاحا.
- السياق القرآني : أهمية معرفته، وأنواعه .

أبواب الرسالة : تنقسم الرسالة إلى ثلاثة أبواب، وتحت كل باب ثلاثة فصول ، على النحو التالي :

الباب الأول : بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء، ويندرج تحته ثلاثة فصول، كالآتي :

الفصل الأول: بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .

الفصل الثاني: بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى والاسم المبهم .

الفصل الثالث: بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق .

الباب الثاني : بلاغة العدول المعجمي بين الأفعال، ويندرج تحته ثلاثة فصول، كالآتي :

الفصل الأول: بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل الماضي .

الفصل الثاني: بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل المضارع .

الفصل الثالث: بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر .

الباب الثالث : بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء والأفعال، ويندرج تحته ثلاثة فصول، كالآتي :

الفصل الأول:. بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم .

الفصل الثاني: بلاغة العدول المعجمي إلى الفعل .

الفصل الثالث: بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما .

وفي نهاية البحث أجعل خاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

حدود الدراسة

نظرًا لكثرة الشواهد العدولية في القرآن الكريم، وتشعب الدراسة بين الأفعال والأسماء، آثر الباحث أن يكتفي في هذه الرسالة بدراسة بلاغة العدول المعجمي في النصف الأول من القرآن الكريم أي: من أول البقرة إلى الكهف .

وقد بدأت في أوائل الأمر بدراسة العدول المعجمي في القرآن الكريم كله، وصنعت معجمًا يشتمل على جُلِّ الشواهد الخاصة بهذا الموضوع مرتبة وفق حروف الهجاء، واستغرق ذلك مني أربعة أشهر كاملة، فوجدت أن الدراسة لكل ما ورد في ذلك المعجم تطول ذيولها، ولا يسعفني الوقت إلى إتمامها، خاصة وأن الموضوع دقيق، وكبير، فكان الرأي أن أقتصر على ما ورد في النصف الأول من القرآن .

صعوبات البحث:

إن الموضوع الذي اخترته أواجه في سبيل إنجازه عددًا من الصعوبات منها:

١. ندرة البحوث التي تعرضت لموضوع العدول المعجمي، والدراسة التي اهتمت به لم أستطع الوقوف عليها بعد سعي دءوب في البحث عنها .

٢. طبيعة الموضوع التي تتطلب الرجوع إلى التفاسير بأنواعها، والمعاجم اللغوية قديمها وحديثها، وكتب الإعجاز وغير ذلك، لعلي أجد ضالتي فيها وهذا الأمر يحتاج إلى جهد كبير وزمن طويل، لكن الذي يخفف من ذلك كونُ البحث يتعلق بكلام الله تعالى وتدبره، فأشرف الأزمنة ما صرف في تدبره والكشف عن أسراره وبلاغته الفريدة .

واللهَ أسأل أن يعينني على إنجاز هذا البحث على الوجه الذي يرضيه، فهو حسبي عليه توكلت وإليه أنيب .

التمهيد

أسس التوظيف البلاغي للكلمة

إن التوظيف البلاغي للكلمة له أسس يقوم عليها منها : الاختيار والعدول [1]، فالكلمات العربية قد يشترك بعضها في الدلالة على المعنى الواحد، لكن يكون لكل لفظ من بين البدائل التي هي بمعناه خصوصيات معينة يدركها الأديب حين ينشئُ كلامًا يمتاز بالدقة في التعبير عن مكنونات نفسِه وإيضاح مقاصدِه، فالبليغ يقوم بعملية اختيار لألفاظ معينة ويعدل عن بدائلها مما يشترك معها في أصل المعنى لغايةٍ فنية يقصدها .

فالاختيار في الألفاظ يكون من أجل الوصول إلى مستوى من البلاغة ينشده الكاتب أو المتكلم، فيسعى إلى الارتفاع بمستوى كلماته؛ ليصل إلى ما يبغي ويريد، ويؤكد هذا أن المعاني في العربية لها مستويان:

- المستوى الأول: يمثل الحدّ الأدنى لبلاغة الكلام، وهو حد الإفهام، يشترك فيه الناس جميعا، وهو معنى مجرد يمكن أن يعبر عنه بأكثر من أسلوب أو صياغة، تختلف فيما بينها في إيحاءات المعنى الذي تشترك فيه تلك الأساليب جميعا.

- المستوى الثاني: ما اتصف بالصحة اللغوية، وحسن تخير اللفظ، وجودة السبك، وسهولة المخرج، ومراعاة المقصد من الكلام، وهو معنى فني لا يمكن التعبير عنه بغير صيغته، لأن المفترض أن مبدعه قد اختار من الصيغ والألفاظ، ما هو أنسب للتعبير عن تجربته ومعانيه الدقيقة .(٢)

والاختيار في حقيقته إنما هو عدول عن المستوى النمطي أو العادي من اللغة إلى المستوى الفني من الكلام، فهو إذن اختيار واعٍ بين الإمكانات التي تتيحها اللغة للمبدع والمعنى المراد .

العدول مفهومه وغاياته وأنواعه

مفهوم العدول:

العدول لغةً: قال ابن منظور: " وعَدَلَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْدِلُ عَدْلًا وعُدولًا: حَادَ، وَعَنِ الطَّرِيقِ: جَارَ، وعَدَلَ إِليه عُدُولًا: رَجَعَ. وَمَا لَه مَعْدِلٌ وَلَا مَعْدُولٌ أَي مَصْرِفٌ. وعَدَلَ الطريقُ: مَالَ." (٣)

(١) . ينظر: الإعجاز الصرفي عبد الحميد هنداوي ص ٢٦٥

(٢) . ينظر: الإعجاز الصرفي عبد الحميد هنداوي ص ٦٧. ٧٣

(٣) . لسان العرب، لابن منظور، مادة (عدل) .

وقال الزبيدي: " وعَدَلَ الْفَحْلُ عَن الإِبِلِ، إِذا تَرَكَ الضِّرَابَ، وعَدَلَ الجَمَّالُ الْفَحْلَ عَن الضِّرابِ: نَحَّاهُ، فانْعَدَلَ، تَنَحَّى." (١)

ولا تقف الدلالة المعجمية لمادة (عدل) عند معنى الميل أو الانصراف عن شيء إلى آخر، بل هناك دلالات أخرى، يقول ابن فارس في مقاييس اللغة: " (عدل) العين والدال واللام أصلان صحيحان، لكنَّهما متقابلان كالمتضادَّين: أحدُهما يدلُّ على استواء، والآخر يدلُّ على اعوجاج.

فالأول العَدْل من النَّاس: المرضيّ المستوِي الطّريقة. يقال: هذا عَدْلٌ، وهما عَدْلٌ .... والعَدْل: الحكم بالاستواء. ويقال للشَّيء يساوي الشيء: هو عِدْلُه. ... فأمّا الأصل الآخَر فيقال في الاعوجاج: عَدَل. وانعدَلَ، أي انعَرَج." (٢)

وتلك الدلالات المعجمية المختلفة لمادة العدول يمكن يستنبط منها المعنى المراد من العدول: إذ هو ميل أو عدول مسوَّغ ليستقيم به المعنى ويظهر حسنه للمتلقي .

لقد انحصرت مادة (عدل) بين العدل ومشتقاته، وبين الدلالة الثانية المتمثلة في الميل والاعوجاج والخروج، وهذه الدلالة قريبة جدًّا من الدلالة الاصطلاحية والفنية للعدول التي تعني الخروج عن الأصل اللغوي أو المعياري في الصياغة اللغوية ولا سيما في التركيب الأدبي لغايات فنية وجمالية .

. اصطلاحات العدول في التراث البلاغي والنقدي:

في الموروث البلاغي والنقدي عددٌ من المصطلحات التي تدل على ظاهرة التحول الأسلوبي الذي نودُّ في هذا البحث رصد أحد معالمه واستجلاء دقائقه البيانية وجمالياته الفنية .

ومن تلك المصطلحات: "الالتفات" و"العدول" و"الانصراف" و"الصّرْف" و"الاعتراض" و"مخالفة مقتضى الظاهر " و"التفنن في التعبير" و"شجاعة العربية", و"تلوين الخطاب" و"التوسع" .

ولقد آثرت مصطلح العدول عنوانًا لظاهرة التحوُّل الأسلوبي لشيوعه وكثرة تردده في التفاسير المهتمة بالجانب البلاغي ، وكذلك لسعة دلالته ولأننا غالبًا ما نربط بين ظاهرة العدول وعلم الأسلوب .

أما العدول اصطلاحًا: فهو الانتقال من أسلوب فى الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول .(٣)

(١) . تاج العروس، للزبيدي، مادة (عدل) .
(٢) . مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (عدل) .
(٣) . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٧١/٢)

قال العلوي: " وهذا أحسن من قولنا: هو العدول من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة؛ لأن الأول يعم سائر الالتفاتات كلها، والحد الثاني إنما هو مقصور، على الغيبة والخطاب لا غير ." (١)

والعدول في الخطاب اللغوي تعددت أنواعه، تبعًا لنوع الكلمة المعدول منها وإليها، والأنواع التي اهتم بها الدرس البلاغي من هذا الأسلوب الفني، منها:

١. العدول بين الضمائر، كالانتقال من غيبة إلى خطاب، ومن خطاب إلى غيبة، وهذا النوع قد كان محطّ العناية من علماء البلاغة .

ومن الأمثلة لهذا النوع قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمۡ فِى ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِى ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس: ٢٢] فعدل من الخطاب في (كنتم) إلى الغيبة في (بهم) وذلك " للمبالغة في تقبيح حالهم كأنه أعرض عن خطابهم وحكى لغيرهم سوء صنيعهم " .(٢)

٢. العدول الصرفي، ويتمثل في العدول من صيغة إلى صيغة أخرى لضربٍ من البلاغة، كالعدول بين صيغ الأفعال وبين صيغ الأسماء .

ومن الأمثلة لهذا النوع قوله تعالى:﴿ إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ ﴾ [الإنسان: ٣] فعدل عن اسم الفاعل (شاكرا) إلى صيغة المبالغة (كفورا)، وذلك " لمراعاة الفواصل " (٣) والإشعار بأن" الإنسان، لما له من النقصان، لا ينفك غالباً عن كفرانٍ ما، فأتى بصيغة المبالغة تنبيهاً له على ذلك معرفاً له أنه لا يأخذه إلاّ بالتوغل فيه؛ ليعرف نعمة الحلم عنه فيحمله الخجل على الإقبال على من يرضى منه بقليل الشكر، ويحتمل أن يفهم ذلك أن من كفر نعمة واحدة فقد كفر الجميع فصار بليغ الكفر فقال: (وإما كفوراً) أي: بليغ الكفر بالإعراض والتكذيب وعبادة الغير والمعاندة فإحسانه غير موف إساءته المفرطة ".(٤)

٣. العدول المعجمي، ويمكن تعريفه بأنه: " الانتقال من كلمة إلى أخرى مقاربة لها في الدلالة لغرض بلاغي "(٥).

---

(١) . الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٧١/٢)
(٢) . روح المعاني، للآلوسي (٩١/٦)
(٣) . روح المعاني، للآلوسي (١٦٩/١٥)
(٤) . ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٦٥/٨)
(٥) . ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للعلوي (٧١/٢)

نقل الدكتور: أحمد مطلوب عن الصنعاني أنه قال :" الالتفات هو أن يكون المتكلم آخذًا في معنى فيعدِل عنه إلى غيره ... فيكون ما عدل إليه مبالغة وزيادة حسنة "[١]. وهذا التعريف مقاربٌ لتعريف الباحث للعدول المعجمي بينما العدول المعجمي أخص إذ يتناول الكلمات المتقاربة الدلالة، ولا يدخل فيه العدول بين الضمائر ولا العدول بين الصيغ الصرفية، وتعريف الصنعاني يشمل سائر الالتفاتات .

فالعدول المعجمي يكون بين " الألفاظ التي تتداخل دوائرها الدلالية بحيث تتلاقى في مساحة أو قدر مشترك من المعنى، ثم ينفرد كل منها ببعض الخصوصيات التعبيرية أو الطاقات الإيحائية التي لا يشاركه فيها سواه، فطرفا العدول في هذا المجال لفظان يشتركان فيما يطلق عليه علماء اللغة المعاصرون: الدلالة المركزية أو المعجمية أو الأساسية ويستقل كل منهما عن الآخر فيما يسمى عندهم: الدلالة الهامشية أو السياقية أو ظلال المعنى وألوانه، أما قيمة المغايرة بينهما فتتمثل في ملاءمة كل منهما . بدلالته المنفردة . للموقع الذي أوثر فيه من سياق الكلام " [٢].

بلاغة العدول المعجمي

بالنظر إلى غايات العدول المعجمي في القرآن الكريم وجد الباحث أن أبرزها ثلاث غايات على النحو التالي:

١. **جذب انتباه المتلقي**، فالنكتة العامة التي تدعو إلى العدول في كافة أقسامه هي تنشيط المتلقي وإيقاظه للاستماع؛ لأن النفس مجبولة على حب المتجدد فإذا نقل الكلام من أسلوب إلى أسلوب كان أدعى للإقبال عليه، فالعدول إذا جاء في كلام فصيح لا ينقص من فصاحته بل يزيده حُسنًا وجمالا ورونقًا ويدعمه بطاقة إيحائية مفعمة بالحيوية والإبداع فيجعل السامع يقِظًا مقبلا على الكلام بنشاط وقوة .

٢. **طلب المبالغة وتدقيق الدلالة**، فلكلِّ موضع من مواضع العدول فائدة تقتضيه ونكتة خاصة تدعو إليه، وهذه النكت أو الفوائد لا تحد بحد ولا تضبط بضابط فمدارها على الذوق، وهذه الدواعي الخاصة تختلف حسب كل موضع باختلاف مواقعه، فالغرض الموجب لاستعمال هذا النوع البلاغي لا يجري على وتيرة واحدة وإنما مقصور على العناية بالمعنى المقصود، وذلك المعنى يتشعب شعبًا كثيرة لا تنحصر .

قال الزمخشري :" الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للإصغاء اليه من إجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد." [٣]

---

(١) . ينظر: معجم مصطلحات البلاغة العربية وتطورها (٢٩٣/١)
(٢) . أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، لحسن طبل، ص ١٥٩
(٣) . الكشاف، للزمخشري (٥٦/١)

٣. **رعاية الإيقاع وضبطه،** فالعدول المعجمي قد يكون من أجل تحقيق غايات صوتية بجانب الدلالات المعنوية، ومن هذه الغايات الدالة على بلوغ القرآن لكمال الفصاحة ما يأتي:

الأول: تجنب التكرار، بالتفنن في التعبير :

فإيراد المعنى بأكثر من لفظ يزيد الكلام حسنًا وبهاءً، والتكرار اللفظي وإن كان له دلالة كبيرة وهي تأكيد المعنى إلا أن التفنن في التعبير، يؤكد المعنى بالإضافة إلى أنه يجعل النفس مقبلة على الكلام بدون مللٍ .

وكثيرٌ من أهل العلم إذا خفيَت عليه الدلالات المعنوية للعدول المعجمي بين ألفاظ القرآن الكريم جنح إلى القول بالتفنن في التعبير تفاديًا للتكرار واقتصر على ذلك، لكن الحقيقة هي أن كل عدول معجمي قرآني له أغراض معنوية بجانب ما ذكروه من التفنن التعبيري .

قال الطاهر بن عاشور: " ولأهل البلاغة عناية بالالتفات لأن فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشيًا من تكرر الأسلوب الواحد عدة مرار فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع ... فهذه فائدة مطردة في الالتفات. ثم إن البلغاء لا يقتصرون عليها غالبا بل يراعون للالتفات لطائف ومناسبات ولم يزل أهل النقد والأدب يستخرجون ذلك من مغاصه . " (١)

وقال الألوسي: " وبالجملة **التفنن في التعبير** لم يزل دأب البلغاء، وفيه من الدلالة على رفعة شأن المتكلم ما لا يخفى، والقرآن الكريم مملوء من ذلك، ومن رام بيان سر لكل ما وقع فيه منه فقد رام ما لا سبيل إليه إلا بالكشف الصحيح والعلم اللدني، والله يؤتي فضله من يشاء، وسبحان من لا يحيط بأسرار كتابه إلا هو ." (٢)

الثاني: مراعة الخفة اللفظية :

فالتقارب اللفظي قد ينشأ منه ثقلٌ ما، فالمغايرة بين الألفاظ يعين على الخفة اللفظية، والقرآن قد بلغ المنتهى في الفصاحة فلا تجد فيه تنافرًا لفظيًّا البتة، بل تجدُ ألفاظه كلها خفيفة على اللسان جميلة الوقع على السمع .

قال الرافعي: " لو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ ... فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر(١/١٧٩)

(٢) . روح المعاني، للألوسي (١/ ٢٦٩)

بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة ." (١)

الثالث: تحقيق العدول للمناسبة الإيقاعية بين الفواصل :

فالفواصل القرآنية ذات إيقاع عذب، ومراعاة المناسبة بين الفواصل أمر ظاهر في جميع سور القرآن لما للإيقاع من تأثير عظيم على النفس، فالإيقاع هو جرس موسيقي ناتج عن تفنن في طرق ترديد الأصوات في الكلام والإيقاع قائم على تكرار منتظم لظاهرة صوتية معينة في الخطاب اللغوي وهذا التكرار قد يكون على مسافات متقايسة بالتساوي أو بالتناسب لإحداث الانسجام، وعلى مسافات غير متقايسة أحيانا لتجنب الرتابة (٢) .

وفائدة الإيقاع أنه ينقل المتلقي من حال اعتيادية إلى حال تموج بالحركة والنغم وتمده بطاقة نفسية تهديه إلى المغزى مما يجعل الأفكار التي يحملها النص أكثر تأثيرا، وهذا مرتبط بوضوح المعنى يقول ابن طباطبا : " إن الغناء المطرب يتضاعف له طرب مستمعه المتفهم لمعناه ولنظمه مع طيب ألحانه، فأما المقتصر على طيب اللحن دون سواه فناقص الطرب ". (٣)

إن التذاذ الأذن بالصوت كالتذاذ العين بالمنظر الحسن فالإيقاع يعد جمالا صوتيا يؤدي إلى دخول المعنى للقلب والعقل لأن الأذن تلذه وترتاح له . وقد نبَّه السيوطي . رحمه الله . على أنه لمراعاة المناسبة بين الفواصل رُوعِيَ وقوع الظاهر موضع المضمر، والعدول من صيغة إلى أخرى، وإيثار أحد المترادفين على الآخر، واختيار أغرب اللفظين، ونحو ذلك . (٤)

مفهوم المناسبة الإيقاعية : يمكن تعريفها بأنها " اتفاق فواصل السورة في عناصر البنية الإيقاعية أو في بعضها "(٥) .

وعلى هذا التعريف تنقسم المناسبة الإيقاعية إلى نوعين :

أ) **التامة** : إذا كان الاتفاق بين الفواصل في جميع عناصر البنية الإيقاعية .

ب) الناقصة :إذا كان الاتفاق بين الفواصل في بعض عناصر البنية الإيقاعية .

ويتضح من واقع الفاصلة القرآنية أن المناسبة الإيقاعية ترتكز على ثلاثة جوانب هي (٦)

١. حرف الروي .

---

(١) . إعجاز القرآن، للرافعي : (ص ١٥٦)

(٢) . ينظر: القوة الإيقاعية في الخطاب اللغوي، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين،ط: دار النور للطباعة . سوهاج، ص ١٧

(٣) . عيار الشعر، لابن طباطبا ، ص ٢١ .

(٤) . معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (١/ ٢٨. ٣١)

(٥) هذا التعريف أورده الباحث في كتابٍ له لم ينشَر، أسماه :" المناسبة الإيقاعية في الفاصلة القرآنية . دراسة نظرية وتطبيقية . سورة الكهف نموذجًا)

(٦) ينظر: نظرية المناسبة الإيقاعية في القافية، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، ص ١٠٥ .

٢. الاتفاق في البنية المقطعية .

٣. الوضوح السمعي .

وذكر السيوطي ـ رحمه الله ـ في معترك الأقران، أن أحسن السجع ما تساوت قرائنه، [١] ومثَّل على ذلك بقوله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ۝٢٨ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ۝٣٠﴾ [الواقعة : ٢٨ـ ٣٠]، وذلك مبنيٌّ على المناسبة الإيقاعية الناقصة بين الوحدات التي تسبق الفواصل، والمناسبة الإيقاعية التامة بين الفواصل

الرابع: تحقيق العدول للمناسبة اللفظية :

والمناسبة اللفظية هي : " اتفاق وحدتين لغويتين في الوزن والبنية المقطعية، أو في البنية المقطعية دون الوزن، وقد يصاحب أحد الاتفاقين السابقين اتفاق في الحرف الأخير أو عدم اتفاق " [٢] .

ويبين لنا التعريف السابق أن المناسبة اللفظية تنقسم إلى قسمين هما : [٣]

أ) مناسبة تامة :

وهذا القسم له شكلان هما :

١. اتفاق في الوزن والبنية المقطعية والحرف الأخير .

٢. اتفاق في البنية المقطعية والحرف الأخير .

ب) مناسبة ناقصة :

وهذا القسم له شكلان هما :

١. اتفاق في الوزن والبنية المقطعية .

٢. اتفاق في البنية المقطعية .

الخامس : ارتباط المعنى بإيقاع الكلمة :

فإيقاع الكلمة في القرآن الكريم يشعرُ بمعناها ويصوره أتمَّ تصوير، وفي ذلك كمال البلاغة، ويسمَّى هذا بائتلاف اللفظ مع المعنى، قال ابن عطية :" فهذا النوع من النظر يسلك به سبل العجائب في ميزة فصاحة القرآن العزيز على الطريقة العربية السليمة ."[٤]

---

(١) ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي (٤١/١)

(٢) ينظر: نظرية المناسبة اللفظية في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، ص ٢٧ .

(٣) ينظر: نظرية المناسبة اللفظية في القرآن الكريم ، ص ٢٧ .

(٤) ـ ذكر ذلك في سر اختيار (عباد) دون (عبيد) في موقف التعظيم والتشريف في سائر القرآن الكريم، ينظر: تفسيره المحرر الوجيز (٤٦١/١)

قال الباحث في منظومة له[1] . في أنّ حروف المباني في كلام العرب لها معانٍ محددة تسهِمُ في معرفة دلالة اللفظ القرآني خصوصًا والعربي عمومًا :

تَنَاسُبُ الحُروفِ للمَعَاني — مُتَّضِحٌ بِلُغَةِ القَرْآنِ
فَإِنْ تُرِدْ مَعْرِفَةَ الأسْرَارِ — للفْظِ في القَرْآنِ كالنَّهَارِ
وَإِنْ تُرِدْ بَلاغَةَ الأدِيبِ — في قَوْلِهِ وَسَبْكِهِ العَجِيبِ
وَإِنْ تُرِدْ فَهْمًا عَمِيقًا للكَلِمْ — في لُغَتي في النَّثْرِ أوْ مَا قَدْ نُظِمْ
فَانْظُرْ إلى ألْفَاظِهِ تَدَبّرا — للحَرْفِ وَالمَعْنَى الذِي تَحَرَّرَا
فَإنَّ ذَاكَ مُوصِلٌ لِلْمَقْصِدِ — مَعَ أمُورٍ أخْرَيَاتٍ فَارْشُدِ
كَفَهْمِ فَصْلٍ مُعْجَمِيٍّ[2] وَكَذَا — يَا صَاحِبي اسْتِعْمَالُ عُرْبٍ أخِذَا

قال ابن جني في بابٍ أسماه(إمساس الألفاظ أشباه المعاني) :"كلما ازدادت العبارة شَبَهًا بالمعنى كانت أدلّ عليهِ وأشهد بالغرض فيهِ " [3] وقال أيضًا :" أما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ونَهْج مُتْلئِب عند عارفيه مأموم . وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سَمْتِ الأحداث المعبرَّ بها عنها فيعدلونها بها ويحتذُونها عليها . وذلك أكثر ممّا نقدّره وأضعاف ما نستشعره ." [4]

---

(١) . واسم المنظومة : (نيل الأرب في معاني حروف العرب) وهي عبارة عن نظم لمعاني حروف المباني في ٢٩١ بيتًا، وذلك بناءً على ما جاء في مقدمة المعجم الاشتقاقي المؤصل للأستاذ الدكتور: حسن حسن جبل، (١/ ٢١ . ٤٥)

(٢) . قال أ.د: حسن حسن جبل :" **والفصل المعجمي يتمثل في التراكيب التي تبدأ بحرفين بعينهما مرتَّبَيْن، سواء كانت تلك التراكيب ثلاثيةً أو رباعة. وقد ألحقنا بهذا الفصل ما توسَّطَ الحرفين فيه أو سبقهما أو تلاهما فيه حرفُ علة أو همزة** ." المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ١٩)

(٣) الخصائص، لابن جني (٢/ ١٥٤)

(٤) الخصائص، لابن جني (٢/ ١٥٧)

أنواع العدول المعجمي في القرآن الكريم

قد تعددت النماذج العدولية في القرآن الكريم وذلك لما يحمله العدول من طاقات تعبيرية ودلالات متنوعة مع إثارة الانتباه لدى المتلقي مما يحفزه إلى استكناه المغزى من المخالفة بين الألفاظ المتقاربة الدلالة، وبعد استقراء جُل مواضع العدول المعجمي في القرآن الكريم وجد الباحث أن **العدول المعجمي له ستة أنواع** (١) **كالتالي:**

١. العدول بين الأسماء : وهو على ثلاثة أقسام :

الأول : العدول إلى اسم الذات، وذلك نحو العدول من (فؤاد) إلى (قلب) في قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ القصص: ١٠

الثاني : العدول إلى اسم المعنى، نحو العدول من (عهد الله) إلى (الميثاق) في قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الرعد: ٢٠

الثالث : العدول إلى أحد المشتقات، نحو العدول من (شديدًا) إلى (بئيس) في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ [الأعراف: ١٦٤ - ١٦٥]

٢. العدول بين الأفعال : وهو على ثلاثة أقسام :

الأول : العدول إلى الماضي نحو العدول من (أذقناه) إلى (مسته) في قوله تعالى : { وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي ۚ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾} [سورة هود: ١٠]

الثاني : العدول إلى المضارع، نحو العدول من (يعملون) إلى (يصنعون) في قوله تعالى : {وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾} [سورة المائدة:٦٢–٦٣]

---

(١) • والدراسة قد اقتصرت على الثلاثة الأولى فحسب، فلم تتطرق الدراسة للعدول المعجمي بين حروف المعاني؛ وذلك تبَعًا لوصية الأستاذ الدكتور : حازم علي كمال الدين، بأن الأفضل أن تكون له دراسة مستقلة؛ لتشعبه ودقَّة مسالكِه، وكذلك لم يدرس الباحث العدول المعجمي بين الأسماء وحروف المعاني والأفعال وحروف المعاني؛ وذلك لندرة شواهدهما في القرآن الكريم، فالأولَى أن يندرجا تغليبًا . في دراسة العدول بين حروف المعاني .

الثالث : العدول إلى الأمر، نحو العدول من (راعنا) إلى (انظرنا) في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾} [سورة البقرة:١٠٤]

٣. العدول بين الأسماء والأفعال، وهو على ثلاثة أقسام :

الأول : العدول إلى الاسم نحو العدول من (افترى) إلى (كذبا) في قوله تعالى :﴿ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَـٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ ﴾ الكهف: ١٥

الثاني : العدول إلى الفعل نحو العدول من (القسط) إلى (تعدلوا/اعدلوا) في قوله تعالى :﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ المائدة: ٨

الثالث : العدول إلى الاسم والفعل كليهما نحو العدول من (لنبلونكم) إلى (أصابتهم مصيبة) في قوله تعالى :﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَـٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ ﴾ البقرة: ١٥٥ - ١٥٦

٤. العدول بين حروف المعاني، وذلك نحو العدول بين حروف الجر، كالعدول من (في) إلى (بِ) في قوله تعالى :{لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَـٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾} [سورة الأعراف:٥٩–٦١]

٥. العدول بين الأسماء وحروف المعاني، وذلك نحو العدول بين أدوات الشرط كالعدول من (إذا) إلى (إن) في قوله تعالى :{فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾} [سورة الأعراف:١٣١]

٦. العدول بين الأفعال وحروف المعاني، وذلك نحو العدول من (ليس) إلى (لا) في قوله تعالى : قَالَ تَعَالَىٰ:{ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ حَـٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾} [سورة آل عمران: ٦٦]

السياق

مفهوم السياق :

السياق لغة: جاء في لسان العرب: " وقد انساقت وتساوقت الإبل تساوُقًا إذا تتابعت ... والمساوَقة المتابعة كأنّ بعضَها يسوق بعضاً " (١) فالسياق هو التتابع في لغة العرب .

السياق اصطلاحًا: هو البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو كلمة أو عبارة (٢).

ومعرفة السياق مهمة؛ فمعاني الكلمات متعددة لا يحددها إلا استعمالها في وسط لغوي تنتظم فيه فلا يفهم معنى كلمة فهمًا دقيقًا إلا بوصلها بالتي قبلها أو بالتي بعدها داخل هذا السياق . وقد اهتم البلاغيون من خلال دراساتهم التطبيقية للنصوص الإبداعية بالسياق فبلاغة الكلام تستند إلى مدى مطابقته لمقتضى الحال (٣)، وتعد نظرية النظم لدى عبد القاهر الجرجاني تأسيسًا لنظرية السياق اللغوي وخير ممثل لها، فدلالة الألفاظ لا يحددها إلا أسلوب نظمها وترابط تركيبها في الجملة .

السياق القرآني:

مفهوم السياق القرآني: هو: " تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غاياتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال ." (٤)

أهمية معرفة السياق القرآني:

. للسياق وظيفة مهمة في تحديد معاني الألفاظ، ومن ثم فهم النص القرآني، فلا يتجلى معنى الكلمة إلا من خلال ربطها مع سابقها ولاحقها من الكلمات. (٥)

.كما أن للسياق وظيفة مهمة في توجيه المتشابه اللفظي، فالقرآن الكريم كتاب معجز، فلا بد أن الاختلاف في صورة اللفظ، يفضي إلى اختلاف في المعنى، ويظهر هذا جليا في القصص القرآني .

---

(١) . ينظر: لسان العرب، مادة (سوق) .

(٢) . ينظر: علم الدلالة، للدكتور: أحمد مختار عمر (٦٨/١) ط : عالم الكتب ط٥، ١٩٩٨م

(٣) . ينظر: ظاهرة التغير الدلالي للألفاظ في السياق القرآني، للباحث: طارق بولخصايم . رسالة دكتوراه . تخصص اللغويات . كلية الآداب واللغات . جامعة الإخوة منتوري . قسنطينة . ١ . نوقشت ٢٠١٨، ص ٩٥

(٤) . ينظر . على سبيل المثال : أثر السياق في توجيه المعنى، للباحثة : مريم وصل الله صامل الرحيلي . رسالة دكتوراه . تخصص اللغة العربية . كلية الآداب . جامعة طيبة . السعودية . نوقشت ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م ، ص ١٢٠٨

(٥) . السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، للمثنى عبد الفتاح محمود . رسالة دكتوراة . تخصص التفسير وعلوم القرآن . جامعة اليرموك . إربد . الأردن . نوقشت عام ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م، ص ١٤

. وللسياق وظيفة مهمة كذلك في علم مناسبات القرآن وهذا النوع من علوم القرآن له فوائد غزيرة إذ يعرف به عِلَلُ ترتيبِ أجزائِه، وأكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط فمن محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض وهذا هو سر البلاغةِ لأدائِهِ إلى تحقيقِ مطابقةِ المعاني لما اقتضاه الحال .

. وكذلك تخصيص العام: وهو إخراج اللفظ العام إلى خصوص يقتضيه السياق .

. كما أن له وظيفة مهمة في عدد من القضايا البلاغية، كبيان مجازية المعنى، وذلك أن الأصل في الألفاظ والعبارات أن تحمل على المعنى الحقيقي، ولا تحمل على المعنى المجازي، إلا إذا وجدت قرينة تدل على ذلك .

أنواع السياق القرآني:

ينقسم السياق القرآني إلى سياق مقامي أو سياق الحال، وآخر مقالي، ولا بد من الأخذ بهما عند تعيين المعنى في القرآن الكريم.

أولًا: سياق الحال:

والمقصود بسياق الحال، ما يرافق القرآن الكريم من ظروف وملابسات تعين على فهم القرآن وتعيين معانيه ، ومن ذلك: معرفة أسباب النزول، وإدراك الغرض الذي سيقت له الآيات، ومعرفة أنواع الخطابات في القرآن الكريم: كالعام والخاص والمدح والذم ونحو ذلك، وما يعتري الألفاظ من إجمال وبيان وإطلاق وتقييد وإحكام ونسخ، ومعرفة المناسبات القائمة في السورة المعينة .

ثانيا: سياق المقال:

يتكون السياق القرآني من دوائر متداخلة تتآلف لإيضاح المعنى، فقد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، وقد يقتصر على آية، وقد يمتد في السورة كلها، وقد يطلق على القرآن بأجمعه. فالسياق القرآني أنواع متعددة، فضاؤها واحد هو القرآن الكريم، إذ تسير هذه الأنواع منتظمة في مدارات مقاصده وأغراضه العامة، وهي: سياق السورة، وسياق المقطع، وسياق الآية .

فسياق السورة: يتحدد بما يكون من أول السورة إلى منتهاها [(١)] والسور القرآنية لكل واحدة منها غرض عام تأتي آياتها منسجمةً متكاملةً مترابطةً لتبيِّنه تبيينًا لا لَبْسَ فيه .

(١) . أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه، للباحثة: تهاني بنت سالم بن أحمد. رسالة ماجستير. تخصص التفسير وعلوم القرآن. جامعة أم القرى. كلية الدعوة وأصول الدين. نوقشت ١٤٢٨هـ. ٢٠٠٧م، ص٧٨

وسياق المقطع: يقصد به النص الذي تتحد معانيه وله غرض واحد ويعرف بالسياق الخاص[١]، وتتكون السورة من عدة أغراض تتلاحم لتؤدي المعنى المحدد لها .

وسياق الآية: هو السياق الذي ينظر فيه لمعنى الآية وغرضها، فإن حصل خلاف في المعنى فإنه ينظر لما قبلها وبعدها من آيات ويسمَّى بالسياق الأخص . [٢]

دور السياق في إيثار لفظ على آخر

للسياق أثر كبير في اختيار المفردات التي تعبر عن المعنى المقصود بأدقّ تعبير، فالأديب يختار أدق الألفاظ وأكثرها إبانة عمّا يجول بخاطره من معانٍ، والقرآن الكريم ذروة الفصاحة والبلاغة، فهو معجز في فحواه ومضمونه، ومن دلائل إعجازه دقته العجيبة في اختيار الألفاظ، فكل لفظ وُضِعَ في مكانه المناسب في بناءٍ محكم، بحيث لا يمكن أن يُسْتَبْدَل بلفظ آخر .

قال ابن عطية :" والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يصنع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا ثم تعطى لآخر نظيره فيأخذها بقريحة جامة فيبدل فيها وينقح ثم لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل كتاب الله لو نزعت منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق وجودة القريحة وميز الكلام ." [٣]

ويقول الباقلاني :" فإن إحدى اللفظتين قد تنفر في موضع، وتزل عن مكان لا تزل عنه اللفظة الأخرى، بل تتمكن فيه، وتضرب بجرانها، وتراها في مظانها، وتجدها فيه غير منازعة إلى أوطانها، وتجد الأخرى – لو وضعت موضعها – في محل نفار، ومرمى شراد، ونابية عن استقرار." [٤]

وقد كان العدول المعجمي بين ألفاظ القرآن الكريم آية شاهدة على إعجازه؛ إذ فيه جذب الانتباه إلى مراميه الهادفة وهداياته العظيمة، في بلاغة سامية، وفصاحة عالية، فينبغي التفطن إلى الفروق بين ألفاظه، والعلم بأن تحتها لطائف وأسرار، تدل على أن هذا القرآن تنزيل من حكيم حميد .

---

(١) . السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، للمثنى عبد الفتاح محمود، ص ١٠٥

(٢) . السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي، للمثنى عبد الفتاح محمود، ص ١٠٥

(٣) . تفسير ابن عطية (٤٩/١)

(٤) . إعجاز القرآن، للباقلاني، ص ١٩٤

الباب الأول

بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء

الباب الأول

بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء

ينقسم الاسم إلى جامدٍ ومشتق، فأما الاسم الجامد فهو نوعان : اسم ذات واسم معنى، أما اسم الذات فهو ما كان شخصًا يدركه البصر كرجل وفرس ونحوهما من المرئيات، وقد يكون علَمًا أو اسمَ جنسٍ، وأما اسم المعنى فهو المصدر كالعِلْم والقُدْرة مصدري عَلِمَ وَقَدِرَ وذلك مما يدرك بالعقل دون حاسة البصر . والمشتق كاسم الفاعل واسم المفعول قد يكون وصفًا لاسم الذات كراكب وجالس أو وصفًا لاسم المعنى كمفهومٍ ومضمَر . ([1])

وعلى ما سبق ذكره كان اعتمادي في تقسيم باب العدول المعجمي بين الأسماء، وجعلت لكل نوعٍ فصلًا مستقلا، على النحو الآتي :

الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .

الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى .

الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق .

١ . ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ط: المكتبة التوفيقية، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، (دت) (٥٦.٥٥/١)

الفصل الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .

الفصل الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات .

سوف يتناول الباحث في هذا الفصل العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الذات؛ ليوضِّح ما يمتاز به هذا النوع العدولي من الناحية البلاغية، وأنه عدول فنيٌّ مقصود يجمع بين الحسنيين : الدلالات المعنوية والجماليات الإيقاعية .

والمقصود باسم الذات كما سبق ذكره ما كان شخصًا يدركه البصر كرجل وفرس ونحوهما من المرئيات، وقد يكون علَمًا أو اسمَ جنسٍ، وعلى هذا الأساس ستُقَسَّم دراسة هذا الفصل إلى المبحثين التاليين :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى العَلَم .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الجنس .

والجدير بالذكر أن أبرز الأغراض البلاغية للعدول إلى اسم الذات، على النحو التالي :

أولا: الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، والتخصيص والتعميم، والإعلام، والتعريض، والمبالغة والتشنيع، والتعليل، والامتنان، والمدح، والاهتمام.

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل، وائتلاف اللفظ والمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى العلَم .

أوضح الباحث فيما سبق أن العدول المعجمي إلى اسم الذات منه العدول إلى العَلَم، وسوف يدرس في هذا المبحث الشواهد القرآنية الخاصة به، لبيان بلاغته وإيضاح مقاصده، ونظرًا إلى أن الألفاظ المعدول منها قد تكون أسماء ذوات وقد تكون مشتقات، يتطلب تقسيم هذا المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى العَلَم .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى العَلَم .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى العلَم .

المقصود بالعلم: الاسم الذي يعين مسماه مطلقا أي بلا قيد التكلم أو الخطاب أو الغيبة [1] وذلك مثل: محمد وزيد، وقد جاء العلم المعدول إليه في الذكر الحكيم إما اسمًا لله، أو أحد كتبه المنزلة، أو يوم القيامة أو اسمًا لدار الجزاء .

وسنعرض فيما يلي ذلك النوع العدولي؛ لمعرفة خصائصه البلاغية على وجه التفصيل، والله الموفق .

١. [الرب ـ الله]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٧ ﴾ البقرة: ٤ ــ ٧

في الآيات الكريمة عدول معجمي من(ربهم) اسم ذات [و] فعْل، إلى الاسم الجليل(الله) عَلَم على الذات الإلهية، وذلك في سياق ذكر صفات المؤمنين وأنهم أهل الفلاح في الدنيا والآخرة، وبيان إصرار المشركين على كفرهم لأن الله بحكمته وعدله . قد ختم على قلوبهم فلا يدخل إليها الإيمان وعلى سمعهم فلا ينتفعون بآيات الوعد والوعيد وعلى أبصارهم غشاوة عن رؤية دلائل التوحيد وعلامات النبوة .

وللعدول إلى الاسم الجليل(الله) أغراض بلاغية منها :

الأول : الإيذان بعظم الجناية والتشنيع، فالآية الأخيرة في ذم الكافرين وبيان عقوبتهم بالختم على قلوبهم وأسماعهم وعدم انتفاعهم بما يرون من الآيات، فاختير لفظ(الله) تهويلا للأمر وإيذانا بعظم جنايتهم بأن أصروا على كفرهم وأعرضوا عما جاءهم من الهدى فكان ذلك سببا للختم والغشاوة، قَالَ تَعَالَى:﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٥ ﴾[الصف: ٥]

الثاني : التنبيه إلى علة الحكم، فمناسبة العدول إلى الاسم الجليل هي أن الكلام لما كان مقصودا به ذم الكافرين لإنكارهم ألوهية الله ناسب أن يسند الختم والغشاوة إلى(الله)؛ تنبيها إلى أن سبب ما حل بهم من العقوبات إنما هو عدم اعترافهم بألوهيته، وذلك علم بالنظر إلى الأصل الاشتقاقي لكلمة(الله) في أحد الوجوه، فقد قيل : إن أصله(الإله) فعال بمعنى

(١) شرح ابن عقيل، لألفية ابن مالك (١١٨/١)

مفعول، أي : إله بمعنى مألوه أي معبود،[1] فالكافرون لا يعبدون ربهم ولا يوحدوه توحيد الألوهية، وهم يقرُّون بتوحيد الربوبية، لكن ذلك لا ينفعهم ما لم يعبدوه ويوحدوه .

الثالث : تأكيد النسبة والإشارة إلى كون الختم من الله لا من غيره، قال القرطبي :" الأمة مجمعة على أن الله تعالى قد وصف نفسه بالختم والطبع على قلوب الكافرين مجازاة لكفرهم، كما قال تعالى : " بل طبع الله عليها بكفرهم " [النساء : ١٥٥] . وأجمعت الأمة على أن الطبع والختم على قلوبهم من جهة النبي عليه السلام والملائكة والمؤمنين ممتنع ." [2] فالمقام في ذكر العذاب العظيم الذي يستحقه أهل الكفر، فناسب أن يؤتى باسم الله العظيم الذي لا يشاركه فيه غيره .

الرابع : التأكيد على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأنه لا يرجَى إيمانهم، قال الطاهر : " وإسناد الختم المستعمل مجازاً إلى الله تعالى للدلالة على تمكن معنى الختم من قلوبهم وأن لا يرجى زواله كما يقال خِلقةٌ في فلان." [3]

الخامس : التحقير لأهل الكفر، وذلك بعدم إضافتهم للاسم الجليل؛ إبعادا لهم عن ساحة الرحمة والتكريم، وهذا على النقيض من المؤمنين الذين أضيفوا إلى الرب الكريم تشريفا وتكريما، فالعدول أبان المفارقة بين القبيلين، وبالضد تتميز الأشياء .

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ [الأعراف: ١٨٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(ربي) إلى(الله) وذلك في سياق ذكر حال أهل قريش، حيث كانوا يسألون عن وقت الساعة، استبعادا لوقوعها، وتكذيبا بوجودها .

والعدول المعجمي من(ربي) إلى(الله) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التعظيم لأهوال يوم القيامة، [4] فإن السؤال الأول قد كان عن زمان وقوعها، والثاني بعد ذكر شدّتها وعظم أهوالها فقد ثقلت في السموات والأرض، ولا تأتي إلا بغتةً وذلك أفظع ما يكون، فناسب جِدًّا العدول إلى الاسم العظيم(الله) ترهيبًا من مخالفته وتحذيرًا من عقوبته، فيوم القيامة يوم عظيمٌ شأنه، وقريش تكذِبُ به، فجاءهم بالاسم الذي يعرفونه؛ تنبيهًا على أنه بيده ملكوت كل شيء وهو على كل شيء قدير .

الثاني : قطع أطماع الكافرين في معرفة زمان وقوعِها، قال البقاعي :" ولما كانوا قد ألحفوا في سؤاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها، وكانت صفة الربوبية المذكورة في الجملة الأولى ربما حملت على سؤاله طمعاً في تعرفها من المحسن إليه، قطع الأطماع بقوله مؤكداً للمعنى: {يسئلونك} أي عن الساعة مطلقاً في وقت وقوعها وما يحصل من أمورها ويحدث من شدائدها ...

---

(١) ينظر. على سبيل المثال : مفاتيح الغيب للرازي (١٤٤/١)

(٢) . تفسير القرطبي (١/ ١٨٧)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٢٥٧)

(٤) . ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (١٥/ ٤٢٥)

{إنما علمها عند الله} أي :الذي له جميع العزة والعظمة والكبرياء فلا يستطاع علم شيء مما عنده إلا بإذنه، ولم يأذن في علمها لأحد من الخلق ." (١)

قال أبو السعود في التوجيه البلاغي لاختيار لفظ(ربي) أوَّلًا :" والتعرضُ لعنوانِ الربوبيةِ مع الإضافة إلى ضميره صلى الله عليه وسلم للإيذان بأن توفيقه صلى الله عليه وسلم للجواب على الوجه المذكور من باب التربية والإرشاد" (٢)

٢. [الله ـ السلام]

قَالَ تَعَالَىٰ: {إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾} [سورة يونس:٢٤ـ٢٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي بين عَلَمين من اسم الجلالة (الله) إلى (السلام)، وذلك في سياق بيان حقيقة الدنيا وأنها إلى فناء واضمحلال وأن الله يدعو إلى جنته وهو المتكفل بهداية الخلق إلى ما فيه صلاحهم وسعادتهم .

و**(الله) عَلَم على الذات الإلهية**، و**(السلام) في الأصل اسم مصدر**[و] الفَعال، وهو من أسماء الله الحسنى على الوصف بالمصدر للمبالغة . (٣)

والعدول المعجمي اسم الجلالة (الله) إلى (السلام) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم للجنة وتشريفها، وصرَّح بذلك أبو حيان حيث قال: " يجوز أن يكون تعالى أضافها إلى اسمه الشريف على سبيل التعظيم لها والتشريف كما قيل: بيت الله، وناقة الله ." (٤)، ومعنى السلام: " السالم من مماثلة أحد من خلقه، ومن النقص، ومن كل ما ينافي كماله ." (٥) وحسنت الإضافة هنا إلى السلام الذي له الكمال المطلق فكما أنه ليس كمثله شيء فجنته التي أعدها بيده للمتقين ليس كمثلها جنَّةٌ "وذلك لكمال نعيمها وتمامه وبقائه، وحسنه من كل وجه "(٦).

الثاني: الإشارة إلى أن الجنة هي دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه والله الذي سلَّمها وسلَّم أهلها والرب تعالى . يسلم عليهم من فوقهم وتحيتهم فيها سلام، وفي ذلك ترغيب في العمل من أجلها وترك الدنيا وزينتها الفانية، قال ابن كثير: " لما ذكر تعالى الدنيا وسرعة عطبها وزوالها، رغب في الجنة ودعا إليها، وسماها دار السلام ." (٧)

٣. [الآخرة ـ يوم القيامة]

---

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (١٨٧/٨)
(٢) . تفسير أبي السعود (٣٠١/٣)
(٣) . ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم ص٢٤٤ .
(٤) . البحر المحيط (٦/ ٤٠)
(٥) . شرح أسماء الله الحسنى، للقحطاني ص ١٤٣
(٦) . تفسير السعدي ص ٣٦٢
(٧) . تفسير ابن كثير: (٢٦١/٤)

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَءَاتَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبْتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢٤﴾} [سورة النحل:١٢٢-١٢٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (الآخرة) إلى (يوم القيامة) وذلك في سياق مدح إبراهيم عليه السلام بشكره لربه وصلاح أمره واستقامته على شريعة ربه وإخلاصه في عبوديته وأن النبي محمدًا صلى الله عليه وسلم مأمور باتباع ملة إبراهيم عليه السلام وبيان أن تحريم العمل في يوم السبت أمر خاص باليهود، ولا علاقة له بشريعة إبراهيم أو بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم .

قال الطاهر: " وقد ادخر الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم أن يكون هو الوارث لأصول إبراهيم، فجعل لليهود والنصارى دينا مخالفا لملة إبراهيم، ونصب على ذلك شعارا وهو اليوم الذي يعرف به أصل ذلك الدين وتغيير ذلك اليوم عند بعثة المسيح– عليه السلام – إشارة إلى ذلك، لئلا يكون يوم السبت مسترسلا في بني إسرائيل، تنبيها على أنهم عرضة لنسخ دينهم بدين عيسى– عليه السلام– وإعدادا لهم لتلقي نسخ آخر بعد ذلك بدين آخر يكون شعاره يوما آخر غير السبت وغير الأحد. فهذا هو التفسير الذي به يظهر انتساق الآي بعضها مع بعض. ." (١)

والعدول المعجمي من (الآخرة) اسم فاعل/عَلَم [و] الفَاعلة، إلى(القيامة) عَلَم [و] الفِعَالَة،والمراد منهما الدار التي أعدها الله للجزاء، له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم لهذا اليوم، تخويفًا من أهواله، فقد سميت النشأة الآخرة بالقيامة لأنها تكون في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين وتنصبُ لهم فيه أعمالهم ويجازون عليها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌ، فالقيامة من القيام والتاء فيه للمبالغة؛ تهويلًا، وقد تعدد لذلك أسمائها في القرآن الكريم، وكل ما عظم شأنه تعددت صفاته، وكثرت أسماؤه، فالقيامة لما عظم أمرها، وكثرت أهوالها، سماها الله تعالى في كتابه بأسماء عديدة، ووصفها بأوصاف كثيرة .

وقد ناسب ذكرها بهذا الاسم تهديدًا لليهود الذين يخالفون شريعة النبي محمد ﷺ ويزعمون اتباعهم لإبراهيم، إذ لو كانوا أتباعًا له في الحقيقة لاتبعوا محمدًا المتمسك بدين إبراهيم والسائر على هداه من التوحيد وإخلاص الدين لله .

والملاحظ أن هذه السورة مكية قد روعي فيها التركيز على التهويل من أحداث يوم القيامة وذلك ترهيبا لأهل مكة وتذكيرا بقوة الله المطلقة، وأن الله الذي يفعل ذلك قادر على إهلاكهم وإفنائهم في لمح البصر .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

هذا وقد ذكرت الآخرة في سياق ذكر فضائل إبراهيم عليه السلام وليس في ذلك تهويل فحسن اختيار هذا الاسم؛ ولمقارنته مع الدنيا وهي النشأة الأولى والآخرة هي النشأة الآخرة لتحسن المطابقة ويتم معنى التعميم لصلاحه وحسن جزائه في الدارين .

---

(١) . التحرير والتنوير: (٣٢٥/١٤)

قَالَ تَعَالَىٰ:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٧٧} [سورة آل عمران:٧٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الآخرة) إلى (يوم القيامة) وذلك في سياق تعظيم الوفاء بالعهد والتهديد للذين لا يفون بالمواثيق التي أمر الله بها عبادَه على لسان رسله .

قال الرازي: " الطاعات محصورة في أمرين التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله، فالوفاء بالعهد مشتمل عليهما معا ." (١)

والعدول المعجمي من (الآخرة) إلى (يوم القيامة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التهديد للذين يخونون الأمانات ويحلفون بالله كذبًا ليأكلوا بها أموال الناس بالباطل، فذكرت الآخرة بهذا العنوان (يوم القيامة) تخويفًا من أهوال ذلك اليوم العظيم، ولفظ (القيامة) يدل على قيام الناس من قبورهم ليحاسبوا على ما فعلوا في الدنيا، وهو مشهدٌ مفزِعٌ حقًّا ومن تأمل صفات ذلك اليوم مما ذكر في القرآن الكريم وما قاله النبي ﷺ عرَفَ عظيمَ خطره وسعى في تخليص نفسه من أهواله، وقد عُدِلَ إليه لمناسبته لموقف التهديد من الخيانة وما شابهها، كما وردَ هذا الوصف في سورة المطففين لمن ينقصون المكيال والميزان ظُلمًا قَالَ تَعَالَىٰ:{أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦} [سورة المطففين:١-٦]

الثاني: التعريض بأن الله ﷻ سوف ينظر إلى المؤمنين الذين يوفون بعهد الله في جنته وينعمون برؤيته، وأنه لا يحزنهم الفزع الأكبر لأن الله يكلؤهم بعنايته ويشملهم برحمته وإحسانه، والجزاء من جنس العمل فقد كانوا يراقبون الله في السرِّ والعلن ويحافظون على حدود الله، فأكرمهم الله بالنظر إليهم يوم القيامة وفي ذلك منتهى آمالهم، وذلك بعكس هؤلاء المحرومين من نظر الله إليهم؛ إذ لم يراقبوه في الدنيا فلا حظَّ لديهم عنده .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٤ . **[الكتاب ـ التوراة والإنجيل]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۖ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٦٨} [سورة المائدة:٦٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الكتاب) إلى (التوراة والإنجيل) وذلك في سياق تسلية النبي ﷺ وإعلامه بأن كثيرًا من أهل الكتاب لا يؤمنون بما جاء به بل يزيد عنادهم وطغيانهم ويتولون عنه وهم معرضون، فلا يحزِنْ نفسَه ﷺ على ذلك إذ لم يشأ الله أن يهديهم فقد طبع على قلوبهم فلا تنتفع بالنور الذي أنزل معه .

والعدول من (الكتاب) اسم ذات [و] الفِعَال إلى (التوراة والإنجيل) العَلَميْن له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم للكتابين الشريفين، بالتنصيص عليهما والإلماح إلى أنهما اشتملا على العلوم النافعة والبصائر الهادية، فالتوراة [و] فَوْعَلة قيل: أصلها مِنْ وَرَى الزَّنْدُ إذا ظَهَرَتْ نارُها (٢)، فتدلُّ على الهداية والعلم، والإنجيل [و] إِفْعِيل:

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٨/٢٦٥)

(٢) . لسان العرب، مادة (ورى).

قِيلَ اشْتِقَاقُهُ مِنَ النَّجْلِ الَّذِي هُوَ الأَصل، يُقَالُ: هُوَ كَرِيمُ النَّجْلِ أَي الأَصل (١)، فيدلُّ هذا العلَم أنه كتابٌ مؤصَّلٌ لأنه من عند الله ﷻ واحتوى على العلم الأصيل، وهذا يدل على أن سائر الكتب الإلهية قد اشتملت على المعارف العظيمة الدالة على وحدانية الله ﷻ وصِدْقِ رُسله، وهذا أدْعَى إلى الاستقامة على هداها، وهذا يبين عظمة الإسلام الذي يقرُّ دين الأنبياء ويصدِّق كتبهم .

وعلى ما ذكر آنفًا يتبيَّن أن عناد الكثير من أهل الكتاب وإصرارهم على مخالفة الرسول ﷺ ناشئٌ عن خبث نفوسهم وانصرافهم عن تعاليم كتبهم المنزلة إليهم؛ إذ لو قرءوها بعناية لوجدوا وصف النبي ﷺ وصحابته الكرام وأنه سيأتي بالدين الخاتم وأنَّ عليهم اتباعَه والاستسلام لأوامره، لأنه يصدق النور الذي معهم ويدعوهم بدعوة سائر الأنبياء ألا وهي دعوة التوحيد .

قال أبو السعود: " وفي التعبير عن التوراة والإنجيلِ باسم الكتابِ إيماءٌ إلى ما بينهما وبين القرآنِ من المجانسة المقتضيةِ للاشتراك في الحقية والنزولِ من عنده تعالى مع ما فيه من الإيجاز ." (٢)

الثاني: الزيادة في الإيضاح، فلو قيل: " حتى تقيموه " بدلا من قوله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ عَنۡهُمۡ﴾ . لأوهم عود الضمير إلى لفظ (شيء) وذلك غير مراد، فتنصيصًا على أن المراد إقامة تلك الكتب الكريمة بالعمل، ذكر لفظ (التوراة والإنجيل)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥. **[آياتنا ـ قرآن]**

قَالَ تَعَالَىٰ:﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝١٥﴾ [سورة يونس:١٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آيات) إلى (قرآن) وذلك في سياق بيان تعنُّت المشركين وعنادهم ورغبتهم في تغيير هذا القرآن بغيره لاشتماله على آيات الوعيد وتسفيه أحلام مشركي العرب وذم معبوداتهم وفضحهم بأفعالهم المنكرة وعاداتهم المذمومة فهم لا يطيقون سماع ذلك لكفرهم وخبثهم .

والعدول المعجمي من (آيات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَعَلَات إلى (قرآن) عَلَم [و] فُعْلَان، له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى نوعٍ من قبائح المشركين وهو عدم اعتدادهم بالقرآن الكريم فلم يقولوا: ائت بآيات؛ إمعانً في إظهار عدم تصديقهم أنه آياتٍ، وتسهيلًا للنبي ـ عليه السلام ـ أن يغيره أو يبدله، فلو قالوا (آيات) لأثبتوا أنها أعجوبة في نفسها وعلامة شاهدة على صدقه ومعجزة فيصدَّه هذا الوصف عما طلبوا فعدلوا عن ذلك وقالوا (بقرآن) أي: بمقروء غير هذا

.

(١) . لسان العرب، مادة (نجل) .

(٢) . تفسير أبي السعود (١٧٧/٣)

قال الطاهر: " وسموا ما طلبوا الإتيان به قرآنا لأنه عوض عن المسمى بالقرآن، فإن القرآن علم على الكتاب الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم أي ائت بغير هذا مما تسميه قرآنا." (١)

الثاني: الإيذان برغبتهم في أن يغير القرآن كله لا بعض آياته، وهذا يدل على شدة كراهتهم لما أنزل الله وكفرهم بآياته كلها **قَالَ تَعَالَى:{وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾}** [سورة **محمد:٨–٩**]

قال أبو السعود: " أشاروا بهذا إلى القرآنِ المشتملِ على تلك الآياتِ لا إلى نفسها **فقط قصداً إلى إخراج الكلِّ من البين** أي ائت بكتاب آخرَ نقرؤه ليس فيه ما نستبعده من البعث والحسابِ والجزاءِ وما نكرهه من ذم آلهتِنا ومعايبِها والوعيدِ على عبادتها ." (٢)

وإنما سمى الله ـ عز وجل ـ كتابه آياتٍ، لأنه معجزة تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون التعبير بها في أول الآية " تعجيبًا لطلبهم تبديلها " (٣)

٦. **[نار ـ سعير]**

قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴿١٠﴾} [سورة النساء:١٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نارًا) إلى (سعيرًا) وذلك في سياق التحذير من أكل أموال اليتامَى بالباطل، والإيذان بأن ذلك الفعل يوجب العقوبة الشديدة بالنار يوم القيامة .

والعدول المعجمي من (نار)اسم ذات [و] فَعْل إلى (سعير) اسم ذات/عَلَم [و] فَعِيل . له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التهويل من نار يوم القيامة؛ تنبيهًا على خطورة أكل أموال اليتامَى ظلمًا، فتنكير لفظ (نارًا، سعيرًا) للتهويل، وعُدِلَ إلى العلم المنقول؛ تصويرًا لشدَّة احتراقها وحرارة لهيبها، قال ابن عطية: " «والسعير»: الجمر المشتعل ." (٤)

الثاني: الإشارة إلى أن الجزاء من جنس العمل، فكما كان آكلو أموال اليتامى يسعرون في ذلك ولا ينظرون إلى ضعفهم وعجزهم، فيلتهمون ما معهم من المال الذي ورثوه عن أبيهم، كان جزاؤهم النار المسعورة التي تفتك بهم فتكًا فلا تبقي ولا تذر،(٥) قال الراغب: " والسعير: المسعور. "(٦)، وهذا المعنى أكَّد الوجه السابق من التخويف من النار والتحذير من ظلم اليتامى، "وذلك كله رحمة من الله تعالى باليتامى لأنهم لكمال ضعفهم وعجزهم استحقوا من الله مزيد العناية والكرامة، وما

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (١١٦/١١)

(٢) . تفسير أبي السعود (١٢٨/٤)

(٣) . التحرير والتنوير (١١٦/١١)

(٤) . تفسير ابن عطية (١٥/٢)

(٥) . أشار الإمام البقاعي إلى ما يوحيه لفظ (سعيرًا) من المعاني، ومما ذكره دلالته على أن هذه النار تسرع في الأذى فتوقع في العُسْر وغاية المشقة، وهو مبني على النظر إلى تقاليب الكلمة (سرع ـ عسر ـ سعر) .(نظم الدرر(٣٠٥/٥)

(٦) . تفسير الراغب (٣/ ١١١٧)

أشد دلالة هذا الوعيد على سعة رحمته وكثرة عفوه وفضله، لأن اليتامى لما بلغوا في الضعف إلى الغاية القصوى بلغت عناية الله بهم إلى الغاية القصوى."[1]

الثالث: التحذير من عذابين شديدين يتعرض لهما من يأكل أموال اليتامى ظلمًا، العذاب الدنيوي بمصائب الدنيا في أنفسهم وأموالهم وهو المشار إليه بقوله ﷻ: {إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا}، والعذاب الأخروي بنار جهنم المشار إليه بقوله ﷻ: {وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} والسين تؤذن بكونه عذابًا مستقبليًّا محقّقًا، والمغايرة بين اللفظين تشير إلى نوعين من العذاب كما ذكر الطاهر .[2]

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٧. **[جهنم ـ النار]**

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴿٣٠﴾} [سورة إبراهيم:٢٨ــ٣٠]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (جهنم) **إلى** (النار) وذلك في سياق التعجيب من أحوال مشركي مكة إذ يجحدون النعم ولا يشكرون الله عليها بل يشركون معه في العبادة آلهة أخرى، فأولئك لهم العذاب الشديد يوم القيامة .

والعدول المعجمي من (جهنم) اسم ذات/عَلَم إلى (النار) اسم ذات/عَلَم [و] الفَعْل. له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التهويل، إظهارا لشدة العذاب في دركات النار، فتسميتها بأكثر من اسم (جهنم. النار) فيه زيادة تهويل إذ النار كلٌّ يعرفُ خطرهَا، قَالَ تَعَالَى:{نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً} [سورة الواقعة:٧٣]، فنار الدنيا تذكر الناس بنار الآخرة وشدة عذابها، وفي تعريفها بأل دليل على أنها النار التي يعرفها المخاطبون تلك التي وقودها الناس والحجارة .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة فواصل السورة، من الناحية المقطعية أو حرف الروي أو كليهما .

---

(١) . تفسير الرازي (٥٠٦/٩)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٤/ ٢٥٤)

شبكة الألوكة

المطلب الثاني

العدول المعجمي من المشتق إلى العلَم

سبق إيضاح أن العدول المعجمي قد يكون من اسم الذات إلى العلم، أما في هذا المطلب فسوف يعرض الباحث نماذج العدول المعجمي من المشتقات إلى الاسم العلم، والاشتقاق هو صوغ كلمة من أخرى على حسب قوانين الصرف(١) ومن المشتقات المعدول منها في الذكر الحكيم : اسم الفاعل، واسم التفضيل .

٨. [قائم ـ الله]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا۟ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ } [سورة الرعد:٣٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مَنْ هو قائم على كل نفسٍ) إلى (الله) وذلك في سياق بيان أن الله ﷻ هو الذي يتولَّى كل نفس ويدبِّرُ أمورها في جميع شئونها في الخلق والأجل والرزق، والعالم بأحوالها وأعمالها، وفي الآية تشنيع على أهل الكفر الذين جعلوا لله شركاء وصدوا عن سبيل الله وضلوا عن هداه .

والعدول المعجمي من (قائم) اسم فاعل [و] فَاعِل إلى (الله) الاسم العَلَم للذات الإلهية . له أغراض بلاغية منها:

الأول :زيادة التصريح بالحجة وأن المراد من الموصول السابق هو الله ﷻ لا غيره، وفي العدول تخطِئة لأهل الشرك في تشريك آلهتهم لله ﷻ في الإلهية (٢)، فهم يعترفون بأنه الخالق الرازق ومع ذلك لا يقرُّون بوحدانيته ﷻ، ويعبدون ما لا يملك لهم نفعًا ولا ضرًّا، وقد ذكر اسم الجلالة (الله) لأن أصله: (الإله) أي: المعبود، قال الطاهر: " فكان أصل وضعه دالا على انفراده بالألوهية إذ لا إله غيره فلذلك صار علما عليه ." (٣)

الثاني : بطلان زعمهم بأن الله له شركاء؛ ولذلك طالبهم بتسميتهم .

٩. [الحسنى ـ الجنة]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ } [سورة يونس:٢٦]

---

(١) . ينظر: المعجم الوسيط، مادة(شقق) .

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (١٣/ ١٥١)

(٣) . التحرير والتنوير (١/ ١٦٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في الآية الكريمة عدول معجمي من (**الحسنى**) **إلى** (**الجنة**) وذلك في سياق وعد المؤمنين المحسنين بالجنات العظيمة وخلودهم فيها .

والعدول المعجمي من (**الحسنى**) **اسم تفضيل [و] الفُعْلَى إلى** (**الجنة**) **اسم ذات/عَلَم [و] الفَعْلَة. له أغراض بلاغية منها:**

الأول: التعظيم؛ ترغيبًا في العمل من أجلها، فتسمية دار النعيم بأكثر من اسمٍ دليل على عظمها وشرفها فقد سماها: الحسنى والجنة، وتعدد الأسامي يدل على أن المسَمَّى سامٍ، والإظهار في مقام الإضمار يوجبه السياق فلو قيل: أولئك أصحابها لأوهم بعود الضمير إلى (ذلة) لقرب لفظها، فأظهر وغاير اللفظ؛ قطعًا للوهم وتفخيمًا وتشريفًا .

الثاني: الإيذان بجمالها الأخّاذ للقلوب، فالجنة في أصل معناها: " البستان كثير الشجر مختلف الأنواع "[1] ملتف الأغصان بحيث تجن تلك الأشجار ما تحتها أي : تستره وذلك منظر بديع يدل على غاية الجمال وكمال القدرة، واشتقاق (الجنة) من الفعل (جنّ) بمعنى استتر [2]، ومنه الجنين لاستتاره في بطن أمه، والجان لاستتاره عن العيون والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، فالتصريح بأن الدار التي أعدها الله لعباده المحسنين هي الجنة غرضه التنبيه على جمالها واشتمالها على ما يحصل به تمام السرور والبهجة واللذة .

الثالث: الإشارة إلى سلامة المؤمنين في الجنة من الحرّ لأنهم في ظلٍّ ممدود، قَالَ تَعَالَىٰ:{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾} [سورة **الإنسان**:١٤]، وذلك مستفادٌ من كثافة أشجار الجنة والتفاف أغصانها .

الرابع: التنبيه على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر **قَالَ تَعَالَىٰ:**{ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾} [سورة **السجدة**:١٧]، وهذا متناسب مع المعنى الاشتقاقي للجنة فالإخفاء والستر بمعنى متقارب .

وكل الأوجه التي سبقت إنما المقصود منها الترغيب في الأعمال الصالحة التي تبلغ بصاحبها تلك المراتب العالية فالجنة مطلب كل مسلم وأمل كل تقيّ وعندما تذكر تسعد بها القلوب .

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

هذا ويراد بالحسنى . على أصح التفاسير .: الجنة التي أعدها الله لعباده المحسنين، [3]،وقد أوثر هذا الاسم هنا لأن الزيادة المذكورة في الآية هي: رؤية الله . عز وجل . وذلك أعظم ما في الجنة وأحسنه، ويؤيد هذا التفسير ما رواه مسلم عن صهيب الرومي – رضي الله عنه –؛ أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – تلا هذه الآية: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} وقال: « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ – قَالَ – يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ فَيَقُولُونَ أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ – قَالَ – فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ ».[4]

(١) . حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٩٤

(٢) . ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣٣٨/١) وحادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ص ٩٤

(٣) . ينظر: تفسير الطبري (٦٢/١٥)

(٤) . صحيح مسلم، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ،حديث رقم ٣٩٧

ولم يقل: " وللذين أحسنوا الجنة وزيادة " لأن لفظ الجنة يدل على الستر والخفاء، وهنا مقام ظهور وجه الكريم سبحانه . وانكشافه للمؤمنين كرامةً منه وفضلا، فاختير لفظ (الحسنى) تعظيمًا للجنة وتنبيهًا على أن النظر إلى وجه الكريم أحسن ما فيها وأن الحسن كل الحسن لمن تشرّف برؤية الملك قَالَ تَعَالَىٰ:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾} [سورة القيامة:٢٢ـ٢٣]

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الجنس

قد تناول المبحث الأول الحديث عن العدول المعجمي إلى العَلَم، وفي هذا المبحث سوف يكون الكلام عن بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الجنس، ويقصد باسم الجنس [(١)] : الاسم الذي لا يختص بواحدٍ دون آخر من أفراد جنسِه، نحو : رجل، وامرأة، وكتاب، وقلم، [(٢)] وهو نوعان :

أ . اسم الجنس الجمعيّ، وهو ما تضمّن معنى الجمع ودلّ على الجنس، وله مفرد من لفظه ومعناه مُمَيَّز منه بالتاء أو ياء النسبة، نحو : ثَمَر ومفرده(ثمرة)، وعَرَب ومفرده(عربيّ) .

ب . اسم جنس إفرادي : وهو ما دلّ على الجنس لا على اثنين ولا على أكثر من اثنين، وإنما هو صالح للقليل والكثير، نحو : خلّ، وزيْت، ولَبَن .

وبالنظر إلى الألفاظ المعدول منها ومعرفة نوعها صرفيًّا، سوف يكون هذا المبحث في ثلاثة مطالب كالآتي :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الجنس .

المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الجنس .

(١) . ينظر: موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(٢/٩٧.٩٨)

٢ . ينظر: شرح المفصل لابن يعيش، ط: المكتبة التوفيقية، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد، (دت) (٥٦.٥٥/١)

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس

سيكون الحديث في هذا المطلب عن البلاغة الفنية للعدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الجنس، واسم الذات .كما سبق ذكره . إما يكون علمًا، نحو : يوسف، أو اسمَ جنس، نحو : الناس، وعلى هذا فإن الكلام سينحصر في مسألتين :

الأولى: العدول المعجمي من العَلَم إلى اسم الجنس .

الثانية : العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الجنس .

وسنتناول تلك المسألتين بالتفصيل فيما يلي:

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات (العلَم) إلى اسم الجنس :

١٠. [الله ـ الرب]

قَالَ تَعَالَى:﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ ﴾[الأنعام: ١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(الله) عَلَم على الذات الإلهية إلى(ربهم) اسم ذات [و] فعْل، وذلك في سياق الامتنان على العباد بالخلق والإمداد، والتشنيع على الكافرين الذين يسوون به غيره .

والعدول المعجمي من(الله) إلى(ربهم) له أغراض بلاغية منها :

- **زيادة التشنيع والتقبيح للكافرين**، فمن معاني(رب) التربية والإحسان، فقد أحسن الله إلى الخلق جميعًا بأصول النعم وفروعها، والكافرون يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ولا يشكرون الذي أحسن إليهم بل يشركون به غيره، وذلك أعظم الفساد .

هذا والعدول بين اسم الجلالة(الله) و(الرب) كثير جدًّا في القرآن الكريم، ودراسة لطائف ذلك وأسراره البلاغية يحتاج إلى دراسة وافية تكشف عن مغزاه وفوائده .

١١. [السلام ـ ربهم]

قَالَ تَعَالَى:{وَهَٰذَا صِرَٰطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ ۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾} [سورة الأنعام:١٢٦ــ١٢٧]

في الآية الثانية عدول معجمي من (السلام) إلى (ربهم) وذلك في سياق التنبيه على عظمة الدين الإسلامي وأنه في منتهى الاستقامة والعدل والرحمة والوضوح، وأن الذين ينتفعون بهذا الدين قد أعد الله لهم جنته التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فضلًا منه سبحانه .

والعدول من (السلام) اسم ذات/عَلَم [و] الفَعَال إلى (ربّ) اسم ذات [و] فَعْل . له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنويه بشرف المؤمنين وجليل قدرهم عند الله إذ أضافهم إلى نفسه، وفي ذلك إشارة بأنهم بمحل العناية من الله، والغرض من ذلك تنشيط المستمعين وحثهم على سلوك سبيلهم حتى ينالوا المراتب العالية .

الثاني: الإشارة إلى أن دخولهم الجنة محض تفضُّلٍ من الله، ولفظ (الرب) يؤذن بالإحسان إلى المذكورين وحسن توفيقه لهم إلى ما فيه سعادة الدارين فقد أحسن إليهم إذ خلقهم ورزقهم وهداهم ثم أدخلهم الجنة برحمته، روى البخاري عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: "سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: لَنْ يُدْخِلَ أحداً عَمَلُهُ الجَنَّةَ. قالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: وَلَا أَنا، إلاَّ أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِفَضْلٍ مِنْهُ ورَحْمَةٍ ..." (١)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تنشيطًا للسامع وجذبًا للانتباه .

أما اختيار لفظ (السلام) في الآية فبيّنه الطاهر قائلا: " (دار السلام) الجنة سميت دار السلام لأن السلامة الحق فيها، لأنها قرار أمن من كل مكروه للنفس، فتمحضت للنعيم الملائم، وقيل: السلام، اسم من أسماء الله تعالى، أي دار الله تعظيما لها كما يقال للكعبة: بيت الله . " (٢)

١٢. [يوسف ـ فتاها]

قَالَ تَعَالَى:{ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾} [سورة يوسف:٢٩-٣٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يوسف) إلى (فتاها) وذلك في سياق أمر يوسف بالإعراض عما اتُّهِمَ به بعدما ثبتت براءته وأمرها بالتوبة إلى الله مما فعلت وشيوع أمرها في المدينة ولوم النسوة لها وتصريحهن بضلالها المبين .

والعدول المعجمي من (يوسف) اسم ذات/عَلَم على نبي الله ابن يعقوب . عليهما السلام . إلى (فتَى) اسم ذات [و] فَعَل . له أغراض بلاغية منها:

(١) . صحيح البخاري ،كتاب : المرضى، باب : تمني المريض الموت ،حديث رقم (٥٦٧٣)
(٢) . التحرير والتنوير : (٦٤/٨)

الأول: المبالغة والإشباع في اللوم [١]، فالفتى من الناس: الشاب ويستعار للمملوك وهو المراد ههنا، فذكره ـ عليه السلام ـ بهذا العنوان المشعر بالمملوكية فيه إنكار شديد على امرأة العزيز وما تتصف به من المالكية التي تمنع أمثالها من الإقدام على ذلك الفعل الشنيع .

قال ابن عطية: " و«الفتى » الغلام، وعرفه في المملوك – وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يقل أحدكم عبدي وأمتي، وليقل فتاي وفتاتي » [٢]، ولكنه قد يقال في غير المملوك، ومنه {إذ قال موسى لفتاه} [الكهف : ٦٠]وأصل «الفتى » في اللغة الشاب، ولكن لما كان جل الخدمة شباباً استعير لهم اسم الفتى ." [٣]

الثاني: التخصيص بالإضافة، وذلك من أغراض العدول من لفظ إلى لفظ، وذلك نحو العدول من الاسم العلم (الله) إلى (رب) المضاف إلى الضمير، لما في الإضافة من التخصيص وينطوي تحت ذلك معانٍ يحدِّدُها السياق، فالإضافة هنا تبين توجيه إنكار النسوة على امرأة العزيز استغلال سلطتها عليه بملكيتها له وفيه إشعار ببيان عصمة يوسف إذ لا يجرؤ على ذلك إلا بأمرها ـ وحاشاه عليه السلام ـ، ولذلك أوثر التعبير عن امرأة العزيز بقوله " التي هو بيتها " في الآيات السابقة، قال أبو السعود: " إيرادُ الموصول لتقرير المراودةِ فإن كونَه في بيتها مما يدعو إلى ذلك قيل: لواحدةٍ ما حملك على ما أنت عليه مما لا خيرَ فيه قالت قربُ الوساد وطولُ السواد ولإظهار كمالُ نزاهتِه عليه السلام فإن عدمَ ميلِه إليها مع دوام مشاهدتِه لمحاسنها واستعصاءه عليها مع كونه تحت ملَكتِها ينادي بكونه عليه السلام في أعلى معارج العفة والنزاهة ." [٤]

الثالث: الإيذان بأنهن يعلمن الأسباب التي أوقعت امرأة العزيز في أسر الحب وتكرار المراودة، فقولهن: (فتاها) مشعرٌ بفتوته المنبِئَة عن جمال الخَلق، وقولهن (عن نفسه) يؤذِن بجمال الخُلُق وتمام الأدب، فاجتمع فيه الكمال الإنساني، وذلك أعظم ما يدعو إلى المحبَّة ويأسر الفؤاد .

١٣. [إبليس ـ الشيطان]

قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾} [سورة الأعراف:١١]

قَالَ تَعَالَى:{ فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا

(١) . ينظر : تفسير أبي السعود (٤/ ٢٧٠)
(٢) . صحيح مسلم، باب : حكم إطلاق لفظة العبد والأمة والمولى،حديث رقم ٤١٧٧ .
(٣) . تفسير ابن عطية (٣/ ٢٣٧)
(٤) . تفسير أبي السعود (٤/ ٢٦٥)

وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾} [سورة الأعراف:٢٠-٢٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (إبليس) اسم ذات/عَلَم إلى (الشيطان) اسم ذات [و] فَيْعَال إن كان من (شطن) أو (فَعْلَان) إن كان من (شاطَ)، وذلك العدول في سياق بيان عداوة إبليس لآدم وذريته وأنه قد أبى أن يسجد لآدم عليه السلام ووسوس الشيطان له ولزوجه فأكلا من الشجرة التي نُهيا عنها .

والعدول المعجمي من (إبليس) إلى (الشيطان) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الذم والتحقير لإبليس؛ تنبيهًا على فساده وإغوائه، فالشيطان يطلق على المفسد ومثير الشر وهو فيعال من شطن بمعنى بعد لأنه أبعد عن رحمة الله وعن الجنة أو فعلان من شاط بمعنى هاج أو احترق أو بطل ووجه التسمية ظاهر. (١)

الثاني: التحذير من إبليس، وإظهار عداوته فهو حريص على إبعاد الناس عن طاعة ربهم، وسياق الآيات يوضح ذلك فقد أراد إبعاد الأبوين: آدم وحواء من الجنة ووسوس لهما أن يأكلا من تلك الشجرة المنهي عنها فكان سببًا للهبوط منها إلى الأرض، ولفظ (الشيطان) لما فيه من معنى البعد والإبعاد ناسب ذكره في سياق تلك الآيات، قال الطاهر: " وهذا التفصيل لإلقاء الشيطان كيده انفردت به هذه الآية عن آية سورة البقرة لأن هذه خطاب شامل للمشركين وهم أخلياء عن العلم بذلك فناسب تفظيع أعمال الشيطان بمسمع منهم. " (٢)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٤. [الكتاب /الفرقان ـ آيات الله]

قَالَ تَعَالَىٰ: {نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٣﴾ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾} [سورة آل عمران:٣-٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الكتاب) اسم ذات[و] الفِعَال إلى (الفرقان) اسم ذات/عَلَم [و] الفُعْلَان، ومنه إلى (آيات) اسم ذات/جمع مذكر سالم [و] فَعَلات، وذلك في سياق الامتنان على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بتنزيل القرآن الكريم هداية لهم، وفي الآية الثانية وعيد للذين يكفرون بآياته بالعذاب الشديد يوم القيامة .

والعدول من (الكتاب) إلى (الفرقان) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنويه بالقرآن الكريم والإشارة إلى أنه يفرق بين الحق والباطل، قال الطاهر: " وفي وصفه بذلك تفضيل لهديه على هدي التوراة والإنجيل لأن التفرقة بين الحق والباطل أعظم أحوال الهدى، لما فيها من البرهان، وإزالة الشبهة." (٣) ففيه الشرع الحق المباين لجميع الملل الباطلة والأهواء المضلة والنحل الفاسدة، وذلك هو روح النصر على أعداء الله المرشد إلى الدعاء به ختام البقرة.(٤)

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (١/ ٢٩٠)
(٢) . التحرير والتنوير (٨. ب / ٥٧)
(٣) . التحرير والتنوير (٣/ ١٥٠)
(٤) . ينظر: نظم الدرر (٤/ ٢١١)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

والعدول إلى (آيات الله) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التعظيم للقرآن الكريم، بتعداد صفات كماله، فقد عدل عن الإضمار إلى التصريح بكونه آيات للدلالة على أنه معجزات وعلامات واضحات على صدق نبوته عليه الصلاة والسلام، كما أنه قد اشتمل على العجائب الباهرات من المعارف والحكم والقصص الهاديات مما تحار فيه إدراكه الفهوم، فهو البحر الثجاج والسراج الوهاج الهادي إلى أقوم منهاج .

الثاني : التعريض بأهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، والدلالة على أن الكفر ببعض آياته موجب للوعيد الشديد، فكيف بمن كفر به جميعًا ؟ وهذا التعريض التهديدي مناسب لغرض السورة في إبطال عقائد أهل الكتاب المنحرفة، وقد قص القرآن الكريم طرفًا من أقاويلهم الزائفة، قال تعالى : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾[آل عمران: ٧٢]

الثالث : التعميم، ليشمل القرآن، وسائر المعجزات، فإنكار دلائل الحق وعلامات النبوة لا يكون إلا عن طريق المعاندة والمكابرة من المشركين، فاستحقوا زيادة الوعيد بالعذاب الشديد والانتقام من ذي العزة والجبروت.

أما التعبير عن القرآن أولا باسم الجنس (الكتاب) ففيه إيذان بكمال تفوُّقه على بقية الأفراد في حيازة كمالاتِ الجنس كأنه هو الحقيقُ بأن يُطلَقَ عليه اسمُ الكتاب دون ما عداه [١]، وفيه دليل على احتوائه على أفضل العلوم وأشرفها، والفعل (كتب) يدل على الجمع كما في (الكتيبة) مجموعة الجنود .

١٥. [التوراة ـ كتاب الله]

قَالَ تَعَالَى: { إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة المائدة:٤٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (التوراة) اسم ذات/عَلَم على الكتاب الذي أنزل على موسى . عليه السلام . إلى (كتاب) اسم ذات [و] فِعَال، وذلك في سياق التنويه بعظمة التوراة واشتمالها على عقائد الإيمان والأحكام التكليفية وأن الأنبياء وعلماء اليهود والربانيين وأتباعهم عليهم السلام كانوا يعملون بما فيها مخلصين لله عز وجل، فكيف يحق لمن بعدَهم أن يتركوا العمل بها ويخفوا أشرف ما فيها من الإيمان بمحمد ﷺ ؟

والعدول المعجمي من (التوراة) إلى (كتاب الله) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التفخيم للتوراة والتنويه على شرفها بإضافتها لاسم الجلالة فهو من الإظهار في مقام الإضمار، والتأكيد في أول الكلام بـ (إنا)، واستعمال (نا) ضمير المعظم لنفسه تعالى وفعل الإنزال الدال على علوّها واشتمالها على الهدى والنور، كل ذلك أكّد أنها جديرة بالحفظ والدراسة والعمل بما فيها .

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢/٤)

فلما ذكر ﷻ الهدى والنور، ناسب ذكر اللفظ الدال على ذلك وهو (التوراة) لأنها كما قيل: من الفعل ورَى الزَّنْدُ أي أضاءت نورُها (١)، وهذا من التناسب البياني العجيب، فالتوراة لأنها من عند الله منيرةٌ بنفسها ومُنَوِّرَةٌ لغَيرها، فقد اشتملت على عقيدة التوحيد الصافية والأحكام الإلهية العادلة وكانت معينًا ثرًّا للأنبياء من لدن موسَى إلى عيسَى عليهما السلام يقتبسون من أنوارها ويهتدون بهديها .

الثاني: الإشارة إلى وجوب العمل بما فيها، وهذا مستفاد من لفظ (كتاب) المعدول إليه، قال البقاعي: " الذي عين إرادة الفرض أن الكتب استفاض في الشرع في معناه ."[٢] فأصل الكتابة نقش الحروف في شيءٍ ليتوثَّق ويثبت، ويراد بذلك دوام تذكُّر المكتوب ولا يكون ذلك إلا لشيءٍ مهمٍّ يحصلُ به الانتفاع، لذلك استعملت الكتابة في الفرائض التي يلزم القيام بها، كما جاء في : قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَى ﴾[البقرة: ١٧٨]

وقَالَ تَعَالَى:﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦]

وقَالَ تَعَالَى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة: ١٨٣]

الثالث: التنبيه على ضرورة حفظها عن التغيير من جهة الكتابة (٣)، فلما ذكرَ ﷻ الحفظ، ناسب التعبير بلفظ (الكتاب) لأنَّ الكتابة حفظٌ في السطور تعين على حفظ الصدور، "وفي هذا إشارة إلى أنّ هذا أحكامها لا يستطاع جحدها لأنّها مكتوبة والكتابة تزيد الكلام توثّقاً " (٤)، فقد أُمِر اليهود والربانيون والأحبار بحفظ كتاب الله ليتلوه حق تلاوته ويعملوا بما فيه مما" أثبت من الأحكام " (٥)، والكتابة لآيات الله المنزلة يحصل بها انتفاع عظيم لكل من اطَّلع عليها .

الرابع: وقد ذكرت (التوراة) بوصف الكتاب أيضًا؛ إلماحًا إلى أن فريقًا منهم كانوا يعملون أيديهم وأقلامهم فيه يكتبون بأيديهم ما ليس من الكتاب ليشتروا بآيات الله ثمنًا قليلا،" رغبة في الدنيا وطلبا للرئاسة "(٦) وموافقة " لأهواء أهل الشهوات في تأييد ما هم عليه من فاسد الأعمال "(٧) .وقد توعَّدهم الله بالويل واللعنة وعدَّ من تجرَّأ على ذلك من الكافرين الذين استحقوا أشد العقاب .

---

(١) . لسان العرب، مادة (وري).
(٢) . نظم الدرر للبقاعي (٣٣١/١)
(٣) . ينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ٤١)
(٤) . ينظر: التحرير والتنوير (٦/ ٢١٤)
(٥) . ينظر: المفردات للراغب في سرِّ تسمية (التوراة) بالكتاب، مادة (كتب) .
(٦) . الكشاف للزمخشري (١/ ٦٣٧)
(٧) . ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ٧٥)

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المسألة الثانية :بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الجنس :

١٦. [الناس ـ العالمين]

قَالَ تَعَالَىٰ: { فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾} [سورة البقرة:٢٥١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (العالمين) اسم ذات/اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] الفَاعَلِين، وذلك في سياق ذكر قصة قتل داود عليه السلام لجالوت الطاغية وأن الله تعالى قد امتنَّ على داود عليه السلام بأن آتاه ملك بني إسرائيل والنبوة والعلم الواسع، وفي الآية بيان لفضل الله على عباده فلولاه سبحانه وتعالى يدفع بعض الناس ببعض وينصر المسلمين على الكفار ويكف بهم فسادهم، لغلبوا وأفسدوا في الأرض، أو لفسدت الأرض بشؤمهم. (١)

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ تنبيهًا على أمرين:

أولاهما: سعة فضله تعالى فخيره يعم جميع الخلْقِ، فهو الذي خلق ورزق، وما بكم من نعمة فمن اللهِ، وهذا مناسب لسياق الآية التي مدارها على امتنان الله على عباده المؤمنين إذ نصرَهم على عدوِّهم (جالوت) وجنوده وتكريم داود عليه السلام بالملك والحكمة والعلم وذكر في الآية رحمته بدفع الناس بعضهم ببعض لتستمر الحياة بالأمن والسلامة .

ثانيهما: أنَّ الفساد إذا عمَّ فلا يسلم منه أحدٌ، والحروب سببٌ لخراب العالم بانهدام العمران وإزهاق الأرواح وتعطّل سائر المصالح، فَدَفْع الفساد نعمة جليلة " يَنْعَم بها المؤمنون والمشركون، والأشرار والأبرار وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: (عَلَى الْعَالَمِينَ) فلم يقل على المؤمنين أو المتقين، بل عم الخير على الناس أجمعين للإشارة إلي ذلك المعنى الجليل."(٢)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة الإيقاعية لمعظم فواصل السورة، إذ إن فواصلها تنتهي بالنون غالبًا، ولو قال: " ذو فضلٍ على الناس " لما ناسب أي فاصلة في السورة في الحرف الأخير .

وحسن اختيار لفظ (الناس) أولًا لإشعاره باضطراب أحوالهم وطيشهم الذي يوجب أن يدفعوا إلى ما فيه سلامتهم من **نيران** العداوة وويلات الحروب .

---

(١) . ينظر: تفسير البيضاوي (١/١٥٢)

(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٢/٩١٣)

قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾} [سورة آل عمران:٩٦–٩٧]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفعْل إلى (العالمين) اسم ذات/اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] الفَاعَلِين وذلك في سياق الامتنان على العباد بالبيت الحرام وما فيه من آيات عظيمة كمقام إبراهيم عليه السلام وأن من دخله يأمن على نفسه وماله وقد أمر الله عز وجل نبيه إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام ببناء الكعبة لإقامة الصلاة والحج والاعتمار والاعتكاف وغير ذلك من الشعائر الإسلامية .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) في الآية الأولى له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ إظهارًا لكمال النعمة بالهداية على جميع الخلائق من الإنس والجن، إذ البيت الحرام جعل لعبادة الله عز وجل وإن الثقلين جميعهم مأمورون بذلك، قَالَ تَعَالَى:{وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾} [سورة الذاريات:٥٦]، قال الطاهر: " وجعل هدى للعالمين كلهم: لأن شهرته وتسامع الناس به، يحملهم على التساؤل عن سبب وضعه، وأنه لتوحيد الله، وتطهير النفوس من خبث الشرك فيهتدي بذلك المهتدي، ويرعوي المتشكك." (١)

الثاني: الإشارة إلى مدح الناس الذين اتبعوا ملة إبراهيم عليه السلام واتخذوا البيت الحرام قبلة والمقام مصلى، فلفظ (العالمين) مُشْعِرٌ بالعلم، وذلك يشير إلى أن الهدى والبركات إنما تكون لذوي القلوب العامرة بمعرفة الله وتوحيده وتعظيم رسله .قال أبو زهرة: " إذا جاءت " عالَمون " بجمع المذكر العاقل، أريد بها العقلاء ممن خلق الله تعالى، وقد أيد ذلك القول بقول ابن عباس رضي الله عنهما: " العالَمون الجن والإنس " (٢)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا لتكرار .(٣)

ثانيهما: مراعاة فواصل السورة، إذ غالبية فواصلها تنتهي بحرف النون، فالعالمين تحقق نوعًا من التناسب الصوتي بين الفواصل، ولم تأت (الناس) فاصلة لهذه الآية ولا للتي بعدها، لأنه لا توجد أي فاصلة تنتهي بحرف السين في السورة كلها .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العالمين) في الآية الثانية له أغراض بلاغية منها:

الأول: العموم؛ إظهارًا لكمال غناه سبحانه عن جميع الخلق، وهم في أشد الحاجة إليه، إذ هو عز وجل المنعم بأصول النعم وفروعها، فكان الواجب على العباد أن يعبدوه ويأتمروا بأوامره: فيحجوا البيت الحرام ويقيموا فيه شعائر الله؛ لينهلوا من معينه الصافي وبركاته العظيمة وهداياته النافعة .

---

(١) . التحرير والتنوير (٤/ ١٦)

(٢) . تفسير أبي زهرة (١/ ٥٨)

(٣) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٣/ ١٣٢٢)

فلم يقل ﷻ: " ومن كفر فإن الله غنيٌ عنه "؛ وقال (عن العالمين) تعميمًا وتحذيرًا مِنْ تَرْكِ الحج لِمَنْ قدر عليه، والتعبير المذكور في الآية مؤذن بشدة الغضب، قال أبو السعود: " وعظم السخط لا عن تاركه فقط فإنه قد ضرب عنه صفحا إسقاطا له عن درجة الاعتبار واستهجانا بذكره بل عن جميع العالمين ممن فعل وترك ليدل على نهاية شدة الغضب ." (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية، وسبق ذكر ذلك فيما سبق .

١٧. **[الناس ـ العباد]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾} [سورة البقرة:٢٠٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفعْل إلى (العباد) اسم ذات/اسم جنس/جمع تكسير[و] الفِعَال، وذلك في سياق مَدْح يؤثرون الله والدار الآخرة ويجاهدون بأنفسهم لنصرة دين الله والذود عن حياضه ابتغاء مرضات الله عز وجل كَصُهَيْبٍ الرومي وغيره (٢)، وقد وعدهم الله رأفتَه وهي أرق الرحمة بدخولهم جناته وأمنهم من عذابه .

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (العباد) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ تشريفًا وتعظيمًا (٣)، لجليل ما قاموا به من إخلاص الدين لله وبذل أغلى ما يملكون رغبةً في رضا ربهم قال أبو حيان: " إن لفظ: العباد، له في استعمال القرآن تشريف واختصاص، كقولهتَعَالَىٰ:﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ [الإسراء: ١] قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾[فاطر: ٣٢] "(٤) .

وفي العدول تعظيم؛ لأنه تعالى ذكر لهم أكثر من وصفٍ نبيلٍ، فلفظ (الناس) فيه إشارة إلى كمال الإنسانية وقوله: (ابتغاء مرضات الله) يدل على إخلاصهم، وجاء لفظ العباد: دلالة على التزامهم بالعبودية وموجبات التقوى .

الثاني: العموم؛ إشارة إلى أن رحمته تعالى وسعت كل شيء الإنس والجن وسائر المخلوقات إذ كُلّ ذلك داخل في كونِهِ عبْدًا للهِ طوعًا أو كَرْهًا، ووجَّه البقاعي القول بالتعميم أن الله ـ جلت حكمته ـ " أسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة مع كفرهم به أو تقصيرهم في أمره، وبين لهم الطريق غاية البيان بالعقل والرسل والشرائع الكتب الحافظة لها **"** (٥)

وقال الطاهر: " والظاهر أن التعريف في قوله (العباد) تعريف استغراق، لأن الله رؤوف بجميع عباده وهم متفاوتون فيها فمنهم من تناله رأفة الله في الدنيا وفي الآخرة على تفاوت فيهما يقتضيه علم الله وحكمته، ومنهم من تناله رأفة الله في

---

(١) . تفسير أبي السعود (٦٢/٢)

(٢) . قال ابن جرير الطبري في تفسيره :" وأما ما رُوي من نزول الآية في أمر صُهيب، فإنّ ذلك غير مستنكرٍ، إذ كان غيرَ مدفوع جوازُ نزول آية من عند الله على رسوله صلى الله عليه وسلم بسبب من الأسباب، والمعنيُّ بها كلُّ من شمله ظاهرها." (٢٥٠/٤)

(٣) . الدر المصون للحلبي (٣٥٨/٢)

(٤) . تفسير أبي حيان (٣٣٧/٢)

(٥) . ينظر: نظم الدرر (١٧٨/٣)

الدنيا دون الآخرة وهم المشركون والكافرون فإن من رأفته بهم أنه أعطاهم العافية والرزق، ويجوز أن يكون التعريف تعريف العهد أي بالعباد الذين من هذا القبيل أي قبيل الذي يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله." (١)

الثالث: الإشارة إلى أن عبودية الله سببٌ عظيم في نيل رحمته الخاصة بعباده المؤمنين، قال ابن عطية: " قوله تعالى: وَاللَّهُ رَؤُفٌ بِالْعِبادِ ترجية تقتضي الحض على امتثال ما وقع به المدح في الآية." (٢)

الرابع: استقلال الجملة، لأنها وقعت تذييلًا، ولا بد أن يكون كلامًا مستقلا (٣)، فلم يقل: والله رءوف بهم .

قال الرازي: " فمن رأفته أنه جعل النعيم الدائم جزاء على العمل القليل المنقطع، ومن رأفته جوز لهم كلمة الكفر إبقاء على النفس، ومن رأفته أنه لا يكلف نفسا إلا وسعها ومن رأفته ورحمته أن المصر على الكفر مائة سنة إذا تاب ولو في لحظة أسقط كل ذلك العقاب وأعطاه الثواب الدائم، ومن رأفته أن النفس له والمال، ثم إنه يشتري ملكه بملكه فضلا منه ورحمة وإحسانا."(٤)

الخامس: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: مراعاة المناسبة الإيقاعية لبعض فواصل السورة، قال أبو حيان: "، لأن قبله: والله لا يحب الفساد، فحسبه جهنم ولبئس المهاد فناسب: والله رؤف بالعباد." (٥) فالفواصل: (الفساد، المهاد، العباد) بينها مناسبة إيقاعية قائمة على الاتفاق في البنية المقطعية والحرف الأخير (الدال)، وبنيتها المقطعية دون (أل) هي (ص ح . ص ح ح ص) (٦)وذلك في حالة الوقف .

ثالثها: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ (عباد) لما فيه من الفتحة الطويلة يدل على الرفعة والشرف، لذلك اختص بمواطن التعظيم في الاستعمال القرآني كما ذُكِرَ آنفًا، قال الطاهر في ذلك: " فهذا النوع من النظر يُسلك به سُبل العجائب في ميزة فصاحة القرآن على الطريقة العربية ." (٧)

١٨. [بشر ـ الناس]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾} [سورة الأنعام:٩١]

---

(١) . التحرير والتنوير (٢/٢٧٣)
(٢) . تفسير ابن عطية (١/٢٨٢)وتفسير الثعالبي (١/٤٢٨)
(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٢/٢٧٤)
(٤) . مفاتيح الغيب (٥/٣٥١)
(٥) . تفسير أبي حيان (٢/٣٣٧)
(٦) . (ص) : رمز للصوت الصامت، و(ح) : رمز للحركة .
(٧) . التحرير والتنوير (٣/ ٢٩٤)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (بشر) اسم ذات [و] فَعَل إلى (الناس) اسم ذات/اسم جنس/لفظ جمع [و] الفَعْل، وذلك في سياق النبي على المشركين من العرب وذمهم لأنهم ما عظموا الله حقَّ تعظيمه وكذَّبوا الرسل وقد أُمِر النبي . عليه السلام . أن يبيِّن خطأهم في قيلهم: " ما أنزل الله على بشر من شيء " بأن الله قد أنزل التوراة على موسى نورا وهدى للناس وهم يعلمون ذلك، وجاءهم القرآن فيه خبر من سبق ونبأ ما يأتي ولم يكونوا يعلمون ذلك هم ولا آباؤهم .

قال ابن كثير: " قال ابن عباس، ومجاهد، وعبد الله بن كثير: نزلت في قريش. واختاره ابن جرير، وقيل: نزلت في طائفة من اليهود؛ وقيل: في فنحاص رجل منهم، وقيل: في مالك بن الصيف.

{قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء} والأول هو الأظهر؛ لأن الآية مكية، واليهود لا ينكرون إنزال الكتب من السماء، وقريش –والعرب قاطبة –كانوا يبعدون إرسال رسول من البشر ."(١)

وللعدول المعجمي من (بشر) إلى (الناس) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن التوراة فيها من البينات ما تطمئن له النفوس وتثلج به الصدور وتحصل به السكينة ويزيد به الإيمان، ولفظ (الناس) مشتق من النَّوْس وهو تَذَبْذُبُ الشيء وتحركه واضطرابه (٢) والمراد بالناس: اليهود ولم يصرح بهم واختار (الناس) إشارة إلى صفة من صفاتهم وهي الاضطراب والتذبذب والطيش وعدم الثبات على الحق وأنهم أحوج إلى كتابٍ يهديهم إلى الطريق المستقيم، لذلك كثرت فيهم الأنبياء ليستقيموا على شريعة الله، وقد ذكروا بلفظ (الناس) في غير ما آية لهذا المعنى،كما جاء في سورة البقرة في قوله تعَالَىٰ:{۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَا } [سورة **البقرة:١٤٢**] قال البقاعي: " وأكد الوصف بالطيش بقوله: (من الناس) المأخوذ من النوس وهو التحرك، دون أن يقول: من أهل الكتاب، أو بني إسرائيل – ونحو ذلك تصريحاً بذمهم ."(٣)

الثاني: التعميم، قال ابن منظور: " **الناسُ قد يكون من الإنس ومن الجِنّ** " (٤) فيكون العدول إلى تلك اللفظة إشارة إلى أن الجن مأمورون بما جاءت به رسل الله من الهدى والبينات، فالتوراة هادية للثقلين في زمانها لما اشتملت عليه من التوحيد الخالص والتشريع القويم، والدليل على ذلك قوله تعالى: {وَإِذۡ صَرَفۡنَآ إِلَيۡكَ نَفَرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوۡاْ إِلَىٰ قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ٢٩ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقٗا

(١) . ينظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٠)
(٢) . لسان العرب، مادة (نوس) .
(٣) . نظم الدرر (١/٢٦٠)
(٤) . لسان العرب، مادة (نوس) .

لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾} [سورة الأحقاف:٢٩-٣١] فالجن المذكورون في تلك الآيات قد أقرُّوا بالتوراة التي أنزلت على موسى وآمنوا بها ودرسوا ما فيها وعرفوا مقاصدها فلما جاءهم القرآن آمنوا به وشهدوا على أنه مصدِّقٌ لما جاءت به من الهدى ودين الحق .

هذا ولو قيل: " هدى للبشر " لكان اللفظ خاصًّا بالإنسان فقط، فعدل إليه تنبيهًا على العموم وتأكيدًا على رحمة الله بعباده جميعهم إذ أنزل إليه كتبًا تهديهم ولم يتركهم سدًى وهملا .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٩. [أسباط ـ أناس]

قَالَ تَعَالَى: {وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ۚ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَٰمَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾} [سورة الأعراف:١٦٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أسباط) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعَال إلى (أناس) اسم ذات/لفظ جَمْع [و] فُعَال، وذلك في سياق الامتنان على بني إسرائيل بالنعم المتوالية: الماء وتظليل الغمام والمن والسلوى والطيبات من الرزق .

والعدول المعجمي من (أسباط) إلى (أناس) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بكثرة كل واحدٍ من الأسباط (١)، فلذلك أبدل لفظ (أممًا) من (أسباطًا) لدلالته على كثرة أعداد بني إسرائيل، وكون الماء كافيًا لهذا الجم الغفير يُؤذِنُ بعظم المعجزة وباهر القدرة الربانية وجلال تلك النعمة حين ظهورها .

قال أبو زهرة: " والأسباط جمع سبط وهو الفرع من فروع بني إسرائيل، وقال بعض الكتاب: إنه بمنزلة القبيلة في العرب، ولكن على أساس التعاون والمناصرة، لا على أساس المعاداة بين القبائل والعصبية، كما هو في جاهلية العرب." (٢)

الثاني: الإشارة إلى حصول الأنس والتآلف بين القوم إذ كان لكل قبيلة مشربٌ معلوم فلا يحصل الضر بالتزاحم ولا يحصل العداء بالمغالبة في طلب السقيا، قال الطاهر: " ذلك التقطيع منة من الله، وهو من محاسن سياسة الشريعة الموسوية، ومن مقدمات نظام الجماعة . " (٣)

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٣/ ٢٨٢)
(٢) . تفسير أبي زهرة ((٦/ ٢٩٨٠)
(٣) . التحرير والتنوير ٩/ ١٤٢))

الثالث: التنبيه على نسيانهم تلك النعم وتقصيرهم في شكرها، ولفظ (أناس) مشعرٌ به، وقد ذكر الطاهر في موضع آخر أن اسم الإنسان به مناسبة مع النسيان[1] وقوله تعالى في ختام الآية: {وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ﴿١٦٠﴾} دليل على نسيان النعم وهو ظلم للنفس بتعريضها للعقوبة وزوال ما به نفعها، ولعل التعبير بالفعل (انبجست) دون (انفجرت) فيه إشارة إلى خروج الماء بقلة بعدما كان انفجارًا؛ لتأثير المعاصي في زوال النعم أو تقليلها .

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية، من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة الخفة اللفظية، فقوله جل شأنه: "كل أناس " أخف لفظًا، وأحلى وقعًا على الأسماع من (كل سِبْطٍ)، ولو قيل: (كل أسباطٍ) لكان التركيب به ثقلٌ ما يدرك بالذوق السليم لاشتمال اللفظين على أربعة أحرف من حروف الشدة وهي (ك . أ . ب . ط) بينما قوله: (كل أناسٍ) به حرفان شديدان فقط: الكاف والهمزة، واشتمل على اللام والنون وهما من حروف الذلاقة التي تمتاز " بخفة مجراها وطيب نغمتها وسهولتها في النطق "[2] فما عليه النظم الجليل أندى وأجمل .

٢٠. [آل ـ أهل]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمۡرَأَتَهُۥ قَدَّرۡنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلۡغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُواْ بَلۡ جِئۡنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمۡتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ وَٱتَّبِعۡ أَدۡبَٰرَهُمۡ وَلَا يَلۡتَفِتۡ مِنكُمۡ أَحَدٞ وَٱمۡضُواْ حَيۡثُ تُؤۡمَرُونَ ﴿٦٥﴾} [سورة الحجر:٥٧ــ٦٥]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (آل) اسم ذات/لفظ جمع [و] فَعْل إلى (أهل) اسم ذات/لفظ جمع [و] فَعْل، وذلك في سياق ذكر مخاطبة إبراهيم عليه السلام للملائكة وإخباره أنهم أرسلوا إلى المجرمين من قوم لوطٍ لإهلاكهم وقد جاءوا لوطًا عليه السلام وأعلموه بسبب مجيئهم وأمروه أن يخرج من القرية في الليل هو وأهله لئلا يصيبهم عذاب القوم المجرمين .

والعدول المعجمي من (آل) إلى (أهل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن القرابة الدينية هي مدار الأهلية، قال ابن هشام في المغني كما نقله الألوسي: " المراد بالأهل المؤمنون وإن لم يكونوا من أهل بيته لا أهل بيته وإن لم يكونوا مؤمنين ." [3] فأهل الرجل في الأصل تطلق على من يجمعه

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٣٤٣/٢٣)

(٢) . الطراز للعلوي (٨٨/١) .

(٣) . ينظر: تفسير الألوسي (٣٠٧/٦)

وإياهم نسب لكن لما كانت قرابة الدين أقرب من قرابة النسب عُدِل إلى (أهلك) لتبيين قوة الرابطة الإيمانية بين النبي لوط عليه السلام وأتباعه كأنهم أقرباؤه نَسَبًا .

وهذا يشبه اختيار لفظ (إخوة) بدلًا من (إخوان) في قوله تعالى: (إنما المؤمنون إخوة) إذ الغالب في القرآن الكريم استعمال لفظ (إخوة) في النسب، و(إخوان) في غير ذلك، فاختير في الآية ما اختص بالنسب مع أخوة الإيمان إشارة إلى أنها أقوى من النسب .

قال الطاهر: " وإطلاق وصف الأخ على المماثل في دين الإسلام تأسيس أصل جاء به القرآن جعل به التوافق في العقيدة كالتوافق في نسب الأخوة، وحقا فإن التوافق في الدين آصرة نفسانية والتوافق في النسب آصرة جسدية والروح أشرف من الجسد. " (١)

الثاني: الإشارة إلى أنه ـ عليه السلام ـ مأمور بإيناس قومه المؤمنين والرفق بهم، ولفظ (أهل) يشعر بذلك إذ يستعمل في الأنس، قال الزبيدي: " أَهِلَ الرجُلُ كفَرِحَ: أَنِسَ ."(٢) وذلك لأنه إذا أمرهم بالخروج من ديارهم صِغارًا وكبارًا فهذا لا يكون إلا لأمرٍ جللٍ فلئلا يفرَقوا من ذلك أمرَ لوط عليه السلام بالسير ليلًا قبل حلول العذاب بالصبح وأمروا ألا يلتفت منهم أحدٌ لئلا يرى انقلاب المدائن فيفزعه، فالسياق يستدعي لفظا يؤذن بالأنس فعدل إلى (أهل) لدلالته على ذلك .

أما اختيار (آل) أولا لأنه مشعرٌ بالموالاة والاتباع (٣) وذلك يبين سبب تنجية آل لوط لأنهم يتبعونه فيما أمر ويؤمنون بالهدى الذي دعاهم إليه .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٢١. **[بعولة ـ الرجال ـ زوج]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾} [سورة البقرة:٢٢٨]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾} [سورة البقرة:٢٣٠]

(١) . التحرير والتنوير (١٤٢/٢)
(٢) . تاج العروس، مادة (أهل) .
(٣) . المفردات للراغب، مادة (أول) .

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (بعولة) اسم ذات/جمع تكسير [و] فُعُولَة والمفرد (بَعْل) إلى (الرجال) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفِعَال، ومنه إلى (زوج) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق ذكر أحكام الطلاق وعدة المطلقات وأنها ثلاثة قروء أي حيضات[1] أو أطهار[2]، وأنه لا يحل للحامل كتمان ما في بطنها وأن للرجل إن طلق طلاقًا رجعيا أن يعود لزوجته لأنها ما زالت في عصمته إن ندم على المفارقة ورغب في لم الشمل مرةً أخرى، وفي الآية الثانية بيان أنها لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره نكاحًا حقيقيًّا .

والعدول المعجمي من (بعولتهن) إلى (للرجال) له أغراض بلاغية منها: التنبيه على أن تفضيل الرجال بما أودعه الله فيهم من القوَى النفسية والبدنية والعقلية، فعدل إلى لفظ الرجال لعمومه ودلالته على القوة، قال الرازي: " يقال: رجل بين الرجلة، أي القوة، وهو أرجل الرجلين أي أقواهما، وفرس رجيل قوي على المشي، والرجل معروف لقوته على المشي، وارتجل الكلام أي قوي عليه من غير حاجة فيه إلى فكرة وروية، وترجل النهار قوي ضياؤه ." [3] أما لفظ البعولة فأصل معناه: السيد والمالك فلو قيل هنا: وللبعولة عليهن درجة لظنَّ أن تلك الدرجة هي مِلْكُهم لهنَّ وسيادتهم عليهن فحَسْب .

ولما جعل الله للرجال من الدرجة عليهن في الاقتدار كانوا مندوبين إلى أن يوفوا من حقوقهن أكثر [4]، وذكر ذلك؛ هزًّا لنفوس الرجال إلى الإحسان إلى أزواجهم اللاتي هن عوان عندهم، وفيه تهديد للذين يقدمون على مضارتهن وإيذائهن، وذلك لأن العرب كانوا يحرمون النساء من حقوقهن فجاء الإسلام بتشريعه العادل فأرسى دعائم الرحمة وحفظ مكانة المرأة وجعل لها حقوقًا يجب على الرجل أن يقوم بها وإن قصَّر في ذلك عرَّض نفسَه للعقوبة، كل ذلك يدل على أهمية مراعاة الحقوق بين الزوجين ووجوب الالتزام بها حتى تأمن الأسرة من التفكك والضياع .

والعدول إلى (زوجًا) له أغراض بلاغية منها: إظهار عدال الإسلام في تشريعاته وتسويته بين المرأة والرجل في كونهما شريكين يجمعهما ميثاق الزوجية، ويؤيد هذا المعنى المثلية في جنس الحقوق التي على كل فرد منهما تجاه الآخر في قوله تعالى: " ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف " ولفظ الزوج مشعر بالتشابه والتجانس في العلاقات الأسرية القائمة على المودة والرحمة وتبادل الأدوار، قال الطاهر: " لما ارتقى نظام العائلة من عهد إبراهيم عليه السلام فما بعده من الشرائع، أخذ معنى الملك في الزوجية يضعف، فأطلق العرب لفظ الزوج على كل من الرجل والمرأة، اللذين بينهما عصمة نكاح، وهو إطلاق عادل لأن الزوج هو الذي يثني الفرد، فصارا سواء في الاسم، وقد عبر القرآن بهذا الاسم في أغلب المواضع ." [5]

وفي لفظ (الزوج) بهذا الإلماح الدقيق في أنه يقوم على الألفة والمودة والرحمة، تنبيهٌ على أن هذا النكاح لا يصح إلا على نيَّة التأبيد، وأنه نكاح شرعي قائم على المقاصد الإسلامية التي تأمر بالفضيلة وتحفظ كيان الأسرة، فهذه الألفة إنما تتحقق في حسن المعاشرة وطولها، وفي ذلك إشارة إلى إبطال التحليل؛ لأنه يتنافَى مع المقاصد الشرعية قال ابن تيمية في إقامة الدليل على إبطال التحليل: " وَقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ قَوْلَهُ: {حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ} , يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ نِكَاحٌ حَقِيقَةً مِنْ جِهَتِهَا لِزَوْجٍ هُوَ زَوْجٌ حَقِيقَةً , فَإِذَا كَانَ مُحَلِّلًا لَمْ يَكُنْ زَوْجًا بَلْ تَيْسًا مُسْتَعَارًا ."[6]

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٢٥/١)

(٢) . ينظر: نظم الدرر (٢٩٧/٣)

(٣) تفسير الرازي (٤٤١/٦)

(٤) . ينظر: تفسير الرازي (٤٤١/٦)

(٥) . التحرير والتنوير (٣٩٣/٢)

(٦) . بيان الدليل على بطلان التحليل، لابن تيمية ص ٤٦٨.

أما اختيار لفظ (بعولتهن) أوّلًا فللتنصيص على أحقية الرجل في ردِّ زوجته المطلَّقة في العدة لأنها ما زالت في عصمته **وفي مِلْكِه**، وفيه تنبيه على أنه طلاق رجعيٌّ .(١) وهو ما أشار إليه لفظ البعولة الدال على السيادة والملك في أصل معناه، قال الطاهر: " سمي به الزوج لأنه ملك أمر عصمة زوجه، ولأن الزوج كان يعتبر مالكا للمرأة وسيدا لها، فكان حقيقا بهذا الاسم ." (٢)

وفي لفظ (البعولة) أيضًا ترغيبٌ للرجال في الرجوع إلى أزواجهم بتذكيرهم ما يكون بينهما من المباعلة والبعال والتبعُّل، قال ابن منظور: " وتَبَعَّلَت المرأَةُ أَطاعت بَعْلَها وتَبَعَّلَت له تزينتْ وامرأَة حَسَنَة التَّبَعُّل إِذا كانت مُطاوِعة لزوجها مُحِبَّة له ... والبَعْل والتَّبَعُّل حُسْن العِشْرة من الزوجين والبِعال حديث العَرُوسَيْن والتَّباعل والبِعال ملاعبة المرءِ أَهلَه وقيل البِعال النكاح ... والمباعَلة المباشَرة ." (٣)

٢٢. [نساء ـ حلائل]

قَالَ تَعَالَى: { حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِىٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ وَأُمَّهَٰتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِى فِى حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ ٱلَّٰتِى دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا۟ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَٰٓئِلُ أَبْنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنْ أَصْلَٰبِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٣﴾} [سورة النساء: ٢٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نساء) اسم ذات/لفظ جمع [و] فِعَال، وهو جمع (امرأة) من غير لفظها، إلى (حلائل) اسم ذات/جمع تكسير [و] فَعَائِل، والمفرد (حَلِيلَة)، وذلك العدول جاء في سياق بيان المحرمات من النساء على الرجال .

والعدول المعجمي من (نساء) إلى (حلائل) له أراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن الابن إذا عقدَ على امرأة حلَّت له وحرُمَت على أبيه بمجرَّد العقد، فقوله ﷻ: (وحلائل أبنائكم) الحلائل جمع حليلة، وهي الزوجة. سميت حليلة لأنها تحل مع الزوج حيث حل، أو أنها من لفظة الحلال، فهي محللة إذ أباحها أهلها له (٤)، أو لأن كل واحد منهما يحل إزار صاحبه. وقد أجمع العلماء على تحريم ما عقد عليه الآباء على الأبناء، وما عقد عليه الأبناء على الآباء، سواء أكان مع العقد وطء أم لم يكن .(٥)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (١/٢٢٥)
(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٢/٣٩٣)
(٣) . ينظر: لسان العرب، مادة (بعل)
(٤) . ينظر: التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٠)
(٥) . ينظر: تفسير القرطبي (٥/١١٣)

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر: " والعدول عن أن يقال: وما نكح أبناؤكم- أو- ونساء أبنائكم إلى قوله: وحلائل أبنائكم تفنن لتجنب تكرير أحد اللفظين السابقين وإلا فلا فرق في الإطلاق بين الألفاظ الثلاثة. " (١)

ثانيهما: الخفة اللفظية، فقوله ﷻ: {**وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ**} أخف لفظًا مما لو قيل: " ونساءُ أبنائكم " لاجتماع الهمزتين من كلمتين في الثاني، لذلك بعض القراء يبدل الهمزة المفتوحة بعد الهمزة المضمومة إلى واوٍ (٢)؛ تخفيفًا لثقل اجتماع الهمزتين .

٢٣. **[الرجال /النساء ـ الذكر/الأنثيين]،[نصيب ـ حظ]،[أولاد ـ أبناء]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{لِّلرِّجَالِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٞ مِّمَّا تَرَكَ ٱلۡوَٰلِدَانِ وَٱلۡأَقۡرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنۡهُ أَوۡ كَثُرَۚ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا ٧} [سورة النساء:٧]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١} [سورة النساء:١١]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (الرجال / النساء) إلى (الذكر / الأنثى)، وفيها عدول من (نصيب) إلى (حظ)، وفيها أيضا عدول من (أولاد) إلى (أبناء)، وذلك في سياق بيان أنصباء الورثة وأحقيتهم في الميراث .

ونوع الكلمات على الترتيب على النحو التالي :

(الرجال) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفِعَال .

(النساء) اسم ذات/لفظ جمع [و] فِعَال، وهو جمع (امرأة) من غير لفظها .

(الذَكَر) اسم ذات [و] الفَعَل .

(الأنثيين) اسم ذات/مثنّى [و] الفُعْلَيَيْن .

(نَصِيب) اسم ذات [و] فَعِيل .

(حَظّ) اسم ذات [و] فَعْل .

(أولاد) اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعَال .

(أبْنَاء) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعَال .

أما العدول المعجمي من (الرجال / النساء) إلى (الذكر / الأنثى) فله اغراض بلاغية منها:

(١) . التحرير والتنوير (٤/ ٣٠٠)

(٢) . ينظر: الوافي شرح الشاطبية لعبد الفتاح القاضي، ص ٩٦

الأول: التنصيص على استحقاق الميراث للصغار والكبار على السواء من غير دخلٍ للبلوغ والكِبَرِ في ذلك أصلاً كما هو زعمُ أهلِ الجاهليةِ حيث كانوا لا يورِّثون الأطفالَ كالنساء (١). وهذا تأكيد لعدالة الإسلام في تشريعاته إذ أعطى كل ذي حق حقه ولم يفرق بين كبير وصغير في أخذ الإرث، فلفظ (الذكر أو الأنثى) يدل على الجنس، فهو أعم فيشمل الصغير والكبير، وقد شاع ذكر الرجال والنساء لمن بلغ الحلم، قال في المعجم الاشتقاقي: " ... يكون اللفظ [أي: النسوة أو النساء] في أصله خاصا باللاتي بلغن المحيض والحمل، ولذا لا تطلق في العرف العام على الصغيرات قبل الحيض وهو صحيح، ثم تعمم في كل من شأنُ جنسهن ذلك (وقال نسوة في المدينة) [يوسف: ٣٠] . وبهذا المعنى جاء كل (نسوة)، و (نساء) في القرآن . " (٢)

الثاني: التنبيه على الضعف الجبلي للنساء؛ لأن لفظ (الأنثى) معناه المحوري يدور حول الضعف واللين والسهولة ومن ذلك قولهم: هذا سيف أنيث أي ضعيف لين غير قاطع، وفي ذلك الوصف ترقيق لأفئدة الناس نحوهن حثا لهم على نصرتهن ومساعدتهن بقدر المستطاع،وخير ذلك عند الله إعطاؤهن نصيبهن غير منقوص، وهكذا تجد المعنى اللغوي قد تآزر مع السياق البلاغي للآيات الكريمة .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللغوية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة الخفة اللفظية، وهذا في العدول من (الأنثيين) إلى (نساءً) في قوله ﷻ: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَآءً فَوْقَ ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ﴾ فهذا القول الكريم أسهل مخرجًا وأندى لفظًا مما لو قيل: (للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن إناثا فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك) ففيه ثقل في اللفظ لقرب الثاء وتكرارها وهذا لا يتناسب مع فصاحة القرآن الكريم وعذوبته .

وأما العدول المعجمي من (نصيب) إلى (حظ) فلأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى وجوب إدخال السرور على الإناث بإعطائهن حقهن من الميراث كامِلًا، فسمَّى نصيبهن حَظًّا؛ تعظيمًا له (٣)؛ حثًّا على توفيته وتحذيرًا من البخس فيه، فالحظ: هو النصيب الذي من شأنه أنه يسعد صاحبه ويغنيه (٤) " لهذا يذكر على جهة المدح فيقال لفلان حظ وهو محظوظ"(٥) .

وحرمان الإناث من الميراث عادة جاهلية مذمومة سرَت إلى بعض المسلمين في تلك الآونة، وهذا دليل على رقة الديانة وضعف الإيمان والاستهانة بحدود الله، فالله ﷻ قد خلق الذكر والأنثى وجعل لكلٍ منهن حقًّا معلومًا في الميراث، والذي كان عليه العرب قبل الإسلام من ظلم النساء يتنافىَ مع تعاليم الإسلام السمحة الآمرة بالعدل والإحسان والرفق بهن .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

وأما العدول المعجمي من (أولاد) إلى (أبناء) فله أغراض بلاغية منها:

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (١٤٩/٢)
(٢) . المعجم الاشتقاقي المؤصَّل (٤/ ٢٢٤٦)
(٣) . ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٤٥٨)
(٤) . ينظر: نظم الدرر (٢٠٤/٥)
(٥) . معجم الفروق اللغوية ص ٥٤١

الأول: الإشارة إلى حيثية نفع الأبناء للآباء؛ فلفظ (الأبناء) ورد في سياق ذكر النفع و [الابن] كلمة توحي بالتأليف والاتصال من قولك: بنيته وهو مبني وأصله بني وقيل بنو ولهذا جمع على أبناء فكان بين الأب والابن تأليف، فقوله: لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا أي: لا تعلمون أيهم أقرب ألفة وقربا واتصالا ومودة .

الثاني: الإلماح إلى أن من حق الآباء على أبنائهم حسن العشرة والمعاملة الحسنة لأن اللفظ يوحي بأن الأبوين قد بنيا ابنهما ونشآه وأفنيا عمرهما في تربيته، فكان حريا بالأبناء أن يشكروهما على ذلك بحسن المعاملة وتقديم النفع والدعاء لهما قال تعالى: [وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا] . وجانب النفع أرجى من الابن الذكر أرجى من الأنثى عادة وإن كان من الإناث الصالحات من تكون أنفع لوالديها من كثير من الأبناء .

واختير لفظ الولد أولا؛ تنصيصا على أحقية الأولاد من ميراث الوالدين، " والولد يقتضي الولادة، أما الابن فهو يطلق على الولد حقيقة أو مجازا بالانتساب "(١)، وأمر الميراث متعلق بالأولاد الحقيقيين لا المنتسبين، والابن يطلق على الذكر، والولد يطلق على الذكر والأنثى فهو أعم، والذكور والإناث كل منهما له نصيب في التركة .

ولفظ الولد يوحي بأنه له أصل في ميراث أبيه وأمه ولو كان عاقا لهما، لأن هذا حكم الله، وقد رأينا كثيرا من الناس إذا أحس بدنو الأجل يقوم بتقسيم تركته ويحرم بعضا من أبنائه لأنه لم يكن محسنا في معاملته، وهذا لا يجوز شرعا، فأمر الميراث لا يتعلق بمثل هذه الأمور . وإن كنا نرى العقوق من أكبر الكبائر . وأن طاعة الوالدين مقدمة على كل شيء سوى التوحيد .

٢٤. [البنات ـ الأنثى]

قَالَ تَعَالَى:{ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ سُبْحَٰنَهُۥ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾} [سورة **النحل**:٥٨ـ ٥٩]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (البنات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] الفَعَات إلى (الأنثى) اسم ذات [و] الفُعْلَى، وذلك في سياق التشنيع على بعض القبائل العربية كخزاعة وكنانة إذ كانوا يزعمون أن الملائكة بنات الله (٢) وفيه تعجيب من سوء معاملتهم لله . سبحانه . إذ ينسبون له البنات وهم يستنكفون منها، " وبالغوا في الاستنكاف من وجوه:

- اسوداد الوجه وشدة الغيظ .
- الاختفاء من القوم من شدة نفرتهم منها.
- إنهم يقدمون على قتلها ووأدها، خشية العار أو خوف الجوع والفقر." (٣)

والعدول المعجمي من (البنات) إلى (الأنثى) له أغراض بلاغية منها:

(١) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ١٣

(٢) . ينظر: التفسير الوسيط للطنطاوي (١٧٢/٨)

(٣) . ينظر: تفسير المراغي (٩٧/١٤)

الأول: الإشعار بعلة الحكم وأن هذه القبائل يستنكفون من البنات من أجل ضعفهن الخِلْقِيّ ففي العدول تعجيب وتوبيخ شديد من أفعالهم تجاه ذاك المخلوق الضعيف من الوأد والإذلال، وكان الواجب على ذوي القلوب الرحيمة والعقول الحكيمة أن ينظروا إلي هذا الإنسان الرقيق الضعيف بعين الرحمة والإحسان والرفق واللين .

ومادة (أنث) فالمعنى المحوري لها يدور حول الضعف واللين والسهولة، قال في لسان العرب: " وأَرض مِئْناثٌ وأَنيثةٌ: سَهْلة مُنْبِتة، خَلِيقةٌ بالنَّبات، لَيْسَتْ بِغَلِيظَةٍ.... وبلدٌ أَنيثٌ: لَيِّنٌ سَهْل؛ حَكَاهُ ابْنُ الأَعرابي. ومكانٌ أَنيثٌ إِذا أَسْرَع نباتُه وكَثُر؛ قَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

بمَيْثٍ أَنيثٍ فِي رياضٍ دَمِيثةٍ، ... يُحيلُ سَوافِيها بماءِ فَضِيضِ

وَمِنْ كَلَامِهِمْ: بَلَدٌ دَمِيثٌ أَنِيثٌ طَيِّبُ الرِّيْعةِ، مَرْتُ العُودِ. وَزَعَمَ ابْنُ الأَعرابي أَن المرأَة إِنما سُمِّيَتْ أُنثى، مِنَ الْبَلَدِ الأَنيث، قَالَ: لأَن المرأَة أَلْيَنُ مِنَ الرَّجُلِ، وَسُمِّيَتْ أُنثى لِلِينِهَا. قَالَ ابْنُ سِيدَهْ: فأَصْلُ هَذَا الْبَابِ، عَلَى قَوْلِهِ، إِنما هُوَ الأَنيثُ الَّذِي هُوَ اللَّيِّنُ .... والأَنِيثُ: مَا كَانَ مِنَ الحديد غيرَ ذَكَر.... وسيفٌ أَنِيثٌ: وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ بِقَاطِعٍ. وَسَيْفٌ مِئْناثٌ ومِئناثة، بالهاءِ، عَنِ اللِّحْيَانِيِّ إِذا كَانَتْ حَديدتُه لَيِّنة " (١)

فالعدول جاء تعليلًا لاسوداد وجه ذلك الرجل إذ يستحيي من ضعفها فيئدها خوفًا من العار، وهذا دليل على غاية الحمق وتمام الجهالة .

الثاني: الإشارة إلى إسراعه في وأدها فوْرَ ولادتها،، فالأنثى تطلق على البنت من ولادها إلى كبرها، لذلك اختيرت في تشريع الميراث تنبيهًا لأحقيتها فيه صغيرة كانت أو كبيرة (٢)، أما لفظ (البنت) فهو يشعر بالبناء والرعاية والاتصال (٣) فأصلها بِنْو أو بِنْي أبدلوا من واوها أو يائها تاء (٤)، والسياق هنا يبين أن أباها لم ينتظر بقاءها إلى أن تكبر بل عندما يبشر بها يغتم ويغضب ويعجِّلُ دفنها قبل شيوع الخبر خوفًا من أن يعيَّر بها .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فقوله تعالى (بالأنثى) أخف لفظًا مما لو قيل: (بالبنت) لأن الثانية يثقلها قرب مخارج حروفها وتكرار الباء وانتهائها بالتاء وهما حرفان شديدان .

٢٥. **[البنين ـ إناث]**

قَالَ تَعَالَى:{أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا ۚ إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾} [سورة الإسراء:٤٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (البنين) اسم ذات/ملحق بجمع المذكر السالم [و] الفَعِين إلى (إناث) اسم ذات/جمع تكسير [و] فِعَال، وذلك في سياق التشنيع على المشركين القائلين أن الملائكة بنات الله، مع أنهم يفضلون البنين لأنفسهم فنسبوا لله أقلهم شأنًا .

---

(١) . ينظر: لسان العرب، مادة (أنث) .
(٢) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢/١٤٩)
(٣) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ١٣
(٤) . المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ١٨١)

والعدول المعجمي من (البنين) إلى (إناثًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التشنيع على المشركين من جهة نسبة البنات إلى الله ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا ـ ومن جهة وصف الملائكة ـ عليه السلام ـ " الذين هم من أشرف الخلائق بالأنوثة التي هي أخس صفات الحيوان " (1) لذلك ختم الآية الكريمة بتشديد النكير عليهم لقبح ما قالوه وكمال فظاعته وأنه يستتبع أشد العذاب .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: أن لفظ (إناثًا) للمد الطبيعي الذي فيه أنسب في الوقف وأعدل مما لو قيل " واتخذ من الملائكة بنات " . قال الطاهر في موضع آخر: " في قوله: مما أعمل من المد ما يجعله أسعد بمد النفس في آخر الآية والتهيئة للوقف على قوله: مما تعملون، ولما في تعملون من المد أيضا ... وهذا من **دقائق فصاحة القرآن الخارجة عن الفصاحة المتعارفة** بين الفصحاء." (2) وهذا اللفظ (إناثا) يصلح أن يكون فاصلة من فواصل السورة، وهذا يسميه علماء البلاغة التشريع وهو أن يكون فى أثناء الآية ما يصلح أن يكون فاصلة .(3) فمعظم فواصل السورة تنبني على المقاطع (ص ح ـ ص ح ح ـ ص ح ح) بهذا التتابع نحو الفواصل (عظيما، قليلا، غفورا ...)

٢٦. [غلام ـ نفس]

قَالَ تَعَالَى: { فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ } [سورة الكهف:٧٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (غلام) اسم ذات [و] فُعَال إلى (نفس) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق قصة الخضر عليه السلام وقتله الغلام وإنكار موسى عليه واصفًا ذلك بالنُّكر أي الأمر الذي تنكره العقول وتستقبحه .

والعدول المعجمي من (غلاما) إلى (نفسًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: تشديد النكير على الخضر عليه السلام لقتله نفسا زكية طاهرة لم تدنس بذنب ولفظ (نفسًا) يشعرُ بنفاسته ولذلك: " قال لقد جئت شيئا نكرا "، فاستعمال (جئت) لتضمنه صعوبة ذلك الفعل وعظيم خطره، وهذا يتآزر مع ما ورد في الصحيح من أن الخضر اقتلع رأس الغلام(4) وهذا أمر في غاية الصعوبة والفظاعة، ولذلك وصف هذا الفعل بأنه نكر لأنه ظاهر النكارة .

الثاني: التعميم للحكم، فالإنكار هنا حقيقته واقعة على فعل القتل وليس متعلقا بكونه غلاما (تفضيلا لنوعه) بل كون قتل النفس ـ أيا كانت ـ شيئا تنكره العقول والفطر السوية كما أنه مخالفٌ لشريعة موسى ـ عليه السلام ـ **قَالَ تَعَالَى:**

---

(1) ـ ينظر: تفسير أبي السعود (١٧٤/٥)

(2) ـ ينظر: التحرير والتنوير (٢١٦/١٥)

(3) ـ ينظر: الإتقان للسيوطي (٣٥٧/٣)

(4) ـ صحيح البخاري حديث رقم (٤٧٢٥) وصحيح مسلم حديث رقم(٢٣٨٠)

{وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ} [سورة المائدة:٤٥]

الثالث: الإيماء إلى سوء المنظر؛ تصويرًا لفظاعة ما حدث للغلام على يد الخضر . عليه السلام .، فقد ذكر القتل الذي هو إهلاك النفس بهدم البنية لأنه يؤدي إلى انقطاع النفس لا محالة، ومن ثم انقطاع الحياة، وأيضا يؤدي إلى إسالة الدماء وهو سبب الحياة وسر وجودها، ومن معاني النفس: (الدم) ومنه اشتقت (النفساء) لكون الدم لا ينقطع عنها إلا بعد مدة، واقتلاع رأس الغلام كما في الصحيح، أو ذبحه بالسكين كما ورد في بعض التفاسير، [1]كل ذلك يؤدي إلى إسالة دمه وقطع نفسه وفقدان حياته لعدم وجود أسبابها .

وقد كان ذكر الغلام ابتداء أنسب، لأنه مما تنعقد عليه الآمال، وتتشوف إليه النفوس، فالبنون مما زين للناس في الحياة الدنيا، فهم موضع اهتمام عند أكثرهم، وبعضهم إذا بشر بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، وهذا يؤكد أن قتله لا يختلف على قبحه أحد، وذكر الغلمة في ابتداء الحديث يوحي بأن الغلام سيكون متبعا لهواه سائرا وراء شهواته، ومن اتباعه لهواه كفره وإرادته طغيان أبويه وكفرهما وحرصه على ذلك وتوحي كلمة غلام بقوة ذلك الغلام لكنها قوة في غير محلها لأنه . كما يقص الخضر علينا . إن بقي سيرهق أبويه طغيانا وكفرا وهذا يؤكد شدة كفره وعتوه وطغيانه، فكأن الله . تعالى . قدم تمهيدا للنفوس عن شأن هذا الغلام قبل ذكر حقيقة ما يؤول إليه وهو من براعة الاستهلال، مما يجعل النفوس مشتاقة لمعرفة قصته ففيه إثارة وتنبيه، وقد جاء معقبا بالفاء التي تفيد سرعة القتل مما يزيد التعجيب وزيادة التلهف لمعرفة سبب قتله .

٢٧. [قلب ـ صدر]

قَالَ تَعَالَىٰ: { مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَـٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾} [سورة النحل:١٠٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (قلب) اسم ذات [و] فَعْل إلى (صدر) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق التهديد للذين يكفرون بآيات الله ورسله ووعيدهم بالغضب الشديد والعذاب العظيم من الله بسبب كفرهم وفي الآية بيان أن المكره على الكفر ليس بكافرٍ لأن قلبه مشحون بالإيمان .

قال أبو زهرة: "كان في الموضوع حقيقتان لشخصين مختلفين؛ أولهما اطمأن قلبه بالإيمان بأن استقر فيه وارتضاه واطمأنت نفسه، فقلبه ممتلئ بالإيمان، والآخر لم يعمر قلبه وضاق عنه، وشرح صدره وفتحه للكفر، فالأول يعد مؤمنا، لم يغادر الإيمان قلبه، بل هو قار فيه، وثابت لا يتزلزل. " (٨/ ٤٢٧٦)

قال ابن كثير: " وقد روى العوفي عن ابن عباس: أن هذه الآية نزلت في عمار بن ياسر، حين عذبه المشركون حتى يكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم، فوافقهم على ذلك مكرها وجاء معتذرا إلى النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية، وهكذا قال الشعبي، وأبو مالك وقتادة." [2]

---

(١) . ينظر. على سبيل المثال : الهداية إلى بلوغ النهاية، لمكي بن أبي طالب القيسي(٦/٤٤٢٩)، وتفسير الماوردي(٣/ ٣٢٩)

(٢) . تفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٥)

والعدول المعجمي من (قلبه) إلى (صدرًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التسجيل على أهل قريش الذين كفروا بالله كفرًا ملأ قلوبهم حتى فاض على صدورهم فلم يبق فيه موضع لدخول الإيمان؛ لذلك وُعِدُوا بغضب الله واستحقوا العذاب العظيم الذي لا يعلم حقيقته إلا الله .

ولما كان كفرهم يدعوهم إلى موافقة الهوى وشهوات النفس وحمية الجاهلية والغضب على المؤمنين ومخالفة موجبات العلم والبعد عن الحكمة ناسب ذكر الصدر الأعم، قال الراغب: " قال بعض الحكماء: حيثما ذكر الله تعالى القلب فإشارة إلى العقل والعلم نحو (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ) [ق/ ٣٧]، وحيثما ذكر الصَّدْرُ فإشارة إلى ذلك، وإلى سائر القوى من الشّهوة والهوى والغضب ونحوها . " (١)

الثاني: الإشارة إلى أن القلب في أصل خلقته ينزعُ إلى الفطرة الأولى التي خلق الله الناس عليها وهي توحيد الله، لكن الذين يؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة لفرطِ عنادهم إنما يفتحون صدورهم فتحًا عظيمًا ليدخل الكفر إلى القلوب فيصرفها عما فطِرَت عليه من التوحيد، وذلك نحو قوله تعالى: {وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾} [سورة النمل:١٤] قال الراغب: " إذ ليس من شأن القلب ... أن يطمئن إلى الباطل ." (٢)

الثالث: التنبيه على إسراع أهل قريش في التكذيب والعناد، قَالَ تَعَالَىٰ:{وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ} [سورة آل عمران:١٧٦] ولفظ (صدرًا) يدل على التقدم في الشيء من أوله، جاء في المعجم الاشتقاقي: " صَدْرُ كل شيء: أوله (مُقَدَّمُه ويأتي بعده سائره) ."(٣) وذلك نحو قوله تَعَالَىٰ:{وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ} [سورة البقرة:٤١]، قال الطاهر: " [الأول] أصله السابق غيره في عمل يعمل أو شيء يذكر فالسبق والمبادرة من لوازم معنى الأولية لأنها بعض مدلول اللفظ ...والمقصود من النهي توبيخهم على تأخرهم في اتباع دعوة الإسلام فيكون هذا المركب قد كني به عن معنيين من ملزوماته، هما معنى المبادرة إلى الإسلام ومعنى التوبيخ المكنى عنه بالنهي ." (٤)

أما إيثار لفظ (القلب) في مقام الإيمان والطمأنينة لأنه موضع العلم والحكمة، فإيمانهم على قدر علمهم بالله وأسمائه وصفاته قَالَ تَعَالَىٰ:{إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟} [سورة فاطر:٢٨]، والقلب: سمي هكذا لكثرة تقلبه (٥) فيكون ثباته بتوفيق من الله، وهكذا كان عمار بن ياسر ثابت الجنان راسخ الإيمان بتأييد الله وتوفيقه .

٢٨. [صدور ـ قلوب]

قَالَ تَعَالَىٰ: { أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟ بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ

(١) . المفردات للراغب، مادة (صدر)

(٢) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (أمن) .

(٣) . المعجم الاشتقاقي (٣/ ١٢٠٥)

(٤) . التحرير والتنوير (١/ ٤٦٠)

(٥) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (قلب) .

﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)﴾ [سورة التوبة:١٣–١٥]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (صدور) اسم ذات/جمع تكسير [و] فُعُول إلى (قلوب) اسم ذات/جمع تكسير [و] فُعُول، وذلك في سياق الأمر بقتال أئمة الكفر، وتبشير المؤمنين بالنصر عليهم، وأراد الله عز وجل ذلك؛ تطهيرًا للجزيرة العربية من أهل الكفر المعادين للدعوة الإسلامية، حتى تشرق الأرض بنور ربها وتنطفئ نيران أهل الضلالة .

" وإنما أمر الله المؤمنين بقتال هؤلاء الكافرين لأسباب ثلاثة:

الأول: أنهم نكثوا الأيمان التي حلفوها لتأكيد عهدهم الذي عقدوه مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه على ترك القتال عشر سنين .

الثاني: أنهم قد هموا بإخراج الرسول صلى الله عليه وسلم من وطنه أو حبسه حتى لا يبلغ رسالته، أو قتله بأيدي عصبة من بطون قريش ليتفرق دمه فى القبائل، فتتعذر المطالبة به .

الثالث: أنهم بدءوا بقتال المؤمنين في بدر حين قالوا بعد العلم بنجاة عيرهم: لا ننصرف حتى نستأصل محمدا وأصحابه ونقيم في بدر أياما نشرب الخمر وتعزف على رءوسنا القيان، وكذا في أحد والخندق وغيرهما." (١)

والعدول المعجمي من (صدور) إلى (قلوبهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى حصول تمام الفرحة بنصر الله للمؤمنين وذهاب الألم النفسي ذهابًا تامًّا، فإنهم لما أسلموا قد لاقوا أذًى كثيرًا من أهل مكة وضاقت نفوسهم بذلك، فكانت غزوة بدر واستئصال الكافرين فيها بمثابة الدواء الناجع والشفاء التام لصدور المؤمنين وقلوبهم، ولو اكتفي في الآيات الكريمة بذكر الصدور لفهم المعنى، لكن أريد المبالغة والتأكيد على حصول السعادة للمؤمنين حتى جاوزت الصدور ودخلت في القلوب واستقرت فيها فلا تروم عنها انتقالًا .

الثاني: الإشارة إلى أن الغيظ من أفعال القلوب، وهو ثوران القلب من شدة الغضب، ف" هو حرارة شديدة في النفس أو القلب ." (٢) والغضب يجعل القلب يثور أو يغلي كالمرجل، ولفظ (القلب) المشتق من التقلُّب يناسبه، وفيه إعلام

---

(١) . ينظر: تفسير المراغي (٦٧/١٠)

(٢) . المعجم الاشتقاقي المؤصل (١٥٩٣/٣)

بما كان فيه المسلمون من الحَنَق الشديد على أهل الكفر لإيذائهم ومحاولتهم قتل النبي ﷺ، وأنه لا يهدأ بالُهم ولا تنطفئ نار غيظهم إلا بالتخلُّص منهم كُلِّيًا .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٢٩. [قرية ـ قوم]

قَالَ تَعَالَىٰ:{فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾} [سورة يونس:٩٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (قرية) اسم ذات [و] فَعْلَة إلى (قوم) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق التوبيخ للذين لم يؤمنوا بالله ورسله وبيان أن قوم يونس آمنوا فكشف الله عنهم العذاب .

والعدول المعجمي من (قرية) إلى (قوم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن كشف العذاب عن قوم يونس وحصول البركة والرحمة إنما سببه قيامهم بموجبات العبودية لله من الإيمان والعمل الصالح، ولفظ (قوم) مشعر بهذا المعنى، فقوله تعالى: (آمنوا) يدل على التصديق القلبي وقوله: (قوم) دالٌّ على القيام بأمر الله فيكون الجمع بينهما مدحًا لهم بالوصفين وبيانًا لأسباب نجاتهم، قال البقاعي: " والقوم قال الحرالي: اسم من لهم منة في القيام بما هم مذكورون به، ولذلك يقابل بلفظ النساء لضعفهن فيما يحاولنه؛ وفيه تخويف لهذه الأمة أن يصيبهم مثل ما أصابهم في خطاب ربهم فيعرض عنهم — انتهى"[١]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما التعبير أولا بلفظ (قرية) لأن المقصود الأول من ذكر قصة قوم يونس هو إنذار المشركين من أهل مكة، وهم أهل قرية . [٢] فكلمة (قرية) لغةً تدل على التجمع،" فالمِقْرَى والمِقْراة: كل ما اجتمع فيه الماء. قَرَى الماءَ في الحوض يَقْرِيه: جَمَعه. والقارِية: الحاضرة الجامعة. والقرية: المصر الجامع، وقَرْية النمل: مجتمع ترابها ."[٣] وعلى هذا فإن إيثار القرية أوّلًا فيه بيانٌ إلى أن اجتماع أهلها وكثرتهم لم يغنيا عنهم من عذاب الله شيئًا لما كفروا به، ونحو هذا العدول جاء في قوله تعالى: {وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾} [سورة الأنبياء:١١]

٣٠. [قرية ـ المدينة]

قَالَ تَعَالَىٰ:{فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾} [سورة الكهف:٧٧]

---

(١) . نظم الدرر (٣٧٢/١)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير: (٢٨٨/١١)

(٣) . ينظر: لسان العرب، وتاج العروس مادة (قري) .

قال تعالى: {وَأَمَّا ٱلۡجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيۡنِ يَتِيمَيۡنِ فِي ٱلۡمَدِينَةِ وَكَانَ تَحۡتَهُۥ كَنزٞ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحٗا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ وَمَا فَعَلۡتُهُۥ عَنۡ أَمۡرِيۚ ذَٰلِكَ تَأۡوِيلُ مَا لَمۡ تَسۡطِع عَّلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴿٨٢﴾} [سورة الكهف:٨٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (قرية) اسم ذات [و] فَعْلَة إلى (المدينة) اسم ذات [و] الفَعِيلَة، وذلك في سياق قصة موسى والخضر . عليهما السلام . وأنها قد ذهبا إلى قرية بها جدار أشرف على السقوط فأقامه الخضر لأن تحته كنز لطفلين يتيمين كان أبوها صالحا، وأهل هذه القرية من بخلهم الشديد لم يطعموهما ولم يستضيفوهما .

والعدول المعجمي من (قرية) إلى (المدينة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار نوعِ اعتدادٍ بها باعتداد ما فيها من اليتيمين وأبيهما الصالحِ [١] فالمعنى المحوري للمدينة: " المِصْر الجامع المحصَّن... وقد أُطلقت المدينة في القرآن الكريم على العواصم ونحوها " [٢] فالمدُن قرًى عظيمة، وتلك القرية التي فيها الجدار سمَّاها الخضر مدينةً؛ إلماحًا إلى عظمتها لعظمة بعضِ مَن فيها: الرجل الصالح وولديه اليتيمين .

الثاني: الإشارة إلى علة البناء للجدار، وذلك من جهتين:

أولاهما: أن المدينة: المصر الجامع [٣]، فهي " أدل على الكبر المستلزم لبعد الأطراف وجمع الأخلاط. " [٤] فتكون نسبة ضياع الكنز أكبر لكثرة قاطنيها؛ ولا سيما وقد اشتهروا بالبخل والحرص فإذا وقع الجدار وظهر الكنز انقضُّوا عليه ولم يبقوا منه شيئًا .

ثانيهما: أن لفظ (المدينة) يشير " إلى أن الناس يقيمون فيها، فينهدم الجدار وهم مقيمون فيأخذون الكنز ." [٥] وذلك مبني على أن المدينة فعيلة من (مَدَنَ) بالمكانِ: أي: (أَقامَ) بِهِ.[٦] فسميت هكذا لإقامة الناس فيها وعدم الارتحال عنها .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما اختيار لفظ (قرية) في الآية الأولى " لأنها مشتقة من معنى الجمع، فكان أليق بالذم في ترك الضيافة لإشعاره ببخلهم حالة الاجتماع وبمحبتهم للجمع والإمساك ."[٧]

٣١. [سد ـ ردم]

قال تعالى: {قَالُواْ يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِنَّ يَأۡجُوجَ وَمَأۡجُوجَ مُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَهَلۡ نَجۡعَلُ لَكَ خَرۡجًا عَلَىٰٓ أَن تَجۡعَلَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَهُمۡ سَدّٗا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيۡرٞ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجۡعَلۡ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُمۡ رَدۡمًا ﴿٩٥﴾} [سورة الكهف:٩٤–٩٥]

---

(١). ينظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢٣٨)

(٢) . المعجم الاشتقاقي المؤصل، مادة (مدن)

(٣) . المعجم الاشتقاقي المؤصل، مادة (مدن)

(٤) . ينظر: نظم الدرر (١٦/ ١٠٩).

(٥) . ينظر: نظم الدرر (١٢/ ١٢٢)

(٦) . ينظر: تاج العروس، مادة (مدن) .

(٧) . ينظر: نظم الدرر (١٢/١٢٢)،(١٦/ ١٠٣)

في الآيتين عدول معجمي من (سَدّ) اسم ذات [و] فَعْل إلى (رَدْم) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق قصة ذي القرنين مع القوم الذين مر بهم وأرادوا أن يكفيَهم شرَّ يأجوج ومأجوج فطلبوا منه أن يجعل سدًّا بينهم ووافقهم على ما أرادوا .

والعدول من (سَدًّا) إلى (رَدْمًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن ذا القرنين وجدَ السدَّ غير كافٍ فإذا سد عليهم المرور من بين الصدفين بجدارٍ فاصلٍ تحيلوا فتسلقوا الجبال ودخلوا البلاد فسلبوا ما فيها وأفسدوها، فأراد أن يبني سورا ممتدا على الجبال في طول حدود البلاد حتى يتعذر عليهم تسلق تلك الجبال، ولذلك سماه ردما، ولعله بنى جدارين متباعدين وردم الفراغ الذي بينهما بالتراب المخلوط ليتعذر نقبه (1) .

قال الطاهر: " السد: الجدار الفاصل " (2) "والردم: البناء المردم. شبه بالثوب المردم المؤتلف من رقاع فوق رقاع، أي سدا مضاعفا."(3) فالردم أقوى من السد وأكبر(4) فاختياره دليل على خبرة ذي القرنين وحكمته وقوة عُدَّته وعلمه بأحوال الأمم وكيفية التعامل معها .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٣٢. [اليم ـ البحر]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ...وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾} [سورة الأعراف:١٣٦ــ١٣٨]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (اليم) اسم ذات [و] الفَعْل إلى (البحر) اسم ذات [و] الفَعْل وذلك في سياق ذكر ما حل بفرعون من العذاب الدنيوي وإنجاء بني إسرائيل لإيمانهم وصبرهم .

والعدول المعجمي من (اليم) إلى (البحر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الامتنان على بني إسرائيل بإنجائهم من الغرق في هذا البحر الواسع، ولفظ البحر يدل على الاتساع العظيم فالنجاة منه نعمةٌ جليلة، قال الزبيدي في تاج العروس: " التَّبَحُّرُ والاستبحارُ: الانبساطُ والسَّعَةُ؛ وسُمِّيَ البحرُ بَحْراً لذلك، (و) من المَجَاز: (تَبَحَّرَ) الرجلُ (في المال)، إذا اتَّسَعَ و (كَثُرَ مالُه) ."(5) وهذا دليل على باهر القدرة الإلهية إذ فلق لهم البحر المتسع فصار كل فرق كالجبل العظيم الثابت المتطاول في السماء فالماء كان منبسطاً في أرض البحر، فلما انفرق وانكشفت فيه الطرق انضم بعضه إلى بعض وارتفع ارتفاعًا عظيما.

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٣٥/١٦)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٣١/١٦)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٣٥/١٦)

(٤) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٤٥٨٨/٩)وأبي السعود (٢٤٥/٥) ونظم الدرر (١٣٦/١٢)

(٥) . تاج العروس، مادة (بحر) .

و(البحر) قد جاء في القرآن في مقام الامتنان بالنعم ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى:{وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ} [سورة البقرة:١٦٤]

وقوله تعالى:{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} [سورة المائدة:٩٦]

وقوله تعالى: {وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾} [سورة النحل:١٤]

بينما (اليم) قد جاء في أكثر مواضعه في سياق إغراق فرعون وإهلاكه، كما في قوله تعالى: {فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾} [سورة طه:٧٨]

وقوله تعالى: {فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾} [سورة القصص:٤٠]

وقوله تعالى:{فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾} [سورة الذاريات:٤٠]

أما إيثار لفظ اليم في مقام إهلاك فرعون فلتوضيح كيف تحول هذا البحر الذي حصلت فيه نجاة موسى ومن معه إلى يم عظيم ذي أمواج عالية يلتقم كل من يدخله، قال البقاعي عن اليم هو: " البحر الذي من شأنه أن يؤم " (١) أي إنه صار يتتبع سالكيه فرعون وجنوده فأهلك أولهم وآخرهم؛ وقطع دابرهم، لم يبق منهم أحداً، وهذا يدل على أن القرآن الكريم قد بلغ ذروة الكمال في دقة الوصف وتلائم المعنى .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر بن عاشور: " وَالْبَحْرُ هُوَ بَحْرُ الْقُلْزُمِ- الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ- وَهُوَ الْمُرَادُ بِالْيَمِّ فِي الْآيَةِ السَّابِقَةِ، فَالتَّعْرِيفُ لِلْعَهْدِ الْحُضُورِيِّ، أَيِ الْبَحْرَ الْمَذْكُورَ كَمَا هُوَ شَأْنُ الْمَعْرِفَةِ إِذَا أُعِيدَتْ مَعْرِفَةً، وَاخْتِلَافُ اللَّفْظِ تَفَنُّنٌ، وتجنبا لِلْإِعَادَةِ . " (٢)

٣٣. [ماء ـ الشراب]

قَالَ تعالى: {وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا۟ يُغَاثُوا۟ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾} [سورة الكهف:٢٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ماء) اسم ذات/ اسم جنس إفرادي [و] فَعَل إلى (الشراب) اسم ذات/اسم جنس إفرادي [و] الفعَال، وذلك في سياق التهديد للكافرين الظالمين بالنار وأهوالها يوم القيامة جزاءً وفاقًا .

والعدول المعجمي من (ماء) إلى (الشراب) له أغراض بلاغية منها:

(١) . نظم الدرر : (٣١٨/١٢)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨٠/٩)

الأول: الإشارة إلى أنه يبلغون إلى حالة من العطش لا يدرك وصفها وأنهم يستغيثون لكيما يخفف عنهم من عذاب النار بالماء البارد على جلودهم التي احترقت ويطفئ حرارة العطش في بطونهم، **قَالَ تَعَالَى:{وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾}** [سورة **محمد**:١٥]، وفي هذا بيانٌ لشدة هول العذاب وكمال فظاعته . أعاذنا الله منه .

فلو قيل بئس (الماء) لكان المعنى مقتصرًا على رغبتهم في تبريد جلودهم به، فلما قال (الشراب) أفاد ما ذُكِر من عطشهم .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة الصوتية للمعنى، فسياق الآية الكريمة في عذاب أهل النار وبيان شدة حرارة مائها إذ هو كالمهل أي: دُرْدِيّ الزيت، و " التشبيه في سواد اللون وشدة الحرارة فلا يزيدهم إلا حرارة " (١) لذلك أعقبه بقوله " يشوى الوجوه "، واختير لفظ (يشوي) وعُدِل إلى (الشراب) وكلاهما به صوت الشين المتفشي الذين يصوّر المشهد المفزع وكأنه يسمعك صوت الشواء للجلود وصوت انصباب الحميم في الأفواه؛ كل هذا لينفِّر الناس من الكفر والظلم ببيان عظم العذاب وخطورته، والعربي القديم عرف الخصائص الصوتية لحرف الشين وإيحاءاته "كما قال الأعشى:

فقلت للشَّرْبِ في درني وقد ثملوا ... شيموا وكيف يشيم الشارب الثمل

فالشين ذات قيمة تصويتية stimmungswert وتقدر على نقل أصوات الشاربين، لا سيما أنها ترددت في البيت ست مرات ." (٢)

٣٤. [رحل ـ وعاء /أوعية]

قَالَ تَعَالَى:{فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾} [سورة **يوسف**:٧٠]

قَالَ تَعَالَى:{قَالُوا۟ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ۚ كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ ۖ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِى دِينِ ٱلْمَلِكِ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾} [سورة **يوسف**:٧٥–٧٦] "

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رحل) **اسم ذات [و] فَعْل إلى** (أَوْعِيَة) **اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعِلَة**،(**وعاء**) **اسم ذات [و] فِعَال**) وذلك في سياق ذكر حيلة يوسف عليه السلام في استبقاء أخيه عنده حيث جعل السقاية . وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيلُ به الطعام . في رحل أخيه؛ ليحتال بذلك ويأخذه فيلقى الحفاوة والتكريم .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٣٠٨/١٥)

(٢) . ينظر: إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي، للدكتور / محمد العبد ص ١٨

والعدول المعجمي من (رحْل) إلى (أوعية/وعاء) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ زيادةً في التعمية ونفي التهمة عنهم، " **فالرحْل ما** يوضع على البعير عند ركوبه " [١] والمراد هنا الوعاء المعد للترحال، فهو وعاء خاصٌّ، فعُدِلَ عنه إلى لفظ الوعاء الأعم الدال على " الإحاطة "[٢] و"حفظ الشيء وصيانته " [٣]؛ إشارةً إلى تمكين السقاية في داخل الرحْلِ بحيث لا يمكن أن تضيع؛ إمعانًا في إثبات التهمة لأخي يوسف بأنه جدَّ في إخفائها لئلا يعرف أمرها، وهذا من الكيد الحسن الذي يكمن فيه جليل الحكم وعظيم المصالح، ويلاحظ أن المفتش بَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَاءِ أَخِيهِ؛ وذلك لتزول الريبة التي يظن أنها فعلت بالقصد .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٣٥. [أصنام ـ إله/آلهة]

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَجَٰوَزْنَا بِبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٖ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٖ لَّهُمْۚ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٞ تَجْهَلُونَ ١٣٨} [سورة الأعراف:١٣٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أصنام) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعَال إلى (إله) اسم ذات [و] فِعَال، (آلهة) اسم ذات/جمع تكسير [و] أفْعِلَة، وذلك في سياق ذكر قبائح اليهود إذ طلبوا من موسى . عليه السلام . أن يجعل لهم صنمًا يعبدونه من دون الله، وفي هذا بيانُ غايةِ جَهْلِهِمْ وعِنادِهم، فإن الله خَلَّصَهُمْ من عدوِّهم ونَجَّاهم من الغرقِ، وقالوا هذا القولَ حين رأوا هؤلاء القومَ يعبدون الأصنامَ.

والعدول المعجمي من (أصنام) إلى (إلها / آلهة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: ذم اليهود، وذلك من جهتين:

أولاهما: المبالغة في إثبات جهالتهم؛ فطلبهم من موسى أن يجعل لهم صنمًا كالقوم الذين مروا بهم يدل على تمكن الجهل في نفوسهم وتسميتهم الصنم إلهًا تأكيد لذلك المعنى،" فهم يحسبون أن اتخاذ الصنم يجدي صاحبه، كما لو كان إلهه معه، وهذا يدل على أن بني إسرائيل قد انخلعوا في مدة إقامتهم بمصر عن عقيدة التوحيد وحنيفية إبراهيم ويعقوب التي وصى بها في قوله: فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [البقرة: ١٣٢] لأنهم لما كانوا في حال ذل واستعباد ذهب علمهم وتاريخ مجدهم واندمجوا في ديانة الغالبين لهم فلم تبق لهم ميزة تميزهم إلا أنهم خدمة وعبيد." [٤]

ثانيهما: أنهم يريدون عبادة هذه الأصنام لا لمجرد التبرك مثلًا، فكلمة (إله) فعال بمعنى مفعول أي: معبود، وهذا دليل على غباوتهم إذ يرون القبيح حسنًا ويريدون صرف العبادة إلى غير من يستحقها، فالله سبحانه هو المستحق للعبادة فقد

---

(١) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (رحل) .
(٢) . ينظر: تفسير الرازي (١٨/ ٤٨٨)
(٣) . ينظر: تفسير القرطبي (٩/ ٢٣٥)
(٤) . ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٨١)

نجاهم وأهلك عدوهم الذي كان يسومهم سوء العذاب وهذه نعم تستوجب الشكر ومزيد العبادة لله الذي لا نعمة إلا من عنده .

الثاني: التعريض بالمشركين من أهل مكة بأنهم قد سموا أصنامهم آلهة أيضًا فاستحقوا الوصف بالجهالة، وذم الأصنام وإثبات عدم أحقيتها بالعبادة من مقاصد القرآن المكي، فذكر قول اليهودِ وإظهار ميلهم إلى عبادة الأصنام فيه تذكير باشتراكهم مع المشركين في خسة العقل وإيثار التقليد المبني على محض الجهالة .

٣٦. [مال ـ أجر]

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ قَوۡمٗا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾} [سورة هود:٢٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مال) اسم ذات [و] فَعْل إلى (أجر) اسم ذات [و] فَعْل، وذلك في سياق مخاطبة نوح عليه السلام لقومه إذ أكَّد لهم أنه لا يطلب أجرًا على دعوته منهم إنما يرجو الثواب من الله الكريم وأخبر أنه لا يطرد المؤمنين بل يحتفي بهم ويعينهم على الطاعة حتى يلاقوا ربهم وهو عنهم راضٍ .

والعدول المعجمي من (مالا) إلى (أجري) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى مزية ما عند الله تعالى على ما عندهم .[1] ويؤيد ذلك التعبير بالمال أولًا حين نسب إليهم، وهذا يوضح إخلاص نوح عليه السلام في الدعوة إلى الله وابتغاء ما عنده من الثواب العظيم، فلم يؤثر الحظوظ الفانية من متاع الدنيا على ما عند ربه .قال البقاعي: " نبه بهذا [أي العدول] على أنه لا غرض له من عرض دنيوي ينفر المدعو عنه فوجب تصديقه ." [2]

والعدول إلى (أجري) فيه تأكيد على كون ثواب الله أجل وأرفع من أن يكون مالًا، وتلك سلعة الله الغالية: جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، قال الطاهر: " والمخالفة بين العبارتين في قوله: مالا وأجري تفيد أنه لا يسأل من الله مالا ولكنه يسأل ثوابا." [3]

وإيثار لفظ (مالا) أولًا أشار إلى مدى افتتان قومه بالمال وحبِّهم الشديد له وحرصهم على جمعه، فالمال سمي هكذا لميل النفوس إليه، وكأن حب الدنيا هو الذي أعماهم عن الهدى الذي جاء به نوح عليه السلام .

---

(١) . ينظر تفسير أبي السعود (٢٠٢/٤)، وتفسير الألوسي (٢٤١/٦)
(٢) . نظم الدرر (٢٧٤/٩)
(٣) . التحرير والتنوير (٥٥/١٢)

٣٧. [نصيب ـ كفل]

قَالَ تَعَالَى:{ مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾} [سورة النساء:٨٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نصيب) اسم ذات [و] فَعِيل إلى (كِفْل) اسم ذات [و] فِعْل، وذلك في سياق الإعلام بأن من سعى في أمر، فترتب عليه خير، أو دفع أذى عن مسلم كان له نصيب من الثواب العاجل والآجل، ومن يشفع شفاعة سيئة يكن عليه وزر من ذلك الأمر الذي ترتب على سعيه ونيته الفاسدة .

وللعدول المعجمي من (نَصِيب) إلى (كِفْل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ ترهيبًا من عقوبة الشفاعة المؤدية إلى سقوط الحق، وتقوية الباطل، وما غلظ هذا الزجر إلا للعلم بأن أكثر النفوس ميالة بأصحابها للشفاعة بالباطل.[١] فالكفل وإن كان بمعنى النصيب فإن استعماله في الشر أكثر[٢]، ولغلبة استعماله في الشر واستعمال (النصيب) في الخير غاير بينهما في الآية الكريمة، فأتى ب(النصيب) مع الحسنة . و(الكفل) مع السيئة وهو لفظٌ يوحي بالحِمْل والثقل[٣] .

وقال البقاعي: "، والنصيب قدر متميز من الشيء يخص من هو له، وكذا الكفل إلا أن الاستعمال يدل على أنه أعظم من النصيب، ويؤيده ما قالوا من أنه قد يراد به الضعف، فكأنه نصيب متكفل بما هو له من إسعاد وإبعاد "[٤]

الثاني: الإشارة إلى لطف الله بعبادِه؛ إذ لم يضاعف السيئات كالحسنات، فالسيئة لا يُجْزَى العبد إلا مثلها، كما قَالَ تَعَالَى:{مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾} [سورة **الأنعام:١٦٠]**، فاستعمل (الكفل) لأن معناه: المِثْل المساوي قال الراغب: " لما كان النصيب يقال فيما يقل ويكثر، والكفل لا يقال إلا في المثل جاء في السيئة بلفظ الكفل تنبيهًا على معنى المماثلة ..."[٥]

وتفسير الكِفل بالمثل لا يعارض تفسيرَه بالضِّعْفِ، لأنه يستعمل بهذين المعنيين في لغة العرب، فبالنظر إلى السيئة واقتصارها على فاعلها يكون جزاؤها مماثلًا لها، وبالنظر إلى تعدِّيها إلى غيرِ الفاعل يكون جزاؤها مضاعفًا بقدرِ مفسدتها المتعدية، وجاء في الحديث الشريف ما يؤكِّد ذلك قال رسول الله ﷺ: " «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[٦]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الألوسي: "قوله: (يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْها) أي: نصيب من وزرها، وبذلك فسره السدي والربيع وابن زيد وكثير من أهل اللغة، فالتعبير بالنصيب في الشفاعة الحسنة، وبالكفل في الشفاعة السيئة للتفنن[٧]"

---

(١) . ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٥/ ٣٤٩)
(٢) . ينظر: البحر المحيط (٣/٧٢٣)
(٣) . ينظر: الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم بين التأسيس والتأكيد، للباحث : حمدان بن لافي بن جابر العنزي ص ٣٦٦ . ٣٧٧
(٤) . نظم الدرر (٥/ ٣٤٨)
(٥) . تفسير الراغب (٣/١٣٦٢)
(٦) . صحيح مسلم، حديث رقم (١٠١٧)
(٧) . تفسير الألوسي (٣/٩٤)

٣٨. [خلاق ـ نصيب]

قَالَ تَعَالَى: {فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾} [سورة البقرة:٢٠٠ــ٢٠٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (خلاق) اسم ذات [و] فَعَال إلى (نصيب) اسم ذات [و] فَعِيل، وذلك في سياق الأمر بالإكثار من ذكر الله بعد أداء مناسك الحج، وأن من الناس من يذكر الدنيا ويطلب ما يشبع رغباته منها ولا يذكر الآخرة، ومنهم من يدعو بخيري الدنيا والآخرة .

والعدول المعجمي من (خلاق) إلى (نصيب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى تشريف المؤمنين الداعين بحسنة الدنيا والآخرة، على رءوس الأشهاد يوم القيامة؛ إعزازًا لهم وتكريمًا، فالنصيب: اسم ذات يراد به: الحظ المنصوب لصاحبه (١) جزاءً على عملٍ أسداه أو دعاءٍ صالحٍ دعا به، والتنكير فيه للتعظيم، إشارة إلى قبول دعائهم ونيلهم أعلى الدرجات في جنات النعيم .

أما اختيار (خلاق) في سياق النفي وزيادة (مِنْ) الاستغراقية دليلٌ على أن هؤلاء لا خير لهم يوم القيامة البتة وذلك لا يكون إلا لمشرك، فالمؤمن لا بد أن يكون فيه خير ما ويثاب عليه، والخلاق: هو الحظ اللائق بالخَلْقِ والخُلُق ويكون في الخير خاصةً (٢)، فالمشركون شغلتهم الدنيا عن الآخرة فلا حظَّ لهم فيها .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٣٩. [إمام ـ كتاب]

قَالَ تَعَالَى: { يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾} [سورة الإسراء:٧١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (إمام) اسم ذات [و] فِعَال إلى (كِتَاب) اسم ذات [و] فِعَال، وذلك في سياق بيان كمال العدل الإلهي يوم القيامة وأن العبد يدعى بكتاب أعماله يوم القيامة؛ تعجيلًا بمسرة المهتدي وبمساءة الضال .

والعدول المعجمي من (بإمامهم) إلى (كتابه) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بكمال العدالة الإلهية، فالله ـ تعالى ـ يحكم بالحق يوم القيامة ولا يظلم الناس شيئًا، ولفظ الكتاب يدل على إثبات الأعمال كما وردت عن فاعليها (٣) قَالَ تَعَالَى: {هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾} [سورة الجاثية:٢٩] .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٢/٢٤٨)

(٢) . ينظر: نظم الدرر (٣/١٥٨) والتحرير والتنوير (٢/٢٤٧)

(٣). ينظر: المفردات للراغب مادة (كتب) .

الثاني: التوضيح للمقصود من (إمامهم) بأنه كتاب الأعمال وهذا ما رجَّحَه ابن كثير[1]، وقد ورد تفسير (الإمام) هنا بالمقتدى به من الناس " هاديا مرشدا، أو غاويا مضلا." [2] لكن الأول أولى، وسمِّي الكتاب إمامًا لأنه يؤتم به ويصدق فهو حجة على الإنسان لا يستطيع معه إنكارا .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فقوله تعالى: " فمن أوتي كتابه بيمينه " أخف لفظًا مما لو قيل " فمن أوتي إمامه بيمينه " .

٤٠. [سبيل ـ صراط]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ ۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۚ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [سورة الأنعام:١٥١ـ١٥٣]

في الآية الأخيرة عدول معجمي من (صراط) اسم ذات [و] فِعَال إلى (السبل) اسم ذات/جمع تكسير [و] الفُعُل،(سبيل) اسم ذات [و] فَعِيل، وذلك في سياق ذكر الوصايا الربانية التي من تمسك بها أفلح في الدارين ونال رضا الرحمن، وفي تلك الآيات العظيمة بيان عظمة التشريع الإسلامي؛ لارتكازه على الإصلاح الاجتماعي والتمسك بالأخلاق الفاضلة .

والعدول المعجمي من (صراطي) إلى (السبل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ ذمًّا لكل الطرق التي تجعل سالكها متفرقًا عن السبيل الحق وهو الإسلام، " والإخبار عنها بالتفرق دل على أن المراد سبل خاصة موصوفة بغير الاستقامة." [3] وقد ناسب هذا المعنى أنها جاءت مجموعة، ولفظ (صراطي، سبيله) بالإفراد، لأن طرق الباطل متعددة، من سار فيها هلك، وطريق الحق واحد من سلكه نجا وفاز بالخيرات العاجلة والآجلة، والإسلام قد سُمِّيَ (صراطًا)؛ لأنه يؤدي إلى الجنة فصار طريقاً إليها. [4]

---

(١) . ينظر: تفسير ابن كثير (٩٩/٥)

(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٨/ .٤٤٢٨)

(٣) . التحرير والتنوير (١٧٣/٨أ)

(٤) . ينظر: تفسير الماوردي (١٨٨/٢)

الثاني: الإشارة إلى أن ما يؤدِّي إلى النار من البدع والضلالات قد يستسهله الناس لاتفاقه مع أهواء نفوسهم وبذلك يحصل الفساد، ولفظ (سبيل) يدل على أنه طريق يمتاز بسهولة السير فيه كما نقل الزبيدي عن الراغب [١] وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا المعنى في قوله:) حفت النَّار بالشهوات) وَهِي: "كل مَا يُوَافق النَّفس ويلائمها وَتَدْعُو إِلَيْهِ "[٢] فيجب التنبه لذلك وكبح جماح النفس لئلا توقع صاحبها في المهالك .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وذلك على القول بالترادف بين السبيل والصراط، كما ألمح إليه الطاهر[٣].

ثانيهما: الخفة اللفظية في لفظ (السبل)، أما لو قيل: (الصُرُط) لثقل به الكلام، لذلك لم يستعمل (الصراط) في القرآن إلا مفردًا لخفته عن الجمع، بينما (السبيل) قد استعمل مفردًا ومجموعًا؛ [٤] لخفته في الحالين وترقيق حروفه .

والعدول إلى (سبيله) ولم يقل: (صراطه) والمراد به الإسلام، قد جاء لأغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على يسر الإسلام في جميع أحكامه، وذلك مبنيٌّ على أن السبيل: هو الطريق الذي يسهل سلوكه كما ذُكِرَ آنفًا، وفي ذلك حثٌّ على الالتزام بالوصايا الربانية المذكورة في الآيات وأنها تشتمل على كمال الرحمة وغاية اليسر .

الثاني: الإشارة إلى أن الشريعة الإسلامية تتسم بالوضوح التام، سواءً في العقائد أو الأحكام، وهذا البيان العالي لمنهج الله يجعل النفس المسلمة تعبد ربها على بصيرة ويقين، وهذا الوجه مبني على أن (السبيل) هو الطريق الواضح . [٥]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وقد تقدم ذكره .

قَالَ تَعَالَىٰ: { وَلَا تَقْعُدُوا۟ بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًاۚ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ وَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾} [سورة الأعراف:٨٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (صراط) اسم ذات [و] فِعَال إلى (سبيل) [٦] **اسم ذات [و] فَعِيل**، وذلك في سياق مخاطبة شعيب لقومه وتحذيرهم من أفعالهم القبيحة تجاه المؤمنين وصدهم عن دين الله، وأمرهم بشكر النعم الربانية ووعظهم وحثهم على الاعتبار بمصير المفسدين في الأرض .

والعدول المعجمي من (صراط) إلى (سبيل) له أغراض بلاغية منها:

---

(١) . ينظر: تاج العروس، مادة (سبل)

(٢) . التيسير بشرح الجامع الصغير، لعبد الرءوف المناوي (٤٩٨/١)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير ((٨أ/١٧٣)

(٤) . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي الصفحات (٤١٩، ٥٠٠. ٥٠١)

(٥) . ينظر: تاج العروس، مادة (سبل)

(٦) . وهو عدول من الحقيقة إلى المجاز، ينظر : البحر المحيط (١٠٧/٥)، وتفسير الألوسي (٤١٥/٤) والتحرير والتنوير (٨ب / ٢٤٦) .

الأول: التعظيم، وذلك مبني على أن المراد بالصراط المذكور مناهج الدين فيكون العدول جيء به تعظيمًا لما يصدون عنه وتقبيحًا لما كانوا عليه من الضلال، وبذلك صرَّح الزمخشري والبيضاوي وأبو السعود والألوسي (١)، والتعظيم دلَّ عليه وضع الظاهر موضع المضمر لزيادة تعيينه وتفخيم شأن الدين وتشديد النكير على أولئك الذين يصرفون الناس عنه، والإضافة لاسم الجلالة لتربية المهابة في نفوسهم؛ تحذيرًا من هذا الفعل الشنيع .

الثاني: التخصيص، فالمغايرة في اللفظ تشير إلى الفرق المعنوي بينهما، فالمعنى: لا تقعدوا بكل طريق من الطرق المسلوكة تهددون من آمن بي بالقتل، وتخيفونه بأنواع الأذى، وتصدون عن دين الله، قال أبو حيان: " ولا تظهر الدلالة على أن المراد بالصراط سبيل الحق من قوله :"وتصدون عن سبيل الله "كما ذكر [أي: الزمخشري] بل الظاهر التغاير لعموم كل صراط وخصوص سبيل الله فيكون "بكل صراط "حقيقة في الطرق، و"سبيل الله "مجاز عن دين الله ." (٢)

الثالث: الإشارة إلى أن الدين مبناه على اليسر، قال الراغب: " السَّبِيلُ: الطّريق الذي فيه سهولة ." (٣) فالناس يدخلون في دين **الله** لسهولته وتلاؤمه مع الفطرة السوية وأنه طريق موصل إلى سعادة الدارين، وكلمة (تصدُّون) تشير إلى إقبال الناس على الدين ورغبتهم في أن ينهلوا من معينه ويقتبسوا من أنواره، وأصحاب النفوس الخبيثة يصدونهم عن الهدى بعد إذ جاءهم .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

قَالَ تَعَالَى: { يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَـٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَـٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ } [سورة المائدة:١٥–١٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (سبل) اسم ذات/جمع تكسير [و] فُعُل إلى (صراط) اسم ذات [و] فِعَال، وذلك في سياق تنبيه أهل الكتاب بنعمة إرسال النبي محمد ﷺ إليهم وإلى الناس كافة، فقد جاءهم بالقرآن الكريم مصدِّقًا لما معهم، وفيه الحجج النيِّرة الدالة على صدق رسالته ﷺ، فمن اتبعه هُدِي إلى صراطٍ مستقيم .

والعدول المعجمي من (سبل) إلى (صراط) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن طرق الهداية وإن تعددت فهي موصِلة إلى شيءٍ واحدٍ فالمراد بالسبل: شرائع دين الله ﷻ، فلذلك جُمِعَت، فاتباع سائر شرائع القرآن العظيم مُوْصِلٌ إلى الحق المبين، فالعدول إلى (الصراط) هكذا بصيغة الإفراد أفاد هذا المعنى، بالإضافة إلى التنويه بعظمة القرآن الكريم وأنه كفيلٌ بالهداية التامَّة إلى هذا الطريق المستقيم الذي لا عِوَج فيه أصلًا وهو الدين الحق، فالصراط: هو السبيل الواضح الموصِلُ للبُغْيةِ بأسرَعِ ما يكون لاستقامته .(٤)

---

(١) . ينظر: الكشاف (١٢٨/٢) وتفسير البيضاوي (٢٣/٣)، وتفسير أبي السعود (٢٤٧/٣) وتفسير الألوسي (٤١٥/٤)
(٢) . ينظر: البحر المحيط (١٠٧/٥)
(٣) . المفردات للراغب، مادة (سبل) .
(٤) . ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٦٤/٦)

الثاني: التنبيه على أن الإيمان بالله وتوحيده يتوافق مع الفطرة التي فطر الناس عليها، حيث يدخل الإيمان في قلب العباد بسهولة، لأن القلوب تطمئن بالله وتسعد بالأنس به فلا لذةَ لها في الحقيقة إلا بمحبته ﷻ وتعظيمِهِ، وهذا المعنى يشير إليها لفظ (الصراط) إذ هو الطريق السهل كما ورد في معجم الفروق اللغوية (١) ويؤيده ما جاء في اللسان من أنه مشتق من الفعل (سرط) قال ابن منظور: " انْسَرَطَ الشَّيْءُ فِي حَلْقِه: سارَ فِيهِ سيْراً سهْلًا ."(٢)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة بين اللفظ والمعنى، فلفظ (صراط) أصواته كلها مفخّمة وفخامة اللفظ يشير إلى فخامة المعنى وعظمه، ودين الله الحق يتصف بكمال الجلال لدلالته على الكبير المتعال ﷻ .

٤١. [بينة ـ آية]

قَالَ تَعَالَىٰ:{حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾} [سورة الأعراف:١٠٥ــ١٠٦]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (بينة) **اسم ذات [و] فَيْعِلَة إلى** (آيةٍ) اسم ذات [و] فَعَلَة، وذلك في سياق محاجة موسى ـ عليه السلام ـ لفرعون وقد بيّن له موسى أن ما جاء به حجة قوية في إثبات الإلهية، فطلب منه الإتيان بآية عظيمة لإثبات صدقهِ في قيله .

والعدول المعجمي من (بينة) **إلى** (آيةٍ) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: التنبيه على أن فرعون كان لا يقتنع بالبراهين العقلية أو كان قاصرًا عن النظر العقلي فانتقل إلى طلب خارقٍ للعادة فلذلك استعمل في تلك المحاجة الآية بدلا من البينة، لأن أكثر موارد (الآية) في القرآن الكريم مراد بها المعجزة، وأكثر موارد البينة في الحجة، وهذا الوجه يقول به الطاهر في تفسيره (٣) .

الثاني: التعجيز لموسى أن يأتي بخوارق العادات، وذلك لما تقرر في ذهن فرعون أن موسى لا يقدر على الإتيان ببينة يتضح بها ما يدعو إليه من وحدانية الله، نصَّ على ذلك أبو حيان (٤) .

وفي إيثار موسى عليه السلام للبينة دون المعجزة في بادئ الأمر دليل على ثقته في صدق دعوته وأنها كفيلة بالبيان الكافي للقبول والإذعان فلم يبتدئ بإظهار المعجزات صونا لمقام الرسالة عن تعريضه للتكذيب .(٥) وإنما أظهر المعجزات حين طلبها منه فرعون .

٤٢. [كبائر ـ سيئات]

---

(١) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣١٣

(٢) . لسان العرب، مادة (سرط) .

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٤٠)

(٤) . ينظر: البحر المحيط (٥/ ١٢٩)

(٥) . ينظر: التحرير والتنوير (٩/ ٤٠)

قَالَ تَعَالَى:{إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَنُدۡخِلۡكُم مُّدۡخَلٗا كَرِيمٗا ﴿٣١﴾} [سورة النساء:٣١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كبائر) اسم ذات/جمع تكسير [و] فَعَائِل إلى (سيئات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَيْعِلَات، وذلك في سياق وعد العباد بمغفرة السيئات للذين يجتنبون الذنوب الكبيرة؛ تفضُّلًا من الله ذي الجلال والإكرام .

قال الذهبي: " الذي يتجه ويقوم عليه الدليل: أن من ارتكب حوباً من هذه العظائم: مما فيه حدٌ في الدنيا؛ كالقتل، والزنا، والسرقة، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب وغضب وتهديد، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه كبيرةٌ ولا بد ."(١)

والعدول المعجمي من (كبائر) إلى (سيئاتكم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن المراد بالسيئات صغائر الذنوب، فمغايرة اللفظ تدل على اختلاف المعنى، والذنوب تنقسم إلى صغائر وكبائر بنص القرآن والسنة، وإجماع السلف (٢) .

الثاني: التنبيه على أن صغائر الذنوب تتصف بالقبح وتُسِيئ صاحبها وتشينُه، فلم يقل ﷻ: " نكفر عنكم صغائركم " لئلا يتهاون بها العباد فيعتادُوها ويصرُّوا عليها فتعدُّ كبيرة إذ " لا صغيرة مع الإصرار " (٣) فقد سَمَّاها سيئة لأنه يخاطب الخلق وهو أعلم بحالهم وفيه إلقاء للمهابة في نفوسهم من اقترافها إذا نظروا إلى باهر عظمة الله تعالى وشدة عقابه .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الجنس

سبق الحديث عن بلاغة العدول من اسم الذات إلى اسم الجنس، بينما سيكون الكلام في هذا المطلب عن البلاغة العالية للعدول بين أسماء الأجناس في الذكر الحكيم.

ويلاحظ أن شواهد هذا النوع العدولي قليلة، انتقى منها الباحث شاهدين؛ لإيضاح الأغراض البلاغية المنوطة به .

٤٣. [جزاء ـ أجر]

قَالَ تَعَالَى:{أُوْلَـٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّـٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾} [سورة آل عمران:١٣٦]

---

(١) . كتاب الكبائر للذهبي (٨٩/١)

(٢) . ينظر: مدارج السالكين (٣٢١/١)وتفسير القرطبي (١٥٨/٥)

(٣) . الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (١٤/١)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جزاء) مصدر [و] فَعَال إلى (أجر) اسم ذات/اسم جنس [و] فَعْل
وذلك إن كان المراد به الجنات وهي مما يدرك بالحواس (١)، وذلك في سياق وعْدِ المتقين ذوي الإحسان الذي يتوبون إلى الله ويستغفرونه بأنه ﷻ سوف يدخلهم جناته التي تجري من تحتها الأنهار ويخلّدُهم فيها جزاءً على أعمالهم الصالحة ونياتهم الخالصة .

والعدول المعجمي من (جزاؤهم) إلى (أجر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التنبيه والتأكيد على أنّ ذلك جزاء واجب على عمل (٢)؛ ترغيبًا في الطاعات، وتنشيطًا عليهَا، فقدْ سمِّي الجزاء أجْرًا لذلك المعنى، ويراد بهذا الأجر: دخول الجنات ومغفرة الذنوب، وهو محض تفضُّلٍ من الله ﷻ فرحمته واسعة بعباده . قال أبو زهرة: (ذلك الجزاء جدير بأن يُرغب فيه، ويتنافس فيه المتنافسون، ويطلبه كل عارف لحقيقته لم تلهه الدنيا بما فيها، فذلك المدح للحث على طلبه والعمل على استحقاقه وعدم التخلف عن الاتجاه إليه)(٣)

الثاني: الإشارة إلى عظم الجزاء، فالأجر يستعمل .كما يقول الراغب :" فيما يعطي الرفيع مَن دونَه " (٤)، والله سبحانه وتعالى . له العظمة المطلقة وثوابه لا يعدلُه أي ثواب، وهذا مناسب لموقف تفخيم الجزاء المذكور في صدر الآيات الكريمة بأن هذه الجنة عرضها السموات والأرض وهذا دليل على كبرها واتساعها وعظمها، والنصوص على ذلك كثيرة منها ما جاء في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»(٥) وهذه صفة لشجرة واحدة من أشجارها، فما أعظمَها من دارٍ أعدَّها الله لأحبابه المؤمنين وجعل لهم فيها ما به تلذ الأنفس وتقرَّ الأعين جزاءً بما كانوا يعملون .

الثالث: التنبيه على التفاوت بين مقام المتقين المحسنين وبين منزلة المتقين التائبين (٦)، فالعدول إلى لفظ آخر بمعناه يشير إلى المغايرة بين ثوابين: فالفريق الأول: جزاؤهم جنة عرضها السموات والأرض، والفريق الثاني: أجرهم مغفرة وجنات تجري من تحتها الأنهار، فالأجر والجزاء من الألفاظ المتقاربة في الدلالة، لكن تغاير الألفاظ في السياق الواحد دالٌ على تغاير المعاني .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٤٤. [ذنوب ـ سيئات]

قَالَ تَعَالَى:{ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣} [سورة آل عمران:١٩٣]

---

١) وإن كان المراد بالأجْر جملة ما ذُكِر من المغفرة والجنات فهو مصدر من الفِعْل أَجَر يأجُر ، ينظر: لسان العرب، مادة (أجر) .

(٢) . ينظر: الكشاف للزمخشري (٤١٧/١) وتفسير أبي السعود (٨٧/٢) وفتوح الغيب للطيبي (٢٦١/٤) والتحرير والتنوير للطاهر (٩٥/٤)

(٣) . تفسير أبي زهرة (١٤١٧/٣)

(٤) . ينظر: تفسير الراغب (٢١٤/١) حيث قال رحمه الله :" (والأجر والجزاء والثواب يتقارب، لكن الأكثر في الجزاء أن يستعمل في المعاملة بين الأكفاء أو فيما يجري مجراه بضرب من التلطف والأجر فيما يعطى الرفيع من دونه والثواب فيما يرجع إلى الإنسان من نفع عن فعله)

(٥) . صحيح البخاري، باب صفة الجنة والنار، حديث رقم ٦٠٦٩

(٦) . ينظر: تفسير البيضاوي (٣٩/٢)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ذنوب) مصدر/جمع تكسير [و] فُعُول إلى (سيئات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَيْعِلَات، وذلك في سياق دعاء المؤمنين ربهم بمغفرة ذنوبهم جميعها وأن يختم لهم بخاتمة السعادة بأن يتوفاهم وهم أبرار سبَّاقون إلى الخيرات .

والعدول المعجمي من (ذنوبنا) إلى (سيئاتنا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى رغبة المؤمنين في تمام المغفرة ومحو أثر المعصية ولو صغرت، فالسيئات هي الصغائر [١] وتكفَّر بالطاعات واجتناب الكبائر .أما الذنوب فهي الكبائر لأنها يتبعُها العقاب إن لم تغفرْ، قال الراغب: "[الذنب] يستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء، ولهذا يسمّى الذَّنْبُ تبعة، اعتبارا لما يحصل من عاقبته " [٢]

الثاني: التنبيه على استقباح المؤمنين لما بدَرَ منهم من صغائر الذنوب، فقد سمِّيت الصغائر: سيئاتٍ؛ لاشتقاقها من الإساءة[٣]، ولم يصرَّح بأنها صغائر لئلا يُستَهَان بها، فأوثر اللفظ الدال على القبح[٤]؛ تنفيرًا منها وتحذيرًا من ارتكابها .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الشوكاني: " قيل: المراد بالذنوب هنا: الكبائر، وبالسيئات: الصغائر. والظاهر: عدم اختصاص أحد اللفظين بأحد الأمرين، والآخر بالآخر، بل يكون المعنى في الذنوب والسيئات واحدا ." [٥]، وقد استحسن الطاهر القول بأن السيئات قد جاءت تأكيدًا للذنوب [٦] .

---

(١) . ينظر: الكشاف للزمخشري (١/ ٤٥٥) ونظم الدرر (٥/١٥٩) وتفسير أبي السعود (٢/١٣٢)
(٢) . المفردات للراغب، مادة (ذنب)
(٣) . ينظر: تفسير المنار (٤/٢٤٨)
(٤) . ينظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٥٥)
(٥) . تفسير الشوكاني (١/٤٧١)
(٦) . ينظر: تفسير الطاهر (٤/٢٠٠)

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الجنس

في المطلبين السابقين تناول الباحث العدول من اسم الذات واسم المعنى إلى اسم الجنس، وسيكون الحديث في هذا المطلب عن بلاغة العدول المعجمي من المشتقات إلى اسم الجنس، وذلك في ثلاثة مسائل، على النحو التالي :

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الجنس

المسألة الثانية : بلاغة العدول المعجمي من اسمٍ بمعنى اسم المفعول إلى اسم الجنس .

المسألة الثالثة : بلاغة العدول المعجمي من اسم الآلة المشتق إلى اسم الجنس (اسم الآلة الجامد) .

وإليك تفصيل القول في هذه المسائل؛ ليتضح المغزى البلاغي للعدول في الشواهد المذكورة في هذا المطلب على المستويين : المعنوي واللفظي.

المسألة الأولى : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الجنس :

٤٥. [المقتسمين ـ عضين]

قَالَ تَعَالَى:{ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾} [سورة الحجر:٨٧-٩٣]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (المقتسمين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْتَعِلِين إلى (عضين) اسم جنس/ملحق بجمع المذكر السالم [و] فِعِين، وهو جمع (عِضَة) أي قِطعة أو جُزْء [1]. وذلك العدول ورد في سياق الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بإيتائه القرآن الكريم، ووعيد المشركين المكذبين الذين قذفوا القرآن بالباطل قائلين إنه شعر أو سحر .

والعدول المعجمي من (المقتسمين) إلى (عضين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التشنيع على أهل الكتاب الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعضٍ، والذم الشديد للمشركين القائلين أنه سحرٌ أو شعر أو أساطير الأولين، وما أشبه ذلك، بغرض النيل من القرآن والطعن فيه وإبطال حججه، قال أبو السعود: " والتعبيرُ عن تجزئة القرآن بالتعضية التي هي تفريقُ الأعضاء من ذي الروح المستلزمُ لإزالة حياتِه وإبطالِ اسمِه دون مطلق التجزئةِ والتفريق اللذَيْن ربما يوجدان فيما لا يضره التبعيضُ من المِثليات للتنصيص على كمالِ قبحِ ما فعلوه بالقرآن العظيم وقيل هي

(١) . ينظر: لسان العرب، مادة (عضه، عضو) .

فِعلة من عضهتُه إذا بهتُّه وعن عكرِمةَ العضه السحرُ بلسان قريشٍ فنقصانها على الأول واو وعلى الثاني هاء ." [1] ففي التعبير بلفظ (عضين) تنبيه على كون القرآن الكريم قد بلغ الكمال في جميع آياته وأن الكفر بآية منه كفرٌ به جميعًا، فكله حق ويقين .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاث:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر: " واعلم أن معنى المقتسمين على الوجه المختار المقتسمون القرآن. وهذا هو معنى جعلوا القرآن عضين، فكان ثاني الوصفين بيانا لأولهما وإنما اختلفت العبارتان للتفنن. ."[2]

ثانيهما: مناسبة فواصل السورة، فقوله: (عضين) يناسب كثيرا من فواصل السورة من الناحية المقطعية والحرف الأخير نحو (المبين، اليقين ...) أما لو قيل (أقسامًا) لما وافق أية فاصلة فيها .

ثالثهما: المناسبة اللفظية للمعنى، وبيانه أن لفظ (عضين) من فرائد القرآن الغريبة ولم ترد إلا مرة واحدة،[3] وقد جاءت في موقف التشنيع على الذين يجعلون القرآن أقسامًا حسبما أرادوا فيقولون أنه سحر أو شعر، وتلك الأكاذيب التي ادعوْها أمر غريبٌ منهم إذ عرفوا أنه ليس فيه تمويه السحرة وطلاسمهم وليس هو على أوزان أشعارهم، فما قالوا ما قالوه إلا عنادًا ومكابرةً، **فجاءت غرابة اللفظ أشد ملاءمةً لغرابة هذا التقسيم الباطل،** قال الرافعي: " والعربُ يعرفون هذا الضربَ من الكلام، وله نظائرُ في لغتهم، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سبقت له بلفظها وهيئة منطقها، فكأن في تأليف حروف معنى حسياً، وفي تألف أصواتها معنى مثله في النفس." [4]

والجدير بالذكر أن لفظ (عضين) يحتوي على الضاد المفخم فهذا يشير إلى أن الجور في هذا التقسيم لا مزيد عليه .

٤٦. [أصحاب الكهف ـ الفتية]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾} [سورة الكهف:٩-١٠]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (أصحاب) اسم فاعل/جمع تكسير [و] أفْعَال، مفرده (صاحب) إلى (الفتية) اسم ذات/جمع تكسير [و] فِعْلَة، وذلك في سياق بيان قصتهم للذين يسألون عن عجائب ما فيها، وتذكيرهم أن قصة أهل الكهف وإن كانت عجيبة ففي آيات الله ما هو أعجب كخلق السموات والأرض، وفي ذلك لفت لعقول السائلين عن الاشتغال بعجائب القصص إلى أن الأولى لهم الاتعاظ بما فيها من العبر، فأهل الكهف لإيمانهم بالله قد فروا من قومهم الكافرين إلى ذلك الشق المتسع في الجبل؛ حتى لا يفتنوا في دينهم في ذلك الوقت الذي شاع فيه الكفر وعم الضلال،

(١) . تفسير أبي السعود (٩٢/٥)
(٢) . التحرير والتنوير (٨٧/١٤)
(٣) . المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٥٧٠
(٤) . إعجاز القرآن، للرافعي ص ١٥٨ .

فأكرمهم الله تعالى بأن ألقى عليهم نوما بقوا فيه مدة طويلة ثم أيقظهم فأراهم انقراض الذين كانوا يخافونهم على دينهم وبعد أن أيقنوا بذلك أعاد نومتهم الخارقة للعادة فأبقاهم أحياء إلى أمد يعلمه الله أو أماتهم وحفظ أجسادهم من البلى كرامة لهم.(١)

والعدول المعجمي من (أصحاب الكهف) إلى (الفتية) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المدح والتعظيم، فالفتية: جمع قلة لفتى، وهو الشاب المكتمل، " وذكرهم بهذا الوصف للإيماء إلى ما فيه من اكتمال خلق الرجولية المعبر عنه بالفتوة الجامع لمعنى سداد الرأي، وثبات الجأش، والدفاع عن الحق، ولذلك عدل عن الإضمار فلم يقل: إذ أووا إلى الكهف. "(٢)

الثاني: الإشارة إلى أنهم أتراب متقاربو السن، وذلك ما يدل عليه لفظ الفتية كما قال الطاهر (٣) فالفتى: الشاب المكتمل، كما أن جمع القلة جيء به " لبيان أنهم شبان ليسوا بكثيري العدد " (٤) وقد رجَّح ابن كثير أنهم سبعة وثامنهم كلبهم؛ اعتمادا على تضعيف القولين الأولين بقوله . عز شأنه: " رجما بالغيب " والسكوت على القول الثالث وإقراره وأيد ابن كثير ذلك بما ورد عن ابن عباس في أنه يعلم عددهم وأنهم سبعة .(٥)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المسألة الثانية : بلاغة العدول المعجمي من اسمٍ بمعنى اسم المفعول إلى اسم الجنس :

٤٧. [الرسول ـ عبد]

قَالَ تَعَالَىٰ: {۞ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١} [سورة الأنفال:٤١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الرسول) فَعُول بمعنى (مَفْعُول) وهو من أوحي إليه وأُمِرَ بالتبليغ (٦) **إلى (عبد) اسم ذات [و] فَعْل، والمراد باللفظين محمد عليه الصلاة والسلام**، وقد ورد ذلك العدول في سياق بيان تقسيم الغنائم وأنها تقسَّم إلى خمسة أخماس: أربعةٍ للفاتحين، وخُمُسٍ لله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، وذهب جمهور العلماء إلى أن المقصود بإيتاء لفظ الجلالة في قوله: " فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ": التبرك والتعظيم والحض على إخلاص النية عند القسمة وعلى الامتثال والطاعة له– سبحانه– وليس المقصود أن يقسم الخمس على ستة منها الله– تعالى–، فإنه– سبحانه– له الدنيا والآخرة، وله ما في السموات وما في الأرض وما بينهما، وعليه يكون خمس الغنيمة مقسما على خمسة أقسام: للرسول، ولذي القربى (وهم بنو هاشم وبنو المطلب)، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل.

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٠ . ٢٦١)
(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٦)
(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٢٦٦)
(٤) . نظم الدرر (١٢/ ١٧)
(٥) . ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٦ . ١٤٧)
(٦) . ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم ص ٢٠٧ .

وقد كان النبي ﷺ في حياته يتصرَّف في خُمُسِهِ كيف يشاء، لكن بعد وفاته ﷺ يكون سهْمه لمن يلي الأمر من بعده أو يصرف في مصالح المسلمين .(١)

وفي الآية الكريمة تذكيرٌ للناس بما أنزله على عبده ورسوله ﷺ من الآيات والملائكة والنصر في يوم بدْرٍ الذي فرَّق الله ﷻ فيه بين الحق والباطل إذ التقى الجمعان: جمعُ المؤمنين وجمع الكافرين، وتحقق النصر بفضل الله للمؤمنين .(٢)

والعدول المعجمي من (الرسول) إلى (عبدنا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن الرسول ﷺ قد بلغ إلى أعلَى معارج العبادة لله ﷻ وفيه تشريف عظيم له ﷺ (٣) فمقام العبودية لله- تعالى- هو أشرف صفات المخلوقين وأعظمها وأجلها، إذ لو كان هناك وصف أعظم منه لعبر به، فقد جاء هذا الوصف في القرآن الكريم في مقام التحدِّي بمعجزة القرآن ومقام الإسراء والدعوة إلى الله؛ تشريفًا للنبي ﷺ، وقد كان ﷺ يجتهد في عبادة ربه ﷻ ويقوم الليل حتى تتفطّر قدماه ويقول: أفلا أكون عبدًا شكورًا (٤) . قال القسطلاني: " وتخصيص العبد بالذكر مشعر بغاية الإكرام والقرب من الله تعالى ." (٥)

الثاني: الإيذان بأن شأنَ الرسولِ أن يكون عبداً للمرسِل لا كما زعمت النَّصارى في حقِّ عيسى عليه السلام (٦)، وقد قال عليه السلام: " {إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾} [سورة **مريم**:٣٠] فنطق بالحق المبين مقررًا عبوديته الخالصة لله ﷻ رادًّا على مَنْ يدعي رُبوبيته عليه السلام .

ومناسبة هذا الوصف الكريم لمحمد ﷺ في هذا المقام الإعلام بأنه عليه السلام لا يقسِّم تلك الغنائم إلا وفقَ ما أمرَه به مولاه ﷻ، فهو ﷺ عبْدٌ يبذلُ قصارَى جهدِه في رضا ربه، لا يبتغي عرضًا زائلًا من الدنيا، ولا يختصُّ نفسَه بشيءٍ دونَ عامة المسلمين، بل كان ﷺ يأخذ حاجة أهلِه من سَهْمِهِ من الغنائم ثم يوزِّع الباقي لليتامى والمساكين ومصالح الأمة الإسلامية .

الثالث: الإشارة إلى أن نصرَ المؤمنين في بدرٍ رغمَ قلة عددهم وعتادهم، إنما هو فضلٌ من الله تعالى، ليتمكَّن الناس من **عبودية الله** ﷻ بإعلاء كلمة الإسلام ونصرة أهله واستئصال أهل الكفر الذين يصدُّون عن سبيل الله .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: التفسير الوسيط للطنطاوي (٦/ ٩٩)
(٢) . ينظر: محاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٩٩)
(٣) . ينظر: تفسير أبي السعود **(٥/ ٢٠٢)**
(٤) . صحيح البخاري، حديث رقم (١١٣٠)
(٥) . إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري (٢/ ٣١٤)
(٦) . ينظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢٠٢)

٤٨. [رسل ـ عباد]

قَالَ تَعَالَى:{قَالَتۡ لَهُمۡ رُسُلُهُمۡ إِن نَّحۡنُ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأۡتِيَكُم بِسُلۡطَٰنٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١١} [سورة إبراهيم:١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رسل) جمع تكسير [و] فُعُل وهو جمع لرسول (فَعُول) بمعنى (مَفْعُول) إلى (عباد) اسم ذات/جمع تكسير [و] فِعَال، وذلك العدول في سياق احتجاج المرسلين على أقوامهم وتبيين أن المماثلة في البشرية لا توجب المساوة التامة في الصفات والفضائل والكمالات، وأن الله هو الذي اختصهم بالنبوة وآتاهم من البراهين النيرة والحجج القاطعة ما يدل على صدقهم وأنهم يفردون الله بالتوكل في كل شئونهم .

والعدول المعجمي من (رسلهم) إلى (عباده) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار تواضع المرسلين، واعترافهم بالعبودية لله تعالى، فلم يقولوا: " ولكن الله يمن على من يشاء من رسله " تبرئة لأنفسهم من أن يعتقدوا أن لهم فضلا على الناس إلا ما اختصهم اللَّه تعالى به من النبوة، وفي ذلك استنزال لطائر نفورهم تذكيرا لهم بأنهم منهم فلا يريدون لهم إلا خيرا .

قال البقاعي: " لم يصرحوا بما تميزوا به من وصف النبوة، ولم يخصوا أنفسهم بمنّ الله بل أدرجوها في عموم من شاء الله، كل ذلك تواضعاً منهم واعترافاً بالعبودية ." (١)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

وهذا العدول في هذه السورة المكية يوضح لين الخطاب الإسلامي في دعوة المخالف ورفقه في المعاملة والمجادلة بالتي هي أحسن لإرساء معالم الدين القيم، فالنبي صلى الله عليه وسلم ضرب أروع الأمثلة في الرفق ولين الخطاب؛ لاستمالة قلوب الناس إلى توحيد الله والاستسلام لأوامره، قَالَ تَعَالَى:{ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ} [سورة آل عمران:١٥٩]

المسألة الثالثة : العدول المعجمي من اسم الآلة المشتق إلى اسم الآلة الجامد :

٤٩. [السقاية ـ صواع]

(١) . نظم الدرر للبقاعي (٣٩٥/١٠)

قَالَ تَعَالَى: {فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾} [سورة يوسف:٧٠–٧٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (السقاية) اسم آلة مشتق [و] الفِعَالة، إلى (صواع) اسم آلة جامد [و] فُعَال، وذلك العدول في سياق ذكر حيلة يوسف عليه السلام في استبقاء أخيه عنده حيث جعل السقاية. وهي الإناء الذي كان يشرب فيه الملك ويكيل به الطعام. في رحل أخيه فلما انطلقوا ذاهبين، {أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ} ولعل هذا المؤذن، لم يعلم بحقيقة الحال، فأقبلوا لينفوا التهمة عن أنفسهم لكن استخرجت السقاية من رحل أخيه وكان الحكم أن يستبقيه عنده وتم ليوسف مراده بتدبير الله ومشيئته .

والعدول المعجمي من (السقاية) إلى (صواع الملك) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم والاهتمام؛ فلفظ الصواع يدل على أنه مستعمل في الكيل، وهم في أشد الحاجة إليه، ليكيلوا به، فكان ذكره تأكيدًا لقطع العذر في تركه، فلو قيل: سقاية الملك، لرُدَّ عليهم أنها سقاية ليست هي بالقيمة العظيمة التي تستدعِي ذلك التأذين واتهام الأبرياء، فالملك عنده من السقايات الكثير في العادة؛ فسَمَّوْها بالصواع؛ تفخيمًا لأمرها وإبرازًا لشدة الحاجة إليها وتلميحًا بعقوبة السارق إذ تعدَّى على خصوصيات الملك، والذي يؤكد ذلك ما ورَد في بعض التفاسير أن الصواع صيغَ من ذهبٍ أو فضة (١)، فهو ليس إناءً عاديًّا لذلك جعلوا لمن جاء به حمل بعيرٍ ولا يكون ذلك إلا لنفاسته، وكان يوسف عليه السلام يستعملها في الكيل وفي الشراب؛ حِفاظًا على مال الدولة من الضياع والإسراف فهو القائل عن نفسه: {إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾} [سورة يوسف:٥٥] .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة اللفظية للمعنى، فالمقام يستدعي الغلظة في الخطاب لأن هذا المؤذن كان يظن أن هؤلاء القوم سارقون فاستعمل اللفظ القوي (صواع)، فالصاد صوت صفيري مفخم مطبق والواو والعين من الأصوات المجهورة فالكلمة تشعر بقوتها وشدة جرسها بما يتناسب مع شدة الموقف والتعنيف للمخاطبين.

---

(١) . ينظر: تفسير ابن جرير (١٦/١٧٢) و تفسير ابن كثير (٤/٤٠٠)

الفصل الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى والاسم المبهم

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى أو الاسم المبهم

قد سبق التنبيه على أن الاسم ينقسم إلى اسم ذات واسم معنى أو وصف لهما، وتبيَّن أن أسماء المعاني يراد بها المصادر كالعِلْمِ والجَهْل، أما الاسم المبهم " فهو الذي لا يدل على المعنى إلا بوسيلة، فيحتاج إلى تعيينه إلى ضميمة من الوصف أو الإضافة أو التمييز، ومن ذلك : الأعداد والموازين والمقاييس والجهات والأوقات " ([1]) .

وفي هذا الفصل يقوم الباحث بدراسة العدول المعجمي إلى اسم المعنى وإلى الاسم المبهم؛ كاشفًا عن الأغراض البلاغية لهذا الفن العدولي، وقد جاء هذا الفصلُ في مبحثين :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الاسم المبهم .

أما عن الأغراض البلاغية للعدول إلى اسم المعنى والاسم المبهم فأبرز الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، والمبالغة، والتعميم، والإعلام، والامتنان والحث والتهكم .

وأبرز الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل، والمناسبة اللفظية للمعنى .

١ . ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، للدكتور: تمام حسان، ط: دار الثقافة، ١٩٩٤م، ص ٩٦، ٩٧ .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى

في هذا المبحث سوف يكون الكلام عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من الاسم إلى اسم المعنى، وذكر الباحث آنفًا أن اسم المعنى يرادُ به المصدر، ويضاف إلى ذلك اسم المصدر، وهو " ما ساوَى المصدر في الدلالة على معناه، وخالفه بخلوِّه لفظًا أو تقديرًا من بعض حروف عاملِه(الفعل أو غيره) دون تعويض شيء "نحو : عاون عَوْنًا، توضَّأ وُضوءًا، وأعطَى عطاءً، ومصادر " عاون" و" توضّأ " و" أعطى " هي : " معاونة " و "توَضُّؤ " و" إعطاء " [1].

وتبعًا إلى نوع الاسم المعدول عنه ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم المعنى .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم المعنى .

المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم المعنى .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم المعنى

اسم الذات أو اسم العَيْن هو ما دل على شيءٍ محسوس قائم بنفسه يُدرَك بإحدى الحواس، مثل : رجل وحصان وبيت، ويقابله اسمُ المعنى[2]، وقد يكون عَلَمًا أو اسم جنسٍ، وعلى هذا الأساس سيكون الكلام عن مسألتين :

أ . بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم المعنى .

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس والعَلَم إلى اسم المعنى .

أ ـ بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم المعنى (المصدر) :

٥٠. [آية ـ نعمة]

قَالَ تَعَالَىٰ:{سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢١١} [سورة البقرة:٢١١]

١ . موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(١٢٨/٢ . ١٢٩)

٢ . موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(١١٠/٢)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آية) اسم ذات [و] فَعَلَة إلى (نعمة) مصدَر سمَاعِي [و] فِعْلَة وذلك العدول قد جاء في سياق أمر الرسول صلى الله عليهم أن يسأل بني إسرائيل سؤال تقريع وتوبيخ وتقرير لهم على ما آتاهم الله من الآيات البينات (١) على يد نبي الله موسى ﷺ، وبيان عدم انتفاعهم بها لإصرارهم على المخالفة والعناد .

والعدول المعجمي من (آية) إلى (نعمة) له اغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ ترهيبًا من كفران أي نعمة من نعم اللهِ، فنعمة الله هنا عامة تشمل نعمه الظاهرة والباطنة؛ فتشمل نعمة الصحة، ونعمة المال، ونعمة الجاه، كما تشمل نعمة العقل، ونعمة الهداية بإرسال الرسل وإقامة الأدلة على رسالتهم، فمن بدل تلك النعم كُفرًا فقد عرَّض نفسه للعقوبة الشديدة .(٢)

وفي هذا التعميم دليلٌ على تمادي بني إسرائيل في جحود النعم المتوالية عليهم وانصرافهم عن شكر المحسن إليهم بها فلذلك وُعِدُوا أشدَّ العقاب، وفي ذلك تسلية للرسول ﷺ إذ لم يؤمنوا بما جاء به من الآيات البينات، وإعلامه ﷺ بأن الكفران فيهم عادةٌ فلا يحزن عليهم فمصيرهم إلى الله ذي القوة والجبروت .

الثاني: الإيذان بأن أفضل نعمةٍ في الوجود تلك الآيات الدالة على وحدانية الله وصدق رسله؛" لأنها أسباب الهدى والنجاة من الضلالة." (٣) فسُمِّيَتْ آيةُ الله نِعْمَةً؛ حَثًّا على شكرهَا وطاعة مُسْدِيها وتعظيم مَنْ أُرْسِلَ بها ﷺ .

قال الطاهر: " وإنما أثبت للآيات أنها نعم لأنها إن كانت دلائل صدق الرسول فكونها نعما لأن دلائل الصدق هي التي تهدي الناس إلى قبول دعوة الرسول عن بصيرة لمن لم يكن اتبعه، وتزيد اللذين اتبعوه رسوخ إيمان ... وبذلك التصديق يحصل تلقي الشرع الذي فيه صلاح الدنيا والآخرة وتلك نعمة عاجلة وآجلة، وإن كانت الآيات الكلام الدال على البشارة بالرسول فهي نعمة عليهم، لأنها قصد بها تنوير سبيل الهداية لهم عند بعثة الرسول لئلا يترددوا في صدقه بعد انطباق العلامات التي ائتمنوا على حفظها." (٤)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥١. [آية ـ الحق]

قَالَ تَعَالَى:{وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤﴾ فَقَدْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنۢبَٰٓؤُا۟ مَا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾} [سورة الأنعام:٤ــ٥]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (آية) اسم ذات [و] فَعَلَة، (آيات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] فَعَلَات إلى (الحق) مصدر سماعِي [و] الفَعْل، وذلك في سياق التشنيع على مشركي مكة الذين تولَّوا عن الرسول ﷺ وانصرفوا عن دعوته وكذبوا ما جاء به من الآيات البينات، وفي الآية الثانية وعيد شديد على استهزائهم المقرون بالتكذيب، فإتيان الأنباء كناية عن حلول العذاب من جرَّاءِ ما فعلوا .

والعدول المعجمي من (آية / آيات) إلى (الحق) له أغراض بلاغية منها:

(١) . ينظر: تفسير أبي حيان (٣٤٧/٢)
(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٦٥٧/٢)
(٣) . ينظر: تفسير أبي حيان (٣٥٠/٢)
(٤) . التحرير والتنوير (٢٩٢/٢)

الأول: إظهار قبح ما فعل المشركون؛ " فإن تكذيب الحق مما لا يتصور صدوره " [١] ففيه تشنيع عليهم إذ كذَّبوا بما لا يمكن تكذيبه أصْلًا من غير أن يتدبروا ما فيه من الشواهد النيِّرة الدالة على صدقه .

الثاني: التنبيه على أن آيات القرآن الكريم حقٌّ فرميها بالسحرِ بهتانٌ عظيم [٢]، وإنما رمَوْها بالسحر لما لها من التأثير العجيب في نفس كل من سمعها لولا سطوة العناد والمكابرة، فآيات القرآن قد بلغت ذروة البلاغة التي يعجز الخلق عن مجاراتها، وفي ذلك خير شاهدٍ على أنها منزلةٌ من لدُن حكيم خبيرٍ .

الثالث: إغاظة الكافرين بإعلامهم بثبوت تلك الآياتِ وثباتها إلى قيام الساعة، وهذا بيان بأن الله ناصرٌ دينَه ومظهره على الدين كله لقوة حججه وسمو مقاصده، قَالَ تَعَالَى:{وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٤٠} [سورة التوبة:٤٠]؛ فالحق لغة: " المَوْجُودُ الثابِتُ الذي لا يَسُوغُ إِنْكارُه والصِّدقُ في الحَدِيثِ " [٣] فمعناه يقتضي الثباتَ والثبوت كليهما .

الرابع: التعميم؛ تعديدًا لقبائح المشركين، فهم لم يكذبوا آيات القرآن فحسب بل كذبوا محمدًا صلى الله عليه وسلم والمعجزات الخارقة للعادة التي جاءت تصديقًا لنبوته كانشقاق القمر، ولفظ الحق يشمل ذلك كله، والدليل على ذلك ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ إِذَا تَهَجَّدَ مِنَ اللَّيْلِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَقَوْلُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الحَقُّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» [٤] فقول الله حق ويشمل آياته البينة والنبيون حق ومنهم محمد ﷺ.

الخامس: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة الصوتية للمعنى؛ فلفظ (الحق) اشتمل على صوت القاف المشدد، وهو حرف مفخم مجهور شديد، والتفخيم فيه يشير إلى تفخيم المعنى ويؤذن بعظم تلك الآيات وينوِّه بشرفها، والجهر والشدة فيها إشارة إلى قوة هذا الدين وسطوع بيانه وقوة حججه .

٥٢. [الماء ـ أمر الله]

قَالَ تَعَالَى:{وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ٤٢ قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ ٱلْمَآءِۚ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ٤٣} [سورة هود:٤٢-٤٣]

---

(١) . تفسير أبي السعود : (١٠٩/٣)

(٢) . ينظر : التحرير والتنوير : (١٣/٢٦)

(٣) . ينظر: تاج العروس، مادة (حقق) .

(٤) . صحيح البخاري (٧٤٩٩)، وصحيح مسلم (٧٦٩) .

في الآية الثانية عدول معجمي من (الماء) اسم جنس إفرادي [و] الفعْل إلى (أمر) مصدر سماعي [و] فعْل، وذلك العدول أتى في سياق مخاطبة نوح عليه السلام لابنه ودعوته له أن يركب السفينة مع المؤمنين وأصرَّ الابن على الكفر وادعى أن الجبل يأويه وينجيه ونوح. عليه السلام. يبين له خطأه العظيم في ذلك وأنه لا منجا من الله إلا إليه وقد كان مصير هذا الابن الضال الهلاك بالغرق كسائر الكافرين .

والعدول المعجمي من (الماء) إلى (أمر الله) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التفخيم لشأن الماء والتهويل لأمره والتنبيه على خطأ الابن في تسميته (ماءً) [(١)] فهو ليس كسائر المياه التي يمكن الهرب منها، بل هذا الماء أنزله الله عقوبة للكافرين فلا مهربَ منه إطلاقًا، والقرآن الكريم يصور ذلك المشهد المفزِع حين أرادَ إغراقهم تصويرًا دقيقًا، قَالَ تَعَالَى:{۞كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟ عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾} [سورة القمر:٩–١٤] فالسماء تفتحت أبوابًا من الأمطار الغزيرة والأرض كلها كأنها صارت عيونًا تتفجَّر، فاجتمع ماء السماء بماء العيون وعمَّ كل شيءٍ فأغرقه إلا السفينة وما فيها .

الثاني: التعليل للنفي في قوله تعالى: {لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ}، فإن أمر الله لا يغالب وعذابه لا يُرَدُّ [(٢)]، قَالَ تَعَالَى:{إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾} [سورة النحل:٤٠] قال الراغب: " عبّر عنه بأقصر لفظة، وأبلغ ما يتقدّم فيه فيما بيننا بفعل الشيء، وعلى ذلك قوله: وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ [القمر/ ٥٠]، فعبّر عن سرعة إيجاده بأسرع ما يدركه وهمنا. " [(٣)]

الثالث: التعميم؛ زيادةً في الترهيب من عذاب الله، والمعنى لا عاصم من عذاب الله سواءً أكان بالطوفان أو بغيره فإن الله لا يعجزه شيء فإن لم يمت هذا الابن العاصي بالغرق مات بغيره، فلو قيل: لا عاصم اليوم من الماء لكان المعنى خاصًّا به .

(١). ينظر: تفسير أبي السعود (٢١١/٤)
(٢) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢١١/٤)
(٣) . المفردات في غريب القرآن، مادة (أمر) .

الرابع: التمهيد لحصر العصمة في جناب الله ـ تعالى ـ بالاستثناء، كأنه قيل: لا عاصم اليوم من أمر الله إلا هو [(١)]، فكان ذكر اسم الجلالة مؤذِنًا بهذا المعنى، وهذا مبني على كون (مَنْ) بدلًا من موضعِ (عاصم) في محل رفع، أي: لا عاصمَ من أمر الله إلا الراحمُ ـ عز جارُه .

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ب) بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس والعلَم إلى اسم المعنى .

٥٣. [الكتاب/قرآن ـ الذكر]

قَالَ تَعَالَىٰ:{الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ كَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٥﴾ وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾} [سورة الحجر:١-٩]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (الكتاب) اسم ذات [و] الفِعَال،(قرآن) اسم ذات/علَم [و] فُعْلَان إلى (الذكر) مصدر سماعي [و] الفِعْل، والمراد به القرآن الكريم واستعمال المصدر للمبالغة، وذلك العدول ورد في سياق بيان عظمة القرآن الكريم وانصراف الكافرين عن هداه واستهزائهم بالنبي عليه الصلاة وأزكى التسليم .

والعدول المعجمي من (الكتاب/قرآن) إلى (الذكر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهكم، " والمعنى إنك لتقول قول المجانين حين تدعي أن الله تعالى نزل عليك الذكر، أي القرآن." [(٢)]، فالقرآن شرف وفخرٌ للأمة كما قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ} [سورة الزخرف:٤٤]، فوصفهم الكتاب المنزل بهذا الوصف التشريفي إنما هو من قبيل الاستهزاء والتهكم بالرسول الكريم .

الثاني: الإشارة إلى تعجبهم من كثرة اشتغاله عليه السلام بتلاوته على الناس حتى صار يذكر به، لأنه عليه السلام يذكر الله في كل أحواله امتثالًا لقوله تَعَالَىٰ:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾} [سورة الأحزاب:٤١] .

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (٤/٢١١)

(٢) . تفسير البيضاوي : (٣/ ٢٠٧)

الثالث: التنبيه على أن المشركين يعرفون علو طبقة هذا القرآن عن سائر كلامهم وأنه سيكون له شان كبير ويذيع صيته بين الناس لبلاغته وسمو معانيه، وفصاحة ألفاظه، لكنهم وصفوا المصطفى بالجنون كما وصفوه بالسحر والكهانة من أجل صدِّ الناس عن كتابه العظيم .قَالَ تَعَالَىٰ:{وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴿٢٦﴾} [سورة فصلت:٢٦] قال الطاهر :" من شأن دعاة الضلال والباطل أن يكموا أفواه الناطقين بالحق والحجة، بما يستطيعون من تخويف وتسويل، وترهيب وترغيب ولا يدعوا الناس يتجادلون بالحجة ويتراجعون بالأدلة لأنهم يوقنون أن حجة خصومهم أنهض، فهم يستروها ويدافعوها لا بمثلها ولكن بأساليب من البهتان والتضليل، فإذا أعيتهم الحيل ورأوا بوارق الحق تخفق خشوا أن يعم نورها الناس الذين فيهم بقية من خير ورشد عدلوا إلى لغو الكلام ونفخوا في أبواق اللغو والجعجعة لعلهم يغلبون بذلك على حجج الحق ويغمرون الكلام القول الصالح باللغو، وكذلك شأن هؤلاء." (١)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم المعنى

سوف يتناول هذا المطلب التوجيه البلاغي للعدول المعجمي بين أسماء المعاني : المصادر وأسماء المصادر، وعلى هذا فإن الكلام يكون عن مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى المصدر .

ب) بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم المصدر .

أ) بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى المصدر .

٥٤. [الباطل ـ الإثم]

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٨﴾} [سورة البقرة:١٨٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الباطل) مصدر سماعي [و] الفَاعِل، وهو نقيض الحقّ، إلى (الإثم) مصدر سماعي [و] الفِعْل، وذلك العدول قد جاء في سياق النهي عن أكل أموال الناس بالباطل؛ لأن فعل شديدُ الشناعة جامع لمحرمات كثيرة كالإغارة والميسر وغصب القوي مالَ الضعيف وأكل أموال اليتامى والربا والمقامرة، وهذه الأفعال مما اعتادَ عليها أهل الجاهلية تتنافَى مع روح الإسلام الآمر بالعدل والإحسان إلى الناس .(٢)

والعدول المعجمي من (الباطل) غلى (الإثم) له أغراض بلاغية منها:

---

(١) . التحرير والتنوير: (٢٤/ ٢٧٧)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٢/١٨٧ ـ ١٩٠)

الأول: الإيذان بأنَّ أكل المال بالباطل ظلمٌ وتعدٍّ لا يقرُّه الإسلام ويمنعه أشدَّ المنع، فالإثم من معانيه: الظلم والتعدِّي كما صرَّح بذلك ابن عطية وقال: " وسمي ذلك إثما لما كان الإثم معنى يتعلق بفاعله ." (١) أي إن عقوبة ذلك الفعل الشنيع لا تقع إلا على صاحبه وسوف يثقَّل بأوزاره يوم القيامة على رءوس الأشهاد، روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: " من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين ." (٢)

الثاني: الإنذار من العقوبات العاجلة لمن يتجرءون على ظلم الناس وأكل أموالهم بغير حقٍّ، فهؤلاء سيحرمون أنفسهم من الخيرات ويستوجبون حلول النقم وزوال النعم، فالتعبير عن ذلك الفعل بالإثم الذي أصل معناه: الْبُطْءُ وَالتَّأَخُّرُ(٣) يشير إلى تباطؤهم عن الخيرات مع ولَعِهم في ظلم الناس وسلب أموالهم ففيه ذمٌّ لهم، كما يدل معنى هذا اللفظ إلى أن ارتكابهم هذا المنكر يتسبّبُ عنه الخذلان وتأخُّر نزول الخير عليهم أو حرمانهم منه .

قال ابن عرفة: "وجعل الإثم على هذا كأنه السبب في ذلك الفعل تقبيحا له وتنفيرا منه. " . (٤)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥٥. [فتح ـ نصيب]

قَالَ تَعَالَى: {ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمۡ فَإِن كَانَ لَكُمۡ فَتۡحٞ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡ وَإِن كَانَ لِلۡكَٰفِرِينَ نَصِيبٞ قَالُوٓاْ أَلَمۡ نَسۡتَحۡوِذۡ عَلَيۡكُمۡ وَنَمۡنَعۡكُم مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۚ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَلَن يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لِلۡكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ سَبِيلًا ١٤١} [سورة النساء:١٤١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (فَتْح) مصدر سماعي [و] فَعْل، إلى (نصيب) مصدر [و] فَعِيل وذلك في سياق بيان خبث المنافقين الذين ينتظرون الحرب بين المسلمين والكافرين، فإن كان النصر للمسلمين قالوا: نحن معكم لنا حظ في الغنيمة وإن كان للكافرين نصيب من النصر قالوا لهم: كنا نؤيدكم بقوتنا ولولانا ما انتصرتم على المؤمنين .

والعدول المعجمي من (فتح) إلى (نصيب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التحقير لنصر الكافرين (٥)، فلم يقل أن انتصارهم فتح، ولكنه قدر من النصر قلَّ أو كثر، ولا يمكن أن يكون فتحا؛ لأنه لَا ينصر الباطل نصرا دائما، ولا يكون للكافرين نصيب من النصر إلا في غفلة من المسلمين كما في أُحد، ويدوم بمقدار الغفلة، فإن كانت اليقظة كان فتح الله للمؤمنين.(٦)

أما تسمية نصر المؤمنين فتحًا لأنه " لأنه انتصار دائم "(٧)" والفتح فصل بين الحق والباطل، ولأنه من وراء نصر المؤمنين فتح الطريق لكي يدرك الناس الإسلام، ويدخل فيه من أراد ."(٨)

---

(١) . ينظر: تفسير ابن عطية (٢٦٠/١)

(٢) . صحيح البخاري، حديث رقم (٣١٩٥)

(٣) . ينظر: مقاييس اللغة لابن فارس، مادة (أثم)

(٤) . تفسير ابن عرفة (٢/ ٥٥٥) .

(٥) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٤٥/٢) ونظم الدرر (٤٤٠/٥)والتحرير والتنوير (٢٣٧/٥)

(٦) . ينظر: تفسير أبي زهرة (١٩١٤/٤)

(٧) . التحرير والتنوير (٢٣٧/٥)

(٨) . تفسير أبي زهرة (١٩١٣/٤)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥٦. [ميثاق - إصر]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾} [سورة آل عمران:٨١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ميثاق) مصدر ميمي [و] مِفْعَال (١) **إلى (إِصْر) مصدر سماعي [و] فِعْل**، وذلك في سياق تعديد تقرير الأشياء المعروفة عند أهل الكتاب مما يدل على نبوة محمد ﷺ قطعا لعذرهم وإظهارا لعنادهم ومن جملتها ما ذكره الله ﷻ في هذه الآية وهو أنه تعالى أخذ الميثاق من الأنبياء الذين آتاهم الكتاب والحكمة بأنهم كلما جاءهم رسول مصدق لما معهم آمنوا به ونصروه، وأخبر أنهم قبلوا ذلك فالله تعالى أوجب على جميع الأنبياء الإيمان بكل رسول جاء مصدقا لما معهم (٢)، ومحمد ﷺ قد جاء بذلك، فكان الواجب على أهل الكتاب أن يؤمنوا به ويصدقوه .

والعدول المعجمي من (ميثاق) إلى (إصري) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التنويه برسالة النبي ﷺ (٣) وأن ما اشتملت عليه من الهدى والنور موجبٌ لقبوله وأخذه بمزيد من العناية والتعظيم والامتثال، فذلك العهد المذكور في الآية الكريمة هو تصديق ما جاء به النبي ﷺ ونصرته وتعليمه للأمم من بعدهم، فالإصر: العهد المؤكد، ومنه الإصار الذي يعقد به (٤)، فهو يشير إلى وجوب انعقاد القلب على ما اشتمل عليه من عقائد التوحيد التي يتفق عليها جميع الرسل .

الثاني: الإيذان بأن الالتزام بالشرائع الإلهية ثقيلٌ على أكثر الناس، والعهد قد سُمِّي إِصْرًا لما فيه من الثقل (٥)، وذلك يوضح سبب انصراف النفوس الخبيثة عن اتباع منهاج الأنبياء لأنها تنزع إلى الإطلاق عن أي قيودٍ، وهذا موجود في سائر الأزمنة كما في عصرنا الحاضر فهناك من يتمسكون بمسمَّى الحرية ويدَعون التعاليم الدينية، لأنها لا تتوافق مع أهواءَهم وشهواتهم، وذلك من الضلال المبين .

الثالث: التنبيه على علوّ همة الأنبياء عن سائر الأتباع فقد جاءت كلمة الإصر في مقام التشديد على الأمم بالتزام ذلك العهد الموثق المؤكد، فهمتهم غير همة الأنبياء في قبول ما عاهدهم الله عليه والتزامه، فجانب التقصير منهم حاصل ولابد، فاحتيج إلى المبالغة والتشديد والتأكيد على وجوب التمسك بعهد الله وميثاقه، فلذلك توعد من تهاون في ذلك فقال: {فَمَن

---

(١) . وهذا البناء من أبنية المصدر الميمي ولم يرد في كتب اللغويين، ومن أمثلته الواردة في القرآن الحكيم : ميزان، ميعاد، مقدار، ميقات . ينظر: المصدر في القرآن الكريم . رسالة دكتوراه للباحث : أبو سعيد محمد عبد المجيد وحيدي . الجامعة الأردنية . كلية الدراسات العليا . نوقشت ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م . ص ٢٠٠ .

(٢) . ينظر: تفسير الرازي (٢٧٤/٨)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٢٩٩/٣)

(٤) . ينظر : الكشاف للزمخشري (٣٨٠/١) تفسير الرازي (٢٧٨/٨) والتحرير والتنوير للطاهر (٣٠٠/٣) وتفسير البيضاوي (٢٦/٢)

(٥) . ينظر : نظم الدرر للبقاعي (٤٧١/٤)، وتفسير ابن كثير (٦٧/٢) وتفسير الرازي (١٢١/٧)وتفسير السمرقندي (٢٢٧/١)

تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة آل عمران:٨٢]، والمخاطب في ذلك الأتباع لا الأنبياء كما هو واضح، قال الرازي: (والمقصود أن الأنبياء بالغوا في إثبات هذا المعنى وتأكيده، فلم يقتصروا على أخذ الميثاق على الأمم، بل طالبوهم بالإقرار بالقول، وأكدوا ذلك بالإشهاد.) (1)

أما الميثاق فقد ورد ذكره مع النبيين لأنهم أكثر الناس تمسكا بعهود الله ومواثيقه، وجانب التقصير منهم غير حاصل لأنهم معصومون وهم أقدر الناس تحملا لأعباء الرسالة وتكاليفها . فالميثاق مأخوذ من الوثاق، وهو ما يشد به الأمر (٢) والإصر: ميثاق مؤَكّدٌ أيضًا، لكنه يزيدُ عنه معْنَى الثقل والشدة (٣) فاختير الأول مع الأنبياء لأن الشريعة الإلهية لا تثقل عليهم، وهذا يؤكِّد عدم وقوع الترادف في القرآن الكريم وإن كان موجودًا في اللغة، لأن ألفاظ القرآن كلها في الطبقة العليا من حيث تمام الدلالة ودقة التعبير .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥٧. [دين ـ ملة]

قَالَ تَعَالَىٰ: {قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾} [سورة الأنعام:١٦١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (دين) مصدر سماعي [و] فِعْل، إلى (ملة) مصدر سماعي [و] فِعْلَة، وذلك في سياق الأمر للنبي عليه السلام بإعلان أصول دينه وأنه على الحق المبين والدين القويم وأنه يتبع ملة إبراهيم الخليل من التوحيد وإخلاص الدين لله .

والعدول من (دينًا) إلى (ملة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن توحيد الله والاستسلام لأوامره هو الدين الذي كان عليه إبراهيم وسائر الأنبياء . عليهم السلام . نقل المناوي عن الزمخشري أن الملة لغويًّا هي: " الطريقة المسلوكة ومنه ملة إبراهيم خير الملل " (٤)، وملة إبراهيم قد سلكها جميع الأنبياء من بعده ولم يخالفه فيها منهم أحدٌ في الاعتقادات والأقوال والأفعال " صرح بذلك؛ رداً على الذين يدَّعُون أنَّهم على ملته عليه السَّلامُ من أهل مكةَ واليهود والمشركين "(٥) فدين الله واحدٌ وهو الإسلام وأصوله لا تختلف، إنما اختلاف التنوع في الشرائع فحسب .

---

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢٧٨/٨)
(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة (١٢٩٢/٣)
(٣) . ينظر: تفسير الرازي (١٢١/٧)
(٤)٤ . فيض القدير: (٩/١)
(٥) . تفسير أبي السعود) ٢٠٧/٣)

الثاني: التعظيم لإبراهيم عليه السلام والتنبيه على أنه كان متمسّكًا بأصول الشريعة وفروعها، والمصطفى ﷺ مثلُ ذلك، وهذا الوجه مبني على أن الملة " لا تستعمل إلّا في جملة الشّرائع دون آحادها "(١) والدين يقال لكل من الاعتقاد والقول والفعل أنه دين الله (٢) .

الثالث: التنبيه على كون إبراهيم ومحمد عليهما السلام لم يكونا بِدْعًا من الرسل بل جاءا بالهدى ودين الحق بإذن الله وتشريعه لهما، فالملة كما قال الراغب: " تقال ... اعتبارا بالشيء الذي شرعه الله." (٣) والسياق يؤكد ذلك المعنى، والملة قد تذكر ولا يراد بها شرع الله جاء في سورة يوسف قوله: {إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ } [سورة **يوسف**:٣٧] فملة هؤلاء القوم لم يأذن بها الله إذ فيها الكفر بالله وإنكار المعاد، فالذي ذكره الراغب ليس على إطلاقه .

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية؛ فقوله: " ملة إبراهيم حنيفا " أخف لفظًا وأحسن ائتلافًا مما لو قيل (دين إبراهيم حنيفًا) فتتابع الفتحتين في آخر لفظ (مِلَّةَ) يجعل اللسان ينتهي إلى الهمزة المكسورة في أول (إبراهيم) في عذوبةٍ وخفةٍ وحلاوة، قال الرافعي: " لو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان، فلا تعذُب ولا تُساغ ... فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان، واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذبَ شيء وأرقه، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة ." (٤)

٥٨. [ضياء ـ نور]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾} [سورة يونس:٥]

(١) . المفردات للراغب، مادة (ملل) .
(٢) . ينظر: فيض القدير: (٩/١) .
(٣) . المفردات للراغب، مادة (ملل) .
(٤) . إعجاز القرآن، للرافعي: (ص ١٥٦)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ضياء) مصدر سماعي [و] فِعَال إلى (نور) مصدر سماعي [1] **أو اسم ذات [و] فُعْل** [2]، وذلك العدول في سياق بيان مظاهرة القدرة الإلهية في الخلق والامتنان على **العباد** بخلق **النيّرين**: الشمس والقمر وما تحويه تلك المخلوقات من جليل الحكم والمصالح .

والعدول المعجمي من (ضياء) إلى (نورا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن نور القمر أضعف من نور الشمس وذلك من تمام النعمة على العباد فقد جعل الله نور القمر مناسبا للحاجة التي قد تعرض إلى طلب رؤية الأشياء في الليل ولذلك جعل نوره أضعف لينتفع به بقدر ضرورة المنتفع، فمن لم يضطر إلى الانتفاع به لا يشعر بنوره ولا يصرفه ذلك عن سكونه الذي جعل ظلام الليل لحصوله .[3]

فالضياء: النور الساطع القوي والنور: الشعاع، وهو أعم من الضياء، يصدق على الشعاع الضعيف والشعاع القوي، فقد جعل الله الشمس ضياء لانتفاع الناس بضيائها في مشاهدة ما تهمهم مشاهدته بما به قوام أعمال حياتهم في أوقات أشغالهم[4].

الثاني: الإشارة إلى أن نور القمر ليس ذاتيًا إنما هو ناتج من انعكاس ضوء الشمس، وهذا مبني على أن " ما بالذات ضوء وما بالعرض نور "[5] والتغاير في اللفظ أشار إلى الفرق في المعنى ووضح الدقة القرآنية العالية في التعبير وذلك يؤكد على أن هذا القرآن من عند الله الذي أتقن كل شيء سبحانه .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٥٩. [بال ـ خطب]

قال تعالى:{وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطۡبُكُنَّ إِذۡ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفۡسِهِۦۚ قُلۡنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمۡنَا عَلَيۡهِ مِن سُوٓءٖۚ قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾} [سورة يوسف: ٥٠–٥١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (بال) اسم مصدر [و] فَعْل [6]**إلى (خطب) مصدر** [7] **أو اسم بمعنى الحال والشأن** وذلك في سياق ذكر رغبة الملك في إحضار يوسف وإخراجه من السجن لكن يوسف عليه السلام لم يجب الداعي حتى تثبت براءته على الملأ فاستدعى الملك النساء اللاتي قطعن أيدهن ليعرف منهن أمر المراودة ويسمع منهن

---

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (نور) .

(٢) . الجدول في إعراب القرآن (٦٢/١) .

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٩٤/١١)

(٤) . ينظر: التحرير والتنوير (٩٤/١١)

(٥) . ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٠/٤)، وفتح القدير للشوكاني (٤٨٣/٢)، ونظم الدرر (٧٤/٩) وتفسير البيضاوي : (٤/٣)

(٦) . جاء في لسان العرب: البال : المبالاة، ينظر: مادة (بول) .

(٧) . ينظر: لسان العرب، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (خطب) .

تبرئة يوسف، وتبيَّن بذلك الحق ونسبت امرأة العزيز أمر المراودة لنفسها تبرئة لساحة الصديق وبيانًا لكمال نزاهته عليه السلام .

والعدول المعجمي من (بال) إلى (خطب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم لأمر المراودة والتشنيع على تلك النسوة بما فعلن مع يوسف، فسمَّاه (خطبًا)؛ لأن الخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب [(١)] وفيه إشارة إلى قبح هذا الفعل وسوء عاقبته وأن مثل هذه الأخبار مما يشيع ذكره كالنار في الهشيم، لذلك عرفت النساء خبر مراودة امرأة العزيز ليوسف. عليه السلام. **قَالَ تَعَالَى:**{ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾} [سورة **يوسف:٣٠**] ولفظ المدينة يدل على شيوع القول [(٢)] وظهوره، لأن المدينة: قرية متسعة الأطراف، والمراد بها مصر، وأوثرت عنها لانتشار الخبر في أرجائها .

والعدول غرضه حث النسوة لتبيين حقيقة الأمر فوصفه بالخطب؛ تعظيما وإلماحًا إلى هؤلاء النسوة بأن أمرهن لم يخف على أحد وهذا أدعى أن يخبرن بالحقيقة ولا يحدن عنها، وفيه إيذان بأن الملك على علم بما كان من أمر النسوة وامرأة العزيز، فالاستفهام ليس لطلب الفهم هنا بل يراد به الحث على إبراز الحقيقة منهن تأكيدا لبراءة ساحة يوسف ." وفي هذا دليل على أن السعي في براءة العرض حسن، بل واجب ."[(٣)]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة اللفظية للمعنى، وهي المسماة بائتلاف اللفظ مع المعنى فلفظ (خطب) لفظ يمتاز بالجزالة يتناسب مع الموقف أيَّما تناسبٍ فالملك ينكر على النسوة تلك الفعلة القبيحة ويهوِّل من أمرها فالسياق أشبه بمحاكمة فاصلة فتحتاج إلى اللفظ القوي الحاسم، فاختير (الخطب) لذلك إذ يشتمل على الخاء والطاء المفخمين والباء الشديدة لتصور صرامة الملك ووضوحه في استخبارهن عن أمر المراودة، كما أن قلقلة الطاء تشير إلى الاضطراب والزعزعة لأن الموقف عصيب للنساء أن يخبرن عن أنفسهن بذلك الأمر الجلل أمام الملك .

أما إيثار لفظ (بال) أولا لأن معناه: الأمر المهم، وأهم شيء يرغب فيه يوسف هو تبرئته مما اتهم به، كما لم يسمِّه (خطبًا)؛ استنزالًا لطائر نفور الملك من سؤال النسوة في هذا الأمر، وأنه لا يريد من ذلك تشديد النكير عليهن في هذا الموقف

(١) . تاج العروس، والمفردات، مادة (خطب) .
(٢) . ينظر تفسير أبي زهرة (٧/ ٣٨١٩)
(٣) . نظم الدرر (١٠/ ١١٦)

بل همُّه الأكبر إثبات كمال نزاهته، لذلك ذكر النساء اللاتي قطعن أيدهن ولم يصرح بامرأة العزيز؛" كرماً وحياء " (١) و"تسهيلا للكشف عن أمرها، لأن ذكرها مع مكانة زوجها من الملك ربما يصرف الملك عن الكشف رعيا للعزيز ."(٢)

ويري البقاعي " أن مادة (بال) واوية ويائية تدور على الخلطة المميلة المحيلة، كأن حقيقتها البلاء بمعنى الاختبار والامتحان والتجربة، والمخالطة بشيء يعرف منه خفي الأمر " (٣)، فالملك أمر بإحضارهن وتلك نوع مخالطةٍ وجعلهن يُمِلْن إلى جواب سؤاله وأحال كتمانهن إلى اعترافٍ وتصريح بالحقيقة، ففعل ما أراد يوسف وحصص الحق بذلك وهذا يدل على حكمة يوسف وإيجازه البديع .

٦٠. [رحمة ـ نعماء]

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَلَئِنۡ أَذَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِنَّا رَحۡمَةٗ ثُمَّ نَزَعۡنَٰهَا مِنۡهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ ﴿٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ نَعۡمَآءَ بَعۡدَ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ ﴿١٠﴾} [سورة هود:٩-١٠]

في الآيتين عدول المعجمي من (رحمة) مصدر سماعي [و] فَعْلَة إلى (نعماء) مصدر سماعي [و] فَعْلَاء، وذلك العدول قد ورد في سياق بيان طبيعة الإنسان، بأنه جاهل ظالم بأن الله إذا أذاقه منه رحمة كالصحة والرزق، والأولاد، ونحو ذلك، ثم نزعها منه، فإنه يستسلم لليأس، وينقاد للقنوط، فلا يرجو ثواب الله، ولا يخطر بباله أن الله سيردها أو مثلها، أو خيرا منها عليه، وأنه إذا أذاقه رحمة من بعد ضراء مسته، أنه يفرح ويبطر، ويظن أنه سيدوم له ذلك الخير ويصيبه الإعجاب بالنفس، والتكبر على الخلق، واحتقارهم وازدرائهم .(٤)

والعدول المعجمي من (رحمة) إلى (نعماء) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى استدراج الله لهذا الإنسان الذي يأس من رحمة الله وكفر نعمه بأنه يزيد في **إنعامه بحيث يظهر أثرها عليه فيصيبه** من جرَّاء ذلك الإعجاب بالنفس والتكبر على الخلق ثم ياه الله أخذ عزيز مقتدر، قَالَ تَعَالَىٰ:{فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ ﴿٤٤﴾} [سورة الأنعام:٤٤]

قال الرازي: " وأما النعماء فقال الواحدي: إنها إنعام يظهر أثره على صاحبه، والضراء مضرة يظهر أثرها على صاحبها، لأنها خرجت مخرج الأحوال الظاهرة نحو حمراء وعوراء، وهذا هو الفرق بين النعمة والنعماء، والمضرة والضراء."(٥)

الثاني: التنبيه على كون ذلك الإنعام عذابًا لصاحبه في الحقيقة، فلم يسمِّهِ (رحمة) وعدل إلى (نعماء) ليدل على أنها ابتلاء من الله وليست رحمة، قَالَ تَعَالَىٰ:{فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا

---

(١) . نظم الدرر (١٠/ ١١٥)
(٢) . التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٩)
(٣) . ينظر: نظم الدرر (١٠/ ١١٦ . ١٢٥)
(٤) . ملخص من تفسير السعدي ص ٣٧٨
(٥) . تفسير الرازي (١٧/ ٣٢٢)

وَتَزۡهَقَ أَنفُسُهُمۡ وَهُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾} [سورة التوبة:٥٥]، " قال بعض السلف يعذبهم بجمعها وتزهق أنفسهم بحبها وهم كافرون بمنع حق الله فيها " (١) فتعذيبهم بها " هو الأمر المشاهد من تعذيب طلاب الدنيا ومحبيها ومؤثريها على الآخرة: بالحرص على تحصيلها والتعب العظيم في جمعها ومقاساة أنواع المشاق في ذلك فلا تجد أتعب ممن الدنيا أكبر همه وهو حريص بجهده على تحصيلها والعذاب هنا هو الألم والمشقة والنصب ." (٢)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاثة أوجه:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: مراعاة المناسبة اللفظية التامة لما بعدَ الكلمة المعدول إليها وهي مناسبة قائمة على الاتفاق في الوزن والبنية المقطعية والحرف الأخير، فوزن الكلمتين (نعماء . ضراء) هو (فَعْلَاء) والحرف الأخير هو (الهمزة) والبنية المقطعية كالتالي:

نعماء ــ نَعْ . ما . ءَ ـــــ ص ح ص . ص ح ح . ص ح

ضراء ــ ضَرْ . را . ءَ ـــــ ص ح ص . ص ح ح . ص ح

ثالثها: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ (نعماء) ذو المد المتصل يشير إلى طول فترة الإنعام والإمداد يناسبه المد فكلاهما زيادة ويتناسب المد أيضًا مع معنى الصيغة الدالة ظهور الوصف واتضاحه كما تبيَّن من كلام الواحدي المذكور آنفًا، والمد المشبع يزيد المعنى اتضاحًا وتمكينًا في النفس، وذلك من بلاغة القرآن وفصاحته العالية .

٦١. **[خير ـ فضل]**

قَالَ تَعَالَى:{وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾} [سورة يونس:١٠٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (خير) مصدر سماعي [و] فَعْل إلى (فضل) مصدر سماعي [و] فَعْل، وذلك في سياق بيان أن الله بيده جلب المنافع ودفع المضار لا يملك ذلك إلا هو سبحانه .

والعدول المعجمي من (خير) إلى (فضله) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن الله تعالى هو المنعم بالخير على عباده بطريق التفضل من غير استحقاقٍ عليه سبحانه (٣)، وفي ذلك تعريض بأن الأصنام لا تقدر على شيء من ذلك البتة، والمراد من ذلك التنفير من عبادتها وتسفيه أحلام العرب الذين يعكفون عليها وهي لا تملك لهم نفعًا ولا ضرًّا .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: عدة الصابرين لابن القيم ص ١٩٠

(٢) . ينظر: إغاثة اللهفان لابن القيم ص ٣٦

(٣) . ينظر: تفسير أبي السعود (٤/ ١٨٠)، وتفسير البيضاوي (٣/٦٣) والتحرير والتنوير (١١/ ٣٠٦)، وفتوح الغيب (٧/٥٨٥).

٦٢. [ملة ـ أهواء]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾} [سورة البقرة:١٢٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ملة) مصدر سماعي [و] فِعْلَة إلى (أهواء) مصدر سماعي/جمع تكسير [و] أفْعَال، وجاء ذلك العدول في سياق تيئيس النبي ﷺ من إيمان أهل الكتاب بدينه واتباع قبلته؛ " لأنهم يختارون الدِّين، والقبلة؛ بهوى أَنفسهم ." (١) وفي الآية بيان أن الهدى الكامل في القرآن الكريم لا ما حرَّفوه من كتبهم .

والعدول المعجمي من (ملتهم) إلى (أهواءهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن أهل الكتاب غيَّرُوا ما شرعه الله ﷻ تغييرًا أخرجوه به عن موضوعه (٢)، فلم تعُدْ ملَّةً مشروعة بل محض أهواء اشتهتها أنفسهم فاتبَعُوها وذلك عينُ الضلال والانحراف عن الصراط السويّ، " والهوى: رأي عن شهوة داع إلى الضلال وسمي بذلك لأنه يهوي بصاحبه في الدنيا إلى كل داهية، وفي الآخرة إلى الهاوية، ولهذا سميت النارُ هاوية، ولشدة سلطانه وصفة الله بأنه إلهُ الكفار، فقال: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} "(٣) فهؤلاء ما عندهم ليس بدين يتبع، ولكنه أهواء باطلة وأوهام فاسدة .(٤)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٦٣. [وعد ـ عهد]

قَالَ تَعَالَىٰ: {۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾} [سورة التوبة:١١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (وعد) مصدر سماعي [و] فَعْل إلى (عهد) مصدر سماعي [و] فَعْل وذلك العدول جاء في سياق التأكيد على فضيلة الجهاد في سبيل الله وأنه سبب للفوز العظيم ودخول الجنة بوعد الله الحق .

والعدول المعجمي من (وعدًا) إلى (بعهده) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إظهار الوفاء بذلك العطاء الرباني للمجاهدين في سبيله، فسمَّاه وعدًا وعهْدًا، تأكيدًا لإنجازه للمؤمنين، قال في معجم الفروق اللغوية: " الفرق بين العهد والوعد: أن العهد ما كان من الوعد مقرونا بشرط نحو قولك إن فعلت كذا فعلت كذا ... والعهد يقتضي الوفاء والوعد يقتضي الإنجاز، ويقال نقض العهد وأخلف الوعد."(٥) فالتسمية بالعهد لأنه ذكر مع الوفاء به وكذلك هو مقرون بشرط: إن جاهدوا وقاتلوا وقتلوا فلهم الجنة، قال الراغب: " العَهْدُ: حفظ الشيء

---

(١) . ينظر: تفسير الطبراني (٥٥١/١)

(٢) . ينظر: نظم الدرر للبقاعي (١٤١/١)، وتفسير أبي السعود (١٥٣/١)، وتفسير الألوسي (٣٧٠/١)

(٣) . تفسير الراغب (٣٠٦/١)

(٤) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٣٨٩/١)

(٥) . معجم الفروق اللغوية ص ٣٧٩ .

ومراعاته حالا بعد حال ."(١) وقال أبو حيان: " ولما أكد الوعد بقوله: "عليه حقا " أبرزه هنا في صورة العهد الذي هو آكد وأوثق من الوعد، إذ الوعد في غير حق الله تعالى جائز إخلافه، والعهد لا يجوز إلا الوفاء به، إذ هو آكد من الوعد. " (٢)

وأما تسميته وعدًا، فلأنه ﷻ ينجزه لهم والله لا يخلف الميعاد، فهو من باب تعجيل البشارة للمؤمنين، " قَالَ سِيبَوَيْهِ: وَقَالُوا أَبِيعُكَهُ الساعةَ ناجزاً بناجِزٍ أَي مُعَجَّلًا ." (٣)، ومن التعجيل بالبشارة ما يكرَّم به المجاهد في سبيل الله فورَ قتْلِه ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه و سلم أنه قال: " للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر،ويحلى حلة الإيمان، ويزوج من الحور العين، ويشفع في سبعين إنسانا من أقاربه ." (٤)

الثاني: التعميم، حيث إن الوفاء بالعهد يتضمن الوفاء بالوعد والوعيد، لكن الوفاء بالوعيد مخصوص ببعض المذنبين في بعض الأحوال (٥)، فالله ﷻ قد يتجاوز عن المذنبين من أهل الملة برحمته، وقد يعذبهم بعدله، ويفعل الله ما يشاء وهو الحكيم العليم .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للكرار .

٦٤. [عهد . الميثاق]

قَالَ تَعَالَى:{۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾} [سورة الرعد:١٩-٢٠]

في الآية الثانية عدول معجمي من (عهد) مصدر سماعي من الفعل (عَهِد) أو اسم مصدر من الرباعي (عَاهَد) [و] فَعْل إلى (ميثاق) مصدر ميمي [و] مِفْعال، وذلك في سياق مدح الذين يؤمنون بالمعجزة القرآنية لكمال عقولهم ونفوذ بصائرهم وقد كانوا يتصفون بالوفاء بالعهد على الدوام، " والعهد: الإيمان بالله ﷻ وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وأن يطيعوه، ويتقوه."(٦)

والعدول المعجمي من (عهد) إلى (الميثاق) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، إذ إن المراد بالميثاق: كل وثَّقُوهُ على أنفسهم وقبلوه من المواثيق بينهم وبين الله من الإيمان به ﷻ والأحكام والنذور وبين العباد كالعقود ونحوها (٧) "فالتعريف في الميثاق يحمل على تعريف الجنس فيستغرق جميع المواثيق وبذلك يكون أعم من عهد الله فيشمل المواثيق الحاصلة بين الناس من عهود وأيمان " (٨) . وفي هذا التعميم تنبيه على فضيلة

---

(١) . المفردات، للراغب، مادة (عهد)
(٢) . البحر المحيط (٥/٥١٠)
(٣) . لسان العرب، مادة (نجز) .
(٤) . ينظر: صحيح ابن ماجة، للألباني حديث رقم (٢٢٥٧)
(٥) . ينظر: تفسير القرطبي (٨/٢٦٩)
(٦) . ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي طالب القيسي (٥/٣٧٢٤)
(٧) . ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/٥٢٥)
(٨) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (١٣/١٢٦)

المؤمنين بما أنزل على النبي ﷺ فإنهم قد ألزموا أنفسهم بطاعة الله ﷻ سواءً بما فرضه عليهم أو ما ألزموا به أنفسهم من أفعال البر والنذر بالطاعات والخيرات (١)، فلذلك استحقوا مزيدًا من العناية والتكريم .

الثاني: التعظيم لعهد الله، وذلك من الإظهار في موضع الإضمار؛ تنبيهًا على فضيلة التمسك بالمواثيق الإلهية والإيذان بأن الوفاء بالعهد أمر مستحسن في العقول والشرائع فيجب الالتزام به وربط القلب عليه، فلفظ: العهد مشعرٌ بالتعهُّد وكمال العناية به، ولفظ (الميثاق) يدلُّ على إحكام التمسُّك به، فيكون العدول إليه، موفيًا للمعنى على أكمل وجه، وتعدد الأسامي تدل على أن المسمَّى سامٍ .

الثالث: الإشارة إلى أن المؤمنين لا يخالفون مقتضى العقل، قال البقاعي: " الميثاق: العقد المحكم وهو الأوامر والنواهي المؤكدة بحكم العقل . " [٢] لذلك وصفوا في الآية السابقة بأنهم أولو الألباب، ومن كمال عقولهم: أنهم يجمعون بين ما يطلبه النقل الصحيح من الأوامر والنواهي وما يستحسنه العقل الصحيح من الكمالات والفضائل .

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر: " والميثاق والعهد مترادفان." (٣)

ثانيهما: مراعاة بعض فواصل السورة، إذ لو قيل: " ولا ينقضون العهد " لم يوافق أي فاصلةٍ فيها مقطعيًّا، لكن فاصلة (الميثاق) تتوافق مقطعيًّا مع (الميعاد) ورويًّا مع (واق) من فواصل السورة الكريمة .

ثالثها: مراعاة المناسبة المعنوية واللفظية، فلفظ (الميثاق) لاشتماله على الفتحة الطويلة، والقاف المفخمة في آخره والتي تقلقلُ في حالة الوقف، كل ذلك يؤذن بعظم ذلك العهد وخطورة نقضهِ .

٦٥. [أسف ـ الحزن ـ بث]

قَالَ تَعَالَىٰ: { وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾} [سورة يوسف:٨٤-٨٦]

---

(١) . ينظر: تفسير الرازي (٣٣/١٩)

(٢) . نظم الدرر للبقاعي (٣٢٩/١٠)

(٣) . التحرير والتنوير (١٢٦/١٣)

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (أسف) مصدر سماعي [و] فَعَل إلى (الحزن) مصدر سماعي [و] الفُعْل ومنه إلى (بث) مصدر سماعي [و] فَعْل، وذلك في سياق إظهار يعقوب عليه السلام حزنَه الشديد على يوسف الصديق وأخيه .

والعدول المعجمي من (يا أسفى) إلى (الحزن / بثي) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إظهار شدة الألم النفسي الذي أصاب يعقوب عليه السلام بعد فراق يوسف عليه السلام، وأصل الحُزْن كما قال الراغب: ": حشونة في الأرض وخشونة في النفس لما يحصل فيه من الغمّ ." [1] ففي لفظ الحزن دلالة على قسوة ما حل به وأنه شيء لا يُحْتَمل مما أدى إلى ضعف قواه وإصابته بابيضاض عينيه وأشرف على الهلاك فقد أذابه الشوق والحنين إلى يوسف وأخيه حتى عاتبه أبناؤه على ذلك حتى {قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾} [سورة يوسف:٨٥] .

وقوله (كظيم) يظهر الصبر الجميل ليعقوب عليه السلام، ويؤكد شدة حزنه وغمه وغيظه، فالكظيم هو الممتلئ حزنا [2]، ومع ذلك نجد أن ما في قلبه من الحزن لشديد والبلاء المتفاقم لفقده حبيبيه لا يظهره ولا يبديه بل لا يبث شكواه إلا إلى ربه توكلا عليه وإيمانا بقضائه وقدره، ولا يلام نبي الله يعقوب على هذه الشكوى لأنها لم تكن إلا إلى الله (إنما أشكوا بثي وحزني إلى الله)، فهذا لا يقدح في رضا العبد؛ فالحزن على فقد الأحبة مما جبلت عليه النفوس وهو غير واقع تحت التكليف، إنما يحاسب المرء على ما يتبع ذلك مما يدل على الجزع والسخط كشق الجيوب ولطم الخدود .

أما العدول إلى (بثي) فللمبالغة في إظهار الحزن أيضًا، وفيه إيذان بأنه مهموم عليهما لانشغال تفكيره عليه السلام بأمرهما وخوفه من أن يصيبهما أي سوء، وهذا مبني على أن البث هو الهم الشديد، وبه قال الطاهر [3] .

وفي (البث) معنى النشر والتفريق ومنه قوله تعالى: " وبث فيها من كل دابة " فيكون المعنى أن حزن يعقوب قد بلغ المنتهى وأن مثله لا يصبر عليه بل يذاع وينشر، جاء في لسان العرب: " البَثُّ فِي الأَصل شدَّة الحُزْن، والمرضُ الشديدُ، كأَنه مِنْ شدَته يَبُثُّه صاحبه."[4]

وهكذا نجد الآيات الكريمة جاءت بالألفاظ الدالة على الحزن لتأكيد تلك الحالة النفسية التي مر بها يعقوب عليه السلام، وهي ألفاظ قريبة في معناها إلا أن كل لفظة جاءت بمعنى زائد على أختها، فهو شديد الحزن والحسرة على فقد ولديه

---

(١) . المفردات للراغب، مادة (حزن) .
(٢) . ينظر: تفسير مكي أبي طالب (٣٦١٨/٥)
(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٤٥/١٣)
(٤) . لسان العرب، مادة (بثث) .

الحبيبين، "فالأسف: شدة الحزن " [1]، وقد كثر بكاؤه وضعف بصره من قسوة ذلك على فؤاده " فالحزن من الخشونة " [2]، وقد امتلأ قلبه حزنا فهو "كظيم لا يبث ما في فؤاده من الغم " [3] الذي لا يصبر عليه أحد، فكل لفظ جاء في موضعه في غاية الدقة والبلاغة .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة بين الصوت والمعنى، فالألفاظ المذكورة (الأسف، الحزن . البث) تشترك في كونها تشتمل على أصوات مهموسة (السين والفاء والحاء والثاء) و" الهمس في اللغة: الخفاء، وفي الاصطلاح: ضعف التصويت بالحرف لضعف الاعتماد عليه في المخرج حتى جرى النفس معه فكان فيه همس أي خفاء " [4] وذلك يوحي بالوهن الذي أصاب يعقوب من الحزن على يوسف وأخيه ورغبته في أن يُخفف عنه ذلك الألم، وكأن شيوع تلك الأصوات المهموسة الضعيفة فيه إشارة إلى أنه يكاد يلفظ آخر أنفاسه من شدة ما يعانيه، أما الهمزة والحاء فهما صوتيان حلقيان يعكسان آلام النفس التي فاضت من أعماق الفؤاد المكلوم .

٦٦. [أعمال ـ سعي ـ صنع]

قَالَ تَعَالَى:{قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾} [سورة **الكهف**:١٠٣ــ١٠٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أعَمَالا) مصدر سماعي/جمع تكسير [و] أفْعَالا، إلى (سَعْي) مصدر سماعي [و] فَعْل، ومنه إلى (صُنْعا) مصدر سماعي [و] فُعْلا، وذلك في سياق التحذير من جحود الآيات القرآنية والآيات العيانية، الدالة على وجوب الإيمان بالله، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر، وأن هذا الجحود مبطلٌ للأعمال يوم القيامة .

وقد اختلف أهل العلم فيمن المراد بهذه الآية على قولين:

الأول: أنهم اليهود والنصارى؛ لأنهم كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم ولم يؤمنوا بما جاء به، وقال بذلك سعد بن أبي وقاص كما ورد في صحيح البخاري [5]

(١) . ينظر: تفسير الطبري (٢١٥/١٦) وتفسير أبي السعود (٣٠١/٤)

(٢) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (حزن) .

(٣) . ينظر: تفسير مكي أبي طالب (٣٦١٨/٥)

(٤) . هداية القاري إلى تجويد كلام الباري (٧٩/١)

(٥) . صحيح البخاري، حديث (٤٧٢٨)

الثاني: أنهم الخوارج الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه، وهو قول علي بن أبي طالب والضحاك [1] ونقله ابن كثير وقال. رحمه الله: " ومعنى هذا عن علي، رضي الله عنه: أن هذه الآية الكريمة تشمل الحرورية كما تشمل اليهود والنصارى وغيرهم، لا أنها نزلت في هؤلاء على الخصوص ولا هؤلاء بل هي أعم من هذا؛ فإن هذه الآية مكية قبل خطاب اليهود والنصارى وقبل وجود الخوارج بالكلية، وإنما هي عامة في كل من عبد الله على غير طريقة مرضية يحسب أنه مصيب فيها، وأن عمله مقبول، وهو مخطئ، وعمله مردود ."[2]

والعدول المعجمي من (أعمالا) إلى (سعيهم) له أغراض بلاغية منها:

المبالغة في ذمّ الذين كفروا بآيات الله ولقائه، والإشارة إلى حرصهم الشديد على اكتساب الأعمال التي لا ترضي ربهم وإسراعهم في ذلك، وأنهم يستمرون على تلك المخالفات؛ مبالغة في العناد واستهانة بحدود الله .

فالسعي حقيقته: المشي القوي الحثيث ويطلق على شدة الحرص في العمل تشبيها للعامل الحريص بالماشي الشديد المشي في كونه يكد للوصول إلى غاية .[3]

قال أبو زهرة: " وقال: (سَعْيُهُمْ) ولم يقل " عملهم "، للإشارة إلى أن كل جهد يبذلونه يكون جهدا في ضلال فلا يكون فيه خيرا أبدا." [4]

والعدول المعجمي من (سعيهم) إلى (صُنْعًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على شدة اغترارهم بأعمالهم فهم يحسبون أن فعلهم في غاية الإحكام وتمام الإجادة، وهذا يؤكِّد كمال غفلتهم وانطماس بصائرهم فقد ألفوا انتهاك المحارم حتى استحلوها، فصار الكفر والضلال صنعتهم التي لا يحسنون غيرها .

والصنع: إجادة الفعل وإحكامه، فهو أخص من الفعل والعمل [5] ولا يقال للمرء صانعٌ إلا إذا أكثر من مزاولة الفعل حتى أحكمه، فالعدول يبين أن هؤلاء قد كثرت أفعالهم المنكرة حتى صارت فيهم عادة .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة الإيقاعية لبعض فواصل السورة نحو (سمعا، تسعا، زرعا) حيث إنها تتفق في البنية المقطعية وحرف الروي مع (صنعا)، ولم تبنِ أي فاصلة في سورة الكهف على روي الياء فعُدِل عن: " سعيا " إلى (صنعا) ليحصل مزيدٌ من التناسب الإيقاعي .

---

(١) . ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠١)

(٢) . تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠١)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (١٦/ ٤٦) (١٧/ ٢٩٥) (٢٧/ ١٣٢) (٣٠/ ٣٨٠).

(٤) . تفسير أبي زهرة (٩/٤٥٩٥)

(٥) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (صنع)، ونظم الدرر (١٢/١٤٧)، ومعجم الفروق اللغوية ص ٣٢٣

٦٧.   **[الخروج ـ انبعاث]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَـٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾} [سورة التوبة:٤٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الخروج) مصدر سماعي [و] الفُعُول إلى (انبعاث) مصدر خماسي [و] انْفِعَال، وذلك العدول جاء في سياق ذكر فضائح المنافقين وكشف أحوالهم حيث إنهم لا يرغبون في الجهاد حيث يرونه إيقاعًا في الهلكة ومسببًا للآلام الجسام، فقد كانوا يعتذرون بالمعاذير الكاذبة للتخلف عن الجهاد ولم يعدوا له عدة من السلاح ونحوه ورضوا أن يقعدوا مع الأطفال والمرضى والنساء .

والعدول المعجمي من (الخروج) إلى (انبعاثهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن خبث النوايا سببٌ للهزيمة، فقد كره الله ﷻ من المنافقين مقدمات الخروج أي: انبعاث القلب والعزم على الفعل (١)، فضلًا عن خروجهم، لما فيه من الفتنة والفساد العظيم، **قَالَ تَعَالَىٰ**:{ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾} [سورة التوبة:٤٧]

الثاني: التعريض بأهل الإيمان المخلصين الذين ينشطون إذا سمعوا داعيَ الجهاد في سبيل الله؛ إذ هو سببٌ لإعلاء كلمة الله ورفعة أهله . قال في تفسير المنار: " الانبعاث: مطاوع البعث وهو إثارة الإنسان ... وتوجيهه إلى الشيء بقوة ونشاط ".(٢)

ب) بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم المصدر :

٦٨.   **[العقاب ـ عذاب]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾} [سورة الأنفال:١٢-١٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (العِقَاب) مصدر سماعي من الرباعي (عاقب) [و] الفِعَال إلى (عَذَاب) اسم مصدر من الرباعي (عذَّب) [و] فَعَال، وذلك في سياق ذكر منة الله على عباده المؤمنين بنصرهم على أعدائهم في

(١) . ينظر: تفسير القاسمي (٤٢٧/٥)

(٢) . تفسير المنار (٤٠٧/١٠)

غزوة بدر، وأنه تعالى أوحى إلى الملائكة ليثبتوا الذين آمنوا في القتال ويعينوهم في إهلاك المشركين وأنه تعالى ألقى الرعب في قلوب الذين كفروا بالله وآياته حتى ضعفت قواهم وتمكَّن المسلمون منهم فانهزموا شرَّ هزيمةٍ .

والعدول المعجمي من (العقاب) إلى (عذاب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في الوعيد، والإيذان بأن للكافرين في الآخرة عذابًا لا يحيطه الوصف، لفظاعته، فالمغايرة بين اللفظين: العقاب والعذاب، فيها إشعارٌ باختلاف العقوبة؛ تنبيهًا على أن ما حصل لهم من عذاب الاستئصال على أيدي المؤمنين وتقطيع الرقاب والأطراف إنما هو شيء قليل بالمقارنة مع ما يلاقونه يوم القيامة من عذاب النار .

وفي التعبير عن عقابهم في الآخرة بأنه (عذابٌ) إشارة إلى خلودهم في النار، إذ العذاب هو الألم المستمر، قال البقاعي: " و«العذاب» إيلام لا إجهاز فيه ."(١) فيدل على طبيعة التنكيل بهم في النار وأنهم يذوقون أشد الألم بيدَ أنهم لا يفنُون به ليبقى الشعور المؤلم مستمرًّا، **قال تعالى:** {وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾} [سورة الأعلى:١١-١٣]

كما يشعر لفظ (عذاب) بحرمانهم من النعيم المعدُّ للمؤمنين إشارة إلى حسرات الندم التي يلاقونها عند معاينة العذاب الشديد، قال الزبيدي: " وعَذَّبَه تَعْذِيباً: مَنَعَه وفَطَمَه عَن الأَمْرِ "، فقد مُنِعوا من الجنة ونعيمها وحُجِبوا عن رؤية الله وحرموا حسن المعاملة، ولاقوا الذل والهوان بسبب كفرهم وفسوقهم .

وقيل: إن العذاب أصله الإعذاب وهمزته للإزالة، والمراد إزالة العذوبة ونعيم العيش، والنار فيها من الآلام البدنية والنفسية ما تقشعر من وصفه الجلود وترجف منه القلوب .

وأوثر التعبير بالعقاب أولًا؛ إشارةً إلى أنهم ليسوا في مقام المغالبة لله، بل إنهم في مقام من يؤدبون ويعاقبون، ويُردون خاسئين، وإن عقاب الدنيا والتنكيل بهم فيها، لكيلا يستشري الشر، ولكيلا يُغْروا بالمؤمنين، ولكيلا يكون على المؤمنين حرج، ولكي ينالوا جزاء ما فعلوا .(٢)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . نظم الدرر (١/ ٩٨)

(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٦/ ٣٠٨٢)

٦٩. **[أمرنا ـ عذاب]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَلَمَّا جَآءَ أَمۡرُنَا نَجَّيۡنَا هُودٗا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ بِرَحۡمَةٖ مِّنَّا وَنَجَّيۡنَٰهُم مِّنۡ عَذَابٍ غَلِيظٖ ﴿٥٨﴾} [سورة هود:٥٨]

في الآية عدول معجمي من (أمْر) مصدر سماعي [و] فعْل إلى (عَذَاب) اسم مصدر من الرباعي (عذَّب) [و] فعَال، وذلك العدول في سياق بيان منة الله على نبيه هود عليه السلام والذين آمنوا معه إذ نجاهم من العذاب في الدنيا ويوم القيامة .

والعدول المعجمي من (أمرنا) إلى (عذاب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار تمام المنة على هود والذين آمنوا معه إذ ينجيهم من العذاب الشديد يوم القيامة، وفي التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي (نجيناهم) دليل على تحقق ذلك وأنه واقعٌ لا محالة، قَالَ تَعَالَىٰ:{وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾} [سورة النساء:١٢٢]

الثاني: التهويل من عذاب المكذبين يوم القيامة، وهذا مستفادٌ من لفظ العذاب إذ أشار إلى أمرين:

أولهما: خلود الكافرين من قوم هود في نار جهنم، فالعذاب هو الألم المستمر [١]. وناسب وصف العذاب بغليظ وهو الخشن لأنهم كانوا في الدنيا مترفين فعوقبوا بضد ذلك وهو العذاب الشديد الخشن قَالَ تَعَالَىٰ:{فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا صَرۡصَرٗا فِيٓ أَيَّامٖ نَّحِسَاتٖ لِّنُذِيقَهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَعَذَابُ ٱلۡأٓخِرَةِ أَخۡزَىٰۖ وَهُمۡ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾} [سورة فصلت:١٦]

ثانيهما: حرمانهم من النعيم يوم القيامة وذلك يصيبهم بحسرة الفوت، فالعذاب " قيل إن أصله الإعذاب مصدر أعذب إذا أزال العذوبة لأن العذاب يزيل حلاوة العيش." [٢] والنار فيها العذاب بنوعيه: النفسي والبدني .

أما اختيار لفظ (الأمر) فلبيان فظاعة ما حل بالكافرين من العذاب، قال أبو السعود: " {ولما جاء أمرنا} أي نزل عذابُنا وفي التعبير عنه بالأمر مضافاً إلى ضميره جل جلاله وعن نزوله بالمجيء ما لا يَخفَى من التفخيم والتهويلِ ." [٣]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١). ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٧١

(٢). ينظر: التحرير والتنوير (١٢/ ١٠٤)

(٣). تفسير أبي السعود (٢١٩/٤)

٧٠. [رزق ـ أنعم]

قَالَ تَعَالَى:{وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا قَرۡيَةٗ كَانَتۡ ءَامِنَةٗ مُّطۡمَئِنَّةٗ يَأۡتِيهَا رِزۡقُهَا رَغَدٗا مِّن كُلِّ مَكَانٖ فَكَفَرَتۡ بِأَنۡعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ بِمَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [سورة النحل:١١٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رزق) مصدر سماعي أو اسم ذات بمعنى الشيء المرزوق (١) **[و] فِعْل إلى (أنعم) اسم مصدر من الرباعي (أنْعَم)** (٢)**/جمع تكسير لـ(نِعْمَة) [و] أَفْعُل**، وذلك العدول في سياق التهديد من كفران النعم وأنه موجب للعقوبة العاجلة من الخوف والجوع الشديدين، والقرية المذكورة في الآية هي مكة كان أهلُها آمِنِينَ لا يُهَاجُ أهلُها ولا يُغَارُ عليها، بخلافِ قُرَى سائرِ العرب، لأن العربَ كانت لا تقصدُ مكَّة بالإغارة احتراماً لِحَرَمِ اللهِ وكان الرزقُ وَاسِعاً على أهلِ مكَّة يُحمَلُ إليهم من البَرِّ والبحرِ فلما كذبُوا بمُحَمَّدٍ ﷺ وخالفوهُ، وكذبُوا بالقرآنِ بعدَ قيام الحجَّة عليهم عاقَبَهم اللهُ سبعَ سنين بالقَحْطِ، وخوَّفَهم من النبيِّ ﷺ ومن عساكرِه وسراياهُ. (٣)

والعدول المعجمي من (رزقها) إلى (أنعم الله) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التهديد من كفران أي نعمةٍ من نعم الله، فالرزق يطلق على الإنعام المتتابع (٤) كأرزاق الجند، والمراد هنا بيان خطورة جحود بعض نعمه وإن لم تكن متتابعة، كما يشير إليه جمع القلة (أنعم) بدلًا من (نِعَم)، قال أبو السعود: " إيثارُ جمعِ القلةِ للإيذان بأن كفرانَ نعمة قليلة حيث أوجب هذا العذابَ فما ظنك بكفران نِعمٍ كثيرة "(٥) .

ويؤيد هذا أن بعض المفسرين ذكر أنهم كفرهم بأنعم الله المراد به تكذيبهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (٦)، وهو عليه السلام أفضل النعم وأجلها إذ هدانا إلى توحيد الله وأخرجنا من الظلمات إلى النور .

الثاني: التعميم؛ تشنيعًا على أهل مكة إذ لم يشكروا نعمه الظاهرة والباطنة، فالأمن والطمأنينة من النعم الباطنة والرزق من النعم الظاهرة، فاجتمعت لهم أسباب التنعم الحسية والمعنوية، فقوله تعالى: " فكفرت بأنعم الله " إشارة إلى النوعين، لذلك عاقبها الله تعالى بنوعين من العقاب الحسى: الجوع والنفسي: الخوف، ولفظ (أذاقها) يشير إلى الباطن، و(لباس) يشير إلى الظاهر، قال القرطبي: " سماه لباسا لأنه **يظهر** عليهم من الهزال وشحوبة اللون وسوء الحال ما هو كاللباس." (٧)

فقد استعار الذوق لإدراك أثر الضر، واللباس لما غشيهم واشتمل عليهم من الجوع والخوف وأوقع الإذاقة عليه بالنظر إلى المستعار له .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) . الجدول في إعراب القرآن (٢/٤٣٤)
(٢) . المصدر في القرآن الكريم ص ١٦١ .
(٣) . ينظر: تفسير الطبراني (٤/٢٢١)
(٤) . ينظر: المفردات للراغب، مادة (رزق) .
(٥) . تفسير أبي السعود: (٥/١٤٥) وينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/٢٧٩)
(٦) . ينظر: تفسير الطبراني (٤/٢٢١)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦٠٨)
(٧) . تفسير القرطبي (١٠/ ١٩٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم المعنى

الاسم المشتق :" هو الاسم المعرب المأخوذ من الفعل(على رأي الكوفيين)، أو من المصدر(على رأي البصريين)" [1] ومن الأسماء المشتقة : اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول .

والعدول المعجمي من المشتق إلى المصدر قليل جدًّا في القرآن الكريم، وقد وجد الباحث شاهدًا واحدًا عليه في النصف الأول من القرآن الكريم، وكان العدول من اسم المفعول إلى المصدر الرباعي، وهو على النحو التالي :

٧١. **[معروف ـ إحسان]**

قَالَ تَعَالَى: {ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩} [سورة البقرة:٢٢٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (معروف) اسم مفعول [و] مَفْعُول إلى (إحسان) مصدر رباعي من (أحْسَن) [و] إفْعَال، وذلك العدول جاء في سياق بيان الطلاق الذي تبقى معه عصمة الزوجية أي الطلاق الرجعي وأن حدَّه تطليقتان، وقد كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يطلق الرجل زوجته بلا نهاية، فكان إذا أراد مضارتها، طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها، ثم طلقها وصنع بها مثل ذلك أبدا، فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم، فأخبر تعالى أن {الطَّلاقَ} أي: الذي تحصل به الرجعة {مَرَّتَانِ} ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها، ويراجع رأيه في هذه المدة .[2]

والعدول المعجمي من (معروف) إلى (إحسان) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على " أن من حقِّ المسرِّح أن يبذلَ ما يزيد على الإنصاف تنزُّهًا " [3] وهذا ما قاله الراغب في تفسيره معتمدًا على كون الإحسان أعم معنًى من المعروف؛ إذ يشمل المعروفَ وهو ما عرفه الناس في معاملاتهم من الحقوق التي قررتها العادات التي لا تنافي أحكام الإسلام، كما يشمل بذل المال؛ جبرًا لخاطر المطلقة لئلا يجتمع عليها من الرجل منعان: منع النفس وذات اليد، وفي هذا بيانٌ لعظم الشريعة الإسلامية ومبناها على الرفق في المعاملة واللين في القول والكرم في العطاء، وألا يذكرها بعد المفارقة بسوء ولا ينفر الناس عنها، والمطلقة أحوج ما تكون لهذه المعاني الطيبة .

الثاني: الإشارة إلى أن الشريعة مبناها على التيسير على الرجل والمرأة كليهما، فقد جعل الله ﷻ الإحسان الذي لا يتكرر مع المفارقة ببذل المال وهو أشق على النفوس من حسن العشرة كما جعل ﷻ المعروف مع الإمساك المقتضي لدوام العصمة إذ لا يضر تكرّره، وفي ذلك التشريع السامي رحمة للطرفين، وهذا الوجه ذكره ابن عرفة ونقله الطاهر عنه[4] .

---

(١)موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(١٢٨/٢)

(٢) . ينظر: تفسير السعدي ص ١٠٢

(٣) . ينظر: تفسير الراغب (٤٧٣/١) ونظم الدرر (٣٠٦/٣)وتفسير الرازي (٤٤٤/٦)

(٤) . ينظر: تفسير ابن عرفة (١/ ٢٧٧) والتحرير والتنوير (٤٠٧/٢)

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المبهم

ذكر الباحث في مقدمة الفصل الأول أن الاسم المبهم ما لا يدلُّ على المعنى إلا بوسيلة تعيِّنُه، ومن ذلك بعض الظروف، وأسماء الاستفهام، والأعداد، والموازين .

والعدول إلى الاسم المبهم قليلٌ في الذكر الحكيم، وقد ورد بين الظروف وأسماء الاستفهام، لذلك يتطلب توضيح هذا النوع العدولي أن يكون المبحث في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي بين الظروف .

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي بين أسماء الاستفهام .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي بين الظروف

ينقسم الظرف إلى نوعين :

أ) ظرف مكان، وهو يدل على مكان وقوع لحدث، نحو : عندَ وأمام وفوق.

ب) ظرف زمان، وهو يدل على زمان وقوع الحدث، نحو : يوم وأمس وليلًا .

والعدول المعجمي إلى الظرف في القرآن الكريم قليلٌ، وفيما يلي توضيح البلاغة القرآنية في العدول بين الظروف، وجاء ذلك في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي بين ظروف المكان .

ب) بلاغة العدول المعجمي بين ظروف الزمان .

أ) العدول المعجمي بين ظروف المكان :

٧٢. [عند ـ لدن]

قَالَ تَعَالَى:{فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾} [سورة الكهف:٦٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (عند) ظرف مكان إلى (لدن) ظرف مكان، وذلك في سياق قصة موسى مع الخضر عليهما السلام وذكر فضائل الخضر إذ هو من العِباد العُبَّاد اختصه الله بمزيدٍ من العناية واللطف والرحمة وسعة العلم، وقد ذهب إليه موسى لينهل من معينه ويقتبس من أنواره .

والعدول المعجمي من (عندنا) إلى (لدنا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن الخضر عليه السلام قد وهبه ربُّه علمًا غَيْبِيًّا خاصًا [1]، وذلك يستفاد من اللفظ المعدول إليه إذ إنه ظرفٌ مكان دالٌّ على غاية القرب، وهذا القرب تشريفي للخضر عليه السلام فما أوتيه من العلم لا يكون إلا للمصطفين من عباد الله . قال الشوكاني: (في قوله من لدنا تفخيم لشأن ذلك العلم، وتعظيم له.)[2]

وفي المعجم الوسيط: "(لدن) ظرف زماني ومكاني غير مُتَمَكن بِمَنْزِلَة عِنْد إِلَّا أَنه أقرب مَكَانا من عِنْد وأخص مِنْهُ فَإِن عِنْد تقع على الْمَكَان وَغَيره تَقول لي عِنْد فلَان مَال فِي ذمَّته وَلَا يُقَال ذَلِك فِي لدن وَلَا يسْتَعْمل إِلَّا فِي الْحَاضِر بِخِلَاف عِنْد يُقَال لدي مَال إِذا كَانَ حَاضرا ." [3]

قال البقاعي: " قال الأستاذ أبو الحسن الحرالي: «عند» في لسان العرب لما ظهر، و «لدن» لما بطن، فيكون المراد بالرحمة ما ظهر من كراماته، وبالعلم الباطن الخفي المعلوم قطعاً أنه خاص بحضرته سبحانه) . [4]

الثاني: التنبيه على كون العلم الذي أوتيه الخضر عليه السلام إنما يحوي في طياته أنواعًا من الرحمات واللطائف، يقول فاضل السامرائي: " لفظ (لدن) مشابه للفظ (اللدن) المأخوذ من اللدانة واللدونة. و(اللدن) اللين من كل شيء من عود، أو حبل، أو خلق، وامرأة لدنة، ريا الشباب ناعمة ." [5] فلفظ (لدن) يتميز عن (عند) في الاستعمال القرآني أنه لا يأتي إلا في مواقف الرحمة واللين والخير والحنان " فهي أبلغ من (عند) لأنها ألصق " [6] وعند النظر في قصة الخضر عليه السلام نجد علمه رحمةٌ وخير، فخرْق السفينة لإنجاء أهلها من الفقر بأن تبقى يصطادون بها ولا يأخذها الملك وهذا لطف بهؤلاء المساكين ورحمة بهم، وقتل الغلام لئلا يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا وفي ذلك الفعل من الخضر رحمة بالوالدين وإبقائهما مؤمنين وإبدالهما خيرًا منه زكاة وأقرب رحما، وبناء الجدار فيه رحمة بالطفلين اليتيمين في الحفاظ على كنزهما من الضياع فهما في قرية أهلها شديدو البخل يحرصون على المال أشد الحرص .

فتلك الرحمات التي تكتنف أفعال الخضر . عليه السلام . لأنها من موجبات العلم الخاص الذي اصطفاه الله به .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن تفاديا من إعادة الكلمة .[7]

ثانيهما: الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل، أرق وأعذب وأسلس إذ أن الآية تكرر فيها صوت العين في أوائل عبدا . عبادنا . عندنا . علمناه . علما) وقد وجد فاصل بين تلك الكلمات بكلمة أو أكثر لتخفيف وطأة التكرار فجاءت الآية في غاية الجمال الصوتي بدون ثقل، لكن لو لم يعدل إلى (لدنا) لحصل الثقل ولا بد، والذوق يبين ذلك للمتأمل .

---

(١) . ينظر: فتوح الغيب للطيبي (١٠/٨)

(٢). فتح القدير للشوكاني (٣٥٤/٤)

(٣). المعجم الوسيط، مادة (لدن).

(٤) .. نظم الدرر، للبقاعي (١٠٩/٢)

(٥) . معاني النحو: (٢/ ٢١٧) ولسان العرب مادة (لدن) .

(٦). ينظر: معاني النحو للسامرائي (٢/ ٢١٩)

(٧) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٦٩)

ب) بلاغة العدول المعجمي بين ظروف الزمان :

٧٣. [سنين ـ عام] [١]

قَالَ تَعَالَى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴿٤٩﴾} [سورة يوسف:٤٧ــ٤٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (سنين) ظرف/ملحق بجمع المذكر السالم أو جمع تكسير [و] فِعِين إلى (عام) ظرف [و] فَعْل، وذلك العدول ورد في سياق تأويل يوسف عليه السلام لرؤيا الملك وإعلامهم بالسنين العجاف التي ستأتيهم وأنه ينبغي عليهم أن يستعدوا لها بالمحاصيل الزراعية التي تكفيهم تلك الفترة العصيبة وتبشيرهم بزوال الغمة وعموم الخير بعد ذلك .

والعدول المعجمي من (سنين) إلى (عام) له أغراض بلاغية منها:

الأول: تعظيم البشارة، باختلاف الحال بين هذا العام وبين تلك السنين المجدبة، قال البقاعي: " والتعبير به [أي العام] دون مرادفاته إشارة إلى أنه يكون فيه – من السعة بعموم الريّ وظهور الخصب وغزير البركة – أمر عظيم، ولذا اتبعه بقوله: {فيه} ." [٢] إن هذا العام فيه تزول الهموم والكروب ونقص الأموال عن الناس، وينزل المطر النافع عليهم، فتخضر الأرض وتنبت من كل زوج بهيج، وفيه يعصرون من ثمار مزروعاتهم: الزيتون والأعناب ونحو ذلك .

الثاني: مراعاة أنفس المخاطبين بالبعد عن لفظ السنة الدال على القحط والجدب [٣]، قال الراغب: " العَامُ كالسّنة، لكن كثيرا ما تستعمل السّنة في الحول الذي يكون فيه الشّدّة أو الجدب. ولهذا يعبّر عن الجدب بالسّنة، والْعَامُ بما فيه الرّخاء والخصب ."[٤] وذلك مثل العدول في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا} [سورة العنكبوت:١٤] فذكر في مدة اللبث السنة وفي الانفصال عنهم العام للإشارة إلى أنه كان في شدائد في مدته كلها إلا خمسين عاما جاءه الفرج[٥] فيها وعم الخير بعد هلاك الكافرين .

---

(١) السنة أو العام تدلُّ على زمنٍ محدد، وهو اثنا عشر شهرًا، بخلاف الزمن المبهم، نحو: وقت وحين، لكن ليس لفظ(السنة أو العام) دالًّا على حدَثٍ؛ حتى يدرج ضمن اسم المعنى، وليس دالًّا على شيء محسوس فيكون اسمَ ذات، فلذلك أدرجه الباحث ضمن الاسم المبهم؛ تغليبًا، والله الموفِّق للصواب .

(٢) . نظم الدرر (١١٤/١٠)

(٣) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٨٣/٤)

(٤) . المفردات للراغب، مادة (عوم)

(٥) . ينظر: البرهان في علوم القرآن (٣/ ٣٨٦)

وفي الاستثناء تحقيق العددبخلاف الثاني فقد يطلق على ما يقرب منه .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما إيثار لفظ (سنين) أولا فلأنها أعوام كَدٍّ " واجتهادٍ " [1] وزراعة وحصاد،وذلك فيه مشقة وتعب " مستمر "[2] سبع سنين، كما في تلك المدة تضييق على النفس في المأكل ليتوفر لهم ما يجدونه في السنين المجدبة، وكل ذلك يناسبه لفظ (سنين) .

المطلب الثاني

العدول المعجمي بين أسماء الاستفهام

الاستفهام لغةً : الاستخبار،وفي الاصطلاح : طلب معرفة ما في ضمير المخاطب، ومن أدوات : مَنْ، ومتى، وأين، وكيفَ، وأنَّى [3].

وقد جاء العدول المعجمي بين أسماء الاستفهام بِقِلَّةٍ في النصف الأول من القرآن الكريم، ومن ذلك العدول من(كيف) إلى (أنَّى) وتوضيح ذلك على النحو التالي :

٧٤. [كيفَ . أنَّى]

قَالَ تَعَالَى: {مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾} [سورة المائدة:٧٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كيف) اسم استفهام [و] فَعْل إلى (أنى) اسم استفهام بمعنى كيف، وذلك العدول في سياق بيان أن عيسى عليه السلام رسولٌ عظيمٌ من الله مثل غيره من الرسل من قبله وأنه بشرٌ مثلنا يأكل الطعام ويحتاج إلى الغذاء والإله له الكمال المطلق ومنزَّه عن الأكل والحاجة، فالقول بإلهية عيسى عليه السلام قولٌ باطلٌ عارٍ عن التحقيق .

والعدول المعجمي من (كيف) إلى (أنى) له أغراض بلاغية منها:

---

(١) . ينظر: تفسير الطبراني (٤٥٣/٣)

(٢) . ينظر: تفسير الطاهر (٢٨٦/١٢)

(٣) ينظر: موسوعة علوم اللغة، لإميل بديع يعقوب(٥٤/٢)

الأول: توسيع الدلالة، وإرادة أكثر من معنى، فلفظ (أنى) له معنيان: (من أين)، و(كيف)(١)، قال فاضل السامرائي: " فبدل أن يكرر عدة تعبيرات لإفادة هذه المعاني جميعها جمعها بلفظ واحد ." (٢) والمعنى حينئذٍ: انظر يا محمد كيف نبين لهم العلامات في أمر عيسى أن لم يكن إلها ولا ابنا له ولا ثالث ثلاثة، {ثم انظر}: يا محمد، {أنى يؤفكون}: أي من أين يصرفون عن الحق الواضح إلى الباطل وكيف تجرءوا على ذلك . (٣)

الثاني: زيادة التعجيب من انصراف أهل الكتاب عن الحق المبين مما جاء في القرآن الكريم في شأن عيسى عليه السلام وأنه رسول وليس إلهًا، و(أنَّى) تمتاز عن (كيف) " بالقوة في الاستفهام وبناؤها اللغوي يوحي بذلك، فالتشديد، الذي فيها والمدة الطويلة التي في آخرها يرجحان ذلك، وقد لوحظ في كثير من الألفاظ في العربية أن بناءها اللغوي مشاكل لمعناها " (٤)، فاستعمل (كيف) مع تبيين الآيات وهو لا يحتاج إلى زيادة تأكيد؛ لأن حجج القرآن في هذا الموضوع في غاية البيان، إنما العجب العجاب في الانصراف عنها بعد اتضاحها إلى غيرها من الباطل .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الطاهر: " وأنى اسم استفهام يستعمل بمعنى من أين، ويستعمل بمعنى كيف. وهو هنا يجوز أن يكون بمعنى كيف (كما) في «الكشاف»، وعليه فإنما عدل عن إعادة كيف تفننا." (٥)

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٢٨٧/٦)
(٢) . معاني النحو (٢٥٥/٤)
(٣) . ينظر: تفسير الطبراني (١٧٥/٢)
(٤) . معاني النحو، للسامرائي (٢٥٥/٤)
(٥) . التحرير والتنوير (٢٨٧/٦)

الفصل الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المشتق

تتميز اللغة العربية بأنها لغة اشتقاقية، وهذا يعني أن هناك مادة لغوية معينة مثل (ك ت ب) يمكن تشكيلها على هيئات مختلفة كل هيئة منها لها وزن خاص ولها وظيفة خاصة كأن نقول مثلا : (كاتب) أو (مكْتُوب) أو (مَكْتَب)، وهذه العملية تعرف بالاشتقاق، والاشتقاق في العربية تضبطه قواعد ومقاييس قليلة لا تكاد تختلف .[١]

والمشتقات يمكن تعريف كل نوع منها على النحو التالي :

١. اسم الفاعل : هو اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف مَنْ قام بالفعل، نحو كلمة (كاتب) التي تدل على وصف الذي قام بالكتابة [٢].

٢. صيغ المبالغة : هي أسماء تشتق من الأفعال للدلالة على معنى اسم الفاعل مع تأكيد المعنى وتقويته والمبالغة فيه[٣]، نحو كلمة (حَمَّاد) التي تدل على وصف من قام بالحمد بكثرة وتكرار .

٣. الصفة المشبهة : هي اسم يصاغ من الفعل اللازم للدلالة على اسم الفاعل[٤] نحو : فَرِح وغَضبَان .

٤. اسم المفعول : هو اسم يشتق من الفعل المضارع المتعدي المبني للمجهول، وهو يدل على وصف مَنْ يقع عليه الفعل، نحو : مسئول ومكتوب . [٥]

٥. اسما الزمان والمكان : هما اسمان مصوغان لزمان وقوع الفعل أو مكانه، نحو : مسعَى ومجلِس ومستخرَج [٦].

٦. اسم الآلة وهو للدلالة على آلة حدوث الفعل، نحو : ميزان، ومِنْجَل، ومِسْطَرَة.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم يرد ذكرُه في الشواهد العدولية في القرآن الكريم، وقد ورد العدول من (السقاية) إلى (صواع) في سورة يوسف لكن لفظ (صواع) وإن كان اسم آلة إلا أنه جامد فألحقَه الباحث ضمن العدول المعجمي إلى اسم الذات .

٧. الاسم المنسوب : هو اسم يزاد في آخره ياء مشدَّدة مكسور ما قبلها تدلُّ على نسبته إلى الاسم المجرَّد منها،[٧] نحو : عربِيّ وإسلامِيّ .

والاسم المنسوب لا يدرج ضمن المشتقات في الدرس الصرفيّ ولكن الباحث قد أدرجه؛ تشبيهًا له بالمشتق؛ لذلك أعملوه إعمالَ اسم الفاعل أو اسم المفعول .

وقد جاء هذا الفصل في ستة مباحث كالتالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الفاعل .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى صيغة المبالغة .

---

١. ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي، ط: دار المعرفة الجامعية، ط٢ (دت)، ص ٧٣ .
٢. ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي ص ٧٣ .
٣. ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي ص ٧٥ .
٤. ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي ص ٧٦ .
٥. ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي ص٧٩ .
٦. ينظر: شذا العرف في فن الصرف، للشيخ / أحمد الحملاوي، ط: مكتبة الآداب. القاهرة ط: ٢٠٠٧م، ص ١٠٥ .
٧. المعجم الوسيط، مادة (نسب) . .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الصفة المشبهة .
المبحث الرابع : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المفعول .
المبحث الخامس : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المكان المشتق .
المبحث السادس : بلاغة العدول المعجمي من اسم إلى الاسم المنسوب .

ويحسن هنا ذكر أشهر الأغراض البلاغية للعدول المعجمي إلى المشتقات، على النحو التالي :
أوَّلًا : الأغراض البلاغية المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، والمبالغة، والتعميم والتخصيص، والإعلام، والتعريض، والتعليل، والتشنيع، والذم والتحقير، والتهويل .
ثانيًا : الأغراض البلاغية اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، والمناسبة الإيقاعية للفواصل، وائتلاف اللفظ والمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم الفاعل

سيكون هذا المبحث في الكلام عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من الاسم إلى اسم الفاعل، وقد ذكر الباحث في بداية الفصل الثالث أن اسم الفاعل هو اسم يشتق من الفعل للدلالة على وصف مَنْ قام بالفعل، نحو : ضارِب، وكاتِب.
وإذا نُظِرَ إلى الاسم المعدول منه فإن هذا المبحث يتطلب أن يكون في ثلاثة مطالب على النحو التالي :
المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الفاعل .
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الفاعل .
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الفاعل .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الفاعل

اسم الذات، هو ما دلَّ على معيّن، واسم الفاعل قد سبق تعريفه، والعدول المعجمي من اسم الذات إلى اسم الفاعل في القرآن الكريم قد جاء محققًا للغايات الفنية سواءً على المستوى المعنوي أم على المستوى الصوتي، كما سيتضح في الشواهد المحللة في هذا المطلب .

وسيكون الكلام هنا على بلاغة هذا النوع العدولي في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من العَلَم إلى اسم الفاعل .

ب) بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الفاعل .

أ) بلاغة العدول المعجمي من العَلَم إلى اسم الفاعل :

٧٥. [إبليس/ذريته ـ المضلين]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوُّۢۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾} [سورة الكهف: ٥٠ــ٥١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (إبليس) عَلَم على الشيطان المضل، (ذرِيَّة) اسم منسوب إلى الذرّ والمراد نسْل إبليس [و] فُعْلِيَّة إلى (المضلين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، وذلك العدول في سياق تذكير الناس بعداوة إبليس لآدم منذ بدء الخليقة وأنه لم يسجد لآدم؛ استكبارا على الله، وحسدا لآدم، وفي الآيات إنكار على الذين يشركون بالله ويتبعون الشيطان ويضلون عن الصراط المستقيم بسببه، وقد كان لواجب عليهم عبادة الله المحسن إليهم بأصول النعم وفروعها، والبعد كُلّيًّا عن مصائد الشيطان ومكائده .

والعدول المعجمي من (إبليس/ذريته) إلى (المضلين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الذم والتحقير لإبليس وذريته؛ [١] تنفيرًا من اتباعهم؛ وتسجيلًا عليهم بالإضلال [٢]، ووصفهم بالمضلين؛ لأنهم أضلوا الناس بإلقاء خواطر الضلالة والفساد في النفوس، والمراد بقوله تعالى: " وما كنت متخذ المضلين عضدا " أنه " لا يليق بالكمال الإلهي أن أتخذ أهل الإضلال أعوانا فأشركهم في تصرفي في الإنشاء، فإن الله مفيض الهداية وواهب الدراية فكيف يكون أعوانه مصادر الضلالة " [٣]

(١) . ينظر: الدر المصون (٥٠٨/٧)

(٢) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٢٨/٥)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٤٣ . ٣٤٤)

فالعدول عن (إبليس) إلى الوصف بالضلال تحقير له بألا يتكرر ذكره على اللسان إسقاطًا لمنزلته وتشهيرًا بغوايته فلا يعرف إلا بها .

الثاني: استقلال الجملة بمعنًى مفيدٍ، فجملة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) تعد تذييلًا تأكيديًّا لما سبق من أن إبليس وذريته لا ينبغي أن يُتخذوا أولياء إذ هم رءوس الضلالة والفساد (١)، لذلك لم يقل: (وما كنت متخذهم) لعدم استقلاله فالضمير يعود على شيء سابق، فَعُدِل عن الإضمار إلى الإظهار " لأن التذييل ينبغي أن يكون كلاما مستقلا. " (٢)

الثالث: التعميم، والمعنى: " ما كنت متخذ الشياطين أو الكافرين أعوانا " (٣)، فالله . سبحانه . فلا يحتاج إلى معينٍ، لكمال غناه عن الخلق ولقدرته الباهرة، فهو المتفرد بخلق السموات والأرض وما فيهن .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

٧٦. [فرعون/السحرة ـ المفسدين ـ المجرمون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِي بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة يونس:٧٩-٨٢]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (فرعون) عَلَم جنس أطلق على كل مَنْ ملك مصر في التاريخ القديم (٤)، **(السحرة) اسم فاعل /جمع تكسير [و] الفَعَلَة إلى (المفسدين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، (المجرمون) اسم فاعل /جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلُون**، وذلك العدول في سياق ذكر قصة موسى عليه السلام والسحرة وإخباره بتأييد الله له وإبطال السحر لأنه من أعمال المفسدين .

والعدول المعجمي من (السحرة) إلى (المفسدين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، ليشمل جنس أعمال المفسدين على الإطلاق فيدخل فيه السحر دخولًا أوليًّا (٥) لأنه إفسادٌ وتمويه، فالله تعالى يزيله ويمحقه ويظهر بطلانه، وذلك فيه دليل على حكمة الله ورحمته بعباده إذ بيَّن لهم الفرق بين المعجزة والسحر، ليعرفوا دلائل النبوة وشواهد الصدق ويميزوا بينها وبين الأباطيل التي يفعلها السحرة، وقد نصرَ عبده موسى عليه السلام وأيَّدهُ بالمعجزات وأبطل كيدَ فرعون وسحر الساحرين .

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٢٨/٥)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (١٥/ ٣٤٣ . ٣٤٤)

(٣) . فتح القدير للشوكاني (٣٤٧/٣)

(٤) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم ص ٣٥١ .

(٥) . ينظر: تفسير أبي السعود (٤/ ١٧٠)

الثاني: التسجيل على فرعون وقومه بالإفساد والإجرام؛ وقد نص القرآن على كثير من صور الإفساد التي كان يفعلها فرعون وقومه.(١) فمنها: الكفر بآيات الله ورسله وذلك أعظم صور الإفساد والعلو في الأرض والاستكبار والإسراف في المعاصي وظلم الناس وتعذيبهم وتقتيلهم .

ويلاحظ أنه . تعالى . أراد (بالمجرمين) فرعون وملأه فعدل عن ضمير الخطاب إلى الاسم الظاهر لما فيه من وصفهم بالإجرام تعريضا بهم. وإنما لم يخاطبهم بصفة الإجرام بأن يقول: وإن كرهتم أيها المجرمون عدولا عن مواجهتهم بالذم، وقوفا عند أمر الله تعالى إذ قال له: فقولا له قولا لينا [طه: ٤٤] فأتى بالقضية في صورة قضية كلية وهو يريد أنهم من جزئياتها بدون تصريح بذلك؛ لأنه في مقام الترغيب باللين. (٢)

الثالث: الإشعار بعلة الحكم (٣)، ويراد بذلك أنه تعالى سيبطل هذا السحر الذي أعده فرعون لأنه فساد، والله لا يحب الفساد، وقد استعان فرعون بأعمال السحرة ليبطل دعوة نبي الله موسى ويلبس على الناس أمورهم فينصرفوا عن الإيمان بما جاء به من الهدى ودين الحق لذلك أعلن النكير على موسى وهارون وهو يعلم صدقهما، **قَالَ تَعَالَى:**{وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴿٢٦﴾} [سورة غافر:٢٦]، فإبطال كيد الساحرين في ذلك الموقف كان أمرًا مؤكَّدًا لإثبات المعجزة وإيضاح صدق الرسالة .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ب) بلاغة العدول المعجمي من اسم الجنس إلى اسم الفاعل :

٧٧. [النساء ـ الوالدات]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾ ۞ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ } [سورة البقرة:٢٣٢ــ٢٣٣]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (النساء) اسم ذات/جمع تكسير لـ(امرأة) من غير لفظها [و] الفِعَال إلى (الوالدات) اسم فاعل/جمع مؤنث سالم [و] الفَاعِلَات، وذلك العدول في سياق نهي أولياء المرأة عن عضلها عن النكاح إذا رضيت أن ترجع لزوجها إذا كان طلاقًا رجعيًّا، وقيل أن الآية الأولى نزلت في رجلٍ منع زوج أخته أن يرجع إليها بعد أن طلقها تطليقة أو تطليقتين واختلف في تعيين هذا الرجل فقيل: هو معقل بن يسار وقيل: جابر بن عبد الله، وقيل بالعموم وهم داخلون في ذلك دخولًا أوّليًّا (٤) والآية الثانية فيها أمر للمطلقات اللاتي لهن أولاد من أزواجهن أن يرضعن أولادهن أمرَ استحباب لا أمر إيجاب، لأنه لا يجب عليهن الإرضاع إذا كان يوجد من يرضع الولد لقوله تعالى في سورة الطلاق: فإن

(١) . ينظر : شخصية فرعون في القرآن، للباحث : قاسم توفيق قاسم خضر، وهي رسالة ماجستير. جامعة النجاح الوطنية . نوقشت ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣م .
(٢) . ينظر : التحرير والتنوير (٢٥٣/١١)
(٣) . تفسير أبي السعود (٤/ ١٧٠)
(٤) . ينظر : تفسير الطبري (١٧/٥ . ٢٣)

أرضعن لكم فآتوهن أجورهن [الطلاق: ٦]، فإن رغبت الأم في الإرضاع فهي أولى من غيرها (١) وبعض العلماء يرى أن الحكم عام للمطلقات وغيرهن .(٢)

والعدول المعجمي من (النساء) إلى (الوالدات) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ فإن من النساء من لا تلد، وإن كان التخصيص معلومًا من لفظ (أولادهن) لكن ذكر هذا الوصف أكثرُ تعيينًا من غيره، وقال أبو السعود: " والتعبيرُ عنهن بالعنوان المذكور لِهزّ عَطفِهن نحوَ أولادِهن " (٣) وقال الألوسي: " إن الله تعالى ذكر هذه الآية عقيب آيات الطلاق فكانت من تتمتها وإنما أتمها بذلك لأنه إذا حصلت الفرقة ربما يحصل التعادي والتباغض وهو يحمل المرأة غالبا على إيذاء الولد نكاية بالمطلق وإيذاء له وربما رغبت في التزوج بآخر وهو كثيرا ما يستدعي إهمال أمر الطفل وعدم مراعاته فلا جرم أمرهن على أبلغ وجه برعاية جانبه والاهتمام بشأنه ."(٤)

فقوله تعالى (يرْضِعْن) أمر أُخْرِجَ مخرجَ الخبر مبالغة في تحقيق مضمونه، فهو تأكيدٌ للاستحباب فهن أولى من غيرِهن فالتعبير عن الطلب بصيغة الخبر؛ للإشارة إلى أن ذلك الوجوب تنادي به الفطرة، ويتفق مع طبيعة الأمومة، وأن الأمهات يلبين الطلب فيه بداع من نفوسهن؛ فلذلك عبر بالخبر، كان الإرضاع وقع من غير طلب خارجي، فكان ذلك التعبير مفيدًا للأمر التكليفي، ومقررًا للأمر الفطري .(٥)

قال البقاعي نقلا عن الحرالي: " جعل ـ تعالى ـ الأم أرض النسل الذي يغتذي من غذائها في البطن دماً كما يغتذي أعضاؤها من دمها فكان لذلك لبنها أولى بولدها من غيرها ليكون مغذاه وليداً من مغذاه جنيناً فكان الأحق أن يرضعن أولادهن ." (٦)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار.

٧٨. [فريقاً ـ الطائفتين]

قَالَ تَعَالَى:{ كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧} [سورة الأنفال:٥ـ٧]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (فريق) اسم جنس/لفظ جمع [و] فَعِيل إلى (الطائفتين) اسم فاعل/ مثنّى [و] الفاعِلَتين، وذلك العدول في سياق وعد المؤمنين بالنصر على أعدائهم في بدرٍ؛ إعلاءً لكلمة الإسلام، وإعزازًا لأهل الإيمان ذلك أن أبا سفيان قدم بِعِيرٍ من الشام في تجارة عظيمة فخرج النبي ﷺ وأصحابه ليغنموها فعلمت قريش فخرج أبو جهل ومقاتلو مكة ليذبوا عنها وهم النفيرُ وأخذ أبو سفيان بالعير طريقَ الساحل فَنَجَتْ، فقيل لأبي جهل: ارجع، فأبى، وسار

---

(١) . ينظر: تفسير البغوي (٣١٢/١)

(٢) . ينظر: تفسير أبي السعود (٢٣٠/١) ونظم الدرر (٣/ ٣٢٩)

(٣). ينظر: تفسير أبي السعود (٢٣٠/١)

(٤) . تفسير الألوسي (٥٣٩/١)

(٥) . ينظر: تفسير أبي زهرة (٢/ ٨٠٥)

(٦) . نظم الدرر (٣٢٩/٣)

إلى بدر فشاور النبي ﷺ أصحابه وقال: " إن الله وعدني إحدى الطائفتين فوافقوه على قتال النفير وكره بعضهم ذلك، وقالوا لم نستعد له، وكان ذلك لقلة عددهم، وعدم تأهبهم للحرب . لكن الله ﷻ أراد أن يسوقهم إلى ملاقاة كفار مكة لينصرهم عليهم ويستأصل الكافرين؛ ليثبت الدين الحق ويمحق الدين الباطل باستئصال أهله، مع ظهور شوكتهم . (١)

والعدول إلى المعجمي من (فريقًا) إلى (الطائفتين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة الامتنان على المؤمنين بنصرهم على أعدائهم في غزوة بدر رغمَ قلتهم وكثرة أعداد الكافرين من أهل مكة، فالمؤمنون كانوا ثلاثمائة وتسعة عشر رجلا، فيهم فارسان، المقداد والزبير، والمشركون ألف من ذوي الشوكة والسلاح والقوة، وإن المراد بالطائفتين في الآية الكريمة: العير أو النفير، فالله ﷻ وعد المؤمنين الظفر على النفير من مقاتلي مكة، و(الطائفة) تطلق على " الجماعة من الناس فيهم كثرة "(٢)" بحيث يتحلَّقون بمن يريدون " (٣)، ومقاتلو مكة كانوا كذلك، لا يكاد يفلت منهم أحدٌ ممن يتعرَّض لهم لإحاطتهم به وقوتهم عليه، ومع كل ذلك أعزَّ الله أهل دينه ونصرهم على الكافرين نصرًا مؤزَّرًا فهو سبحانه وتعالى العزيز الغالب الذي لا يُغلب، والقاهر الذي لا يُقهر .

وصحَّ إطلاق لفظ الطائفة على العِير لأنهم كانوا يحملون الكثير من التجارات معهم من الشام، ومثل ذلك يُجْعَلُ لحمايته عددٌ من الفرسان لئلا يغيرَ عليهم أحدٌ فينتهب ما معهم، وكلمة (طائفة) تشعر بالطواف بدلالة المطابقة، ومهمة الفرسان تأمين تلك الأموال الكثيرة والطواف حولَها لئلا يفقد منها شيءٌ .

وعلى هذا يكون استعمال لفظ (الطائفتين) في الآية الكريمة مُوفيًا بالمعنيين: العير أو النفير، وهذا من البيان العالي في سياق الترغيب في قتال المشركين، وتبشيرهم بالنصر على الجم الغفير منهم أو حيازة الكثير من الأموال التي أتوا بها من الشام .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة بين اللفظ والمعنى، فلفظ (الطائفتين) فيه صوت الطاء المستعلي المطبَق والمدّ المتصل بالفتح، وذلك يؤكد تلك الكثرة المذكورة آنفًا وفيه إشعار بالقوة العظيمة لطائفة المشركين وظهور شوكتهم، لكن الله ﷻ يمكِّن المؤمنين منهم بوعده الحق .

---

(١) . ينظر: تفسير الجلالين، ص ٢٢٨، ومحاسن التأويل للقاسمي (٥/ ٢٥٩ . ٢٦٠.
(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٥/ ١٨٦)، ونظم الدرر (٣/ ٦٨)
(٣) . نظم الدرر للبقاعي (٣/ ٦٨)

أما إيثار لفظ (فريقًا) في الآية الأولى ويراد به طائفة من المؤمنين كرهوا ملاقاة الأعداء لعدم استعدادهم للحرب وقلة عددهم، فذلك لأن اللفظ فيه إشعارٌ بالفرَق من خوض الحرب بدون عُدَّةٍ، كما أن رأيهم لو أخِذَ به لآل الأمر إلى افتراق شملِ المؤمنين وضعف شوكتهم وهذا الوجه الأخير أشار إليه البقاعي (١) .

٧٩. **[الناس ـ المؤمنين]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٥٧﴾} [سورة يونس:٥٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (المؤمنين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، وذلك العدول في سياق تنبيه العباد إلى عظمة القرآن الكريم واشتماله على المواعظ النافعة والحجج النيرة والبينات الهادية ودلائل التوحيد الذي هو أقوى أسباب الأمن من المخاوف فالقرآن: "شفاء لما في الصدور من مرض الجهل والغى فإن الجهل مرض شفاؤه العلم والهدى والغي مرض شفاؤه الرشد " (٢)

والعدول المعجمي من (الناس) إلى (المؤمنين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن المنتفعين بالقرآن الكريم هم المؤمنون دون غيرهم، قال الطبري: " وجعله تبارك وتعالى رحمة للمؤمنين به دون الكافرين به، لأن من كفر به فهو عليه عمًى، وفي الآخرة جزاؤه على الكفر به الخلودُ في لظًى." (٣) ونبَّه الرازي إلى نحو هذا(٤) وذكر أن أرواح المعاندين لا تستضيء بأنوار الأنبياء عليهم السلام فكان تخصيص أهل الإيمان بالهدى والرحمة أحرى لانتفاعهم بمشكاة النبوة وأنوارها .

قال الطاهر: " عمم في مجيء البرهان وإنزال النور جميع الناس، وخصص في الرحمة والفضل والهداية المؤمنين، وهذا منتهى البلاغة وصحة التقسيم." (٥)

الثاني: الإشارة إلى أن القرآن الكريم من ضمن ثمراته الرائقة ومنافعه العظيمة حصول الأمن والطمأنينة والسكينة في القلوب، ولفظ (المؤمنين) من مشتق من الأمن، وهذا ـ كما قال ابن القيم ـ " لا يتأتى بشيء سوى الله تعالى وذكره البتة ." (٦) فبذكر الله " طمأنينة قلوب المؤمنين. فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين. ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن. فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه. واضطرابه وقلقه من شكه. والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به ." (٧)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

---

(١) ينظر: نظم الدرر (٢٢٣/٨)

(٢) . إغاثة اللهفان لابن القيم (١٥/١)

(٣) . تفسير ابن جرير الطبري (١٥/ ١٠٥)، وينظر: تفسير الطبراني (٣/ ٢٨٣)، وتفسير القرطبي (٨/ ٣٥٣)

(٤) . ينظر: مفاتيح الغيب (١٧/ ٢٦٩)

(٥) . التحرير والتنوير (٢٠٣/١١)

(٦) . الروح لابن القيم ص ٢٢٠

(٧) . مدارج السالكين لابن القيم (٢/ ٤٨٠)

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة الإيقاعية بين فواصل السورة، فلو قيل (للناس) لم تناسب أي فاصلة من فواصل السورة لا في البنية المقطعية ولا في حرف الروي، فكل فواصلها جاءت على أحرف ثلاثة: (النون) وهي أكثرها ثم الميم ثم اللام، فلم تأت فاصلة في السورة تنتهي بالسين، فكان ذكر (المؤمنين) أنسب إيقاعيًا .

المطلب الثاني

العدول المعجمي من اسم المعنى إلى اسم الفاعل

تحدث الباحث في المطلب الأول عن العدول المعجمي من اسم الذات عَلَمًا أو اسمَ جِنْسٍ إلى اسم الفاعل، أما هنا فسوف يكون الحديث عن التوجيه البلاغي من اسم المعنى إلى اسم الفاعل، وقد وجد الباحث أن اسم المعنى أو المصدر قد يدلُّ على مطلق الحدث، نحو : فَهْم، كتابة، وقد يدلُّ على معنى اسم المفعول، نحو : خَلْق، بمعنى مخلوق، وصُنْع بمعنى مصنوع .

و على هذا فإن العدول المعجمي في القرآن الكريم من اسم المعنى إلى اسم الفاعل قد جاء على صورتين :

أ) العدول المعجمي من المصدر الدال على مطلق الحدث إلى اسم الفاعل .

ب) العدول المعجمي من المصدر الدال على اسم المفعول إلى اسم الفاعل .

أ) العدول المعجمي من المصدر الدال على مطلق الحدث إلى اسم الفاعل :

٨٠. [شك ـ الممترين]

قَالَ تَعَالَى:{فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾} [سورة يونس:٩٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (شك) مصدر سماعي [و] فَعْل إلى (الممترين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْتَعِين، وذلك العدول في سياق التأكيد على نزاهة القرآن الكريم من الريب فقد جاء مصدقًا لما بين يديه من الكتب السماوية فقد اشتمل على البراهين القاطعة الدالة على وحدانية الله واستحقاقه . سبحانه . كمال العبودية .

ذكر السيوطي أن من وجوه مخاطبات القرآن: " خطاب العين والمراد به الغير ... ومنه: {فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فاسأل الذين يقرأون الكتاب} الآية حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك وإنما المراد بالخطاب التعريض بالكفار ." (١)

---

(١) . ينظر: الإتقان للسيوطي (١١٤/٣)

والعدول المعجمي من (شك) إلى (الممترين) له أغراض بلاعية منها:

الأول: التخصيص، تعريضًا بالكفار الذين يجادلون بالباطل ويترددون في أمر النبي صلى الله عليه وسلم، قال الراغب **"** المِرْيَةُ: التّردّد في الأمر، وهو أخصّ من الشّكّ ."[1] وقال الطاهر: " الامتراء: الشك فيما لا شبهة للشك فيه. فهو أخص من الشك." [2] ففي العدول إلى (الممترين) إيذان بأن القرآن الكريم ليس محلًّا للشك، فلا يمتري فيه إلا معاندٌ لظهور دلائل الحق واليقين في آياته .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال المراغي: " الامتراء: الشك والتردد " [3] .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فقوله ـ جل شانه ـ: (الممترين) أخف لفظًا من (الشاكّين)، لثقل الإدغام، قال السيوطي: " ولهذا كثر ذكر الريب " [4].

ثالثها: المناسبة الإيقاعية من الناحية المقطعية فبنية (الممترين) تتناسب مقطعِيًّا مع كثير من فواصل السورة مثل (المؤمنين، المسرفين، المعتدين ....) والتحليل المقطعي لها هو: (ص ح ص ـ ص ح ـ ص ح ح ص) .

ولفظ (الشاكين) بنيته المقطعية هي (ص ح ح ص ـ ص ح ح ص) فلو جاءت الفاصلة هكذا لم يحصل التناسب المقطعي بينها وبين أي فاصلة في السورة إلا في المقطع الأخير (ص ح ح ص) فرعايةً لمزيدٍ من التناسب لم تأتِ هذه وجاءت تلك .

٨١. [شك ـ مريب]

قَالَ تَعَالَى:{قَالُواْ يَٰصَٰلِحُ قَدۡ كُنتَ فِينَا مَرۡجُوّٗا قَبۡلَ هَٰذَآۖ أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكّٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ مُرِيبٖ ٦٢} [سورة هود:٦٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (شك) مصدر سماعي [و] فَعْل إلى (مريب) اسم فاعل من الفعل (أراب) [و] مُفْعِل، وذلك العدول في سياق تعجُّب قوم صالح منه إذ نهاهم عن عبادة الأوثان وأمرهم بطاعة الله وإخلاص الدين له ﷻ، وقد أظهروا العناد ولم يؤمنوا برب العباد حيث شكُّوا فيما دعاهم إليه صالح ﷺ من الحق المبين .

والعدول المعجمي من (شك) إلى (مريب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إظهار العناد والإشارة إلى أنَّ الأمر لم يقف بهم عند مجرد الشك في صدقه بل تطور إلى ارتياب بالسوء واتهام بالظن يدل عليه قولهم: {أَتَنۡهَىٰنَآ أَن نَّعۡبُدَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا} بأسلوب يفيد التعجب، إشارة إلى أنه أمر غريب يدعو إلى الريبة والاتهام . وإذا كان الشك حالة فطرية تنشأ عند الجهل بالحقيقة وغياب الأمارة المرجحة، فإن الريب: حالة مرضية تنزع

(١) . المفردات للراغب، مادة (مري)

(٢) . التحرير والتنوير (٢٨٦/١١)

(٣) . تفسير المراغي (١٥٥/١١)

(٤) . الإتقان للسيوطي (٢٥/٤)

إلى توهم الحقيقة وترجيح التهمة بغير دليل . [1] فالعدول إذن يبين جرأة قوم صالح في تزييف الحقائق ووصفهم ما يدعو إليه نبيهم ﷺ من الهدى بأنه موقع في الريبة وسوء الظن .

الثاني: التعميم لمتعلقات الريب؛ إمعانًا في المخالفة والتكذيب، فالشك لا يكون إلا في العلم وعدم القدرة على ترجيح أحد النقيضين، والريب يكون في علم القلب وعمله، فلهذا لا يوصف باليقين إلا من اطمأن قلبه عِلْمًا وعمَلًا [2]، فقول قوم صالح: " وإننا لفي شك مما تدعونا إليه مريب " فيه دليل على أن شكُّهم الذي في قلوبهم أثَّر تأثيرًا كبيرًا فيها فلا يصدر منها إلا التكذيب والجحود وكره ما دعاهم إليه ونحو ذلك من أعمال القلوب الخبيثة .

ب) بلاغة العدول المعجمي من المصدر) الدال على اسم المفعول إلى اسم الفاعل :

٨٢. **[هزوا ـ الجاهلين]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةًۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًاۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾} [سورة البقرة:٦٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (هزو) مصدر سماعي بمعنى اسم المفعول من الفعل هَزَأَ يَهْزَأُ [و] فُعُل إلى (الجاهلين) اسم فاعل /جمع مذكر سالم [و] الفاعِلين، وذلك العدول في سياق أمر موسى عليه السلام قومَه أن يذبحوا بقرة ليتبيَّن بها من القاتل، واعتراضهم عليه بأنه يستهزئ بهم فبيَّن لهم أن محقٌّ فيما يقول ولا ينبغي للأنبياء أن يتصفوا بالجهل .

والعدول المعجمي من (هزوا) إلى (الجاهلين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في تنزيه نفسه عليه السلام مما وصفوه به من الاستهزاء بهم، فلم يقل: أعوذ بالله أن أكون من الهازئين، بل عدل إلى (الجاهلين) ليبيِّن لهم أنَّ الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء، فلم يستعذ موسى عليه السلام من نفس الشيء الذي نسبوه إليه، لكنه استعاذ من السبب الموجب له .[3] فالجاهل هو الذي يجعل الهزء والسخرية في موضع الجد، وحاشاه عليه السلام من ذلك، بل كان من أولى العزم من الرسل قد آتاه الله الحكمة والعلم الواسع .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) . ينظر: أسرار الترادف، لعلي اليمني،ص ١٢٣ وما بعدها .

(٢) . الآداب الشرعية، لابن مفلح (١/٢٩)

(٣) . ينظر: تفسير الرازي (٣/ ٥٤٦)

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الفاعل

اتضح مما سبق بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات واسم المعنى إلى اسم الفاعل، أما في هذا المطلب فيكون الحديث عن البلاغة العالية للعدول المعجمي من المشتق إلى اسم الفاعل، ومن المشتقات المعدول منها في القرآن الكريم : اسم الفاعل والصفة المشبهة .

وسوف ينقسم هذا المطلب من خلال نوع المشتق المعدول منه إلى مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الفاعل .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل .

أ) بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم الفاعل :

٨٣. [منذر - هاد]

قَالَ تَعَالَى: {وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ ءَايَةٞ مِّن رَّبِّهِۦٓۗ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٞۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ ﴿٧﴾} [سورة الرعد:٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (منذرٌ) اسم فاعل من الفعل أَنْذَرَ يُنْذِرُ [و] مُفْعِل إلى (هادٍ) اسم فاعل من الفعل هدَى يهدِي [و] فَاعٍ، وذلك العدول في سياق جحود الكافرين لنبوة النبي ﷺ وأنهم يقترحون عليه أن يأتيهم بآيات يقينية دالة على صدق نبوته ﷺ كأن ينزل عليه كنزٌ أو يأتي معه ملك يؤيده، فبيَّن الله ﷻ أن رسول الله ﷺ منذرٌ وهادٍ فمن تمسَّك بما جاء به اهتدى ونجا ومن خالفه هلك في مهاوي الردى .

والعدول المعجمي من (منذرٌ) إلى (هادٍ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ إظهارًا للمهام العظيمة للنبي ﷺ، وأنه نذيرٌ وبشيرٌ، وفي ذلك تمام الهداية للعباد، إذ بيَّن لهم أسباب السعادة وأسباب الشقاوة في الدارين، وتركهم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، فلم يكن من خير إلا دلَّنا عليه وما من شرٍّ إلا وحذَّرَنَا منه .

والإنذار والبشارة جعلا حسْبَ طبيعة البشر، فمن الناس من لا ينفع معه الترغيب، فيكون الترهيب أنفع له، ومنهم ضد ذلك، وهكذا كان الجمع بين الترغيب والترهيب من قبل الرسل أنفع للفريقين .

قال الطاهر: " وبهذا العموم الحاصل بالتذييل والشامل للرسول- عليه الصلاة والسلام- صار المعنى إنما أنت منذر لقومك هاد إياهم إلى الحق، فإن الإنذار والهدى متلازمان فما من إنذار إلا وهو هداية وما من هداية إلا وفيها إنذار، والهداية أعم من الإنذار ففي هذا احتباك بديع."[1]

---

(١) . التحرير والتنوير (٩٥/١٣)

والاحتباك: هو أن يُحْذَفَ من الأوائل ما جاء نظيره أو مقابله في الأواخر، ويُحْذَفَ من الأواخر ما جاء نظيره أو مقابله في الأوائل.

الثاني: الإيذان بأنَّ خشية الله الحاصلة من الإنذار سببٌ عظيم في هداية القلوب واستقامتها على الطاعة،لأن في الإنذار إظهار لعظمة الله وقوة سلطانه وشدة عقابه، فينشأ منه علم بأسماء الجلال والعزة فتنبعث النفس إلى الطاعة التي يكتنفها كمال التعظيم لله ﷻ وغاية الذل لجنابه ﷻ وذلك هو المقصود الأصلي من العبودية التي من أجلها أرسلت الرسل وأنزلت الكتب .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية، بالتفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وهذا وفقًا لما نقل الرازي عن بعض المفسرين أن: المنذر والهادي شيء واحد .[1]

٨٤. [الكافرون ـ المشركون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾} [سورة التوبة:٣٢ـ٣٣]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (الكافرون)اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] الفاعلون، إلى (المشركون) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفعِلُون، وذلك العدول في سياق بيان كره المشركين والكافرين لدين الله ورغبتهم في إبطال نبوة محمد ﷺ بالتكذيب، لكن نور الله الصادر عن القرآن والشرع الحنيف منتشرٌ في الآفاق وليس لهم سبيل في إطفائه، فالله ﷻ بمشيئته النافذة قد أكمل الدين وأظهره على كل الملل وبإذنه دخل الناس في دين الله أفواجًا، ولم يبقَ في جزيرة العرب من المشركين أحدٌ .

والعدول المعجمي من (الكافرون) إلى (المشركون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التشنيع على طوائفَ من أهل الكتاب وهم الذين يكرهون إقامة الإسلام في أرض الله، حيث إنهم جمعوا بين أفظع وصفين: الكفر والإشراك، فقد كفروا بآيات الله وكذَّبوا بمحمد ﷺ، وأشركوا بالله ما لم ينزل به عليهم سلطَانًا [2]، حيث اتخذوا عيسى بن مريم وأمه إلهين من دون الله، واتبعوا أحبارهم في تحريم ما أحل الله وتحليل ما حرَم، افتراءً عليه .

الثاني: الإشارة إلى أن أهل الإسلام منصورون من الله سبحانه على من عاداهم وإن استعان بمن أرادَ، وهذا مبني على أن العدول إلى (المشركون) للمبالغة، وأن الكفر قد لا يكون فيه عناد، والشرك مبناه على العناد باتخاذ الأنداد، وهذا ما

ومأخذ هذه التسمية من الْحَبْك، وهو الشدّ والإحكام، وتحسين أثر الصنعة في الثوب، فَحَبْكُ الثوب هو سَدُّ ما بين خيوطه من الْفُرَج وشَدُّهُ وإحكامه إحكاماً يمنع عنه الْخَلَل، مع الْحُسْنِ والرونق. ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها (٥٥/١. ٥٦)

(١) . ينظر: تفسير الرازي (١٤/١٩)

(٢) . ينظر: تفسير البيضاوي (٧٩/٣) وتفسير الطنطاوي (٢٦٥/٦) وتفسير أبي السعود (٦٢/٤)

نبّه عليه البقاعي .[1] وفيه تعريض بضعف شركائهم عن نصرتهم .قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾} [سورة يس:٧٤-٧٥]

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ب) العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل :

٨٥. [أليم - مقيم]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾} [سورة المائدة:٣٦–٣٧]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (أليم) صفة مشبهة [و] فَعِيل إلى (مقيم) اسم فاعل من الفعل أَقَامَ يقيم [و] مُفْعِل وذلك في سياق تهديد الكافرين بآيات الله ورسله وأنه ﷻ سيعذبهم عذابًا شديدًا ولا يقبل منهم فديةً، وأنهم في النار يجدُّون في الخلاص من عذابها، لكنهم خالدون فيها أبدًا .

والعدول المعجمي من (أليم) إلى (مقيم) وكلاهما وصف لعذاب النار، له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بخلودهم فيها، وهو ما دلَّ لفظ (مقيم) الذي يشير إلى الإقامة في العذاب وعدم الارتحال عنه أبدًا، وفيه تأكيدٌ على أن النار لا تفنى ولا تبيد، فقوله تعالى: " وما هم بخارجين من النار " يدل على عدم خروجهم منها، ولا يمنع ذلك من كونها قد تفنى بمن فيها، فجاء لفظ (مقيم) للإشارة إلى بقائها أبدَ الآبدين، وذلك فيه مبالغة في الوعيد، عساهم أن يتذكروا ويرجعوا عن كفرهم الذي يغضب ربهم ويوردهم المهالك .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) . ينظر: نظم الدرر (٤٤٥/٨)

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى صيغة المبالغة

قد كان الكلام في المبحث الأول عن العدول المعجمي من المشتق إلى اسم الفاعل، أما هذا المبحث فإنه يتناول التوجيه البلاغي للعدول من الاسم إلى صيغ المبالغة، وقد كان هذا النوع العدولي قليل جدًّا في القرآن الكريم وذلك وفقًا لحدود الدراسة وهي إلى النصف الأول منه، وقد وجد الباحث منه العدول من الصفة المشبهة(رءوف) إلى صيغة المبالغة(رحيم) .

٨٦. [رءوف ـ رحيم]

قَالَ تَعَالَى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾} [سورة آل عمران:٣٠–٣١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (رءوف) صفة مشبهة [و] فَعُول إلى (رحيم) صيغة مبالغة [و] فَعِيل،وذلك العدول في سياق الترغيب في الأعمال الصالحة لعظم ثوابها يوم القيامة والترهيب من السيئات وشؤمها وأنها سبب لشدة العذاب، وتحذيره ﷻ لعبادِه في الدنيا من ذلك العذاب يعد رأفةً بهم؛ إذ عرَّفهم جزاءَ أعمالهم قبل القدوم عليه، وبيّن لهم أن اتباع المصطفى ﷺ كفيلٌ بنجاتهم فهو سببٌ لمحبة الله ﷻ لهم ومغفرة ذنوبهم والفوز برحمته الواسعة .

والعدول المعجمي من (رءوف) إلى (رحيم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ إيذانًا بسعة رحمته تعالى لمتبع النبي ﷺ، بكشف المضرات وحلول أعلى المسرَّات، قَالَ تَعَالَى: {فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ} [سورة آل عمران:١٨٥]، فالرحمة عامةٌ والرأفة أخصُّ منها إذ تطلق على دفع المكروه وإزالة الضر، وأما الرحمة فاسم جامع يدخل فيه ذلك المعنى ويدخل فيه الإفضال والإنعام، قال الطاهر: " وهذا أحسن ما قيل فيها " (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاثة أوجه :

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: مراعاة الفاصلة، إذن إن فواصل السورة جميعها لا تنتهي بصوت الفاء، وأكثر الفواصل فيها ينتهي بالنون والميم، فرعاية للتناسب الإيقاعي العذب عُدِل عن (رءوف) إلى (رحيم) .

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٢/٢٥)

ثالثها : الخفة اللفظية، إذ إن ما عليه النظم الجليل بقوله :" غفورٌ رحيم " أخف مما لو قيل :" غفورٌ رءوف " فتكرار الفاء والراء والواو المدية وتجاور الكلمتين والهمز كل ذلك يحدث ثقلًا يدرك بالحس، لذلك لم تأتِ في القرآن قط، بينما (غفورٌ رحيم) جاءت كثيرًا لخفتها وائتلاف حروفها .

المبحث الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الصفة المشبهة

قد ذكر الباحث في مقدمة الفصل الثالث أن الصفة المشبهة : هي اسم يصاغ من الفعل اللازم للدلالة على اسم الفاعل[1]، ومن المشهور أن الصفة المشبهة تفترق عن اسم الفاعل في أنها تدل على صفة ثابتة، لكن الحق أن منها ما يدل على ذلك، نحو : كريم وبَطَل، ومنها ما يدل على صفة عارضة نحو : فَرِح وغَضبَان [2].

وبالنظر إلى نوع الاسم المعدول منه فسوف يكون الحديث هنا عن بلاغة العدول إلى الصفة المشبهة، في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى الصفة المشبهة .

المطلب الثاني : العدول المعجمي من المشتق إلى الصفة المشبهة .

والجدير بالذكر أن العدول المعجمي من اسم المعنى إلى الصفة المشبهة لم يجد الباحث له أيَّ شاهدٍ في النصف الأول من الذكر الحكيم .

---

١ . ينظر: التطبيق الصرفي، للدكتور: عبده الراجحي ص ٧٦ .

٢ . ينظر: معاني الأبنية للدكتور: فاضل صالح السامرائي ص ٨٠ .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى الصفة المشبهة

سيكون الكلام هنا عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من اسم الذات إلى الصفة المشبهة، وهذا النوع من العدول لم يجد منه الباحث إلا شاهدًا واحدًا في سورة النساء، وذلك في العدول من(الناس) اسم جنس/لفظ جمع إلى(السفهاء) صفة مشبهة/جمع تكسير .

٨٧. [الناس ـ السفهاء]

قَالَ تَعَالَى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾} [سورة البقرة:١٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (الناس) اسم ذات/لفظ جمع [و] الفَعْل إلى (السفهاء) صفة مشبهة/جمع تكسير [و] الفُعَلَاء، والمفرد : سَفيه، والعدول وارد في سياق ذكر أحوال المنافقين وانصرافهم عن الإيمان واستهزائهم بأهله وفي الآية تبيين أن هؤلاء المنافقين هم أولى من اتصف بالسفه وقلة الحلم وغاية الجهالة .

وللعدول المعجمي إلى لفظ (السفهاء) في قيل المنافقين، دلالات منها:

الأول: تنفير الناس عن سلوك سبيل المؤمنين؛ إذ الوصف بالسفاهة أي: الجهالة داع إلى البعد عنهم وعدم الوثوق بما يتمسَّكُون به من عقائد، لأن مبناها على محض الجهالة كما يزعمون، وقالوا ذلك صدًّا عنهم؛ وتفيرًا منهم، وهكذا حال المنافقين في كل زمان ومكان لا تهدأ نارُهم ولا ترتاح نفوسهم إلا إذا طعنوا في المؤمنين وعابوهم وألّبوا القلوب عليهم وهذا دليل على انحراف المنافقين في قيلهم وجرأتهم على الباطل .قَالَ تَعَالَى:{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾} [سورة النساء:٦١]

الثاني: المبالغة في ذمِّ المؤمنين، فالسفاهة: تدل على خفة العقل وضعفُ الرأي وقلة المعرفة من قولهم: ثوب سفيه إذا كان رقيقَ النسْجِ (١)، وهذا وصف في غاية الشناعة؛ فالمراد بالناس في الآية الصحابة الكرام (٢) الذين كَمُلُوا في الإنسانية فرَأوا النور الذي جاء به الرسول ﷺ فاستضاءوا به وعرَفوا أنه الحق من ربهم فلم يسعهم إلا اتباعه؛ لكمال علمهم ونفوذ بصائرهم وقوة إدراكهم، فقد كانوا أحرياء بوصف (العلماء) لا السفاء .

---

(١) أ لسان العرب، مادة (سفه)

(٢) . ينظر: تفسير الطبري (١/٢٩٢)

المطلب الثاني

العدول المعجمي من المشتق إلى الصفة المشبهة

اتضح مما سبق بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات واسم المعنى إلى الصفة المشبهة، أما في هذا المطلب فسوف يكون الحديث عن البلاغة العالية للعدول المعجمي من المشتق إلى الصفة المشبهة ومن المشتقات المعدول منها في القرآن الكريم : صيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول .

وسوف ينقسم هذا المطلب من خلال نوع المشتق المعدول منه إلى ثلاث مسائل :

أ) بلاغة العدول المعجمي من صيغ المبالغة إلى الصفة المشبهة .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى الصفة المشبهة .

ج) بلاغة العدول المعجمي من اسم المفعول إلى الصفة المشبهة .

أ) بلاغة العدول المعجمي من صيغة المبالغة إلى الصفة المشبهة :

٨٨. [خبير ـ بصير]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ إِنَّهُۥ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١١﴾ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾} [سورة هود:١١١–١١٢]

في الآيتين عدول معجمي من (خبير) صيغة مبالغة [و] فعيل إلى (بصير) صفة مشبهة [و] فَعِيل وذلك العدول في سياق بيان أنه تعالى سيجمع الأولين والآخرين من الأمم، ويجزيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، فهو عليم بجميع أعمالهم وفي الآية الثانية أمر للمؤمنين بالاستقامة والبعد عن الطغيان .

والعدول المعجمي (خبير) إلى (بصير) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إثبات العلم لله عز وجل؛ ترغيبًا وترهيبًا، قال الطاهر: " اختير وصف بصير من بين بقية الأسماء الحسنى لدلالة مادته على العلم البين ودلالة صيغته على قوته." [1] فبصير من (بصُر) وهذا يدل على قوة العلم وثباته كما أن (فَقُهَ) أبلغ من (فَقِهَ) [2].

قال الألوسي: " إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ فيجازيكم على ذلك وهو تعليل للأمر والنهي السابقين كأنه قيل: استقيموا ولا تطغوا لأن الله تعالى ناظر لأعمالكم فيجازيكم عليها ."

الثاني: مراعاة المناسبة المعنوية لمقصود الآية فالآية الثانية ختمت بقوله (بصير) لأن المذكور فيها الاستقامة على أوامر الله والطغيان المنهيّ عنه وهو البغي بغير الحق وكلا الفعلين من الأعمال الظاهرة فناسب ذكر البصر، بينما الآية الأولى

(١) . التحرير والتنوير (١٢/ ١٧٧)

(٢) . ينظر: معاني الأبنية للسامرائي ص ٨٤

فيها ذكر توفية الجزاء على جميع الأعمال إن خيرا فخير وإن شرا فشر، فكان ذكر لفظ (خبير) أنسب لأنه يعني العليم بما خفي وبطن فيدل على الإحاطة بتفاصيل أعمال العباد جميعها .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى الصفة المشبهة :

٨٩. [الملك ـ العزيز]

قَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ ۚ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٥١﴾} [سورة يوسف: ٥٠-٥١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (الملك) صفة مشبهة [و] الفَعِل إلى (العزيز) صفة مشبهة [و] الفَعِيل، وذلك العدول في سياق ذكر رغبة الملك في إحضار يوسف وإخراجه من السجن لكن يوسف عليه السلام لم يجب الداعي حتى تثبت براءته على الملأ فاستدعى الملك النساء اللاتي قطعن أيدهن ليعرف منهن أمر المراودة ويسمع منهن تبرئة يوسف، وتبيَّن بذلك الحق ونسبت امرأة العزيز أمر المراودة لنفسها تبرئة لساحة الصديق وبيانًا لكمال نزاهته عليه السلام .

والعدول المعجمي من (الملك) إلى (العزيز) قد جاء لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن (العزيز) ليس هو (الملك) المذكور في الآية السابقة، وفي ذلك برهان على إعجاز القرآن ودقته العالية في نقل الحقائق التاريخية والتعبير عنها بما كان فعْلًا بلا تغيير ولا تزييف لأنه من لدن حكيم خبير، **فالملك هو رئيس مصر في تلك الحقبة** وقد " سماه القرآن هنا ملكا ولم يسمه فرعون لأن هذا الملك لم يكن من الفراعنة ملوك مصر القبط، وإنما كان ملكا لمصر أيام حكمها (الهكسوس)، وهم العمالقة، وهم من الكنعانيين، أو من العرب، ويعبر عنهم مؤرخو الإغريق بملوك الرعاة، أي البدو. وقد ملكوا بمصر من عام ١٩٠٠ إلى عام ١٥٢٥ قبل ميلاد المسيح- عليه السلام-. وكان عصرهم فيما بين مدة العائلة الثالثة عشرة والعائلة الثامنة عشرة من ملوك القبط، إذ كانت عائلات ملوك القبط قد بقي لها حكم في مصر العليا في مدينة (طيبة) كما تقدم عند قوله تعالى: وقال الذي اشتراه [سورة يوسف: ٢١] .... فالتعبير عنه بالملك في القرآن دون التعبير بفرعون مع أنه عبر عن ملك مصر في زمن موسى- عليه السلام- بلقب فرعون هو من دقائق إعجاز القرآن العلمي." (١)

---

(١) . التحرير والتنوير: (١٢/ ٢٨٠)

أما العزيز فقد كان رئيسًا لشرطة الملك، أي: رئيس المدينة [1]، فعلى هذا يكون نائبًا عن الملك في تدبير شئون البلاد، وكان العزيز له مكانة كبيرة عند الملك[2] .

الثاني: الإشارة إلى أن عزّتها ومقامها العالي لم يمنعاها من الإفصاح بخطئها أمام الناس، وذلك من تدبير الله الحكيم إذ جعلها تظهر براءة يوسف الصديق ولا تكتم ذلك، فكان ذكرها بإضافتها إلى زوجها العزيز أنسب .

٩٠. [شديد - بئيس]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُواْ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾} [سورة الأعراف:١٦٤–١٦٥]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (شديد) صفة مشبهة [و] فَعِيل إلى (بئيسٍ) صفة مشبهة [و] فَعِيل، وذلك العدول قد جاء في سياق ذكر وعظ طائفة من بني إسرائيل للذين اعتدوا في السبت خوفًا عليهم من حلول العذاب لكنهم لم يستجيبوا لوعظهم واستمروا على بغيهم فحل عليهم أشد العذاب وأنجى الله المؤمنين الذي كانوا ينهون عن السوء .

والعدول المعجمي من (شديدًا) إلى (بئيسٍ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهويل من العذاب الذي وقع بالمعاندين من اليهود المتجرئين على حدود الله، فالتعبير عنه بكونه شديدًا جاء في مقول الفئة الواعظة، لكن وصفه الله بالبئيس فغاير في اللفظ **تنبيهًا على المغايرة في العذاب وأنه كان عذابًا لا يُتوقَّع لفظاعته وهو المسخ،** "وجمهور المفسرين على أنهم مسخوا على الحقيقة ثم ماتوا بعد ذلك بوقت قصير، ويرى مجاهد أنهم لم تمسخ صورهم ولكن مسخت قلوبهم، أى: إنهم مسخوا مسخا نفسيا فصاروا كالقردة في شرورها وإفسادها لما تصل إليه أيديها، وتلك العقوبة كانت بسبب إمعانهم في المعاصي، وتأبيهم عن قبول النصيحة، وضعف إرادتهم أمام مقاومة أطماعهم، وانتكاسهم إلى عالم الحيوان لتخليهم عن خصائص الإنسان فكانوا حيث أرادوا لأنفسهم من الصغار والهوان."[3]

وقال الزمخشري: " والمعنى: أنّ الله تعالى عذبهم أوّلا بعذاب شديد، فعتوا بعد ذلك فمسخهم. "[4]

الثاني: وهو مبني على الأول . التنفير من نسيان أوامر الله والعتو، فمن ترك شريعة الله أظلمت عليه الدنيا وأصابه الضر الشديد في نفسه وبدنه، **قَالَ تَعَالَىٰ:** { وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا } [سورة طه:١٢٤]، ولفظ (بئيس) مشتق من البؤس وهو الشدة في الضر، " والبأساء ضدُّ النُّعمى والنَّعْماء "[5] ففي التعبير بالبئيس دون الشديد تنبيه على زوال النعم .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٠٦)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (١٢/ ٢٨٩)

(٣) . تفسير الطنطاوي (١/ ١٦٢)

(٤) . الكشاف للزمخشري (١٧٣/٢)

(٥) . تاج العروس، مادة (بأس)

الثالث: وهو مبني على ما سبق ذكره يتناسب مع مكية السورة وذلك هو التعريض بمشركي مكة المعاندين لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم بإعراضهم عن آيات الله معرّضون لعقابٍ شديدٍ، قَالَ تَعَالَى:{وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾} [سورة هود:١٠٢]

٩١. [إمرًا ـ نُكرًا]

قَالَ تَعَالَى:{ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾} [سورة الكهف:٧١]

قَالَ تَعَالَى:{ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾} [سورة الكهف:٧٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (إمر) صفة مشبهة [و] فِعْل إلى (نُكْر) صفة مشبهة [و] فُعْل في سياق قصة الخضر وموسى عليهما السلام وفي الآية الأولى ذكر خرق السفينة التي كانت للمساكين وفي الثانية ذكر قتل الغلام وإنكار موسي ﷺ ذلك عليه .

والعدول المعجمي من (إمرًا) إلى (نكرًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إظهار النكير على الخضر عليه السلام إذ القتل مما تستقبحه العقول وتشمئزُّ من النفوس وهذا الغلام لم يَقتل نفْسًا حتى يُقتل بها، فاختار موسى عليه السلام لفظ (نُكْرًا) لأنه أبلغ في تقبيح الشيء من (الإمر)[(١)] ويعني بقوله: " إمرًا ": عجبًا أو عظيمًا منكرًا .[(٢)]، قال الراغب: " النُّكْرُ: الدّهاءُ والأَمْرُ الصَّعْبُ الذي لا يُعْرَفُ ."[(٣)] وأكَّد الزمخشري والبقاعي أبلغية النُّكر لَفظًا لصراحته في الإنكار وأنهُ أنسب للسياق لأن القتل سبب مباشر للهلاك وخرق السفينة تسبُّب ولا يلزم منه الغرق ويمكن تدارك الخرق بالسدّ، والقتل لا سبيل إلى تداركه[(٤)].

أما الطيبي في فتوح الغيب يرى أن الإمْر أغلظ لأن قتل النفس أهون من قتل جماعة بخرق السفينة، وذكر أنه من باب التنزُّل من الأغلظ إلى الأهون [(٥)]، وردَّ هذا القول الألوسي بأنه: " ليس بشيء لأنه حكي على ترتيب الوجود لا تنزل فيه ولا ترقي ."[(٦)]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: تفسير الألوسي (٣١٩/٨)
(٢) . لسان العرب، مادة (أمر) .
(٣) . المفردات للراغب، مادة (نكر) .
(٤) . ينظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٧٣٦) ونظم الدرر (١١٣/١٢)
(٥) . ينظر: فتوح الغيب (٥٢٤/٩)
(٦) . تفسير الألوسي (٣١٩/٨)

صدق الله [السفهاء ـ اليتامَى]

قَالَ تعَالَى: {وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾} [سورة النساء:٥-٦]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (السفهاء) صفة مشبهة/جمع تكسير [و] الفُعَلاء إلى (اليتامى) صفة مشبهة/جمع تكسير [و] الفَعَالَى، وذلك العدول في سياق نهي الأولياء عن إيتاء السفهاء أموالهم، والسفيه " هو المستحقُّ الحجرَ بتضييعه مالَه وفسادِه وإفسادِه وسوء تدبيره ذلك " والحجر يكون للصغر، أو للجنون، أو لنقص العقل أو الدين (١)، ودفع الأموال إلى اليتامى مأمور به في الآية الثانية إذا رشدوا في عقولهم وتدبيرهم وديانتهم وقد بلغوا مبلغ النكاح وهو الحلم .

والعدول المعجمي من (السفهاء) إلى (اليتامى) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ زيادةً في الإيضاح واهتمامًا بالحكم، إذا كان المراد بالسفهاء هنالك خصوص اليتامَى، ولفظ (يتامَى) هنا مجاز مرسل علاقته اعتبار ما كان، إذ بعدَ بلوغهم لا يسمَّوْن يتامَى في لغة العرب " قالَ اللَّيْثُ: *هُوَ يَتِيمٌ* (مَا لَمْ يَبْلُغِ الحُلُمْ)، فَإِذَا بَلَغَ زَالَ عَنْهُ اسْمُ اليُتْمِ ." (٢) فالتعبير بلفظ (اليتامَى) فيه ترقيق لأفئدة أوليائهم وإثارة بواعث الرحمة من قلوبهم نحوَ هؤلاء الذين فقدُوا أباهم، لئلا يضنُّوا عليهم بمالٍ ويسعَوْا إلى دفع مُسْتَحَقَّاتهم دون تباطؤٍ .

الثاني: الإيذان بأن اليتامَى في حالة الابتلاء مرجو كمال عقولهم، ومتفاءل بزوال السفاهة عنهم، لئلا يلوح شبه تناقض بين وصفهم بالسفه وإيناس الرشد منهم، أفادَه الطاهر ابن عاشور .(٣)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ج) بلاغة العدول المعجمي من اسم المفعول إلى الصفة المشبهة :

٩٣. [معروف ـ سديد]

قَالَ تعَالَى: {وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٨﴾ وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَـٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾} [سورة النساء:٨-٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (معروف) اسم مفعول [و] مَفْعُول إلى (سديد) صفة مشبهة [و] فَعِيل، وذلك في سياق الأمر بالإحسان إلى أولي القربى واليتامَى والمساكين عند اقتسام التركة وهو أمر ندب لتطييب قلوبهم (٤) والآية الثانية فيها التأكيد على وجوب التمسُّك بتقوَى الله إذ هو المتكفِّل برزق العباد وتدبير أمورهم بما فيه صلاح المعاش والمعاد فلا ينبغي الخوف على الذرية أصْلًا .

---

(١) . ينظر: تفسير ابن كثير (٢/٢١٤)

(٢) . تاج العروس، مادة (يتم)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير (٤/٢٣٨)

(٤) . ينظر: نظم الدرر (٥/٢٠١)

والعدول المعجمي من (معروفًا) إلى (سديدًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى وجوب تحرِّي الأقوال التي يحصل بها درء المفاسد وجلب المصالح، فلفظ (سديدًا) مأخوذ من سد الثغر الذي يمنع استطراق شيء منه يضرُّ ما وراءَه [1]، فالذين يحضرون المشرف على الموت ينبغي لهم أن يأمروه بأن يبقى ماله لولده ولا يضيعه بالوصية لغيرهم، وذلك هو القول السديد الذي يدرأ به مفسدة ترك الورثة بلا ميراث ويجلب به النفع لهم، والإنسان إذا خاف على ولده من بعده فعليه بتقوى الله بالأعمال الصالحة والأقوال الصائبة التي تدفع الأذى وتجلب النفع وسوف يحفظ الله ﷻ له ولدَه من بعدهِ .

والذي يلي الأيتام مطلوب منه أن يعامله معاملة حسنةً، لا يكتفي بالقول المعروف بل يطلب منه يتحرَّى ما ينفعُهم من النصيحة ويدفع عنهم ما يضرُّهم؛ ابتغاء مرضاة الله وحسن ثوابه، فالعدول إلى (سديدًا) أفاد كل ذلك، ويتناسب مع المقاصد الإسلامية السامية والدعوة إلى الإحسان في كل شيءٍ .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما القول المعروف فالمراد به كلُّ ما يتأنَّس بِهِ مِنْ دعاءٍ، أو عدة، أو غير ذلك[2]، والأمر به للندْبِ؛ تطييبًا لقلوب من يحضرون القسمة من الأقارب واليتامى والمساكين، فسياق هذه الآية يختلف عن التي بعدها الآمرة بخشية الله وتقواه في الأقوال والأفعال .

المبحث الرابع

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المفعول

في هذا المبحث سوف يكون الحديث عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من الاسم إلى اسم المفعول، والعدول إلى اسم المفعول قليل جدًّا في القرآن الكريم، وهناك أسماء تستعمل استعمال اسم المفعول، وذلك نحو : رسول بمعنى مُرْسَل، وقد أدرجها الباحث ضمن هذا المبحث؛ لتقاربها الدلالي مع اسم المفعول .

وعلى هذا الأساس سوف ينقسم المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم المفعول إلى اسم المفعول :

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى اسمٍ بمعنى اسم المفعول :

(١) . ينظر: تفسير المنار (٤/٣٢٣)

(٢) . ينظر: تفسير الثعالبي (٢/١٧٤)

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم المفعول إلى اسم المفعول

لم يرد العدول المعجمي من اسم المفعول إلى اسم المفعول إلا المشتق من الفعل الثلاثي المبنيّ لما لم يُسَمَّ فاعلُه، وذلك في (مسحور) و(مثبورا) من : سُحِرَ، وثُبِرَ، في سورة الإسراء، وهذا وفقَ حدود الدراسة .

٩٤. [مسحور ـ مثبورا]

قَالَ تَعَالَى:﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍۢ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ [الإسراء: ١٠١ ـ ١٠٢]

في الآتين الكريمتين عدول معجمي من(مسحورًا) إلى(مثبورًا) وكلاهما اسم مفعول [و] مفْعُولًا، وذلك في سياق التأكيد على أن الله قد آتى موسى عليه السلام تسع آيات باهرات دالة على صدق نبوته، وتكذيب فرعون لموسى وظنه به أنه قد سُحِر، ورد موسى عليه بأن تلك الآيات لظهورها، وكونها حجة قاطعة على صدقه عليه السلام فمن كذَّب بها فإن مآله إلى الهلاك .

والعدول المعجمي من(مسحورًا) إلى(مثبورًا) له أغراض بلاغية منها :

الأول : المبالغة الذمّ لفرعون، فإن موسى عليه السلام لم يرد عليه بمثل قوله(مسحورا) وإنما عدَلَ عن ذلك إلى لفظ يحمل كثيرًا من المعاني منها : " مهلك، أو ملعون،أو ناقص العقل، أو مسحور، أو مصروف عن الخير مطبوع على قلبك ."[١] وكل هذه أوصاف لفرعون اللعين .

الثاني : الإشارة إلى جرأة موسى عليه السلام في مجابهة أهل الباطل، وثبات قلبه في الدعوة إلى الله، وأنه بعد أنْ كان خائفًا من فرعون، فإن الله قوّى قلبَه بالنبوة وجعله لا يخاف أحدًا غير الله، وذلك ظاهر من قوة المواجهة وشدة الخطاب لفرعون فإخباره بأنه هالك لا يقدر عليه أحدٌ إلا بتأييد الله، قال البقاعي :" **فأغلب مدار المادة الهلاك** ."[٢]

الثالث : الإيذان بأن موسى عليه السلام على علم تام بمآل فرعون، وأن عاقبته الهلاك لتكذيبه وعناده وكفره، بالله، وهذا من دلائل نبوته، وصحة فِراسته، فقد أخبر بأمرٍ غائبٍ عن الحسّ وقد صدق ظنُّه فيه، ومات فرعون غريقًا ولم يؤمن .

الرابع : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : مراعاة المناسبة الإيقاعية، القائمة على الاتفاق في الوزن والبنية المقطعية والحرف الأخير، فوزن الكلمتين(مَفْعُولا) والبنية المقطعية(ص ح ص ـ ص ح ح ـ ص ح ح)، والحرف الأخير(الراء) .

---

(١) . ينظر: الحر المحيط، لأبي حيان(٨٤/٦)

(٢) . نظم الدرر، للبقاعي(٩٥/٤)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الصفة المشبهة إلى اسمٍ بمعنى اسم المفعول

مما هو معروف عند أهل العلم أن هناك كثير من الصيغ غير القياسية تدل على معنى اسم المفعول، نحو : فِعْل : كطِحْن بمعنى مطحون، وفَعَل: كالسَّلَب بمعنى المسلوب، وفُعْل : كخُبْز بمعنى مخبوز، وفَعُول : كرَسُول بمعنى مرْسَل، ونحو ذلك (١).

ومما جاء العدول إليه لفظ(رسول) وهو فَعُول بمعنى مُرْسَل، وذلك في الأمثلة الآتية :

٩٥. [نبي ـ رسول]

قَالَ تَعَالَى:{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ... لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾} [سورة آل عمران:١٦١-١٦٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (نبيٍّ) صفة مشبهة من النبأ أو النَّبْوة [و] فَعِيل إلى (رسول) فَعُول بمعنى اسم المفعول، وذلك في سياق ردّ ما يقوله بعض الناس لما افتقدت قطيفة حمراء يوم بدرٍ من أن النبي ﷺ أخذها (٢)، فبيَّن لهم الله ﷻ أن ذلك لا يقع من الأنبياء أصْلًا، لكمال نزاهتهم وعظيم مكانتهم .

وبعد ذلك ذكر الله ﷻ أن الذي يطيع ربه ويتبع رضوانه فيدخل جنته أنه لا يستوي مع العاصي الذي مأواه جهنم، وسوف يرفع الله المؤمنين درجاتٍ عظيمة جزاءً على طاعتهم له سبحانه، ثم ذكرَ الله ﷻ منته على عباده بإرسال النبي محمد ﷺ الذي يتلو عليهم آيات ربهم ويعلمهم ما ينفعهم في دينهم فتزكو نفوسهم وتصفو قلوبهم ويزدادوا إيمانًا مع إيمانهم .

أما العدول من (نبيٍّ) إلى (رسولًا) فله أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة الامتنان على العباد فذكر الله ﷻ لفظ الرسول لأنه أبلغ في الإنعام عليهم (٣)، حيث إنه قد جاءهم برسالة سامية ليخرجهم من الظلمات إلى النور .

ولفظ (رسولا) يدل على الرسالة، وقوله: (من أنفسهم) يدل على كونه ﷺ عربيًّا لأن المخاطبين هنا هم العرب، فيلزم منه أن تكون الرسالة عربية ليفهموها فيعملوا بمقتضاها، فالرسول ﷺ أجلُّ النعم وأوفاها ورسالته أعلاها وأبهاها، قال الطاهر: " كونه عربيا يوجب أنسهم به والركون إليه وعدم الاستيحاش منه، وكونه يتكلم بلسانهم يجعلهم سريعين إلى فهم ما يجيء به، وكونه جارا لهم وربيا فيهم يعجل لهم التصديق برسالته، إذ يكونون قد خبروا أمره، وعلموا فضله، وشاهدوا استقامته ومعجزاته... وهذه المنة خاصة بالعرب ومزية لهم، زيادة على المنة ببعثة محمد على جميع البشر " (٤)

---

١ . ينظر: معاني الأبنية، للدكتور : فاضل صالح السامرائي ص ٥٨ . ٦٢ . .

(٢) . الدر المنثور للسيوطي (٢/٣٦١)

(٣) . ينظر: تفسير ابن عرفة (١/٤٤٠ . ٤٤١)

(٤) . التحرير والتنوير (٤/ ١٥٨)

الثاني: أن في وصف الرسالة تعظيم للنبي ﷺ وتشريف إذ جمع بين مقام النبوة والرسالة، فإن كان النبي لا ينبغي أن ينسب له الغلول أصْلًا فأحرى بالرسول الذي يعلم الناس الخير ويهديهم إلى الفضائل ومحاسن الأخلاق .[1]

واختير لفظ النبي لأنه من النَّبْوَة أي: الرفعة، قال الراغب: " وسمّي نَبِيًّا لرِفْعة محلّه عن سائر الناس ... فالنَّبِيُّ بغير الهمْز أبلغُ من النَّبِيء بالهمْز، لأنه ليس كلّ مُنَبَّإٍ رفيعَ القَدْر والمحلّ ".[2] فكان ذكر النبوة في هذا السياق أنسب إذ النبي ﷺ . لشرفه وكمال نزاهته وعلو قدره . لا تنسب إليه أفعال ذوي الهمم الوضيعة كالسرقة ونحوها .

وقَالَ تَعَالَىٰ: { وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾} [سورة **التوبة:٦١**]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (النبي) إلى (رسول) وذلك في سياق ذكر بعض مساوئ المنافقين وأنهم يؤذون النبي ﷺ بالأقاويل الباطلة ويزعمون أنه ﷺ يصدِّق كل ما يسمع، يستهزئون بذلك قاتلهم الله .

والعدول المعجمي من (النبي) إلى (رسول) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بعظمة النبي محمد ﷺ إذ جمع بين أعظم وصفين للبشر على الإطلاق وهما: النبوة والرسالة، وقد ناسب ذلك التعظيم لجناب الرسول ﷺ (٣)؛ ردًّا على افتراء المنافقين الذين يقولون عنه: هو أذن، بقصد تنفير الناس عنه لئلا يتبعوه، فالذي يصدق كل ما يسمع يعرف بخفة العقل وقلة الحكمة، وحاشاه ﷺ من قيل المنافقين الأفّاكين، فقد شرَّفه الله ﷻ بمقام النبوة وهي مشتقة من النبْوَة أي: الرفعة والشرف واصطفاه بالرسالة، وهو ما يدل عليه اللفظ المعدول إليه (رسول)، والإضافة لاسم الجلالة للتنويه بشأنه عليه السلام، فكانَ ﷺ حريًّا بكل تعظيم لا أن يؤذى بهذه الأقاويل .

الثاني: التنبيه على أن أذيته عليه السلام راجعة إلى جنابه ﷻ موجبة لكمال السخط والغضب منه ﷻ (٤)، فالقصد من قيلهم هذا هو الحطّ من رسالته وعدم الوثوق بها، وصدّ الناس عنها، لذلك ذكر ﷺ بعنوان الرسالة، قال في تفسير المنار: " الآية وما في معناها دليل على أن إيذاء الرسول . صلى الله عليه وسلم . كفر إذا كان فيما يتعلق بصفة الرسالة؛ فإن إيذاءه في رسالته، ينافي صدق الإيمان ." (٥)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: تفسير ابن عرفة (٤٤٠/١ - ٤٤١)
(٢) . المفردات، مادة (نبي)
(٣) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٢٤١/١٠)
(٤) . ينظر: تفسير أبي السعود (٧٨/٤) والتحرير والتنوير للطاهر (٢٤٤/١٠)
(٥) . تفسير المنار (٤٤٩/١٠)

المبحث الخامس

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى اسم المكان المشتق

في هذا المبحث سيكون الكلام عن بلاغة العدول المعجمي إلى اسم المكان المشتق، واسم المكان : هو اسم يدل على مكان حدوث الفعل، نحو : موقِف، وملعَب، ومجتمَع .

وتطلَّب توضيح هذا النوع العدولي أن يكون في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم المكان إلى اسم المكان .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم المكان .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم المكان إلى اسم المكان

لقد كان العدول المعجمي بين أسماء المكان عدولًا يتسم بالبلاغة وتمام الفصاحة، ولكن الباحث لم يجد له ـ في حدود الدراسة ـ إلا نماذج قليلة، وذلك على النحو الآتي :

٩٦. [مأوى ـ مثوى]

قَالَ تَعَالَىٰ: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾} [سورة آل عمران:١٥١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مأوى) اسم مكان [و] مَفْعَل إلى (مثوى) اسم مكان [و] مَفْعَل وذلك في سياق تهديد المشركين الذين حاربوا المسلمين في غزوة أحد بأن الله يقذف في قلوبهم الجزع والهلع بسبب شركهم بالله وتكذيبهم محمد ﷺ ووعيدهم بدخول النار وإقامتهم فيها .(١)

والعدول المعجمي من (مأواهم) إلى (مثوى) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بخلود المشركين في نار جهنم؛ زيادةً في إلقاء الرهبة في نفوسهم مما سيلقونه يوم القيامة من العذاب الشديد المقيم الذي لا يفتَّر عنهم لحظةً، وهذا المعنى مستفادٌ من لفظ (مثوى) لأنه من الثواء أي: الإقامة .(٢) قال أبو

---

(١) ـ ينظر: تفسير الطبري (٧/٢٧٩)

(٢) ـ ينظر: تفسير أبي السعود (٢/ ٩٨)

حيان: " جعل النار مأواهم ومثواهم. وبدأ بالمأوى وهو المكان الذي يأوي إليه الإنسان ولا يلزم منه الثواء، لأن الثواء دال على الإقامة، فجعلها مأوى ومثوى ." [1]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما اختيار (المأوى) أولًا فللتهكم بالمشركين، فالمأوى: المكان الذي يأوي إليه الإنسان لنفعٍ فيه، والنار كلها شرٌّ فوصفها بذلك؛ تهكمًا وإيذانًا بأن الكافر كلما انتقل إلى مكان يأوي إليه لعله يكون أخف عذابًا وجدَهُ مثل الأول أو أشد، قَالَ تَعَالَىٰ:{ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾} [سورة الحج:٢٢]

٩٧. [مأوى ـ المصير]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۚ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٦٢﴾} [سورة آل عمران:١٦٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مأوى) اسم مكان [و] مَفْعَل إلى (المصير) اسم مكان [و] المَفْعِل

وذلك في سياق بيان كر الله ﷻ أن الذي يطيع ربه ويتبع رضوانه فيدخل جنته أنه لا يستوي مع العاصي الذي مأواه جهنم .

والعدول المعجمي من (مأواه) إلى (المصير) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهويل من عذاب النار، فإن الإنسان لا يرجع إليها سالما مثلما كان في الدنيا، لكنه يخلق خلقا آخر بشكل فظيع، **فالمصير: اسم مكان يدل منتهى الأمر،** وذلك على خلاف الحالةِ الأولى،وأوصاف أهل النار ذكرت في القرآن والسنة؛ تحذيرًا من سلوك سبيلهم المفضي إلى شدة العذاب فيها وقد روي أن ضرس الكافر مثل جبل أحد، وهذا تغيير لحالتهم التي كانوا عليها إلى حالة مفزعة أعاذنا الله منها، فالعدول عن المأوى إلى (المصير) الغرض منه التنبيه على سوء المنقلب لهؤلاء الكفار بقبح المنظر وتغيُّر الهيئة إلى شيءٍ تزدريه النفس وسيعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون .

هذا وقد يراد بالمصير : المصدر الميمي فيدل على الحدث المتلبس بالذات [2]، فيدل على الصيرورة ويدل على مكان العذاب الذي يصار إليه، وهذا من الإيجاز القرآني البديع .

قال الراغب: " والفرق بين المصير والمرجع: أن الرجوع هو انقلاب الشيء إلى حال كان عليها، أو ما هو مُقدّر تقديرها. والمصير: التنقل من حال إلى حال أخرى، فهو أعمُّ من الرجوع." [3]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فلو قيل: وبئس المأوى، لاستثقل على اللسان لتوالي الهمزات .

ثالثهما: مراعاة الفاصلة، فقوله: (المصير) يناسب كثيرا من فواصل السورة من الناحية المقطعية والحرف الأخير أحدهما أو كليهما، لكن كلمة (المأوى) لانتهائها بالألف اللينة، لا تناسب أي فاصلة من فواصل السورة فعدل عنها، إلى ما يناسب صوتيًا .

---

(١) . البحر المحيط (٣/٣٧٨)

(٢) . ينظر: معاني الأبنية للسامرائي ص ٣٢

(٣) . تفسير الراغب (٣/٩٦٣)

المطلب الثاني

العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى اسم المكان

سبق أن ذكر الباحث بلاغة العدول المعجمي بين أسماء المكان المشتقة، وفي هذا المطلب يكون الحديث عن البلاغة العالية للعدول من اسم الفاعل إلى اسم المكان، ولم يجد الباحث في النصف الأول من القرآن الكريم إلا شاهدًا واحِدًا على هذا النوع العدوليّ وذلك في سورة الكهف كما يلي :

٩٨. [متكئين ـ مرتفق]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾ ﴾ الكهف: ٣٠ – ٣١

في الآية الثانية عدول معجمي من(متكئين) اسم فاعل [و] مفْتَعِلين، إلى(مُرْتَفَقًا) اسم مكان من الفعل ارتفق [و] مُفْتَعَلًا، وذلك في سياق بيان الثواب العظيم للمؤمنين الحريصين على الأعمال الصالحة التي توصلهم إلى مرضات ربهم وجناته.

والعدول المعجمي من(متكئين) إلى(مرتفقا) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التخصيص؛ ترغيبًا في نعيم الجنة، قال أبو زهرة :" والمرتفق أصله من الاتكاء على المرفق، وهو دليل الاطمئنان والراحة والنعيم."[(١)] فهو أخص من مطلق الاتكاء، والارتفاق مشتق من الرفق، "قَالَ العَضُدُ: الرِّفْقُ: حُسنُ الانْقِيادِ لما يؤَدِّي إِلَى الجَميلِ، والرِّفق: اللُّطْفُ " [(٢)] فعلى هذا فإن المؤمنين في الجنة في راحة وألطاف ورحمات من ربهم، وذلك من فضله . سبحانه . حيث إنهم اجتهدوا في الدنيا في عبادته، وإخلاص الدين له، وقاوموا شَهَوَات النفس ونَزَغَات الشيطان وغَلَبَات الهوى، فكان من إحسان ربهم أن أبدلَهم بعد تعبِهم راحة وطمأنينة ورفقًا ونعيمًا .

الثاني : مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولها : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل في الآية الكريمة، أخف لفظًا مما لو قيل :(متكئين فيها على الأرائك .... وحسنت متكأً) لِثِقَلِ الكاف والهمز والتاء فكان العدول إلى(مرتفقًا) محققا العذوبة الصوتية والنغم الجميل .

ثالثها : مراعاة المناسبة الإيقاعية بين بعض فواصل السورة الكريمة، فسورة الكهف من فواصلها ما ينتهي بصوت القاف وهي أربعة فواصل :(مِرْفَقًا . زلقًا . موْبِقًا . حَقًّا) فالفاصلة المعدول إليها(مرتفقا) تتناسب إيقاعيًا مع تلك الفواصل الأربعة في حرف الروي والمقطع الأخير، ولو قيل : (متكأ) لم يحصل التناسب الإيقاعي من ناحية حرف الروي مع أي فاصلة في السورة جميعًا .

---

(١) . زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٤٥٢٦/٩)

(٢) . تاج العروس، للزبيدي، مادة(رفق) .

المبحث السادس

العدول المعجمي من اسم إلى الاسم المنسوب

الاسم المنسوب ظاهرة لغوية مهمّة، ولمْ تُدرج ضمن المشتقات في الدرس الصرفي فقد عُقِدَ لها مبحثٌ مستقلّ، لكن لندرة الشواهد العدولية لهذا القسم الصرفي في القرآن الكريم، فلم يرد إلا في العدول من (آل) إلى (ذُرِّيَّة) في سورة آل عمران قد أدرجه الباحث ضمن المشتقات؛ تشبيهًا له بالمشتق، فكلمة(مصريّ) مثلًا تعني : منسوب أو منتسِب لمصر.

٩٩. [آل ـ ذرِّيّة]

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾} [سورة آل عمران:٣٣–٣٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آل) اسم ذات [و] فَعْل إلى (ذرية) اسم منسوب إلى الذر والمراد : النسل [و] فُعْلِيَّة وذلك في سياق تذكير الناس بمنزلة آدم ونوح وآل إبراهيم وآل عمران وأن الله ﷻ قد اصفاهم على جميع الناس؛ لعلو قدرهم عنده جل شأنه .

والعدول المعجمي من (آل) إلى (ذرية) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن الله ﷻ قد اصطفاهم اصطفاءً خاصًّا؛ فأعلى منزلتهم في العالمين وشرفهم ورفع ذكرهم إلى يوم القيامة، قال البقاعي: " فكان نصب لفظ الذرية ـ على الحالية ـ تكييفاً لهذا الاصطفاء المستخلص على وجه الذر ."(١) فهو إذن اختيار تحوطه العناية الربانية منذ أن خُلِقُوا .

الثاني: التنبيه على بطلان إلاهية المسيح من جهتين:

أولاهما: كونه عليه السلام مخلوقًا، والمخلوق لا يكون إلهًا البتة، فالذرية مشتقة من معنى الذرء الذي هو مخصوص بالخلق ليظهر انتظام عيسى عليه السلام في سلك الجميع ذرءًا، والله سبحانه وتعالى لم يلد ولم يولد .

ثانيهما: أن عيسى عليه السلام من ذريَّةٍ متشعبة بعضها من بعض في التناسل (٢). وفي ذلك معنى التشابه والتماثل(٣)، فكلهم من بني آدم، لا مزية لبعضهم على بعض في ذلك (٤).فتبيَّن بالعدول إلى لفظ (ذرية) نفي إلاهية المسيح عليه السلام لأن الإلهية تتعالى عن المماثلة فالله ﷻ ليس كمثله شيء .

---

(١) . نظم الدرر للبقاعي (٣٤٨/٤)

(٢) . ينظر: البحر المحيط (١١١/٣)

(٣) . ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٣٤٦/٤)

(٤) . ينظر: نظم الدرر للبقاعي (٣٤٥/٤)

أما اختيار الآل أولًا، فلأنه دالٌّ على رهط الرجل وقرابته [1]، بالإضافة إلى معنى الاتباع في المنهج والسلوك، فيكون المراد بذلك " تذكير اليهود والنصارى بشدة انتساب أنبيائهم إلى النبي محمد ﷺ، فما كان ينبغي أن يجعلوا موجب القرابة موجب عداوة وتفريق. " [2] وقد جاء ﷺ مصدِقًا لما معهم ومتَّبِعًا لملة إبراهيم المبنية على التوحيد وإخلاص الدين لله .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٢٣١/٣)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير للطاهر (٢٣١/٣)

الباب الثاني

بلاغة العدول المعجمي بين الأفعال

الباب الثاني

بلاغة العدول المعجمي بين الأفعال

تُقَسَّمُ الأفعال في العربية إلى : ماضٍ ومضارعٍ وأمْرٍ .

فالماضي : ما دلَّ على حدوث شيءٍ قبل زمن التكلُّم، نحو : قام، وقعد، وأكل وشرب .

والمضارع : ما دلَّ على حدوث شيءٍ في زمن التكلم أو بعده، نحو : يقرأ ويكتب، فهو صالح للحال والاستقبال .

والأمر : ما يطلَب به حصول شيءٍ بعد زمن التكلم، نحو : اجتهِدْ . [1]

وبناءً على أنواع الفعل العربية قسّم الباحث الباب الثاني الخاص بالعدول بين الأفعال إلى ثلاثة فصول، والجدير بالذكر أن العدول المعجمي إلى الأفعال المضارعة كان أكثر أنواع العدول الفعلي ورودًا في الذكر الحكيم، ثم العدول إلى الأفعال الماضية وأقلها العدول إلى الأمر.

ويندرج تحت هذا الباب ثلاثة فصول كالآتي :

الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل الماضي .

الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل المضارع .

الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر .

---

١ . ينظر: شذا العرف في فن الصرف، للحملاوي ص ٢٠ . ٢١ .

الفصل الأول

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل الماضي

الفصل الأول

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل الماضي

تعدد نماذج العدول إلى الفعل الماضي في القرآن الكريم، وذلك لأغراض بلاغية كثيرة ودلالات فريدة، تتآزر مع السياق العام للسورة والسياق الخاص للآية، وبالنظر إلى اللفظ المعدول منه يتطلب الفصل أن يكون في ثلاثة مباحث كالتالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي .

وأبرز الأغراض البلاغية للعدول المعجمي إلى الماضي على النحو التالي :

أوَّلًا : الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعميم، والمبالغة، والإعلام، والتعريض والتشنيع، والامتنان، والتسجيل، والاهتمام، والحث، والاحتراس، والمدح .

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي

قد يكون الفعل الماضي ثلاثيًّا، نحو : كَتَبَ، وعَلِمَ، أو غيرَ ثلاثيٍّ، نحو : أخرجَ، وانطلَق، واستخرجَ، وعلى هذا الأساس فإن العدول المعجمي إلى الماضي يكون في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي الثلاثي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي الثلاثي

من أنواع العدول المعجمي بين الأفعال العدول من الماضي إلى الماضي، وقد يكون الماضي ثلاثيًّا أو رُباعيًّا أو خماسيًّا أو سداسيًّا، وفي هذا المطلب يكون الكلام منصبًّا على العدول المعجمي إلى الفعل الماضي الثلاثي فقط .

ويتطلب تبيين الأوجه البلاغية لهذا النوع العدولي أن يكون الكلام في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى الماضي الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى الماضي الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى الماضي الثلاثي :

١٠٠. [خلق ـ جعل]

قَالَ تَعَالَى: {ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾} [سورة الأنعام:١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (خلق) إلى (جعل) وكلاهما فعل ماضٍ [و] فَعَل، وذلك العدول ورد في سياق الامتنان على العباد بخلق السموات والأرض والظلمات والنور وأن ذلك مستوجب لشكر المنعم جل وعلا وطاعته .

وللعدول إلى الفعل (جعل) أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، زيادة في الامتنان؛ حثًّا على الشكر، قال الطيبي: " قوله: (وفي "الجعل" معنى التضمين)، ولهذا لا يتصور إلا بين شيئين، ومن ثم قال: "كإنشاء شيءٍ من شيء". قال الراغب: "جعل: لفظ عام في الأفعال كلها ." [١]، فيكون التعبير به أشمل إذ المعنى أنه خلق الأجرام التي ينتج منها النور والظلام وأنشأهما منها فتكون مِنَّتَيْن: بالخلق والتصيير، وذلك يدل على كمال القدرة والعلم .

---

(١) . فتوح الغيب، للطيبي (٦/٦)

الثاني: الإشارة إلى التعاقب بينهما، قال الرازي: " وإنما حسن لفظ الجعل هاهنا لأن النور والظلمة لما تعاقبا صار كأنه كل واحد منهما إنما تولد من الآخر ."(١)

الثالث: التنبيه إلى حدوث النور والظلمة؛ تعريضًا بإبطال عقائد كفار العرب والمجوس الذين ألهوا النور والظلمة، قال القرطبي: " قوله تعالى: " وجعل الظلمات والنور " ذكر بعد خلق الجواهر خلق الأعراض لكون الجوهر لا يستغني عنه وما لا يستغني عن الحوادث فهو حادث ." (٢) وقال البيضاوي: " عبر عن إحداث النور والظلمة بالجعل تنبيها على أنهما لا يقومان بأنفسهما كما زعمت الثنوية ."(٣)

قال الطاهر: " فالتفرقة بين فعل (خلق) وفعل (جعل) هنا معدود من فصاحة الكلمات . وإنّ لكلّ كلمة مع صاحبتها مقاماً، وهو ما يسمّى في عرف الأدباء برشاقة الكلمة ففعل (خلق) أَلْيق بإيجاد الذوات، وفعل (جعل) أليق بإيجاد أعراض الذوات وأحوالها ونظامها ."(٤)

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير، قال الماوردي: " {وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ} يعني وخلق، فغاير بين اللفظ ليكون أحسن في النظم ."(٥)

ثانيهما : الخفة اللفظية، فقوله عز شأنُه : (وجعل الظلمات) أخف وأسلس مما لو قيل : (وخلق الظلمات) وذلك لأنّ أصوات كلمة (جعل) كلها مرققة وبعدها صوت (الظاء) المشدد في الكلمة الأخرى، فالنطق بالكلمتين لا ينشأ منهُ ثقلٌ، بينما لو قيل :(وخلق الظلمات) لحدث الثقل اللفظي ولا بدَّ، والجدير بالذكر أن القاف لم يأتِ بعدها ظاء مشددة في جميع القرآن؛ لما في ذلك من الثقل الملحوظ(٦) .

---

(١) . مفاتيح الغيب للرازي (١٢/ ٤٧٨)
(٢) . تفسير القرطبي (٦/٣٨٦)
(٣) . تفسير البيضاوي (٢/ ١٥٣)
(٤) . التحرير والتنوير (٧/١٢٧)
(٥) . النكت والعيون، للماوردي (٢/ ٩٢)
(٦) . هذا بناءً على استقراء الألفاظ القرآنية حسب المعجم المفهرس لأفاظ القرآن الكريم، لمحمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار الحديث ٢٠٠٧م .
والجدير بالذكر أن يقال: إن الفصاحة اللفظية في القرآن تشمل فصاحة التركيب بحيث يكون موافقًا لقواعد اللغة وخلوه من التنافر اللفظي الناشئ من تجاور الكلمات، فلو اقتصر النظر على لفظ (خلق) فليس فيه ثقل، بينما إن جاءت بعده ظاء مشددة في كلمة أخرى مجاورة له ينشأ الثقل اللفظي ، وقد ذكرت لفظة (خلق) المعدول عنه في (وخلق السموات) ولم ينشأ ثقل لأن الانتقال من القاف إلى السين فيه سهولة ملحوظة .

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾} [سورة الأعراف:١٨٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (خلق) إلى (جعل) وكلاهما فعل ماضٍ [و] فعَل، وذلك العدول في سياق الامتنان على العباد بنعمة الخلق والنفس تحب من يحسن إليهَا، ليؤكد وحدانيته وأنه أهل أن يشكر لا أن يشرك به .

والعدول المعجمي إلى الفعل (جعل) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التذكير بهذه الحالة العجيبة الدالة على عظم القدرة وسعة العلم؛ حيث أنشأ من آدم عليه السلام زوجه من ضلع من أضلاعه كما نص عليه الحديث (١) وهذا أمر عجيب ولكن الله على كل شيء قدير لا يعجزه شيء، ومن قدر على اختراع حي (وهو آدم) من شيء ليس له أصل في الحياة (وهو التراب)، كان على خلق ذات متسببة عنه أقدر . نقل البقاعي عن الحرالي أن الجعل : إظهارُ أمرٍ عن سبب وتصيير (٢) .

الثاني: زيادة الامتنان؛ إذ خلقها على صورة يحصل بها السكن والمودة، فالنفس تنزع إلى ما يشاكلها وتأنس به فلهذه الدلالة اختير لفظ (جعل) لما فيه من معنى التصيير وهو زيادة على معنى الخلق الابتدائي، قال الزمخشري: " لِيَسْكُنَ إِلَيْها ليطمئن إليها ويميل ولا ينفر، لأن الجنس إلى الجنس أميل وبه آنس، وإذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة أبلغ، كما يسكن الإنسان إلى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه." (٣)

الثالث: الإشارة إلى أن هذه الآية لا يراد بها آدم وزوجه ــ عليهما السلام ــ ذكر ذلك ابن جماعة في كشف المعاني حيث قال: ": " آية النساء في آدم وحواء عليهما السلام لأنها خلقت منه، وآية الأعراف، قيل: في قصي، أو غيره من المشركين ولم تخلق زوجته منه، فقال: (وَجَعَلَ)، لأن الجعل لا يلزم منه الخلق، فمعناه: جعل من جنسها زوجها." (٤)؛ لكن الحق هو أن هذه الآية الكريمة فيها " انتقال من النوع إلى الجنس، فإن أول الكلام في آدم وحواء، ثم انتقل إلى الكلام في الجنس، ولا شك أن هذا موجود في الذرية كثيرا . " (٥) فيكون الوجهان الأولان أولى وأوفق بسياق الآية الكريمة .

---

١) صحيح البخاري، ط: طوق النجاة، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، حديث رقم (٣٣٣١)
(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (١٨٩/٨)
(٣) . الكشاف للزمخشري (١٨٦/٢)
(٤) . كشف المعاني، لابن جماعة ص ١٣٦
(٥) . ينظر: تفسير السعدي ص ٣١١

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الزركشي في البرهان: "وَقَالَ سُبْحَانَهُ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ {وَجَعَلَ مِنْهَا زوجها} وفي سورة النساء: {وخلق منها زوجها} فَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا قَدْ يُسْتَعْمَلَانِ اسْتِعْمَالَ الْمُتَرَادِفَيْنِ ." (١)

١٠١. [تبع ـ كفروا]

قَالَ تَعَالَى: {قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾} [سورة البقرة:٣٨-٣٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تبع) فعل ماضٍ [و] فَعِلَ إلى (كفروا) فعل ماض [و] فَعَلُوا، وذلك في سياق وعد المؤمنين الذين يتبعون هدى الله بالأمن من المخاوف وحصول المسرَّات، ووعيد الكافرين بالنار الشديدة وخلودهم فيها .

والعدول المعجمي إلى (كفروا) لأغراض بلاغية منها:

الأول: الاحتراس، فلو قال: " ومن لم يتبع هداي " لاشتمل كل من لم يتبع هداه . جل شأنه . فيدخل فيه غير المكلفين كالأطفال والمجانين، لكن ما عليه النظم الجليل هو الحق لأن المستحقين للخلود في النار هم الكفار المكذبون لآيات الله، فكان تخصيصهم بالذكر في غاية الحسن(٢) .

الثاني: . التشنيع على الذين لم يتبعوا هدى الله . بوصف الكفر والتكذيب تصريحًا؛ ليعلم قبح فعالهم فيكون أدعى لاجتناب سبيلهم . قال أبو السعود: " {والذين كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بآياتنا} عطف على من تبِعَ إلخ قسيمٌ له، كأنه قيل: ومن لم يتْبَعْه، وإنما أوثر عليه ما ذكر تفظيعًا لحال الضلالةِ وإظهاراً لكمالِ قُبحِها ." (٣)

١٠٢. [جئناك ـ أتيناك]

قَالَ تَعَالَىٰ: { قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ ۙ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا۟ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾} [سورة الحجر:٥٨ـ٦٤]

(١) . البرهان في علوم القرآن (٤/١٣٠)
(٢) . ينظر: تفسير الألوسي (١/٢٤٢)
(٣) . تفسير أبي السعود (١/ ٩٣)، تفسير الألوسي (١/٢٤٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

في آخر آيتين عدول معجمي من (جئناك) فعل ماضٍ [و] فِلْنَاكَ إلى (أتيناك) فعل ماضٍ [و] فَعَلْنَاكَ، وذلك في سياق ذكر مخاطبة الملائكة الكرام للوطٍ ـ عليه السلام ـ في أمر قومه وأنهم أرسلهم الله لهلاكهم بسبب أفاعيلهم المنكرة .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (وأتيناك) أغراض بلاغية:

الأول: الإشارة إلى أن تعذيب قومه يسير على الملائكة، فالتعبير أولا بالمجيء إلماح إلى شدة العذاب وفظاعته، والعدول إلى الإتيان للتأكيد على قوتهم على إيقاعه بهم على الوجه الذي لا يفلتون منه، كما أن هذا الفعل مشعر بتتابع أنواع العذاب عليهم وذلك مأخوذ من الأتي: وهو الجدول الذي يجري فيه الماء ولا يعوقه شيء[1]، وقد تتابع عليهم العذاب، **قَالَ تَعَالَى:**{فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾} [سورة الحجر:٧٣-٧٤]

الثاني: التفنن في التعبير، إن قيل بالترادف بين الإتيان والمجيء، قال الطاهر: " فإعادة فعل أتيناك بعد واو العطف مع أن فعل أتيناك مرادف لفعل جئناك دون أن يقول: وبالحق، يحتمل أن يكون للتأكيد اللفظي بالمرادف. والتعبير في أحد الفعلين بمادة المجيء وفي الفعل الآخر بمادة الإتيان لمجرد التفنن لدفع تكرار الفعل الواحد، كقوله تعالى في سورة الفرقان [٣٣]: ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا ." [2]

١٠٣. [كسب ـ عملوا]

قَالَ تَعَالَى: {بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة البقرة:٨١ـ٨٢]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (كَسَب) فعل ماضٍ [و] فَعَلَ إلى (عَمِلُوا) فعل ماضٍ [و] فَعِلُوا والفعلان متقاربان في المعنى، وسياق الآية الأولى في تهديد الكفار ووعيدهم بدخول النار وخلودهم فيها لسوء فعالهم وإشراكهم بالله ـ سبحانه ـ وسياق الآية الثانية في وعد المؤمنين وذكر ثوابهم يوم القيامة وتشريفهم بدخول الجنة وخلودهم فيها .

والعدول المعجمي إلى لفظ (عملوا) لأغراض منها:

---

(١) . ينظر: المفردات للراغب، ط: دار القلم ـ بيروت، تحقيق : صفوان عدنان الداودي، ١٤١٢هـ، ص ٦٠ .

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٦٣/١٤)

الأول: التنبيه إلى ضرورة المداومة على الأعمال الصالحة، فالعَمَل يكون لما يحتاج إلى امتداد زمني لأنه (فَعَل) وباب (فَعَل) لما تكرر،[1] وقد جاء في معجم الفروق :" وأصل العمل في اللغة الدءوب ومنه سميت الراحلة يَعْمَلَة ." [2] ويستفاد من هذا ثبات المؤمنين على طاعة ربهم ابتغاءَ مرضاته، فذكر لفظ العمل لتعظيم تلك الخصال؛ حثًّا على سلوك سبيلهم الموجبة لعظيم الثواب والخلود في الجنة، لذلك كانوا أصحاب الجنة والصحبة تدل على طول الملازمة، لأنهم كانوا في الدنيا ملازمين للأعمال الصالحة لا ينفكون عنها فكان الجزاء من جنس العمل، هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .

فلم يقل: (كسبوا الصالحات) لأن الكسب قد يستعمل في مجرد الفعل ولو لم يتكرر أو تطل مدته، فهو أعم من العمل من هذا الوجه، فالعمل يكون لما يحتاج إلى مهلة كما دلَّ عليه الاستعمال القرآني في أكثر من موضع .

وعلى هذا يتبين فائدة ذكر: " وأحاطت به خطيئته " بعد " الكسب " لأن ما يوجب الخلود في النار هو الإحاطة التامة ولا تكون إلا بملازمة المعصية وعدم الانفكاك عنها فهي تتكرر ويطول تلبثهم بها، قال الشوكاني: " ثم أوضح سبحانه أن مجرد كسب السيئة لا يوجب الخلود في النار، بل لا بد أن تكون سيئة محيطة به . قيل: هي الشرك، وقيل الكبيرة، وتفسيرها بالشرك أولى؛ لما ثبت في السنة تواتراً من خروج عصاة الموحدين من النار ." [3]

الثاني: مدح المؤمنين والإشارة إلى بعض خصالهم الحميدة، وهو أن عبوديتهم لله كانت بعلمٍ وهدى، فالعمل يكون بقصد وعلم من العامل، فلفظ (العلم والعمل) متفقان في نوع الحروف، فيكون العدول إليه لشرف نواياهم وعلمهم بما يستحقه ربهم من العبودية وأنهم يعبدون الله بعلم فجمعوا بين سلامة النية وحسن العمل .

والعدول إلى لفظ (العمل) لأنه يشمل الأفعال والأقوال الصالحة، وعلى ذلك السبيل ينبغي أن يسير المؤمن فالدين لا يتجزَّأ فهم يتبعون الهدى جميعَه، وليسوا كاليهود الذين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن وزوال كلفة التكرار .

ثانيهما : الخفة اللفظية، وأنه لو قيل: " وكسبوا الصالحات " لثقل اللفظ لتقارب السين والصاد واشتراكهما في كثير من الصفات، فقوله: (عملوا الصالحات) أخف لفظًا .

(١) . ينظر: البرهان في علوم القرآن، للزركشي، ط: دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، (٤/٨٣)

(٢) . معجم الفروق اللغوية، ص ٣٧٧ .

(٣) . فتح القدير، للشوكاني، ط: دار الفكر – بيروت، (١/١٠٥)

وإنما جيء في الآية الأولى بمادة الكسب للتهكم، قال أبو السعود: " والكسبُ استجلابُ النفعِ، وتعليقُه بالسيئة على طريقة فبشِّرْهم بعذاب أليم ." (١)

١٠٤. [وجدتموهم ـ ثقفتموهم]

قَالَ تَعَالَىٰ: { ۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ ۖ وَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوْ جَآءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ فَإِن لَّمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوٓا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿٩١﴾} [سورة النساء:٨٨-٩١] .

وفي الآية التاسعة والثمانين قد ذكر الفعل (وَجَدتُّمُوهم) **فعل ماضٍ [و] فَعَلْتُموهم، ثم عدل عنه في الآية الحادية والتسعين إلى الفعل** (ثَقِفْتُمُوهم) **فعل ماضٍ [و] فَعِلْتُمُوهم**، وذلك في سياق الأمر بقتال أهل الكفر والغدر الذين غايتهم الإضرار بالمسلمين، قال أبو السعود: " {سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ} هم قومٌ من أسَد وغطَفانَ كانوا إذا أتَوا المدينةَ أسلموا وعاهَدوا ليأْمَنوا المسلمين فإذا رجعوا إلى قومهم نكَثوا عُهودَهم ليأمَنوا قومَهم ." (٢)

وللعدول المعجمي من الفعل (وجدتموهم) **إلى الفعل** (ثقفتموهم) **أغراض بلاغية منها :**

الأول: التعميم للأماكن؛ زيادة في التشديد (٣) **على** هؤلاء المخادعين إذا لم يرجعوا عن حالهم إلى حال الآخرين المعتزلين الملقين للسلم، **وحثًّا للمؤمنين على قتالهم في كل مكان،** وقد بيَّن الطاهر . رحمه الله . أن الأمر في قوله تعالى : (وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ) إنما هو إذن للمسلمين في قتل مَن يُعثر عليه من أعداء الإسلام، وإن لم يكن في ساحة القتال فقد عَمَّمَ المواقع والبقاع زيادة في أحوال القتل وتصريحاً بتعميم الأماكن فكل مكان يحل فيه العدو فهو موضع قتال سواء كانوا مشتبكين بقتال المسلمين أم كانوا في حالة تنقل أو تطلع.(٤)

---

(١) . تفسير أبي السعود (١٥٥/١)

(٢) . تفسير أبي السعود (١٣٢/٢)

(٣) . ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٣٣٢/٣)

(٤) . التحرير والتنوير (٢٠١/٢. ٢٠٣)

الثاني: الإشارة إلى تيسير التمكين منهم، وهذا الأمر فيه رحمة للمؤمنين وحسرة على الكافرين، فقد كان نفاقهم في غاية القبح ونهاية الدناءة، فامتنّ الله على المؤمنين بالظفر عليهم وإعانتهم على قتالهم وتيسيره لهم، بحيث يكون الرجل من المؤمنين حاذقًا في قتال أعداء الملة فطنًا به خفيفًا فيه، وهذا الوجه مبنيٌّ على أن (الثقف: الحاذق الخفيف الفطن)[(١)]

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

والجدير بالذكر أن يقال: إن لفظ (ثقف) يستعمل في القرآن الكريم في مقام الحرب كما **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [الأنفال: ٥٧] أما لفظ (وجد) فهي عامة تشمل الحرب وغيره، فلذلك لما كان السياق في تشديد النكير على الكافرين بإعلان الحرب عليهم ناسب أن يأتي باللفظ الأخص بالمقام الحربيّ، وذلك حمايةً لدعوة الإسلام وحث أهله بالغلظة عليهم .

ب) العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى الماضي الثلاثي :

١٠٥. **[أذقنا ـ مست]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِىٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾} [سورة يونس:٢١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أَذَقْنَا) فعل ماضٍ [و] أَفَلْنَا إلى (مَسَّتْهُم) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْهُم وذلك في سياق ذكر أحوال المشركين من اللهو والدعة والبطر بالنعم وعدم شكرها فالله ـ عز وجل ـ " وسع عليهم في الأرزاق، وأدر عليهم النعم بالمطر وصلاح الثمار بعد أن مستهم الضراء بالجدب وضيق المعايش، فما شكروا نعمته، ولا قدروها حق قدرها، بل أضافوها إلى أصنامهم التي لا تنفع ولا تضر، وطعنوا في آيات الله، واحتالوا في دفعها بكل حيلة، وهو معنى المكر فيها."[(٢)]

وللعدول المعجمي إلى الفعل (مستهم) أغراض بلاغية منها:

الأول: الترهيب من التكذيب بآيات الله، وأنه سبب المحن والمصائب في الدنيا والعقاب الشديد يوم القيامة، وهذا يتبين بأن المراد ـ كما قيل ـ التعريض[(٣)] بذكر أحوال أهل مكة إذ أصابهم القحط سبع سنين حتى كادوا يهلِكون فلما

---

(١) ـ ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (ثقف)، نظم الدرر، للبقاعي (٢/٢٩٦)
(٢) ـ فتح القدير، للشوكاني (٢١/٤٩٣)
(٣) ـ التحرير والتنوير، للطاهر (١١/ ١٣٢)

كشف عنهم القحط طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسوله، فالتعبير عن ذلك القحط الشديد بالمس وهو أدنى الإصابة إشارة إلى أنَ ما بعده من العذاب لا يدرَك كُنهُه ولا تصفه العبارة .

الثاني: الإشارة إلى أن وقوع الضر بهم في غاية الندرة، بينما رحمات الله عليهم متواليات لذا استعمل معها (الإذاقة)، واستعمل مع حصول الضر لفظ (المس) لأنه يدل على مجرَّد الملاقاة، قال في معجم الفروق:" الفرق بينهما أن اللمس لصوق بإحساس، والمس: لصوق فقط." (١)

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاثة:

أولها : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها : الخفة اللفظية؛ فما عليه الآية الكريمة أخف لفظًا مما لو قيل : (من بعد ضراء أذيقوها) لثقل توالي الهمز، وتفخيم بعض الأصوات في الكلمتين (الضاد، الراء، القاف) .

ثالثها : المناسبة اللفظية للمعنى؛ فحصول الضر لندرته وقلته اختير له كلمة (مستهم) التي أصواتها مرققة، بينما لما كان حصول الرحمة أمرًا عظيمًا محبوبًا إلى النفوس اختير له الفعل (أذقنا) لاشتماله على القاف المفخمة، ويؤيد هذا المعنى اسناد الفعل إلى (نا) المعظِّم لنفسه . سبحانه وتعالى .

قَالَ تَعَالَى:{وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ ﴿٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾} [سورة هود:٩-١٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أذقنا) فعل ماضٍ [و] أَفَلْنَا إلى (مسته) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْهُ وذلك في سياق ذكر حال " الإنسان العجول القاصر، الذي يعيش في لحظته الحاضرة، فلا يتذكر فيما مضى، ولا يتفكر فيما سيكون عليه حاله بعد الموت، ولا يعتبر بتقلبات الأيام، فهو يؤوس كفور إذا نزعت منه النعمة، وهو بطر فخور إذا عادت إليه، وهذا من أسوأ ما تصاب به النفس الإنسانية من أخلاق مرذولة. "(٢)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (مسته) أغراض بلاغية منها:

(١) . معجم الفروق اللغوية، ص ٤٦٨ .

(٢) . تفسير الطنطاوي (١٧٠/٧)

الأول: الإشارة إلى لطف الله بعباده ورحمته بهم فإذا أصابهم بالضراء من جراء أعمالهم فهي تكون يسيرة، قال الطاهر: " واختيار فعل المس بالنسبة إلى إدراك الضراء إيماء إلى أن إصابة الضراء أخف من إصابة النعماء، وأن لطف الله شامل لعباده في كل حال. " (١)

الثاني: التنبيه إلى أن كفران الإنسان يقع بأدنى ما يلاقيه من الضر، لذلك عبر بلفظ (يئوس كفور) بصيغ المبالغة للدلالة " على أن الإنسان كثير اليأس، وكثير الجحد عند أن يسلبه الله بعض نعمه فلا يرجو عودها، ولا يشكر ما قد سلف له منها." (٢)

قال أبو السعود: " وفي التعبير عن ملابسة الرحمةِ والنعماءِ بالذوق المؤْذِنِ بلذتهما وكونِهما مما يُرْغب فيه وعن ملابسة الضراءِ بالمسِّ المشْعِرِ بكونها في أدنى ما ينطلق عليه اسمُ الملاقاة من مراتبها " (٣)

الثالث: الإشارة إلى سرعة زوال النقم وأن تأثيرها لا يدوم طويلا، قال أبو السعود: " إنما يريد بعباده اليُسرَ دون العسرِ وإنما ينالهم ذلك بسوء اختيارِهم نيلاً يسيراً كأنما يلاصقُ البشرَةَ من غير تأثيرٍ ." (٤) وهذا مفهوم من أصل معنى المس لغة إذ إنه يطلق على أدنى ملاقاة وليس بها تمكن كلفظ (الإذاقة) المعدول عنه .

الرابع: الترهيب من يوم القيامة وما أعد فيه من العذاب وأن ما يصيبهم من الضراء هو كالأنموذج لما في الآخرة، فكان الواجب عليهم أن يتضرعوا إلى ربهم وينيبوا إليه ويعرفوا عظمته وأنه على إهلاكهم لقدير . (٥)

الخامس: الإيماء إلى أن حصول الضر ولو يسيرا مكروه عند الإنسان، قال الطاهر: " **واختيرت** مادة الإذاقة لما تشعر به من إدراك أمر محبوب لأن المرء لا يذوق إلا ما يشتهيه." (٦) وفهم من المخالفة في التعبير .

السادس : مراعاة الفصاحة اللفظية بأكثر من وجه ومن ذلك:

- **المناسبة اللفظية للمعنى؛** فحصول الضر لندرته وقلته عدل إلى كلمة (مسته) التي أصواتها مرققة، بينما لما كان حصول الرحمة أمرًا عظيمًا محبوبًا إلى النفوس اختير له الفعل (أذقنا) لاشتماله على القاف المفخمة، ويؤيد هذا المعنى اسناد الفعل إلى (نا) المعظِّم لنفسه . سبحانه وتعالى .

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٤/١٢)
(٢) . فتح القدير، للشوكاني (٥٥١/٢)
(٣) . تفسير أبي السعود (١٩٠/٤)
(٤) . تفسير أبي السعود (١٩٠/٤)
(٥) . ينظر: تفسير البيضاوي (١٢٩/٣)
(٦) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٢/١٢)

١٠٦. [آتيناهم ـ رزقناهم]

قَالَ تَعَالَىٰ: { وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٥٤ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٥٥ وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦} [سورة النحل:٥٣ــ٥٦]

في الآيتين الأخيرتين عدول معجمي من (آتيناهم) فعل ماضٍ [و] أفْعَلْنَاهُم إلى (رزقناهم) فعل ماضٍ [و] فَعَلْنَاهُم وذلك في سياق تذكير العباد بأن الله هو المنعم بأصول النعم وفروعها وأن الناس يلجئون إلى ربهم في الضر ويدعونه ليكشف ما بهم فيستجيب لهم ويرفع عنهم البلاء لكن فريق منهم يشركون بربهم المحسن إليهم ولا يشكرونه على ما من به عليهم من كشف الضر وجلب المنافع بل يكفرون بالله ويجعلون لأصنامهم نصيبًا من نعم الله تقربًا إليها، وذلك البيان فيه تبكيت للكافرين وتقبيح لفعالهم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (رزقناهم) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى تتابع النعم من الله ـ عز وجل ـ عليهم وهم مع ذلك لا يشكرون، ومعنى التتابع مستفادٌ من لفظ (رزقناهم) لأن الرزق يطلق على العطاء الجاري، قال في معجم الفروق: " الرزق هو العطاء الجاري في الحكم على الإدرار ولهذا يقال: أرزاق الجند؛ لأنها تجري على إدرار ." (١)

فالعدول غرضه توضيح عظم العطاء الإلهي من النعم وتواليها عليهم ولا يقابلون ذلك إلا بالكفر والإشراك وفيه تبكيت للكافرين وتقبيح لفعالهم، وإشارة إلى أن معبوداتهم لا تستطيع أن تمدهم بشيء فضلا عن ديمومة العطاء، كما فيه لفت أنظارهم إلى ما أولاهم الله به من الخيرات وأن ذلك يستوجب المزيد من الشكر لا الكفران ويستوجب الطاعة لا العصيان .قال الشوكاني: " **والآية مسوقة للتعجيب من فعل هؤلاء حيث يضعون الإشراك بالله الذي أنعم عليهم بكشف ما نزل بهم من الضر مكان الشكر له** ." (٢)

الثاني: التشنيع على الكافرين، وصرَّح بذلك الوجه الطاهر بن عاشور ـ رحمه الله ـ وذكر أنهم ينفقون في التقرب إلى أشياء موهومة لم ترزقهم شيئا وقدرتركوا المنعم عليهم فلم يتقربوا إليه بما يرضيه ولم ينفقوا أموالهم في أمرهم به(٣) .

وزاد الله عز شأنه من إيضاح قبح أفعال المشركين؛ تنفيرًا منها، وتحذيرًا من ارتكابها، فقد قال ـ سبحانه ـ : ((ليكفروا بما آتيناهم) وكرَّر المعنى بقوله: (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم) ذكر الرازي ـ رحمه الله ـ أن الشيء إذا كان مستنكرا

(١) . معجم الفروق اللغوية ص ٢٥٤

(٢) . فتح القدير للشوكاني (٣/٢٠٣)

(٣) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١٤/١٨١)

مستقبحا، إذا أُريدَ المبالغة في التنفير عنه عُبِّرَ عنه بعبارات كثيرة ليصير توالي تلك العبارات سببًا لوقوف العقل على ما فيه من القبح (١).

الثالث: مراعاة المناسبة المعنوية بين لفظ (نصيب) و(رزقناهم) لأن الرزق: نصيب مقدر أعطاه الله لعباده لينتفعوا به وتتحقق به مصالحهم .

الرابع: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

١٠٧. **[أصابهم ـ حاق بهم]**

قَالَ تَعَالَى:{ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَۚ كَذَٰلِكَ فَعَلَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٣﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٤﴾} [سورة النحل:٣٣-٣٤]

في الآية الثانية عدول معجمي من الفعل (أصابهم) فعل ماضٍ [و] أفْعَلَهم إلى (وحاق بهم) فعل ماضٍ [و] فَعَل، وذلك في سياق ذكر حال الكافرين الذين يستبطئون حلول العذاب ولا يتيقنون بوقوعه، وأنهم لا ينتظرون إلا أحد أمرين: هما مجيء الملائكة لقبض أرواحهم فيحق عليهم الوعيد المتقدم، أو أن يأتي أمر الله باستئصالهم، وتذكير بأن الذين فعلوا مثل ذلك ظلموا أنفسهم بتعريضها لعذاب الله، فيجب الحذر من الاستخفاف بالعقوبات، وأنها سبب للتعجيل بالانتقام .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (وحاق بهم) أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في إيضاح فظاعة ما حل بالمستهزئين من العذاب، قال أبو السعود: " الحَيق ... إحاطةُ الشر وهو أبلغ من الإصابة وأفظع." (٢) وهذا يدل على قوة التعذيب .

الثاني: الإشارة إلى ضعف المعذبين وذهاب قواهم من شدة التعذيب، تصويرًا لما حل بهم، وقد ذكر البقاعي أن مادة (حاق) تدور على الإحاطة، ويلزمها صلابة المحيط ولين المحاط به (٣). وفي ذلك تعريض بأن الخلق لا يقدرون على تحمل عذاب الله وانتقامه .

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢١٩/٢٠)
(٢) . تفسير أبي السعود (١١١/٥)
(٣) . نظم الدرر، للبقاعي (١٥٠/١١)

الثالث: الإيذان بأنهم لم يعاقبوا بهلاك الاستئصال إلا بعد إصابتهم بالبأساء والضراء لعلهم يرتدعون ويتضرعون إلى خالقهم القدير، فعلى ما ذكره البقاعي من أن مادة (حاق) تدل على الإحاطة وصلابة المحيط وليونة المحاط به،[1] يكون التعبير بـ(حاق) من باب الترقي في العقوبة من الشديد المعبر عنه بالإصابة إلى الأشد المعبر عنه بالحيق وهو " أبلغ من الإصابة وأفظع " [2] وهذا يدل على أنهم في بادئ الأمر قد أصيبوا ببعض ذنوبهم عسى أن يرجعوا إلى ربهم، لكنهم ما ارتدعوا بتلك العقوبات وزادوا في كفرهم وعنادهم وتكذيبهم فجاءهم بأس الله فأهلكوا بهلاك الاستئصال، وفي ذلك إيذان بحلمه تعالى وكمال قدرته فهو يمهل ولا يهمل، وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتحذير للذين كذبوه من حلول العذاب بهم كما فُعِلَ بالذين من قبلهم .

الرابع: مراعاة المناسبة بين الألفاظ في الآية في العموم والخصوص، فأوثر لفظ الإصابة الأعم مع لفظ (عملوا) الأعم، وعدل إلى (الحيْق) وهو إصابة خاصة شديدة مع (الاستهزاء) وهو فعل خاص، وذلك لأن الجزاء من جنس العمل، فالذنب العظيم يناسبه العذاب العظيم، وذلك من بلاغة القرآن الكريم .

الخامس: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار، فبالعدول إلى الفعل (حاق بهم) زال التكرار وحصل الانسجام بين ألفاظ الآية الكريمة، فالعدول المعجمي يزيد حسنُه إذا كان اللفظان متجاورين أو كالمتجاورين .

١٠٨. [ذكيتم ـ ذبح]

قَالَ تَعَالَىٰ: {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ...} [سورة المائدة:٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ذَكَّيْتُم) فعل ماضٍ [و] فَعَّلْتُم، إلى (ذُبِح) فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] فُعِل، وذلك في سياق تعداد المحرمات من المأكولات والامتنان على العباد بهذا الدين القويم الذي أحل لهم الطيبات وحرم عليهم الخبائث .

وللعدول إلى الفعل (ذبح) أغراض بلاغية منها:

الأول . التنبيه إلى المفارقة بين ما ذبح ابتغاء وجه الله وما ذبح على النصب وهي الأحجار أو الأصنام التي كان اهل الجاهلية يذبحون عندها لأعيادهم باسم آلتهم المزعومة، ويتضح ذلك بتبيين سر اختيار (ذكيتم) أولا، على النحو التالي:

---

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (١٥٠/١١)

(٢) . تفسير أبي السعود (١١١/٥)

١. أن الذبح لا بد أن يكون على وجه السرعة، ولا يكون ذلك إلا بآلة حادة ومهارة من الذي يحسن الذبح، وإلى ذلك وصى النبي صلى الله عليه وسلم: " وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته "[١]. والذكاء في اللغة : حِدَّةُ الفؤاد بسرعة فطنته وإدراكه [٢] .

٢. أن الذبح لا بد أن يكون على وجه التمام، وذلك بإنهار الدم وفري الأوداج في المذبوح، فإن لم يكن الأمر كذلك فالمذبوح غير مذكًّى ولا يحل أكلُه . جاء في تاج العروس :" أَصْلُ الذَّكاءِ فِي اللّغَةِ كُلِّها تَمامُ الشيءِ." [٣]

٣. **أن الذكاة الشرعية فيها طهارة للمذبوح من الدم** الفاسد فأضراره خطيرة، قال القرطبي: "يقال : رائحة ذكية، فالحيوان إذا أسيل دمه فقد طيب؛ لأنه يتسارع إليه التجفيف." [٤]وذلك التشريع يعدُّ رحمة من الله بعباده حيث أحل لهم ما ينفعهم وحرَّم عليهم ما يضرهم .

٤. يعد استعمال [ذكيتم] من الإبداع وهو استعمال لفظ لم يسبق المتكلم إليه، فالذكاة من الأسماء الشرعية، فهي " في الشرع عبارة عن إنهار الدم وفري الأوداج في المذبوح، والنحر في المنحور والعقر في غير المقدور، **مقرونا بنية القصد لله وذكره عليه** ." [٥] .

ففي استعمال هذا اللفظ يؤكد على وجوب الإخلاص لله والتسمية ومراعاة أحكام الشريعة عند الذبح لئلا يقع محذور، وعلى ذلك يتبين سر العدول إلى الفعل (ذبح) لأنه من أفعال الجاهلية ولم يأذن به الله وقد خلا من كل تلك المعاني السامية التي أفدناها من التذكية لغة وشرعًا .

قال المراغي: " و من هذا تعلم أن ما ذبح على النصب هو من جنس ما أهل به لغير الله من حيث إنه يذبح بقصد العبادة لغير الله تعالى وخص بالذكر لإزالة وهم من يتوهم أنه قد يحل لقصد تعظيم البيت الحرام إذا لم يذكر اسم غير الله عليه وهو من خرافات الجاهلية التي جاء الإسلام بمحوها ." [٦]

الثاني : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وهو عدول حسَّنَه تجاور اللفظين .

(١) . سنن الترمذي، حديث رقم (١٤٠٩) ومسند الإمام أحمد، حديث رقم (١٦٥٠٦) .
(٢) . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (ذكو) .
(٣) . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (ذكو) .
(٤) . تفسير القرطبي، (٥٢/٦)
(٥) . تفسير القرطبي، (٥٣/٦)
(٦) . تفسير المراغي (٥٠/٦)

ثانيهما : الخفة اللفظية، فقوله تعالى : (إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب) أحسن نظمًا وأخفُّ لفظًا مما لو قيل : (إلا ما ذكيتم وما ذُكِّي على النصب)، لخفة الثلاثي (ذُبح) عن الرباعي (ذُكِّي) .

١٠٩. [استهزئ ـ كفروا]

قَالَ تَعَالَى:{ وَلَقَدِ ٱسۡتُهۡزِئَ بِرُسُلٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَمۡلَيۡتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ثُمَّ أَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾} [سورة الرعد:٣٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أُسْتُهْزِئَ) فعل ماضٍ [و] أُسْتُفْعِلَ، إلى (كفروا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا، وذلك في سياق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بأن الكفار من عادتهم الاستهزاء بالرسل وتكذيبهم وقد استحقوا عذاب الله، فلا ينبغي الحزن عليهم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل(كفروا) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن هؤلاء المكذبين قد جمعوا بين وصفين في غاية القباحة: الاستهزاء بالرسل والكفر بربهم، وفي ذلك ذم شديد لهم . قال أبو السعود: " والعدولُ في الصلة إلى وصف الكفر ... لإرادة الجمعِ بين الوصفين." [١]

الثاني: الإيذان بأن الاستهزاء بالأنبياء والرسل كفر بالله عز وجل .

الثالث: الإشارة إلى أن استهزاءهم بالرسل ناتج عن رغبتهم في تغطية الحق الذي جاءوا به صدًّا عن سبيل الله، فذكر لفظ الكفر مؤذن بذلك، لأنه في اللغة يدل على الستر والتغطية، جاء في الصحاح للجوهري :" وقد كفرت الشئ أكفره بالكسر كَفْراً، أي سَتَرْتُهُ. ورمادٌ مكفورٌ، إذا سفَت الريحُ الترابَ عليه حتى غطته." [٢] وقد كان الواجب عليهم أن يقبلوا على دعوة الرسل تصديقًا وعملا وترغيبًا للناس فيما جاءوا به لكنهم بالغوا في العناد وكفروا وكذَّبوا .

الرابع: التعريض بالمشركين المعاصرين للنبي[٣] وأنهم قد قابلوا رسالة النبي بالتكذيب والاستهزاء وأن الله قادر على إهلاكهم بعذاب الاستئصال كما فعل بالأمم السالفة من المكذبين **.**

---

(١) . تفسير أبي السعود (٢٤/٥)

(٢) . الصحاح للجوهري، مادة (كفر) .

(٣) . تفسير أبي السعود (٢٤/٥).

قال ابن عرفة: " وما وجه التخويف إلا من جهة أن المشاركة في الوصف توجب التسوية في الحكم الناشئ له والكفار المعاصرون له صلى الله عليه وسلم مشاركون لمن سبقهم في الاستهزاء؟ واقتضت الآية أن من سبقهم عوقب فكذلك هؤلاء ولا معنى للقياس إلا إثبات حكم الأصل للفرع بعلة جاءت معه." (١)

الخامس : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : مراعاة الخفة اللفظية، فالثلاثي المعدول إليه (كفروا) أخف من تكرار السداسي (استهزءوا) .

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المطلب الثاني

العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي غير الثلاثي

من المعروف أن الماضي قد يكون رباعيًا، نحو : أخرجَ، أو خماسيًّا، نحو : انطلق، أو سُداسيًّا، نحو : استغفرَ، وقد سبق بيان الأوجه البلاغية للعدول المعجمي من الماضي إلى الماضي الثلاثي، والآن سيكون الحديث عن بلاغة العدول المعجمي إلى الماضي غير الثلاثي .

وفيما يلي تفصيل ذلك في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى الماضي غير الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى الماضي غير الثلاثي .

أ) العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى الماضي غير الثلاثي :

١١٠. **[جعل ـ أنشأ]**

قَالَ تَعَالَى:{ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٦﴾} [سورة الأنعام:٦]

(١) . تفسير ابن عرفة (٢/٤٣٢)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جَعَلْنَا) فعل ماضٍ [و] فَعَلْنَا إلى (أنشأنا) فعل ماضٍ [و] أفْعَلْنا، وذلك في سياق تهديد الكافرين المكذبين لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، **ولهذا العدول أغراض بلاغية منها:**

الأول: التذكير باتصال الإنعام على خلقه . سبحانه . وذلك مستفاد من لفظ الإنشاء إذ هو " بمعنى النمو والزيادة " (١) وفي ذلك تنبيه العرب على أن الله قد أحسن إليهم بخلقهم ابتداءً وغذَّاهم بنعمه ولم يقطعْها عنهم وذلك يستوجب مزيدًا من الشكر وتمام العبودية له سبحانه، فإن كفروا نعمه فقد استوجبوا الهلاك كالأمم الذين خلو من قبلهم .

الثاني : مراعاة كمال التناسب المعنوي بين ألفاظ الآية؛ فالقرن أصله الزمن الطويل، وكثر إطلاقه على الأمّة التي دامت طويلاً، (٢) فهو مناسب لمعنى الإنشاء إذ هو :" إيجاد الشيء وتربيته أو إحداثه بالتدريج "(٣)، وهذا الإيجاد التدريجيّ يكون في زمن طويل .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاثة :

أولها : التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار، فالتنويع بين الألفاظ أولَى من الإبقاء على لفظة واحدة مرتين .

ثانيها : المناسبة الصوتية للمعنى، فلفظ (أنشأنا) به دلالة التكثير واستفيدت من صوت الشين الذي من صفاته التفشي ويدل على الانتشار والكثرة، وهو مناسب لسياق التهديد للمكذبين فالله . جل شأنه . لكمال استغنائه عن المخاطبين من المكذبين أنشأ أممًا كثيرة غيرهم وفيه إيذان بالسخط العظيم .

ثالثها : مراعاة كمال التناسب والتناسق بين آيات السورة؛ لأن لفظ (أنشأنا) موافق لما يأتي بعده قوله تعالى: {وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة . . .} الآية [الأنعام: ٩٨] . وقوله {وهو الذي أنشأ جنات} [سورة الأنعام: ١٤١] وهذا ما ألمح إليه زكريا الأنصاري (٤)، لكن يَرِد عليه أن لفظ (جعل) أكثر ورودًا في السورة، ولو كان ذلك مقصودًا لكان تَرْكُ العدول إلى (أنشأنا) أَوْلى، وإن ما عليه النظم الجليل في غاية البلاغة على المستويين : المعنوي واللفظي .

١١١. **[همَّ ـ أراد]**

قَالَ تَعَالَى: {وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدۡ هَمَّتۡ بِهِۦۖ وَهَمَّ بِهَا لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ

---

(١) . ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٣/ ٨١)، والبحر المحيط لأبي حيان (٤/ ١٨٨)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٧/ ١٣٧)

(٣) تفسير المنار، لرشيد رضا (٧/ ٥٣٢)

(٤) . فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، لزكريا الأنصاري (١٧٢/١)

وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِۚ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٥﴾} [سورة يوسف:٢٣-٢٥]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (هَمَّ) **فعل ماضٍ [و] فَعَلَ إلى** (أراد) **فعل ماضٍ [و] أفْعَل**، وذلك في سياق ذكر قصة مراودة امرأة العزيز ليوسف ـ عليه السلام ـ.

وللعدول المعجمي إلى الفعل (أراد) أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في تبرئة ساحتها من تلك الفعال، بإلصاق التهمة بيوسف ـ عليه السلام ـ ذكر البقاعي أن " فأصل المادة (**راد**) تدور على الدوران ويلزم منه **القصد والإقبال والإدبار والمهلة وإعمال الحيلة**" (١)، فنسبة امرأة العزيزِ الإرادةَ إلى يوسف فيها إيهام بأنه ـ عليه السلام ـ هو الذي قام بفعل المراودة واجتهد في حصول ذلك الفعل القبيح، ويلاحظ تقارب اللفظين (أراد ـ راود) لأن المقصود من الإرادة هنا عين المراودة .

الثاني: الإشارة إلى عظم اعتقادها في كمال نزاهته ـ عليه السلام ـ فقدس اكتفت بالإرادة، ليحصل المقصود من تبرئة ساحتها وإلصاق التهمة بيوسف تلميحًا لا تصريحًا، قال الرازي: " استحيت أن تقول إن يوسف عليه السلام قصدني بالسوء، وما وجدت من نفسها أن ترميه بهذا الكذب على سبيل التصريح بل اكتفت بهذا التعريض "(٢). قال في معجم الفروق: " الفرق بين الهم والارادة: أن الهم آخر العزيمة عند مواقعة الفعل ." (٣)

وعلى هذا فالقرآن الكريم أثبت الهم لامرأة العزيز لأنها بلغت المنتهى في إرادة ذلك الفعل القبيح وأقدمت عليه بكل ما تستطيع من التزين والدعوة بالقول وتغليق الأبواب وغير ذلك، ولم تقل هي عن يوسف (هم بأهلك بسوء) لأنه عليه السلام لم يصدر منه شيء إلا الهروب منها .

ب) العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى الماضي غير الثلاثي :

١١٢. **[أرسل به ـ آمنتم به]**

(١) ـ ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٢٧/٤)

(٢) ـ مفاتيح الغيب، للرازي (٤٤٥/١٨)

(٣) ـ معجم الفروق اللغوية ص ٥٥٩

قَالَ تَعَالَى: {قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلَ بِهِۦ مُؤۡمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾} [سورة الأعراف:٧٥–٧٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أُرْسِلَ) فعل ماضٍ مبني للمجهول إلى (آمَنْتُم) فعل ماضٍ [و] أفْعَلْتُم، وذلك في سياق مخاطبة المستكبرين من قوم صالح لمنْ آمن به وإظهارهم للكفر به .

والعدول المعجمي من (أُرْسِلَ) إلى (آمَنْتُم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الاحتراس مما يشعر ظاهره أنهم مثبتون لرسالته وهم يجحدونها، قال الألوسي :" خلص الكافرون قولهم عن إشعار الإيمان بالرسالة احتياطا للكفر وغلوا في الإصرار ." (١)

الثاني: الإشارة إلى أن قوم صالح المكذبين كانوا يبالغون في تكذيب صالح ويسعون في صد المؤمنين عن التمسك برسالته كأنهم قالوا: إن صالحًا قد جاء بما ينكره العاقل ولا يسلِّم له(٢)، فذكروا لفظ (آمنتم) مبالغةً في إشعارهم بضلالِ سعيهم، قال الطاهر: " عدل الملأ الذين استكبروا عن مجادلة صالح عليه السلام إلى اختبار تصلب الذين آمنوا به في إيمانهم، **ومحاولة إلقاء الشك في نفوسهم** ." (٣)

١١٣. [أكملت ـ أتممت]

في قوله ـ عز شأنه ـ في سورة المائدة : {ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ} **عدول معجمي من الفعل (أكملت)إلى (أتْمَمْتُ) وكلاهما فعل ماضٍ [و] أفْعَلْتُ**، وذلك في سياق بيان المحرّمات من الأطعمة والتأكيد على اكتمال الدين وتمام النعمة على المؤمنين .

والعدول المعجمي من (أكملت)إلى (أتْمَمْتُ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بدوام النعمة واتصالها، قال ابن القيم: " ووصف النعمة بالتمام إيذانا بدوامها واتصالها، وأنه لا يسلبهم إياها، بعد إذ أعطاهموها بل يتمها لهم بالدوام في هذه الدار وفي دار القرار ." (٤)

---

(١) . تفسير الألوسي (٤٠٣/٤)
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي، (٢١/٣) وتفسير الألوسي (٤٠٣/٤) وتفسير أبي السعود (٢٤٣/٣)
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨ـ ب/٢٢٢)
(٤) مفتاح دار السعادة، لابن القيم (١/ ٣٠٢)

الثاني: التعميم، زيادةً في الامتنان على المؤمنين، ليشكروا ربهم المحسن إليهم بجلائل النعم، نصَّ الإمام ابن القيم على أن اللفظتين – وإن تقاربتا وتواخيتا – فبينهما فرق لطيف وهو أن "الكمال" أخص بالصفات والمعاني، أما «التمام » فيكون في الأعيان والمعاني، ونعمة الله أعيان وأوصاف ومعان(١) .

أما اختيار لفظ (أكملت) مع الدين فلأنه لا تقبل فيه الزيادة أبدًا، بل الزيادة فيه بدعة وكل بدعة ضلالة .قال ابن كثير: " قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس قوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ} وهو الإسلام، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه أكمل لهم الإيمان، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدا، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبدا، وقد رضيه الله فلا يَسْخَطُه أبدا ". (٢)

الثالث: الإشارة إلى افتقار العباد إلى الله وأنهم في احتياج دائمٍ لفضائله؛ إذ الإتمام لإزالة نقصان الأصل والإكمال لإزالة نقصان العوارض بعد تمام الأصل (٣).

الرابع: التفنن في التعبير بتغيير الأسلوب من لفظ إلى نظيره؛ تجنبًا للتكرار واستقصاءً للفصاحة .

صدق الله [آمنوا ـ اتقوا]

قَالَ تَعَالَى:{ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾} [سورة البقرة:٢١٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آمنوا) فعل ماضٍ [و] أَفْعَلُوا، إلى (اتقوا) فعل ماضٍ [و] اِفْتَعَوْا، وذلك في سياق ذم الكافرين الذين آثروا الدنيا على الآخرة وافتتنوا بزينتها ويبتغون فيها المكاثرة والمفاخرة الذين يسخرون من أهل الإيمان والزهد، وقد تضمنت الآية مدح المؤمنين المتقين ببيان رفعة شأنهم يوم القيامة وعظم ثوابهم.

والعدول المعجمي من الفعل (آمنوا) إلى (اتقوا) له أغراض منها:

الأول: الحث على تقوى الله بتجنب محارمه والعمل بأوامره، والتنبيه على مزية التقوى وكونها سبباً عظيماً في هذه الفوقية، والفوقية هنا فوقية تشريف وهي مجاز في تناهي الفضل والسيادة، قال الزمخشري: " فإن قلت: لم قال: {مِنَ الذين ءَامَنُواْ} ثم قال: {والذين اتقوا} ؟ قلت: ليريك أنه لا يسعد عنده إلا المؤمن المتقي، وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى إذا سمعوا

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم (٢/ ٤٠٢)
(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦)
(٣) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٣٦٧) ومعجم الفروق اللغوية ص ١٤ .

ذلك ." [1] وقال الطيبي :" هذا الأسلوب من باب إقامة المظهر موضع المضمر من غير لفظه السابق للعلية، وفائدة التعليل: إما تعظيم من اتصف بالتقوى، أو تفخيم هذه الصفة." [2]

الثاني: المدح لهؤلاء النفر الذين هم من فقراء الصحابة والتنويه بفضلهم [3]وعظيم قدرهم ردًّا على الكافرين الساخرين بهم، ويكفي هؤلاء المؤمنين شرفًا أن امتدحهم الله بأنهم جمعوا بين الإيمان والتقوى وجعلهم فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة بدخولهم الجنة . قال مقاتل: " نزلت في عبد الله بن ياسر المخزومي، وصهيب بن سنان، من بني تيم بن مرة، وبلال بن رباح مولى أبي بكر، رضي الله عنه، وخباب بن الأرت مولى ابن أم بهار الثقفي حليف بني زهرة، وسالم مولى أبي حذيفة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة الدوسي، وفي نحوهم من الفقراء." [4]

الثالث: التعريض بأن غير المتقين لا تظهر مزيتهم يوم القيامة وإنما تظهر بعد ذلك، ووجه ذلك الطاهر بن عاشور بأن يوم القيامة هو مبدأ أيام الجزاء فغير المتقين تظهر مزيتهم بعد انقضاء ما قُدِّر لهم من العذاب على الذنوب . [5]

الرابع: الإشارة إلى تحقير متاع الدنيا وزخرفها، وكمال معرفة المؤمنين بحقيقتها وأنها أهل لأن يعرض عنها ولا ينشغل بها، قال أبو السعود: " وإنما ذُكروا بعنوان التقوى للإيذان بأن إعراضَهم عن الدنيا للاتقاء عنها لكونها مُخِلَّةً بتبتُّلهم إلى جناب القدسِ شاغلةً عنه ." [6]

الخامس : الاحتراس وذلك من جهتين:

أولاهما : دفع إيهام أن يغتر الكافرون بأن الضمير عائد إليهم ويضموا إليه كذباً وتلفيقاً . [7]

ثانيهما : العدول إلى لفظ (**التقوى**) **يمنع دخول المنافقين في ذلك الحكم،** [8] فهم إذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وذلك محض ادِّعاء لا حقيقة له، فجاء لفظ (اتقوا) لبيان كمال خشية المؤمنين لربهم وإخلاصهم له في سائر أعمالهم، بخلاف المنافقين الذين يقولون ما لا يفعلون .

---

(١) ينظر: الكشاف، للزمخشري (١/ ٢٥٥) .
(٢) ينظر: فتوح الغيب، للطيبي (٣/٣٣٣)
(٣) ينظر: تفسير الألوسي (١/٤٩٥)
(٤) تفسير مقاتل(١/١١٠)
(٥) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٢٩٨)
(٦) تفسير أبي السعود (١ / ٢٧٠)
(٧) التحرير والتنوير، للطاهر (٢/ ٢٩٧)
(٨) نظم الدرر، للبقاعي (١/٣٩٣)

السادس: التفنن وزوال كلفة التكرار، قاله أبو حيان .[1]

١١٥. **[أنزل - أوتي]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦} [سورة البقرة:١٣٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أنزل) **فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] أفعِل، إلى** (أوتي) **فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] فُوعِلَ**، وذلك العدول جاء في سياق أمر المؤمنين بالجهر بكلمة الحق والإيمان بما جاء به أنبياء الله من الهدى والنور .

وللعدول المعجمي إلى الفعل [أوتي] أغراض بلاغية منها:

الأول: الاهتمام والتنبيه إلى أن الذي يجب الإيمان به هو ما خصَّهم الله به [2] لا ما حرِّف بعدهما، فقد ادَّعَى بعض أتباعهما عليهما ما ينزَّل عليهما، فذكر لفظ (أوتي)؛ تنصيصًا على ما أوحاه الله لهما، وقد جاء في الذكر الحكيم أن من بني إسرائيل مَنْ يكتب الكتاب ويزعم أنه مُنَزَّل من الله، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩ ﴾ البقرة: ٧٩، وقال عز شأنه :﴿ وَإِنَّ مِنۡهُمۡ لَفَرِيقٗا يَلۡوُۥنَ أَلۡسِنَتَهُم بِٱلۡكِتَٰبِ لِتَحۡسَبُوهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَمَا هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٨ ﴾ آل عمران: ٧٨

قال الألوسي :" ولذلك الاهتمام عبر- بالإيتاء- دون- الإنزال- لأنه أبلغ لكونه المقصود منه، ولما فيه من الدلالة على الإعطاء الذي فيه شبه التمليك والتفويض، ولهذا يقال: أنزلت الدلو في البئر، ولا تقول: آتيتها إياها."[3]

---

(١) ينظر: تفسير أبي حيان (١٣٩/٢)

(٢). تفسير الراغب (٣٢٣/١)

(٣). تفسير الألوسي (٣٩٢/١)

الثاني: التعميم؛ [١] **تنبيهًا** إلى مزية من مزايا موسى وعيسى عليهما السلام وهي كثرة المعجزات التي كانت على أيديهم إضافة إلى ما نزِّل إليهم من الكتابين، جاء في تفسير ابن عرفة: " إبراهيم . عليه السلام . وأولاده ... اشتهارهم بإنزال الوحي أكثر من اشتهارهم بالمعجزات." [٢]

الثالث: التفنن في الخطاب[٣]؛ **تجنبًا للتكرار**، قال أبو حيان: " وجاء: وما أوتي موسى وعيسى، تنويعا في الكلام وتصرفا في ألفاظه، وإن كان المعنى واحدا، إذ لو كان كله بلفظ الإيتاء، أو بلفظ الإنزال، لما كان فيه حلاوة التنوع في الألفاظ " [٤]

١١٦. [نَبِّئنَا ـ نبأتكما ـ علمني]

قَالَ تَعَالَى:{ وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجۡنَ فَتَيَانِۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَعۡصِرُ خَمۡرٗاۖ وَقَالَ ٱلۡأٓخَرُ إِنِّيٓ أَرَىٰنِيٓ أَحۡمِلُ فَوۡقَ رَأۡسِي خُبۡزٗا تَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِنۡهُۖ نَبِّئۡنَا بِتَأۡوِيلِهِۦٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ لَا يَأۡتِيكُمَا طَعَامٞ تُرۡزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأۡتُكُمَا بِتَأۡوِيلِهِۦ قَبۡلَ أَن يَأۡتِيَكُمَاۚ ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّيٓۚ إِنِّي تَرَكۡتُ مِلَّةَ قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾} [سورة يوسف:٣٦-٣٧]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (نَبِّئْنَا) **فعل أمر [و] فَعِّلْنَا**، و(نَبَّأْتُكُمَا) **فعل ماضٍ [و] فَعَّلْتُكُمَا إلى** (علَّمني) **فعل ماضٍ [و] فَعَّلَنِي**، وذلك في سياق حكاية الفتيين اللذين دخلا مع يوسف السجن ورأى كل واحد منهما رؤية وحار في تعبيرها، فلما رأيا على يوسف مخايل النبل والشرف وعلامات النبوة وصدق الحديث والإحسان في القول والعمل عرفا قدره وعظيم فضله فطلبا منه تعبير رؤيتيهما، وأخبرهما ببعض ما خصه الله به من الفضائل كإخبارهما بما يأتيهما من الأطعمة قبل وصولها إليهم وعرفهم بقضية التوحيد قبل التعبير لأنه أهم كل شيء .

العدول إلى الفعل (علمني) له أغراض بلاغية منها:

الأول: بيان منة الله عليه إذ أفاض عليه . سبحانه . من العلوم وتفاصيل جزئياتها كتعبير الرؤى وغيره الشيء الكثير، كما جعله مستعدًّا لقبول تلك العلوم والمعارف، فهما منتان جليلتان، قال أبو السعود: " والتعليمُ حقيقةً عبارةٌ عن فعلٍ

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (١/١٦٦)و تفسير الألوسي (١/٣٩٢) ونظم الدرر للبقاعي (٢/١٨٩)

(٢). تفسير ابن عرفة (١/١٧٥)

(٣). التحرير والتنوير، للطاهر (١/٧٣٩)

(٤). البحر المحيط لأبي حيان (١/ ٦٤٩: ٦٥٠)

يترتب عليه العلمُ بلا تخلف عنه ولا يحصُل ذلك بمجرد إفاضةِ المعلم، بل يتوقف على استعداد المتعلم لقبول الفيضِ وتلقّيه من جهته ." [1]

ولو قال: " مما نبَّأني ربي " لأفاد معنى الإخبار دون الإلماح إلى استعداد المتعلم لقبول العلم فتكون منة واحدة، والسياق في ذكر نعم الله على يوسف وآل يعقوب جميعًا، تذكيرًا لهذين الفتيين بأن الله هو المحسن إلى عباده فيجب أن يفردوه بالعبادة ولا يشركوا به شيئًا .

بينما استعمل التنبئة أولا لأنهما يريدان معرفة ما تشير إليه رؤيتهم فحسب، قال أبو السعود: " الإعلام والإنباء، فإنهما إنما يتوقفان على سماع الخبر ." [2] كما فيه إشارة إلى أن تلك الرؤية أمرها مهم جدًّا عندهم قال أبو السعود: " فإن النبأَ إنَّما يطلق على الخبرِ الخطيرِ والأمرِ العظيم ." [3]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن وزوال كلفة التكرار، فلو لم يعدل إلى (علمني) لحصل التكرار لمادة التنبئة ثلاث مرات .

ثانيهما : الخفة اللفظية، فقد تكررت الهمزة إحدى وعشرين مرة في الآيتين، فلا شك أن العدول إلى (علمني) دون (نبَّأني) قد ساهم في الخفة اللفظية وتمام انسجامها .

---

(١) . تفسير أبي السعود (١/ ٨٤)
(٢) . تفسير أبي السعود (١/ ٨٤)
(٣) . تفسير أبي السعود (١/ ٨٥)

المبحث الثاني

العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي

قد كان المبحث السابق عن بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الماضي بينما هذا المبحث فإنه يشتمل على ذكر الأوجه البلاغية للعدول المعجمي من المضارع إلى الماضي، على النحو التالي :

١١٧. [نبعث ـ جئنا]

قَالَ تَعَالَىٰ: {ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾} [سورة النحل:٨٨-٨٩]

في الآية الثانية عدول معجمي من (نبعث) **فعل مضارع [و] نَفْعَل، إلى** (جئنا) **فعل ماضٍ [و] فِلْنَا**، وذلك في سياق تهديد الكافرين بزيادة العذاب يوم القيامة وأن الأنبياء تشهد عليهم يوم القيامة بأنهم قد بلغوهم رسالات ربهم وما قصروا في هدايتهم وأن رسول الله يأتي يوم القيامة شهيدًا على أمته وجميع الأمم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (جئنا) **أغراض بلاغية منها:**

الأول: زيادة الاهتمام بالنبي عليه الصلاة والسلام(١)، وكمال العناية به، فالبعث يفيد الإنهاض لهذه المهمة للاضطلاع بها، بينما المجيء يفيد ذلك المعنى ويزيد عليه الإحضار والمعية، والباء في (بك) تؤذن بالإلصاق والقرب والمعية، ففي العدول إيذان بجليل شأنه عليه السلام وفضله على سائر الأنبياء .

وناسب هذا التشريف لأنه في مقام تسلية النبي صلى الله عليه وسلم فجاء بالفعل الخاص به وهو لفظ المجيء لأن البعث لا يتضمن الإرسال ولا يفيد معنى الوصول إلا بقرينة تدل على ذلك، بينما الفعل (جاء) يفيد معنى الإحضار ومعنى الوصول، ففيه تنصيص على قيام النبي صلى الله عليه وسلم بأمر الدعوة على أكمل الوجوه فاستحق غاية الإكرام وكمال الشرف يوم يقوم الأشهاد .

الثاني: الإيذان بأن شهادة النبي محمد صلى الله عليه وسلم تمتاز عن شهادة سائر الأنبياء، فشهادته ـ صلى الله عليه وسلم ـ على أمته للتزكية وليس كذلك شهادة سائر الأنبياء ـ عليهم السلام ـ على أممهم. (٢)

---

(١) . تفسير أبي السعود (١٣٥/٥)

(٢) . ينظر: تفسير الألوسي (٤٥١/٧)

قال الألوسي في تفسير سورة البقرة عند قوله: " وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ": " أخرج الإمام أحمد وغيره عن أبي سعيد قال: «قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل والنبي ومعه الرجلان وأكثر من ذلك فيدعى قومه فيقال لهم هل بلغكم هذا؟ فيقولون: لا، فيقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمكم؟ فيقولون: جاءنا نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فذلك قوله **تعالى**: وَكَذلِكَ جَعَلْناكُمْ أُمَّةً وَسَطاً وفي رواية «فيؤتى بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم فيسأل عن حال أمته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم»" (١)

الثالث :

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا لكلفة التكرار .

١١٨. **[تأتينا ـ جئتنا]**

قَالَ تَعَالَى: { قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴿١٢٩﴾} [سورة الأعراف:١٢٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تَأْتِيَنَا) فعل مضارع [و] تَفْعِلَنَا، إلى (جِئْتَنَا) فعل ماضٍ [و] فِلْتَنَا، وذلك في سياق ذكر قوم موسى لما لحقهم من أنواع العذاب قبل بعثة موسى ومن بعدها من قبل فرعون إذ توعدهم بالقتل فخافوا وفزعوا من ذلك، فبشرهم موسى بهلاك عدوهم واستخلافهم في الأرض من بعده وأن الله سيمكن لهم ويعيشون في أمان .

والعدول المعجمي إلى الفعل (جئتنا) لأغراض بلاغية منها:

الأول: التعريض بكون الإيذاء بعد بعثته عليه السلام أشد، فاستعمال المجيء في القوة أمر معهود في الخطاب القرآني، فقد كان فرعون اللعين يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم ويكلفهم الأعمال الشاقة عليهم، لكن بعد بعثة موسى عليه السلام زاد على ذلك بأن توعدهم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وبالتصليب على جزوع النخل، وفي ذلك إفناء لهم ومحو بالكلية فكان أشد من هذا الوجه . قال الطبري: "كانوا يذبحون أبناءنا ويستحيون نساءنا (ومن بعد ما جئتنا)، اليوم يدركنا فرعون فيقتلنا." (٢)

الثاني: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، قال الطاهر: " والإتيان والمجيء مترادفان، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ." (٣)

١١٩. **[عملوا ـ تفعلوا ـ كسبت]**

---

(١) . ينظر: تفسير الألوسي (١/٤٠٤) ومسند الإمام أحمد، حديث رقم (١١٥٥٨) ط: مؤسسة الرسالة .

(٢) . تفسير الطبري (٤٣/١٣)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٦١/٩)

قَالَ تَعَالَى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ فَأۡذَنُواْ بِحَرۡبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَإِن تُبۡتُمۡ فَلَكُمۡ رُءُوسُ أَمۡوَٰلِكُمۡ لَا تَظۡلِمُونَ وَلَا تُظۡلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ ذُو عُسۡرَةٖ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيۡسَرَةٖۚ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾} [سورة البقرة:٢٧٧–٢٨١]

وفي الآيات الكريمة عدول من (عَمِلُوا) فعل ماضٍ [و] فَعِلُوا، إلى (تَفْعَلُوا) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَلُوا، ثم إلى (كَسَبَتْ) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْ، وذلك في سياق التحذير من الربا بشتى صورِهِ، لما له من خطورة على المجتمع الإسلامي والمعاملات التي تكون بين أفراده .

فالعدول إلى (تفعلوا) له أغراض بلاغية منها :

الأول: الاستهجان لذكر لفظ الربا، فلم يقل (فإن لم تذروا الربا ....) وفيه لطيفة وهي أنه ينبغي عدم التعرض لتلك المعاملات الربوية المحرمة ولا يتلفظ بها إلا لبيان حرمتها ووجوب الابتعاد عنها، فالمؤمن لا يتعامل بالربا بل ولا يتلفظ به كرهًا له وخوفًا من عقوبته .

الثاني: الحث على الإسراع في ترك الربا؛ **لفظ الفعل يذكر في الاستعمال القرآني فيما يكون على جهة الإسراع،** كما في قوله تعالى عن الملائكة : (ويفعلون ما يؤمرون) [النحل : ٥٠] قال الزركشي :" حيث يأتون بما يؤمرون في طرفة عين فينقلون المدن بأسرع من أن يقوم القائم من مكانه ... فهذا هو الفصاحة في اختيار الأحسن في كل موضع ." (١)

الثالث: التفنن في التعبير؛ التكرار، وذلك من وجوه الفصاحة القرآنية .

والعدول إلى الفعل (كسبت) لأغراض منها:

الأول: أنه لما ذكر المال وأكله بالربا ناسب أن يأتي في مقام التهديد والتخويف بفعل يدل على ذلك فقال: " ما كسبت " لأن أكل الربا كسب وثروة، فقوله: " ثم توفى كل نفس ما كسبت " وعيد لكل من تعامل بالربا المحرم وظنه كسبًا حلالا، قال الإمام الرازي: " اعلم أن هذه الآية في العظماء الذين كانوا يعاملون بالربا وكانوا أصحاب ثروة وجلال وأنصار

---

(١) . البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٨٣/٤)

شبكة الألوكة

وأعوان وكان قد يجري منهم التغلب على الناس بسبب ثروتهم، فاحتاجوا إلى مزيد زجر ووعيد وتهديد، حتى يمتنعوا عن الربا، وعن أخذ أموال الناس بالباطل، فلا جرم توعدهم الله بهذه الآية، وخوفهم على أعظم الوجوه ." [(١)]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : مراعاة المناسبة اللفظية بين ألفاظ السورة الكريمة، حيث روعي ذكر لفظ (كسبت) لأن قبلها {أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ} [سورة البقرة: ٢٦٧]، وبعدها: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ} [سورة البقرة: ٢٨٦] [(٢)].

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا التكرار .

أما اختيار (العمل) مع الصالحات فلأن العمل يكون لما امتد زمانه، وقد جاء في معجم الفروق :" وأصل العمل في اللغة الدَّؤُوب ومنه سميت الراحلة يَعْمَلَة ." [(٣)] إذن فاستعمال لفظ (عملوا) في الآية الكريمة يدل على ثبات المؤمنين ومداومتهم على الطاعة ومعرفتهم بحق الله عليهم من العبودية والشكر.

١٢٠. **[يغلّ / يغلل ـ كسبت]**

قَالَ تَعَالَى:{ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ ۚ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾} [سورة آل عمران:١٦١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَغُلّ/يَغْلُل) وكلاهما فعل مضارع [و] يَفْعُل، إلى (كسبت) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْ، وذلك في سياق التحذير من الغلول وكونه من كبائر الذنوب لأنه تعدٍّ على حقوق الناس بغير حق .

وللعدول إلى الفعل (كسبت) أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ زيادةً في الترهيب من الغلول قال الزمخشري: " جيء بعامّ دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى، وهو أبلغ وأثبت، لأنه إذا علم الغال أن كل كاسب خيراً أو شراً مجزي فموفى جزاءه، علم أنه غير متخلص من بينهم **مع عظم ما اكتسب** ." [(٤)]

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٨٧/٧)
(٢) . فتح الرحمن بكشف ما يلتبس من القرآن، لزكريا الأنصاري (٧٠/١)
(٣) . معجم الفروق اللغوية، ص ٣٧٧ .
(٤) . الكشاف، للزمخشري (٤٦٢/١) .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فالعدول من [غلَّ] إلى [كسبت] غرضه تعميم الحكم ترهيبًا من الوقوع في الغلول لأنه جرمٌ عظيم وسمّاه [كسْبًا] إشارة إلى نفعِهِ العاجل وشره الآجل وأنه تعالى يمهل ولا يهمل، " والكسب -في الأصل -ما يتحراه الإنسان مما فيه جلب منفعٍ أو دفع ضر... قال الراغب: وقد يستعمل الكسب فيما يظن الإنسان أنه يجلب منفعةً ثم استجلب به مضرةً" (١)، فمن أخذ شيئًا من غنائم المسلمين بدون حق فقد أصاب نفعًا دنويًّا وتعرض لعقوبة شديدة من الله يوم القيامة لأنه ارتكب كبيرة . قال القرطبي :" وامتناعه . عليه السلام . من الصلاة على من غل دليل على تعظيم الغلول وتعظيم الذنب فيه وأنه من الكبائر، وهو من حقوق الآدميين ولا بد فيه من القصاص بالحسنات والسيئات، ثم صاحبه في المشيئة ." (٢)

الثاني: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار؛ إذ لو قيل: ثم توفى كل نفس ما غلت " لتكررت مادة الغلول في الآية أربع مرات .

١٢١. [يحيي ـ بعثه]

قَالَ تَعَالَىٰ: { أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾} [سورة البقرة:٢٥٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يُحْيِي) فعل مضارع [و] يُفْعِل، إلى (بَعَثَهُ) فعل ماضٍ [و] فَعَلَهُ، وذلك في سياق بيان قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وقيل : إن الذي مر على القرية الخاوية هو عزيرٌ نبي الله وقيل : غيره . (٣)

والعدول المعجمي من (يُحْيي) إلى (بَعَثَه) جيء به لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن ذلك الإحياء لهذا الرجل قد كان على وجه السرعة، قال ابن عثيمين: " قوله تعالى: {ثم بعثه} أي أحياه؛ ولعل قائلاً يقول: إن المتوقع أن يقول: «ثم أحياه » ليقابل {أماته}؛ لكن «البعث » أبلغ؛ لأن «البعث » فيه سرعة؛ ولهذا نقول: انبعث الغبار بالريح، وما أشبه ذلك من الكلمات الدالة على أن الشيء يأتي بسرعة، واندفاع؛ فهذا

(١) . عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، للسمين الحلبي (٣/٣٩٦)
(٢) . تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٨)

(٣) . تفسير الطبري (٥/٤٤٢)

الرجل بعثه الله بكلمة واحدة؛ قال مثلاً: «كن حياً »، فكان حياً ." [1] والسرعة هنا تبين قدرة الله المطلقة في الإحياء وسهولة تأتيه عليه كأنه بعثه من النوم، قَالَ تَعَالَى:{أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾} [سورة العنكبوت:١٩]

الثالث: الإيذان بأنه عاد كهيئته يوم موته عاقلًا فاهمًا، قال الرازي: " ولم يقل: ثم أحياه لأن قوله {ثم بعثه} يدل على أنه عاد كما كان أولا حيا عاقلا فهما مستعدا للنظر والاستدلال في المعارف الإلهية، ولو قال: ثم أحياه لم تحصل هذه الفوائد ." [2] كما أن لفظ (بعثه) تفيد مع معنى الإنهاض بهذه الهيئة الكاملة تفيد معنى الإرسال، فيكون اللفظ دالًّا على المعنيين كليهما: الإنهاض وأنه أُرسل إلى قومه داعيًا إلى ربه .

الرابع: الإشارة إلى أن بدنَه لم يتغير ولم يفنَ فناءَ حماره حيث لم يكن ثم نشره، نقله البقاعي عن الحرالي.[3]

الخامس: مراعاة الفصاحة اللغوية بالتفنن وزوال كلفة التكرار .

١٢٢. [أتريدون ـ ودوا]

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾} [سورة النساء:٨٨ ـ ٨٩]

.

في الآيتين عدول معجمي من (أتريدون) فعل مضارع [و] أَتُفْعِلُون، إلى (وَدُّوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا وذلك في سياق الأمر بقتال أهل الكفر والغدر الذين غايتهم الإضرار بالمسلمين.

والعدول المعجمي من الفعل (أتريدون) إلى الفعل (ودوا) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بتمكن الإيمان في قلوب المؤمنين وصدق محبتهم له؛ تيئيسًا للمنافقين مما أرادوه، وإعلامهم بفشل محاولاتهم في صد المؤمنين عن السبيل الحق؛ فالله ينصر أولياءه ويخذل أعداءه . وقد صرَّح الطاهر بن عاشور بأبلغية التعبير في جانب محاولة المؤمنين بالإرادة وفي جانب محاولة المنافقين بالودّ، وذكر أنَّ الإرادة ينشأ عنها الفعل، فالمؤمنون يستقربون

(١) . تفسير الفاتحة والبقرة، لابن عثيمين ط١: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية .١٤٢٣هـ (٣/ ٢٩٠)

(٢) . مفاتيح الغيب، للرازي (٧/ ٣٠)

(٣) . ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (١/ ٥٠٦)

حصول الإيمان من المنافقين، إذ الإيمان قريب من فطرة الناس وقلوبهم، والمنافقون يعلمون أنّ المؤمنين لا يرتدّون عن دينهم، ويرون منهم محبّتهم إيّاه، فلم يكن طلبهم تكفيرَ المؤمنين إلاّ تمنيّا، فعبّر عنه بالودّ المجرّد [1].

الثاني: المبالغة في إيضاح غلو المنافقين وتماديهم في الكفر؛ إذ يتصدون لإضلال غيرهم ويحبون ذلك ويسعون إليه بكل سبيل، والوُدّ يستعمل كنايةً عن السعي لحصول الشيء المودود [2] كما في قوله تعالى : (وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب) [الأحزاب ٢٠]

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية، من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل أخف لفظًا وأحسن ائتلافًا مما لو قيل : (وأرادوا أن تكفروا كما كفروا) لخفة الثلاثي (ودوا) في الآية عن الرباعي (أرادوا) وخلوّ الأول من الراء إذ تكررت في الآية فالعدول إلى لفظٍ ليس فيه ذاك الحرف المكرر أدخلُ في باب الفصاحة .

---

(١) . ينظر : التحرير والتنوير، للطاهر (١٥١/٥)

(٢) . ينظر : التحرير والتنوير، للطاهر (٣٠١/٢١)

المبحث الثالث

العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي

العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي قليل جدًّا في القرآن الكريم وفقًا لحدود الدراسة، وقد وجد الباحث شاهدين على هذا النوع العدولي وتفصيلهم كالآتي :

١٢٣. [وأطيعون ـ واتبعنا]

قَالَ تَعَالَى: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَـٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّـٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾} [سورة آل عمران:٥٠-٥٣]

في الآية الأولى والأخيرة عدول معجمي من (أَطِيعُون) فعل أمر [و] أَفْعِلُون إلى (اتَّبَعْنَا) فعل ماضٍ [و] افْتَعَلْنا، وذلك في سياق أمر نبي الله عيسى عليه السلام قومه إلى طاعته وعبادة الله وحده وقد استجاب الحواريون لما دعاهم إليه بقلوب راضية ونفوس مؤمنة .

وللعدول المعجمي من الفعل (أطيعون) إلى (اتبعنا) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى ملازمة الحواريين لامتثال أوامر نبيهم عليه السلام، وإطلاق الاتّباع بمعنى الائتمار شائع في القرآن الكريم، ويستعمل بمعنى الملازمة كما سُمِّي من لازم الصحابي تابعيًّا، فعلى هذا يكون الاتّباع في الآية مراداً به دوام الامتثال .(١)

الثاني: الإيذان بأن طاعتهم للنبي عليه السلام ليست مقتصرة على ما يأمرهم به بل هم يقتفون أثره ويتبعون سنته في كل ما يأتي ويذر سواء كان آمرًا به أم لا، قال الطاهر: " والطاعة امتثال الأمر والنهي . "(٢) والاتباع أشمل من الطاعة، إذ هو الإتيان لمثل فعل الغير لمجرد كونه آتياً به(٣)، إذن في العدول تأكيد على أنهم يجتهدون في متابعته في كل شيء .

(١) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٧/ ٤٢٤)
(٢) . التحرير والتنوير (٩/٣٠٣)
(٣) . نظم الدرر، للبقاعي (٤/ ٤٩١)

الثالث: لما كانت (الطاعة) تطلق على امتثال أمْر الآمِر، وعلى الدخول تحت حكم الغالب، فيُقال : طَاعَت قبيلة كذا أي انقادت، جاء في تاج العروس :" وأَطاعَ: لانَ وانْقادَ، وأنشدَ ابنُ برّيّ للرّقّاصِ الكَلبيّ:

(سِنانُ مَعَدٍّ فِي الحُروبِ أَداتُها ... وَقد طاعَ منهُم سادَةٌ ودَعائِمُ) (١)

لذلك عدل عن (الطاعة) إلى (الاتباع) **إشارة إلى أن طاعتهم يكتنفها القبول والرضا وتمام العناية بسنته عليه السلام**، وهذا دليل على تمكن الإيمان في نفوسهم، قال المراغي: " وفي ذكرهم الاتباع بعد الإيمان دليل على أن إيمانهم كان بمنزلة اليقين الحاكم على النفس المصرف لها في العمل، إذ العلم الصحيح هو الذي يستلزم العمل، أما العلم الذي لا أثر له فيه فهو محمل ناقص لا يقين فيه ولا اطمئنان، وكثيرا ما يظن الإنسان أنه عالم بالشيء، فإذا حاول العمل به لم يحسنه، ويتبين له أنه كان مخطئا في دعوى العلم به ." (٢)

١٢٤. [نادوا ـ فدعوهم]

قَالَ تَعَالَى:{ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾} [سورة الكهف:٥٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نَادُوا) فعل أمر [و] فَاعُوا، إلى (دَعَوْهُم) فعل ماضٍ [و] فَعَوْهُمْ وذلك في سياق ذكر" إبطال إلهية جميع الآلهة التي عبدها دهماء المشركين مع بيان ما يعتريهم من الخيبة واليأس يومئذ." (٣)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (فدعوهم) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى تمادي الكافرين في الجهل والضلال، إذ نادوهم للاستغاثة والنصرة(٤)؛ كي يشفعوا لهم من عذابِ يومئذٍ، فلم يكتفوا بالنداء لهم بل اجتهدُوا في سؤالهم ودعائهم كعادتهم في الدنيا، لكن لم يستجيبوا لهم، وفي ذلك بيان لفرط غباوتهم ومنتهى سفاهتهم .

الثاني: التعميم؛ تنبيهًا إلى أنهم ينادون شركاءهم بأعلى أصواتهم ويشيرون إليهم عساهم يستجيبون ليشفعوا لهم ويخلصوهم مما هم فيه من العذاب، ولكن هؤلاء لا يستجيبون لهم؛ إعراضاً عنهم استهانة بهم واشتغالاً بأنفسهم فضلاً عن أن يعينوهم، وكأن التعبير بالفعل (فدعوهم) صور ما هم فيه من الكرب الشديد وهم يصيحون ليغاثوا مما هم فيه حتى تنقطع أنفاسهم ويشيرون إليهم بذلك، وأنى لهم ؟!

---

(١) . تاج العروس، للزبيدي، مادة (طوع) .
(٢) . تفسير المراغي (٣/ ١٦٨)
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٥/ ٣٤٤)
(٤) . تفسير أبي السعود (٥/ ٢٢٩)

جاء في معجم الفروق: " الفرق بين النداء والدعاء: أن النداء هو رفع الصوت بماله معنى والعربي يقول لصاحبه ناد معي ليكون ذلك أندى لصوتنا أي أبعد له، والدعاء يكون برفع الصوت وخفضه يقال دعوته من بعيد ودعوت الله في نفسي ولا يقال ناديته في نفسي، وأصل الدعاء طلب الفعل ." (١)

وأورد السيوطي عن بعض السلف قراءة قوله تعالى: " ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك " بحذف الكاف من (مالك) على الترخيم وذكر توجيه ذلك بأنهم لشدة ما هم به عجزوا عن إتمام الكلمة .(٢)

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) . معجم الفروق اللغوية ص (٥٣٤)
(٢) . ينظر: الإتقان للسيوطي (٣/٢٠٢)

الفصل الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل المضارع

الفصل الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الفعل المضارع

قد سبق ذكر أنواع الفعل في العربية في مقدمة الفصل الأول، وقد توقفْنا في رياض البلاغة القرآنية للعدول المعجمي إلى الفعل الماضي، وفي هذا الفصل الذي بين يديك عزيزي القارئ يكون الحديث فيه عن البلاغة العالية للعدول المعجمي إلى الفعل المضارع، وهو أكثر أنواع العدول المعجمي ورودًا في الذكر الحكيم؛ وذلك لما يحمله المضارع من دلالة التجدد والاستمرار وتصوير المعنى وإيضاحه في ذهن المتلقي، مما يساهم بحدٍّ كبير في التأثير على عواطفه وانفعالاته.

ويندرج تحت هذا الفصل ستة مباحث، على النحو التالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع .

المبحث الرابع : بلاغة العدول المعجمي إلى الماضي والمضارع .

المبحث الخامس : بلاغة العدول المعجمي إلى المضارع والأمر .

ويمكن إجمال أبرز الأغراض البلاغية للعدول المعجمي من الفعل إلى المضارع فيما يلي :

أولا : الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، والتعميم والتخصيص، والإعلام، والتعريض والتشنيع، والمبالغة، والتسجيل، والاهتمام، والحث، والتعجيب، والذم والتحقير، والاختصار، والترهيب، التوضيح، والامتنان، والاستهجان، والتهكم .

ثانيًا: الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، وائتلاف اللفظ والمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع

العدول من الماضي إلى المضارع في القرآن الكريم له أغراض بلاغية عالية، على المستويين : المعنوي واللفظي، هذا بالإضافة إلى دلالة التجدد والاستمرار، والسياق خيرُ معين على تحديد الدلالات الفنية المنوطة به .

وفيما يلي سيكون توضيح تلك الأوجه البلاغية، وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع الثلاثي .

المطلب الثاني : العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع الثلاثي

المضارع كغيره من الأفعال قد يكون ثلاثيًّا، نحو : يصنع، أو غير ثلاثيٍّ، نحو : يؤمن، ويستمِع، ويستقيم .

وعلى هذا فسوف يكون هذا المطلب خاصًّا ببلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع الثلاثي، وذلك من خلال مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى المضارع الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى المضارع الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى المضارع الثلاثي .

١٢٥. [فذبحوها ـ يفعلون]

قَالَ تَعَالَى: {قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ لَّا ذَلُولٞ تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ وَلَا تَسۡقِي ٱلۡحَرۡثَ مُسَلَّمَةٞ لَّا شِيَةَ فِيهَاۚ قَالُواْ ٱلۡـَٰٔنَ جِئۡتَ بِٱلۡحَقِّۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧١﴾} [سورة البقرة:٧٠–٧١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ذَبَحُوهَا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوهَا إلى (يَفْعَلُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك العدول وردَ في سياق أمر بني إسرائيل بذبح بقرة لتبين بها من الذي قتل تلك النفس، وبيان تباطئهم في امتثال أمر موسى بذبحها .

والعدول إلى لفظ (يفعلون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى شدة تباطئهم في تنفيذ ما أمرهم الله به من ذبح البقرة، أما سبب ذلك فقد قال :" القرظي محمد بن كعب: لغلاء ثمنها. وقيل: خوفا من الفضيحة على أنفسهم في معرفة القاتل منهم، قاله وهب بن منبه." (١) ونفي مادة الفعل الذي يفيد السرعة كما يدل عليه الاستعمال القرآني يدل على تباطئهم المذكور، كأن الله . جل شأنه . قال: وما كادوا يسرعون في ذبحها تعنتًا واستقصاءً لمعرفة صفاتها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع تعمقهم وخيط إسهابهم فيها .

الثاني: التعميم، لأن الفعل أعم من الذبح، وكأنه تصوير لحالتهم خوف الافتضاح فتراهم يقدمون رجلا ويؤخرون أخرى، كأنهم لا يريدون فعل أي شيء ينبئهم عن حقيقة أمر القتيل من ذبح البقرة أو نحوه . قال أبو حيان: " {وما كادوا يفعلون}: كنى عن الذبح بالفعل، لأن الفعل يكنى به عن كل فعل ." (٢) ففي العدول تعريض بذكر حال بعض بني إسرائيل من سوء تلقيهم الشريعة تارة بالإعراض والتفريط، وتارة بكثرة التوقف والإفراط، لذلك قال ابن عباس: لو ذبحوا أية بقرة لأجزأتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم . (٣)

الثالث: التفنن في التعبير، تجنبًا للتكرار، وبهِ صرَّح الطاهر ابن عاشور، حيث قال: " لم يقل يذبحون كراهية إعادة اللفظ تفنناً في البيان ." (٤)

١٢٦. [جرحتم ـ تعملون]

(١) . تفسير القرطبي (١/٤٥٥)
٢ . البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٤٢٣)
٣ . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٥٥٦)
٤ . التحرير والتنوير، للطاهر (١/٥٥٩)

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٦٠} [سورة الأنعام:٦٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جَرَحْتُمْ) فعل ماضٍ [و] فَعَلْتُم إلى (تعملون) فعل مضارع [و] تَفْعَلُون وذلك في سياق بيان سعة رحمة الله وعلمه بأفعال العباد، وأنه يجازي كل امرئ بما فعل إن خيرا فخير وإن شرا فشر .

والعدول المعجمي إلى الفعل (تعملون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، ترغيبا وترهيبا وإشارة إلى سعة علمه . تعالى . لأن المراد بالفعل (جرحتم) أعمال الجوارح، والعمل أعم، لأنه يشمل أعمال القلوب والجوارح [1].

الثاني: الإشارة إلى كمال عدل الحق ــ سبحانه وتعالى ــ فالعمل: يطلق على ما يكون بعلم صاحبه وقصده، والأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى، ودليلُ ذلك أنَّ العمل والعلم متقاربان على المستوى اللفظي، نقل الكفوي عن بعض الأدباء أنه قال :" قلب لفظ العمل عن لفظ العلم؛ تنبيها على أنه من مقتضـــاه " [2]، كما أن " العمل إذا كان نافعا قلما يتخلف عن علم " [3]، والتنبئة في الآية الكريمة كناية عن الجزاء والجزاء يكون على الأعمال التي سـعى إليها العامل وقام بها، فلا يؤاخذ العبد على ما وقع منه نسيانًا أو خطأً، لأنه ليس بقصده .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : الخفة اللفظية، فلفظ (تعملون) أخف لفظا من الفعل (تجرحون) .

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٢٧ . [كسبوا ـ يكفرون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ ٧٠} [سورة الأنعام:٧٠]

١ . الكليات للكفوي، ص ٦١٦
٢ . الكليات للكفوي، ص ٦١٦
٣ . الكليات للكفوي، ص ٦١١

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كَسَبُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا إلى (يَكْفُرون) فعل مضارع [و] يَفْعُلُون، وذلك في سياق الأمر بترك الذين يستهزئون بدينهم واغتروا بحياتهم الدنيا وكأن لا حياة بعدها أبدا، والأمر بتذكيرهم بالقرآن وما فيه من الوعد والوعيد وأن هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبًا ولهوا لا تنفعهم شفاعة ولا يجدون نصيرا وأن لهم شراب من ماء حار يقطع أمعاءهم وعذاب أليم يحرق أبدانهم بسبب كفرهم بآيات الله وسائر معاصيهم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يكفرون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن الكفر يستوجب أشد العذاب وهو أولى ما يحذّر منهُ (١)، فالكافرون معذَّبون بسائر معاصيهم ويدلُّ على ذلك لفظ (بما كسبوا) لكن العدول إلى الكفر عند ذكر العقوبة بالحميم والعذاب الأليم فيه دليل على أنَّ أعظم الذنوب هو الكفر بالله والإشراك به، وأنَّ الكافرين قد استحقوا غاية الانتقام بسبب ذلك .

الثاني: ذم الكافرين الذي اغتروا بالدنيا ومتاعها ولم يشكروا الله على نعمه بل كفروها وجحدوها، فالعدول عن مادة الكسب إلى الكفر، تصريح بما أوقعهم في ذلك العذاب الشديد، قال البقاعي: " {كانوا يكفرون *} أي يجددون من تغطية الآيات." (٢) فالكاف والفاء والراء أصل واحد يدل على الستر والتغطية، والكفر: ضد الإيمان، سمي لأنه تغطية الحق. وكذلك كفران النعمة: جحودها وسترها. (٣) فالكفار قد استحقوا غاية الذمّ من الله لأنهم جمعوا بين الكفر بآياته وجحود آلائه .

الثالث: مراعاة المناسبة بذكر الأخص مع الأخص، ذكر ابن عرفة أن الإبسال . وهو أن يسلم المرء نفسه للهلكة . جنس مطلق فعلق بالكسب المطلق المتناول لجميع المعاصي من الكفر وما دونه، وشرابُ الحميم والعذاب الأليم عذابٌ أخص فعلق بفعلٍ أخص وهو الكفر (٤) .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا لتكرار اللفظ ثلاث مرات .

صدق الله [جئنا / جاءت ـ يأتي]

قَالَ تَعَالَى: {وَلَقَدْ جِئْنَاهُم بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٥٣﴾} [سورة الأعراف:٥٢] ـ ٥٣

---

(١) . تفسير أبي السعود (١٤٩/٣)
(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (٧/ ١٥٠)
(٣) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس (١٩١/٥)
(٤) . تفسير ابن عرفة (٢/ ١٦٧)

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (جِئْنَاهم) فعل ماضٍ [و] فِلْنَاهُم، إلى (يَأْتِي) فعل مضارع [و] يَفْعِل، ثم إلى (جاءت) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْ، وذلك في سياق تذكير الناس بمنة الله عليهم إذ أنزل إليهم الكتاب المستبين تفصيلًا لكل شيء هدى ورحمة للمؤمنين، كما فيه وعيد للذين نسوه وتركوا امتثال أمره واجتناب نهيه وإيذان بشدة حسرتهم يوم القيامة .

والعدول المعجمي من إلى [يأتي] له أغراض بلاغية منها:

الأول: ترهيب الكافرين الذين كذبوا بآيات الله وآذَوْا رسله وجحدوا نبوتهم، **وذلك المعنى مستفاد سياق الآية ومن لفظ (يأتي) إذ دلَّ على عدة أمور منها:**

١. إيقاع الوعيد بالكافرين على الله يسير، **قال تعالى**:{زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٧﴾} [سورة **التغابن**:٧] قال الراغب: " الإتيان مجئ بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتي وأتاوي ".(١) فهو أخص من مطلق المجيء، (٢) وفيه إشارة إلى قدرة الله المطلقة لسهولة تأتي مفعولاته .

٢. تتابع العذاب على الكافرين وعدم انقطاعه عنهم فالإتيان لغة مشعر بالتتابع كما في (الأتِي) وهو الجدول المائي الذي يجري فيه الماء ولا يعوقه شيء .قَالَ تَعَالَىٰ:{ ۞ هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ﴿٢٠﴾ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ﴿٢١﴾ كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخۡرُجُواْ مِنۡهَا مِنۡ غَمٍّ أُعِيدُواْ فِيهَا وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٢٢﴾} [سورة **الحج**:١٩-٢٢] فاختير في تلك الآيات الأفعال المضارعة (يصب . يصهر) إشارة إلى استمرارية العذاب وتجدده، فاللهم اغر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولها : **التفنن في التعبير بالبعد عن التكرار** . قال الطاهر في تفسير سورة الأعراف : " والإتيان والمجيء مترادفان، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ ." (٣)

ثانيها : **الخفة اللفظية**، فالمضارع من المجيء لم يأت في القرآن لثقله لفظًا، **والفعل (يأتي) أخف لفظًا من (يجيء) كما هو واضح .**

(١) المفردات، للراغب مادة (أتي) .

(٢) الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٣٦٥)

(٣) التحرير والتنوير، للطاهر (٩/ ٦١)

ثالثها : مراعاة تناسب اللفظ مع المعنى، فالفعل (يأتي) لخلوه من المد المتصل أقصر من (يجيء) أداءً، فيدلُّ على قرب وقوع العذاب بالمكذبين يوم القيامة، والمد من دلالاته الإشعار بطول المدة الزمنية [1] وليس ذلك مرادًا هنا؛ إذ المقصود من السورة عامة إنذار المعرضين وكان الإلماح إلى سرعة وقوع ما وُعِدوا به من العذاب أشد على نفوسهم .قَالَ تَعَالَى:{وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾} [سورة الأنبياء:٩٧]

أما العدول إلى الفعل (جاءت) فلأغراض منها:

الأول: التعظيم للأنبياء رجاءً في التخلُّص من العذاب، ودلالة التعظيم تستفاد من فعل المجيء فالمقام في بيان شدة حاجتهم للشفعاء والأنبياء لا يشفعون إلا للمؤمنين وكأن الاعتراف بعظمتهم في هذا الموقف استنزالٌ لرحمتهم واستجلابٌ لشفاعتهم، والغريق يتعلق بأدنى سببٍ . قال الطبري: " أقسم المساكين حين عاينوا البلاءَ وحلّ بهم العقاب: أنّ رسل الله التي أتتهم بالنِّذارة وبلغتهم عن الله الرسالة، قد كانت نصحت لهم وصَدَقتهم عن الله، وذلك حين لا ينفعهم التصديق. ولا ينجيهم من سَخَط الله وأليم عقابه كثرة القال والقيل." [2]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير، تجنبًا لتكرار الكلمة ثلاثة مرات .

ثانيهما : مراعاة تناسب اللفظ مع المعنى؛ فالمد الحاصل في اللفظ المعدول إليه يوحي بشدة التأوه والتألم وكأنها تصور الآهات المتتابعة لما عاينوا العذاب يوم القيامة ويؤكده تتابع المدود في مقولهم [شفعاء . لنا أو] مع المد الطبيعي في (ربنا . لنا . فيشفعوا . الذي . كنا)، وتكرار النون الموحي بالحزن والتأسف . قال ابن عطية: " فأخبر الله عز وجل أن مآله يوم يأتي يقع معه ندمهم، ويقولون تأسفا على ما فاتهم من الإيمان لقد صدقت الرسل وجاءوا بالحق ." [3]

صدق الله [ظلموا ـ يفسقون]

---

(١) يرى الباحث : أن الزيادة في الصوت بتطويله في المد تشير إلى زيادة في المعنى إما للبعد المكاني أو الزماني أو المكانة أو الاستبعاد أو تمكين المعنى في النفس أو زيادة التنبيه على أمر ما وغير ذلك .
وقد قام الباحث بدراسة المدود في سورة يوسف محاولًا الكشف عن الدلالات البلاغية المنوطة بها، وسمّى هذه الدراسة (الحسن المشهود في كشف أسرار المدود في سورة يوسف عليه السلام) يسّر الله طباعتها .

(٢) تفسير الطبري (٤٨٠/١٢)

(٣) تفسير ابن عطية (٤٠٨/٢)

قَالَ تَعَالَى:{ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾} [سورة البقرة:٥٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ظَلَمُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا، إلى (يَفْسُقُون) فعل مضارع [و] يَفْعُلون، وذلك في سياق ذم ظالمي بني إسرائيل الذين بدلوا ما أمره الله به (قولوا حطة) فجعلوها حنطة [١] .

والعدول المعجمي إلى الفعل (يفسقون) في تلك الآية لأغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في الذم والتقريع لهؤلاء المبدلين خلاف ما أمروا به والتسجيل عليهم بالفسق الذي بسببه أنزل عليهم العذاب؛ فهم جمعوا بين وصفين مذمومين الظلْم والفسق، فلو قيل: " بما كانوا يظلمون " لأفاد إثبات الظلم لهم فحسب .

الثاني: التخصيص [٢]، **فالفسق أخص من الظلم،** لأن الثاني يطلق على الكبائر والصغائر،، والفسق مأخوذ من : "فسقت الرّطبة عن قشرها أي: خرجَت قيل: وَمِنْه اشتِقاق الفاسِق لانْفِساقِه، أَي: لانسِلاخِه عَن الخَيْر." [٣] فالعدول إلى الفسق للإيذان بأنه كانوا متصفين بالظلم العظيم لخروجهم عن الطاعة وعتوّهم .

الثالث: الإشارة إلى أنهم استحقوا اسم الظالم بسبب ذلك التبديل، فنزل الرجز عليهم للفسق الذي فعلوه قبل التبديل وعدم توبتهم من تلك القبائح التي ألفوها، فكأنهم بذلك استوجبوا مزيدًا من غضب الله وعقوبته، ذكر أبو السعود " أن تعذيبَهم بجميع ما ارتكبوه من القبائح لا بعدم توبتهم فقط كما يُشعِرُ به ترتيبُه على ذلك بالفاء ." [٤]

الرابع: التأكيد، وقال نقل أبو حيان عن أبي مسلم أنه قال :": هذا الفسق هو الظلم المذكور في قوله: {على الذين ظلموا} . وفائدة التكرار التأكيد." [٥] قال الألوسي عن القول بالتأكيد إنه :" بضاعة العاجز " [٦] **والتأسيس أولى من التأكيد .**

الخامس : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

---

(١) النكت والعيون، للماوردي (١٢٧/١)

(٢) ينظر: تفسير ابن عرفة (١١٨/١)

(٣) تاج العروس، للزبيدي، مادة (فسق) .

(٤) تفسير أبي السعود (١٣٦/١)

(٥) البحر المحيط، لأبي حيان (٣٨٧/١)

(٦) ينظر: روح المعاني، للألوسي (267/1)

أولاهما : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، إذ لو قيل: " بما كانوا يظلمون " لتكررت مادة الظلم في الآية ثلاث مرات فعدل إلى (يفسقون) لهذا الغرض.

ثانيهما : مراعاة الفنّ البديعيّ (الإبداع) وهو كما يقول السيوطي :" استعمال لفظ لم يسبق المتكلم إليه ." (١) وذلك في استعمال لفظ (يفسقون)، قال ابن الأعرابيّ: " لم يسمع الفاسق في وصف الإنسان في كلام العرب ." (٢)، جاء في العمدة لابن رشيق :" الاختراع للمعنى والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد، وحاز قصب السبق." (٣) وهذا الفنّ البديعي يكثر في القرآن الكريم، ومن أمثلته الألفاظ الإسلامية كالصلاة والزكاة ونحو ذلك .

١٣٠. **[شرب ـ يطعمه]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾} [سورة البقرة:٢٤٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (شَرِبَ) فعل ماضٍ [و] فَعِلَ إلى (يَطْعَمْهُ) فعل مضارع مجزوم [و] يَفْعَلْهُ، وذلك في سياق ذكر أحداث قصة طالوت وقتاله لجالوت وجنوده وإعداد العدة لذلك، وإخبارهم بأن الله ابتلاهم بنهر وقال لهم طالوت ونهاهم عن الشرب منه وأباح لهم الغرفة باليد وبين لهم أن الأولى الصبر على العطش بألا يذوقوا منه شيئًا .

والعدول إلى الفعل (يطعمه) لأغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في التعبير، (٤)**بالعدول إلى اللفظ الأعم**؛ سدًّا للذرائع فيشمل النهي عن قليل الماء وكثيره، فإذا وقع النهي عن الطعم فلا سبيل إلى وقوع الشرب فالطعم يقع على الطعام والشراب، وعدل عن (ومن لم يشرب منه) إلى (ومن

(١) فتح الجليل للعبد الذليل، للسيوطي، ص ٣٦، ط: مؤسسة الريان. ١٤٢٣هـ. ٢٠٠٢م .
(٢) المفردات، للراغب الأصفهاني، مادة (فسق) .
(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لابن رشيق، ط: دار الجيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، 1401 هـ - ١٩٨١ م (265/١)
(٤) ينظر: تفسير ابن عطية (335/١) ومفاتيح الغيب للرازي (510/٦) والبحر المحيط (274/٢)

لم يطعمه) لأنه أبلغ والمنع من الطعم أشق في التكليف فمن جعل الماء في فمه وتمضمض به ثم أخرجه من الفم، فإنه يصدق عليه أنه ذاقه وطعمه، ولا يصدق عليه أنه شربه .

الثاني: التنبيه على أنهم مُنِعوا من شرب الماء من النهر وإن بلغ منهم العطش مبلغًا فالإنسان " إذا عطش جدا، ثم شرب الماء وأراد وصف ذلك الماء بالطيب واللذة قال: إن هذا الماء كأنه عسل فيصفه بالطعوم اللذيذة"، (١) والظاهر أن الملك لما علم أنه سائر بهم إلى عدو كثير العدد، أراد أن يختبر قوة يقينهم في نصرة الدين، ومخاطرتهم بأنفسهم وتحملهم المتاعب وعزيمة معاكستهم نفوسهم فقال لهم إنكم ستمرون على نهر، وهو نهر الأردن، فلا تشربوا منه فمن شرب منه فليس مني،، وهذا غاية ما يختبر به طاعة الجيش، فإن السير في الحرب يعطش الجيش، فإذا وردوا الماء توافرت دواعيهم إلى الشرب منه عطشاً وشهوة، ويحتمل أراد إبقاء نشاطهم : لأن المحارب إذا شرب ماء كثيراً بعد التعب، انحلت عراه ومال إلى الراحة، وأثقله الماء . (٢)

الثالث: التوضيح وإزالة الإبهام، فقوله: {فمن شرب منه فليس مني} ظاهره أن يكون النهي مقصورا على الشرب من النهر، حتى لو أخذه بالكوز وشربه لا يكون داخلا تحت النهي، فلما كان هذا الاحتمال قائما في اللفظ الأول ذكر في اللفظ الثاني ما يزيل هذا الإبهام، فقال: {ومن لم يطعمه فإنه مني} أضاف الطعم والشرب إلى الماء لا إلى النهر إزالة لذلك الإبهام .(٣)

الرابع: الإشارة إلى حكم فقهي، قال القرطبي: " لما قال تعالى: " ومن لم يطعمه " دل على أن الماء طعام وإذا كان طعاما كان قوتا لبقائه واقتيات الأبدان به فوجب أن يجري فيه الربا، قال ابن العربي: وهو الصحيح من المذهب." (٤).

الخامس: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار . قال القرطبي: " ولم يقل ومن لم يشربه؛ لأن من عادة العرب إذا كرروا شيئا أن يكرروه بلفظ آخر، ولغة القرآن أفصح اللغات ." (٥)

ب) بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى المضارع الثلاثي :

١٣١. [فرقوا ـ يفعلون]

---

(١) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (510/٦)
(٢) ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (496/٢)
(٣) ينظر: مفاتيح الغيب للرازي (٥١٠/٦)
(٤) تفسير القرطبي (252/٣)
(٥) تفسير القرطبي (252/٣)

قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍۚ إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿١٥٩﴾} [سورة الأنعام:١٥٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (فَرَّقُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَّلوا، إلى (يَفْعَلُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في التحذير من التفرق في الدين وتعدد الأحزاب وأن ذلك ليس من منهاج الأنبياء الذين دعوا الناس لعبادة الله وأمروهم بالوحدة واجتماع الكلمة ونبذ الفرقة والاختلاف .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يفعلون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التشنيع على المشركين وأهل الكتابين الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعًا قد طاعت نفوسهم لذلك واعتادوا على مخالفة دعوة التوحيد، والفعل يدل في موارد استعماله على الإسراع في الإيجاد [(١)] قال البقاعي: " {بما كانوا} أي جبلة وطبعاً {يفعلون} أي من تلك الأشياء القبيحة التي كان لهم إليها أتم داعية غير متوقفين في إصدارها على علم مع ادعاء التدين بها ." [(٢)]

الثاني: التعميم، زيادةً في الترهيب، فالفعل عام يشمل ما ذكِر من أعمالهم، وغيرِه، فتكون العقوبة على سائر المعاصي وهذا من شؤم التفريق في الدين والتشيُّع المذكورين في الآية .

الثالث: الاختصار؛ إيجازًا، لأن المذكور أكثر من شيء فجيء باللفظ الأعم ليشمل كل ما ذكر، والاختصار بالعدول إلى الفعل أو العمل كثير في القرآن الكريم، ومن أمثلته :قوله تعالى : ﴿وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾[البقرة: ٢٣١] ولم يقل: (يمسكهن ضرارا ليعتدي) لأنه أحصر في اللفظ .

الرابع: الاستهجان من ذكر تلك الأفعال المنكرة؛ إشارة إلى أنه ينبغي ألا تكون على الإطلاق، لأن نعمة الإسلام أعظم النعم وأشرفها، والاختلاف فيه مذموم .قَالَ تَعَالَى:{وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾} [سورة **البقرة**:٢١١] قال الطاهر: " شأن الدين أن يكون عقيدة واحدة وأعمالا واحدة، والتفرق في أصوله ينافي وحدته ." [(٣)]

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٣٢. [كذبوا ـ يكسبون]

---

(١) . ينظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي (٨٣/٤)

(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (٧/ ٣٣٦) ٨٣

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨ .أ / ١٩١)

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾} [سورة الأعراف:٩٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كَذَّبُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَّلُوا، إلى (يكسِبون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون، وذلك في سياق ذكر فضيلة الإيمان بالله والحرص على تقواه وأنها سبب لحصول الخيرات والبركات، وبيان تكذيب بعض الأمم وأثره في هلاكهم في الدنيا وعقوبتهم في الآخرة .

والعدول المعجمي إلى الفعل (يكسبون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، إذ التكذيب شيء من كسبهم، فالتعبير بالأعم له أغراض منها:

١. **الإيذان بتنوع جرائمهم ذمًّا لهم،** وأن لهم أعمال دون ذلك هم لها عاملون، تشنيعًا عليهم لجرأتهم في الإقدام على ما أسخطَ الله من الآثام .

٢. **التنبيه على شؤم تكذيب آيات الله ورسله،** وأنه سبب في الأخذ بكل صغير وكبير، إذ لو قيل: " فأخذناهم بما كانوا يكذبون " لدل على أن العقوبة كانت من أجل هذا الذنب فحسب، فالعدول إلى الفعل (يكسبون) أشار إلى أنهم عوقبوا حتى على الصغائر **قَالَ تَعَالَىٰ**:{ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾} [سورة **الكهف**:٤٩]

الثاني: الإشارة إلى حرصهم تلك الفعال وسعيهم الدءوب في تحصيلها وكأن كفرهم وتكذيبهم ومعاصيهم هو غاية جهدهم ومنتهى آمالهم فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين . قال الطاهر: " والكسب ما يناله المرء بسعيه كالتجارة والإجارة والغنيمة والصيد." (١) فسمّى تكذيبهم كسْبًا، لسعيهم فيه .

الثالث: التهكم بهم، لأن الكسب لغة يطلق عما ينتفع به الإنسان (٢) وما فعلوه من الكفر والعصيان سبب لهلاكهم فالتعبير عن ذلك بالكسب تهكم .

الرابع: الاستهجان لذكر فعل التكذيب مرةً ثانية، وللعلم به إذ قد ذكر أولا فأغنى عن إعادته، وفيه إلماح إلى أن التكذيب مما يجب أن يطرح لكونه لا أساس له .

الخامس: التعريض بالمشركين وتخويفهم من حلول العذاب كالمكذبين من قبلهم، كما أن فيه إلماح إلى أن تكذيبهم كان من أجل المصالح الدنيوية العاجلة وذلك **على حد قوله تَعَالَىٰ**:{وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (٥٦/٣)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٥١/٢٧)،

الواقعة:٨٢]، قال الرازي: " وذلك لما هم عليه من حب الرياسة، وتخافون أنكم إن صدقتم ومنعتم ضعفاءكم عن الكفر يفوت عليكم من كسبكم ما ترجونه بسببهم فتجعلون رزقكم أنكم تكذبون الرسل ." (١)

السادس : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا لتكرار مادة (كذب) مرتين في الآية الكريمة .

ثانيهما : الخفة اللفظية، إذ إن قبل كلمة الفاصلة تلك الكلمات (كذبوا . فأخذناهم) فلو قيل : (ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكذبون) لحصل ثقلٌ لفظِي من تكرار حرف الذال، فعُدِل إلى (يكسبون)؛ طلبًا للخفة اللفظية ومراعاة انسجام الآية وائتلاف ألفاظها، وصاحب الذوق السليم يدرك ذلك .

١٣٣. [أراد ـ يشاء]

قَالَ تَعَالَى: {لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ سُوٓءٗا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾} [سورة الرعد:١١–١٣]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (أراد) فعل ماضٍ [و] أَفْعَل، إلى (يشاء) فعل مضارع [و] يَفْعَل، وذلك في سياق تحذير المشركين " من الإصرار على الشرك بتحذيرهم من حلول العقاب في الدنيا في مقابلة استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة، ذلك أنهم كانوا في نعمة من العيش فبطروا النعمة وقابلوا دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم بالهزء وعاملوا المؤمنين بالتحقير وقالوا لو نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم [الزخرف: ٣١]– وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا [المزمل: ١١] . فذكرهم الله بنعمته عليهم ونبههم إلى أن زوالها لا يكون إلا بسبب أعمالهم السيئة بعد ما أنذرهم ودعاهم." (٢)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يشاء) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بكمال قدرته جل وعلا وهو الغرض الذي سيقت له الآيات التي قبل هذه الآية وذلك لأنه جلت حكمته قد يعجل العذاب بمن شاء ولا راد لقضائه، وهذا مما يدل عليه الفعل (يشاء)؛ إذ هو مأخوذ من الشيء فيقتضي الإيجاد، لذلك قيل : إن المشيئة لما لا يتراخى وقته، (٣) فما شاء الله كان، وفي الآية الكريمة تفيد سرعة إنفاذ هذا العقاب إلى الكافرين وإلحاقه بهم كما فُعِل بأربد بن ربيعة الذي أهلك بالصاعقة وفيه نزلت تلك الآيات، وسياق الآيات يؤيد تلك السرعة ففيها ذكر البرق والرعد والصواعق وذلك مما يكون بإسراع، كما أن تلك الإصابة في الدنيا وهي عقوبة عاجلة فلفظ (المشيئة) أوفق هنا كما أن لفظ (الإصابة) يقال في الشر اعتبارا بإِصَابَةِ السّهمِ، (٤) فيشير إلى السرعة في العقوبة والتمكن من المعاقَب ونفاذ الشر إليه، وفي ذلك زيادة الترهيب للأمم الحاضرة من العرب وغيرهم.

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩/ ٤٣٤)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٣/١٠١)

(٣) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣٥ .

(٤) . ينظر: المفردات، للراغب، مادة (صوب) .

قال الألوسي في تفسير سورة الإخلاص: " وفي المعالم عن ابن عباس أن عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة أتيا النبي صلّى الله عليه وسلم فقال عامر: إلام تدعونا يا محمد؟ قال: «إلى الله» قالا: صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أو من حديد أو من خشب؟ فنزلت هذه السورة فأهلك الله تعالى أربد بالصاعقة وعامرا بالطاعون ." [1]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الألوسي: " وذكر المشيئة في أحدهما والإرادة في الآخر إن قيل بترادفهما تفنن." [2]

أما اختيار الإرادة أولا . وهي أعم من المشيئة . [3] فللتحذير من الشرك والإصرار عليه وأن له عقوبة عاجلة والعدول إلى المشيئة أكدها، وعقوبة آجلة **قَالَ تَعَالَىٰ:**{إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾} [سورة المائدة:٧٢]

١٣٤. [انقلبوا ـ يرجعون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَقَالَ لِفِتْيَـٰنِهِ ٱجْعَلُوا۟ بِضَـٰعَتَهُمْ فِى رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَآ إِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٦٢﴾} [سورة يوسف:٦٢]

في الآيتين عدول معجمي من (انقلَبُوا) فعل ماضٍ [و] انْفَعَلُوا إلى (يرجعون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون، وذلك في سياق أمر يوسف عليه السلام لفتيانه أن يجعلوا البضاعة التي أتى بها إخوته في رحالهم، لأن السنة سنة جدب وقحط فيضر أخذ ذلك منهم وأراد أن يتسع بها أبوه وإخوته تكرُّمًا وتفضُّلا، وترجى رجوعهم إليه فإن الإحسان يوجب للإنسان تمام الوفاء للمحسن

والعدول إلى الفعل (يرجعون) لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن رجوعهم إليه أحب إليه من انقلابهم إلى أهلهم، ولولا مصلحة أبيه وإخوتهم في رجوعهم بالكيل في تلك المدة لعرفهم بنفسه وأبقاهم عنده تفضلا منه وإحسانًا، قال الطاهر في موضع آخر: " واختيار لفظ انقلبوا دون (رجعوا) أو (صاروا) .... لما يشعر به أصل اشتقاقه من الرجوع إلى حال أدون، فكان لفظ (انقلبوا) أدخل في الفصاحة ." [4] فيكون رجوعهم إليه أفضل عنده، لأنه رجوع بأخيه وهو حبيبه، ويؤيده ترجي ذلك بقوله: (لعلهم يرجعون)، وانقلابهم الأول بغير أخيهم فهو رجوع

---

(١) . روح المعاني، للألوسي (١٥/ ٥٠٨)

(٢) . روح المعاني، للألوسي (٤٤/٨)

(٣) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣٥ .

(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (٥١/٩)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أدون ولا شك، وقال الطاهر: " والانقلاب: الرجوع إلى المكان، يقال: انقلب إلى منزله، وهو هنا مجاز في الرجوع إلى الحال التي كانوا عليها ." (١) وهو لا يريد أن يرجعوا إليه كما أتوه أولا بدون أخيه .

الثاني: أن في لفظ (يرجعون) تصوير لحالتهم النفسية فهم يرجعون إلى يوسف الكريم وقلوبهم مليئة بالأمل والرغبة .قال الشوكاني: " لعلهم يرجعون فإنهم إذا عرفوا ذلك وعلموا أنهم أخذوا الطعام بلا ثمن، وأن ما دفعوه عوضا عنه قد رجع إليهم، وتفضل به من وصلوا إليه عليهم **نشطوا إلى العود إليه، ولا سيما مع ما هم فيه من الجدب الشديد والحاجة إلى الطعام وعدم وجوده لديهم**، فإن ذلك من أعظم ما يدعوهم إلى الرجوع، وبهذا يظهر أن يوسف عليه السلام لم يرد البضاعة إليهم إلا لهذا المقصد، وهو رجوعهم إليه فلا يتم تعليل ردها بغير ذلك." [٢]

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار.

ثانيهما : الخفة اللفظية؛ فلفظ (يرجعون) أخف من (ينقلبون)، إذ الثلاثي (يرجع) أخف من الخماسي (ينقلب) .

وقد اختير لفظ (انقلبوا) أولا؛ لأن الانقلاب في رجوع من حال معتادة إلى حال غريبة [٣]، والغريب رجوعهم بالميرة وثمنها وذلك لما فيه من غاية الإكرام من يوسف بإخوته وتمام الإحسان، ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم فكانوا في حالة استغراب وتعجب . ولأن رجوعهم كان إلي المكان الذي أتوا منه ناسب ذكر (الانقلاب) قال الطاهر: " ويطلق الانقلاب شائعا على الرجوع إلى المكان الذي يخرج منه ولأن الراجع قد عكس حال خروجه." [٤] قال أبو السعود في موضع آخر: " ومعنى الانقلابِ هو الرجوعُ والانصرافُ مع زيادة معنى الوصولِ والاستيلاء ." [٥] فاختيار [انقلبوا] لأنه رجوع وانصراف إلى أهلهم مع زيادة معنى الوصول " وذلك لأنهم لا يعلمون برد البضاعة إليهم إلا عند تفريغ الأوعية التي جعلوا فيها الطعام، وهم لا يفرغونها إلا عند الوصول إلى أهلهم ." [٦]

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (٤/ ١١٣)
(٢) . فتح القدير، للشوكاني (٣/ ٤٦)
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٩/ ٥١)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (٩/ ٥١)
(٥) . تفسير أبي السعود (٤/ ٩٤)
(٦) . فتح القدير للشوكاني(٣/ ٤٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المضارع غير الثلاثي

وسوف يكون الحديث هنا عن مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي .

ب) العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي .

وفيما يلي تفصيل الأوجه البلاغية المنوطة بهذا النوع العدولي :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي .

١٣٥. **[جاءتهم ـ تصبهم]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ١٣١} [سورة الأعراف:١٣١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جاءتهم) **فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْهُم إلى** (تصبهم) **فعل مضارع مجزوم [و] تُفِلْهُم**، وذلك في سياق ذكر أحوال قوم فرعون عند نزول النعم كالعافية والخصب والرخاء وكثرة الثمار وأنهم يزعمون أنهم أولى بها أما عند وقوع المصيبة من جدب وقحط وبلاء فيتشاءمون من موسى ومن معه ويقولون: ذهبت حظوظنا مذ جاءنا موسى عليه السلام .

والعدول المعجمي إلى الفعل (تصبهم) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: الإشارة إلى أن السيئات كانت تأتيهم فجأةً، فالإصابة مأخوذة من إصابة السهم، قال الطاهر وأحسن القول: " والمجيء: الحصول والإصابة، وإنما عبر في جانب الحسنة بالمجيء لأن حصولها مرغوب، فهي بحيث تترقب كما يترقب الجائي، وعبر في جانب السيئة بالإصابة لأنها تحصل فجأة من غير رغبة ولا ترقب. " (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولها : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (٦٤/٩)

ثانيها : الخفة اللفظية؛ فلو قيل : " وإن تجيئهم سيئة " لثقل الكلام من أجل الهمز، وفعل المجي لم يأت في القرآن الكريم إلا ماضيًا لخفته عن الأمر والمضارع، (١)لذلك عُدِلَ هنا إلى (تصبهم) لخلوها من الهمز الثقيل فتحقق بالعدول نغمٌ إيقاعيّ بين ألفاظ الآية وازدادت به انسجامًا ورقة .

ثالثها : مراعاة التناسب بين اللفظ والمعنى، فلفظ (تصبهم) لخلوه من المد يشير إلى أنها إصابة نادرة، بينما في جانب الحسنة فقد عبر بالفعل (جاءتهم) ذي المد المتصل المشعر بكثرة النعم التي كانت تأتيهم وهم يعرضون عن شكرها فالمد يزيد الكلمة طولًا يؤثر في معناها وهو من تناسب الألفاظ بالمعاني التي تحويها، قال ابن القيم في بدائع الفوائد: " اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذي حذوه والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرا وخفة وثقلا وكثرة وقلة وحركة وسكونا وشدة ولينا فإن كان المعنى مفردا أفردوا لفظه وإن كان مركبا ركبوا اللفظ وإن كان طويلا طولوه كالقططنط والعشنق للطويل فانظر إلى طول هذا اللفظ لطول معناه وانظر إلى لفظ بحتر وما فيه من الضم والاجتماع لما كان مسماه القصير المجتمع الخلق ." (٢) فكذلك هنا نجد (جاءتهم) أطول لفظًا من (تصبهم) لأن الأولى في سياق الكثرة والإمداد بالنعم، والثانية في الندرة والابتلاء بالسيئات .

وقال ابن القيم في جلاء الأفهام: " وتأمل قولهم: طال الشيء فهو طويل, و كبر فهو كبير فإن زاد طوله قولوا: طوالا و كبارا فأتوا بالألف التي هي أكثر مدا و أطول من الياء في المعنى الأطول, فإن زاد كبر الشيء و ثقل موقعه من النفوس ثقلوا اسمه فقالوا: كبارا بتشديد الباء." (٣)

١٣٦. [رزقناهم ـ ينفقون]

قَالَ تَعَالَى: { ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ } [سورة البقرة:٢ــ٣]

في الآية الكريمة عدول من (رزقناهم) فعل ماضٍ [و] فَعَلْناهم، إلى (ينفقون) فعل مضارع [و] يُفْعِلُون، وذلك في سياق مدح المتقين المهتدين بكتاب الله المتصفين بالإيمان وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والتصدق على الفقراء .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (ينفقون) أغراض بلاغية منها:

---

(١) . ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (جاء) ص ٢٢٩ . ٢٣٤ .
(٢) . بدائع الفوائد لابن القيم (١/ ١٠٨)
(٣) . جلاء الأفهام، لابن القيم (٤/٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأول: التعميم، وذلك لأن (الإنفاق) يشمل النفقة المستمرة كالنفقة على العيال وغير المستمرة كإيتاء الزكاة، ومما يؤكد التعميم حذف المتعلق بالفعل (ينفقون)، وأن ما اقترن به في الآية دال على العموم، فالغيب يشمل جميع المغيبات عن الحس، والصلاة تشمل الفريضة والنافلة، وكذلك النفقة هنا تدل على الواجب والمستحب.

والفرق بين الإنفاق والرزق أن الإنفاق أعم فهو يطلق على العطاء سواء كان جاريًا أم لا، بينما الرزق لا يكون إلا عطاءً جاريًا، فهو أخص كأرزاق الجند(١) فاستعماله في الآية لزيادة الامتنان على العباد حيث الله لا يقطع عنهم الرزق في حياتهم، وهذ من كمال رحمته سبحانه بعباده .

الثاني: مدح المؤمنين والتنبيه إلى خصالهم الحميدة في الإنفاق؛ حثا على سلوك سبيلهم، فهم سبَّاقون إلى الخيرات حريصون على الإنفاق سرًّا لإخلاصهم ولا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى والأوجه التالية تبين ذلك .

الثالث: الحث على سرعة الإنفاق، وذلك لأن لفظ (الإنفاق) فيه معنى السرعة، فهو مأخوذ من قولهم: نفق المبيع إذا أسرع خروجه لما كثر مشتروه (٢)، والسرعة هنا تتوجه إلى ضرورة الإسراع في التصدق على الفقراء بما يسد حاجتهم، والإسراع إلى إخراج الزكاة إذا حل أجلها .

الرابع: التنويه بصدقة السر؛ لفضلها وحرص المؤمنين عليها، وذلك لأن اشتقاق الكلمة (ينفقون) يشير إليه، فالنفق: سَرَبٌ في الأرض يُسْتَتَرُ فيه له مخلص إلى مكان آخر يخرج إليه، ويقال: نفقت الدابة : إذا خرجت روحها (٣) وخروج الروح يكون في خفاء، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ البقرة: ٢٧١

الخامس: الإيماء إلى المؤمن الصادق لا يمُنُّ بالصدقات، ووجهه أن الإنفاق: لغة الإنفاد،(٤)، وسمي إخراج المال من قبل الإنسان إنفاقا؛ لأنه يخرج من يده ومن ملكه، فيتوجب عدم المن به لأنه قد خرج من ملكه بعد التصدق به وصار في ملك غيره من المعدمين، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ البقرة: ٢٦٢.

السادس: الإيذان برحمة اللهِ بعباده ويُسر تشريعاته، فقد كلَّفهم بما يطيقون، فقال : (مما) ومن للتبعيض؛ إرشادًا إلى التوسط في الإنفاق، وعدلَ عن (الرزق) الدال على تتابع العطاء واستمراريته؛ حتى لا يشقُّ عليهم، واكتفى بالإنفاق لأنه

(١) ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٢٥٤.
(٢) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (نفق) .
(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (نفق) .
(٤) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (نفق) .

أيسر لهم، وصيغة المضارع تدل على تجدده، وإنْ لم يكُنْ مستمرًّا .قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الإسراء: ٢٩]

السابع : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار التفنن في التعبير بإعادة اللفظ .

ثانيهما : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل، أحسن ائتلافًا وأجملُ إيقاعًا مما لو قيل : (ومما رزقناهم يرزقون) لتجاور اللفظين .

١٣٧. [أكفرت ـ ولا أشرك]

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾} [سورة الكهف:٣٥ـ٣٨]

في الآيتين الأخيرتين عدول معجمي من الفعل (أَكَفَرْتَ) فعل ماضٍ [و] أَفَعَلْتَ والهمزة للاستفهام الإنكاري إلى الفعل (لا أُشْرِك) فعل مضارع [و] أُفْعِلُ، وذلك في سياق ذكر قصة الرجلين أحدهما لا يؤمن بربه وله جنتان وزروع وثمار ونخيل والآخر ليس له مثل ذلك لكنه مؤمن بالله، وقد جرى بينهما حوار أظهر فيه صاحب الجنتين كفره بالمعاد وأنكر عليه صاحبه ذلك .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (لا أشرك) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن كفر صاحب الجنتين كان بطريق الإشراك بالله ـــ سبحانه ـــ ذكره أبو السعود .[1] فإنه قد أنكر البعث؛ لأنه يرى أن الله يعجز عن إعادة الخلق يوم القيامة، وهذا الاعتقاد فاسدٌ؛ فهو يسوِّي الله بخلقه في جواز نسبة العجز والضعف إليه، [2]وهذا عَيْنُ الإشراك به، سبحانه عَمَّا يقول الظالمون عُلُوًّا كبيرًا .

الثاني: الإيذان بأن الإشراك بالله كفرٌ به . سبحانه .، وفيه تعريض بالمشركين من أهل مكة بأنهم كفارٌ على الحقيقة، ولا تغني عنهم آلهتهم من الله شيئًا، وهذه السورة مكية ومقصودها الأول إنما هو التأكيد على وحدانية الله ونفي الشرك، فكان العدول

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٥/ ٢٢٢ . ٢٢٣)

(٢) . ينظر: روح المعاني، للألوسي (٨/٢٦٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

إلى لفظ (ولا أشرك) أشدّ ملاءمةً لمقصود السورة، فقد ابتدأت بإنذار المشركين، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ ﴾ [سورة الكهف: ٤] وانتهت بإثبات الوحدانية، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .

الثالث : التنبيه إلى أن الله لم يشاركه أحد في الإحسان إلى الخلق، فكان مستحقًّا لإفراده بالوحدانية وصرف العبودية إليه وشكره . قال البقاعي: " وأنى يكون العبد شريكاً للرب! فإني لا أرى الغنى والفقر إلا منه ." (١)

الرابع : التمهيد لشيئين :

أولهما : التمهيد للإظهار موضع الإضمار في قوله :(ولا أشرك بربي)؛ لزيادة التعيين والتأكيد على تمسكه بالتوحيد الخالص لله رب العالمين، فلم يقل : ولا أكفر به .

ثانيهما : التمهيد للفاصلة بكلمة (أحدًا)، إذ لو قيل : ولا أكفر به، لما صحَّ ذكر (أحدًا)؛ إذ لا يقال : لا أكفر به أحدًا، فَحَسُنَ العدول جدًّا في هذه الآية الكريمة، وسُبْحانَ من هذا كلامُه .

الخامس : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٣٨. [كذبوا ـ يفترون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓاْ أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْۚ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾} [سورة الأنعام:٢٢ــ٢٤]

في الآية الأخيرة عدول معجمي من (كَذَبُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا إلى (يَفْتَرُونَ) فعل مضارع [و] يَفْتَعُونَ، وذلك في سياق تبرؤ المشركين من الشرك بالله يوم القيامة لما عاينوا العذاب الشديد .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يفترون) أغراض بلاغية منها:

---

(١) ..نظم الدرر، للبقاعي (١٢/ ٦٢)

الأول: زيادة التعجيب [1] **من أحوال المشركين يوم القيامة وكذبهم المتعمد فيه**، بإنكار صدورِ الإشراك عنهم في الدنيا وذلك أمرٌ عجيبٌ في الغاية، جاء في تاج العروس: " (و) يقالُ: (هُوَ {يَفْرِي} الفَرِيَّ، كغَنِيَ)، أَي (يَأْتِي بالعَجَبِ فِي عَمَلِه)." [2] والافتراء مناسب لسياق التعجيب من كذبهم يوم القيامة .

الثاني: التخصيص، ذمًّا للمشركين، فالكذب والافتراء بينهما عموم وخصوص فـ" الافتراء: أخص منه، لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه ." [3] فالعدول إلى الافتراء لأنه كذب قبيح لا يرتضى منهم . فقد اختلقوا إفكًا بنسبة الشريك إلى الله الواحد الأحد، واصطنعوا ذلك من تلقاء أنفسهم، يقال: " فَرَى (المَزَادَةَ) {فَرْياً: (خَلَقَها وصَنَعَها) " [4] فالافتراء كذب اصطنعه صاحبه اصطناعًا وزَيّنَهُ ليُقْبَل منه، ومعنى التزيين جاء من قَوْل العرب :{فَرَى البَرْقُ يَفْرِي فَرْياً: وَهُوَ تَلأْلُؤهُ ودَوامُه فِي السّماءِ." [5] وكل ما في القرآن من لفظ الافتراء فهو بمعنى اختلاق ما لا حقيقة له. [6]

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

ثانيهما : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل، أخف لفظا وأجملُ وقْعًا مما لو قيل : (وضل عنهم ما كانوا يكذبون) وذلك لأن الآية الكريمة بها عشر كلمات منها ثلاثة بها صوت الكاف الشديد (كيف ـ كذبوا ـ كانوا)، فعُدِلَ إلى (يفترون) لخلوِّه من الكافِ؛ طلبًا للخفة واستقصاء لمقتضَى الفصاحة .

ب) العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي :

١٣٩. **[استطعما ـ يضيفوهما]**

قَالَ تَعَالَى: {فَانطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾} [سورة الكهف:٧٧]

---

(١) ينظر: تفسير أبي السعود (١٢٠/٣)
(٢) . ينظر: تاج العروس، مادة (فري) .
(٣) . معجم الفروق اللغوية، ص ٤٤٩
(٤) . ينظر: تاج العروس، مادة (فري) .
(٥) . ينظر: تاج العروس، مادة (فري) .
(٦) . ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصَّل، للدكتور: محمد حسن جبل، (1648/٣)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اسْتَطْعَمَا) فعل ماضٍ [و] اسْتَفْعَلَا، إلى (يضيفوهما) فعل مضارع [و] يُفَعِّلُوهما، وذلك في سياق ذكر شيء مما حدث بين موسى والخضر ـ عليهما السلام ـ إذ ذهبا إلى قرية يمتاز أهلها بالبخل فلم يضيفوهما ووجدا جدارا مشرفًا على السقوط فأقامه الخضر، فتعجب موسى وقال: لو شئت لتخذت على ذلك الفعل أجرًا .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يضيفوهما) أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التشنيع على أهل تلك القرية " على سوء صنيعهم فإن الإباءَ من الضيافة وهم أهلُها قاطنون بها أقبحُ وأشنع روي أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستضافاهم {فَأَبَوْاْ أن يضيفوهما} ." [1] فبالعدول تبين أن أهل القرية امتنعا عن الإطعام والضيافة كليهما . قال الألوسي: " ولا يخفى ما في التعبير بالإباء من الإشارة إلى مزيد لؤم القوم لأنه كما قال الراغب شدة الامتناع ." [2]

قال الألوسي: " وذكر بعضهم أن في فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما من التشنيع ما ليس في أبوا أن يطعموهما لأن الكريم قد يرد السائل المستطعم ولا يعاب كما إذا رد غريبا استضافه بل لا يكاد يرد الضيف إلا لئيم، ومن أعظم هجاء العرب فلان يطرد الضيف." [3]

الثاني: التنبيه إلى عظمة موسى والخضر عليهما السلام، وأنهما أهلٌ للضيافة الكاملة ومزيد الإكرام، لا أن يطعموا فحسب [4]، فموسى ـ عليه السلام ـ من أولي العزم من الرسل وهو كليم الله قال عنه جل في علاه، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ ﴿٣٩﴾ ﴾ [طه: ٣٩] فهو عليه السلام جديرٌ أن يوفَّى حظَّه من التكريم وكمال العناية، والخضر عليه السلام آتاه ربه رحمة من عنده وعلمه عِلْمًا خاصًّا به، وجعل نبي الله موسى بمنزلة طالب العلم عنده ولا يكون ذلك إلا لعِظَمِ الخضر وكمال علمه، فكان جديرًا بالحفاوة والتكريم وحسن الضيافة، لكن أهل القرية كانوا لا يعرفون أقدار الناس ومرَدُوا على البخل وأعماهم حُبُّ الدنيا عن مكارم الأخلاق .

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٤٠. [استهزئ ـ سخروا ـ يستهزئون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾} [سورة الأنعام: ١٠]

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود(٥/ ٢٣٧)
(٢) . تفسير الألوسي، (٨/ ٣٢٨)
(٣) . تفسير الألوسي، (٨/ ٣٢٩)
(٤) . تفسير ابن عرفة (٣/٩٧)

شبكة الألوكة

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اسْتُهْزِئَ) فعل ماضٍ [و] اسْتُفْعِلَ إلى (سَخِرُوا) فعل ماضٍ [و] فَعِلُوا، ثم إلى (يستهزئون) فعل مضارع [و] يسْتَفْعِلُونَ، وذلك العدول ورد في سياق تسلية النبي صلى الله عليه وسلم بالأسوة في الرسل فقد استهزأ بهم أقوامهم وكذَّبوهم فصبروا، وإخباره عليه السلام بعاقبة السَّوْءِ لهؤلاء المكذبين المستهزئين .

قال الرازي: " اعلم أن بعض الأقوام الذين كانوا يقولون إن رسول الله يجب أن يكون ملكا من الملائكة كانوا يقولون هذا الكلام على سبيل الاستهزاء، وكان يضيق قلب الرسول عند سماعه فذكر ذلك ليصير سببا للتخفيف عن القلب لأن أحدا ما يخفف عن القلب المشاركة في سبب المحنة والغم . فكأنه قيل له إن هذه الأنواع الكثيرة من سوء الأدب التي يعاملونك بها قد كانت موجودة في سائر القرون مع أنبيائهم، فلست أنت فريدا في هذا الطريق ." (١)

والسخرية والاستهزاء من الألفاظ الموهمة بالترادف، قال أبو حيان: " سخر منه: هزأ به والسخرى والاستهزاء والتهكم معناها متقارب ." (٢)

هذا وإن للعدول المعجمي إلى الفعل (سخروا) أغراض بلاغية منها:

الأول: التشنيع على المستهزئين بالرسل، وذلك لقيامهم بأمرين شنيعين تجاههم:

١. انتهاكهم الحرمة الذاتية للأنبياء الذين استحقوا غاية التعظيم والإجلال، **قال الطاهر:** " وأصل مادّة {سخر} مؤذن بأنّ الفاعل اتّخذ المفعول مسخرّاً يتصرف فيه كيف شاء بدون حرمة لشدّة قرب مادّة {سخر} المخفّف من مادّة التسخير، أي **التطويع فكأنّه حوّله عن حقّ الحرمة الذاتية فاتّخذ منه لنفسه سخرية** ."(٣)

قال السمعاني: " قوله – تعالى –: (ولقد استهزئ برسل من قبلك) سبب هذا: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على الوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل، فضحكوا هزوا به؛ فنزلت الآية تسلية له » (٤)

---

(١) . تفسير الرازي (١٢/ ٤٨٧)
(٢) . البحر المحيط، لأبي حيان (٤/٧٢)
(٣) . التحرير والتنوير (٧/١٤٧)
(٤) . تفسير السمعاني (٢/٩٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢. سخريتهم منهم لأجل ما فعلوه من عبادة الله والدعوة إليه وتبصير الناس بدلائل الوحدانية، فبدلَ أن يصدقوهم ويعرفوا لهم حقهم أصروا على الاستهزاء بهم وتكذيبهم، جاء في معجم الفروق: " الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أن الانسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله، **والسخر يدل على فعل يسبق من المسخور منه**." (١)

الثاني : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال أبو حيان: " سخر منه: هزأ به والسخرى والاستهزاء والتهكم معناها متقارب ". (٢)

ثانيهما : مراعاة الخفة اللفظية، فتكرار الفعل الثلاثي أخف من تكرار السداسي، قال أبو حيان: " ومعنى {سخروا} استهزءوا ... وتكرر الفعل هنا لخفة الثلاثي ولم يتكرر في {ولقد استهزئ} فكان يكون التركيب{فحاق بالذين} استهزءوا بهم لثقل استفعل ". (٣)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يستهزئون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التشنيع على المستهزئين بالرسل، وذلك لقيامهم بأمرين شنيعين تجاههم:

١. إلصاقهم بالأنبياء ما لا يليق بهم من المعائب، كقولهم: (ساحر .كذاب . مجنون . أذن . في ضلال ...) ونحو ذلك مما هم منه براءٌ، جاء في معجم الفروق: " الفرق بين الاستهزاء والسخرية: أن الانسان يستهزأ به من غير أن يسبق منه فعل يستهزأ به من أجله ... وذلك أنك تقول استهزأت به فتعدى الفعل منك بالباء والباء للإلصاق كأنك ألصقت به استهزاء من غير أن يدل على شيء وقع الاستهزاء من أجله ." (٤)

٢. اعتيادهم على الاستهزاء بهم وعدم انفكاكهم عنه، ونقل الألوسي والشهاب عن الراغب أن " الاستهزاء ارتياد الهزء ." (٥) ومما يدل عليه في الآية: ثبوت الوصف بالماضي في (استهزئ) وذكر (كان) التي تدل على أن هذا الفعل كالجبلة فيهم وهم قد مرنوا عليه، والعدول إلى المضارع (يستهزئون) للدلالة على الاستمرار .

---

(١) . معجم الفروق اللغوية، ص ٥٠ .
(٢) . البحر المحيط، لأبي حيان (٧٢/٤)
(٣) . البحر المحيط، لأبي حيان (٨٤/٤)
(٤) . معجم الفروق اللغوية، ص ٥٠ .
(٥) . ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٢٥/٤)، و تفسير الألوسي (٩٧/٤)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا وإن التشنيع على المستهزئين لما فعلوه تجاه الأنبياء مما ذكر آنفًا يضاف عليه أنهم كانوا يستهزئون بالقول والفعل كليهما، قال الشهاب في حاشيته: " الاستهزاء والسخرية، كما يكون بالكلام يكون بالفعل ." [1]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : مراعاة الخفة اللفظية، فلفظ (يستهزئون) أخف من (يسخرون)؛ لاشتمال الثاني على صوتين مفخمين وهما الخاء والراء **.** قال الطاهر: " ومعنى الاستهزاء تقدّم عند قوله تعالى: {إنّما نحن مستهزئون} في سورة **البقرة** . **وهو مرادف للسخرية في كلام أئمّة اللغة**، فذكر {استهزئ} أولاً؛ لأنّه أشهر، ولما أعيد عبّر ب {سخروا}، ولما أعيد ثالث مرّة رّجع إلى فعل {يستهزئون}، لأنّه أخفّ من (يسخرون) . **وهذا من بديع فصاحة القرآن المعجزة ."**[2]

---

(١) . حاشية الشهاب على البيضاوي (١/ ٣٤٦)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٤٧/٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع

كان الكلام في المبحث السابق عن بلاغة العدول المعجمي إلى الماضي، وسوف يكون الكلام في هذا المبحث عن بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع، ويمكن تقسيم ذلك المبحث إلى مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع الثلاثي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع الثلاثي

لتوضيح هذا المطلب يحسن أن يكون الكلام عن مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من المضارع الثلاثي إلى المضارع الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من المضارع غير الثلاثي إلى المضارع الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من المضارع الثلاثي إلى المضارع الثلاثي :

١٤١. [يفعل ـ يخلق]

قَالَ تَعَالَى:{ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدۡ بَلَغَنِيَ ٱلۡكِبَرُ وَٱمۡرَأَتِي عَاقِرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾} [سورة آل عمران:٤٠]

قَالَ تَعَالَى:{قَالَتۡ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٌۖ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾}

في الآيتين عدول معجمي من (يفْعَل) فعل مضارع [و] يَفْعَل، إلى (يَخْلُق) فعل مضارع [و] يَفْعُل، وهذا العدول قد ورد في سياق بيان قدرة الله المطلقة في الخلق رغم تعطل الأسباب أو انعدامها، فقد أوجد يحيى ـ عليه السلام ـ من أب كبير وأم عاقر وذلك في العادة أمر في غاية الندرة، وخلق عيسى ـ عليه السلام ـ من أم بلا أب وهو أمر في غاية الغرابة والعجب .

وقد جاء العدول المعجمي من الفعل (يفعل) إلى الفعل (يخلق) لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن عيسى عليه السلام مخلوق، والمخلوق لا يكون إلها . قال أبو زهرة: " وعيسى ليس إلا مخلوقا من مخلوقاته، فهو أبدعه كما أبدع غيره من المخلوقات، فليس إلها ولا ابن إله ." (١)

الثاني: لما كان خلق عيسى من دون أب من المعجزات الخارقة للعادة ناسب أن يعبر عن إيجاده بمادة الخلق؛ لأنه ليس فعلا عاديًّا؛ فلفظ الخلق أقرب إلى الاختراع وأدل عليه، قال زكريا الأنصاري: " استبعاد زكريا لم يكن لأمر خارق، بل نادر بعيد فحسن التعبير بـ " يفعل " واستبعاد مريم كان لأمر خارق، فكان ذكر " الخلق " أنسب ." (٢) لكن لفظ (الفعل) يستعمل كثيرا فيما يجري على قانون الأسباب المعروفة وقد كان إيجاد يحي عليه السلام من زوجين كإيجاد سائر الناس، وإن كان فيه آية لزكريا أن هذين الزوجين لا يولد لمثلهما عادة (٣) .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاثة :

أولها : التفنن في التعبير، تجنبًا للتكرار .

ثانيها : الخفة اللفظية؛ حيث إنه لو قيل في الآية الثانية : (كذلكِ الله يفعل ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون) لتكرر صوت الفاء ثلاث مرات، فأوثرَ لفظ (يخلقُ) لخلوّهِ من الفاء؛ استقصاءً للفصاحة .

ثالثها : مراعاة ائتلاف اللفظ والمعنى، وذلك لأن الفعل (يخلُق) يشتمل على صوتين مفخَّمَيْنِ (الخاء والقاف) وتفخيم اللفظ مؤذِنٌ بفخامة المعنى، ومعجزة عيسى عليه السلام من أعظم المعجزات ودالة على باهر القدرة في إيجاده دون أبٍ، فكان ذكر فعل الإيجاد ذي الأصوات المفخمة أنْسَب، كما أنّ تلك الفخامة اللفظية تدلُّ على الفخامة الذاتية لعيسَى عليه السلام، فهو من أولي العزم من الرسل فعلى هذا تكون رُتْبَتُه عند الله أعظم من رُتبة يحيَى ـ وإن كان الأنبياء كلهم عظماء لكن فضَّل الله بعضهم على بعضٍ .

---

(١) ـ تفسير أبي زهرة (٣/ ١٢٢٥)
(٢) ـ فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، لزكريا الأنصاري (٨٦/١)
(٣) ـ ينظر: تفسير المنار، لرشيد رضا (٢٥٣/٣)

قلت: واختير الفعل [يفعل] في الآية الأولى لأن السياق في بيان القدرة الإلهية وسرعة حصول الفعل في الوجود،، ويؤيد ذلك أنه ـ عليه السلام ـ أجيبت دعوته وهو قائم يصلي في المحراب بدون مهلة قَالَ تَعَالَى:{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥۖ قَالَ رَبِّ هَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةٗ طَيِّبَةًۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ٣٨ فَنَادَتۡهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٞ يُصَلِّي فِي ٱلۡمِحۡرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحۡيَىٰ ....} [سورة آل عمران:٣٨. ٣٩] فقوله تعالى: " فنادته الملائكة " بالفاء دل على معنى السرعة، فاختيار لفظ الفعل لتعجيل البشارة وإدخال السرور على نبي الله بإجابة دعوته بتهيئة الأسباب بإعادة قوة الإنجاب إليه.

١٤٢. [يعملون ـ يصنعون]

قَالَ تَعَالَى:{وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٢ لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ٦٣} [سورة المائدة:٦٢–٦٣]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (يعملون) إلى (يصنعون) وكلاهما فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في سياق ذم اليهود الذين يسارعون في ارتكاب الآثام جميعها والاعتداء على الآخرين وأكلهم السحت وهو قبولهم الرشوة عندما يحكمون للناس بخلاف حكم الله فيهم، وعلماؤهم لا ينهونهم عن تلك الفعال المنكرة .

والعدول إلى الفعل (يصنعون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، مبالغة في ذم علماء اليهود والنصارى وتوبيخهم، وذلك لأن (الصنع) أخصُّ من العمل فلا يقال الصنع إلا لما كان من الإنسان بقصد واختيار وبعد فكرٍ وتحري إجادة وتمكُّن وتدرُّب (١)، فقد جاء العدول إليه في الآية الكريم؛ تعجيبًا من علماء أهل الكتاب الذي لا ينهون عوامَّهم عن المعاصي؛ قال الطيبي: " تارك النهي عن المنكر أقوى من مرتكبه؛ ولهذا قال في الأول: {لَبِئۡسَ مَا كَانُوا يَعۡمَلُونَ} وفي الثاني: {يَصۡنَعُونَ}، والأمر في الحقيقة كذلك؛ لأن المعصية مرض الروح وعلاجه العلم بالله وصفاته وأحكامه؛ فإذا حصل ذلك ولم تزل المعصية يكون كمن شرب الدواء ولم يزل المرض، فدل ذلك على أن المرض صعب شديد." (٢)

الثاني: الترهيب من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن إثمه أشد من إثم ارتكاب المعاصي، قال الشوكاني: " فليفتح العلماء لهذه الآية مسامعهم ويفرجوا لها عن قلوبهم، فإنها قد جاءت بما فيه البيان الشافي لهم بأن كفهم عن المعاصي، مع ترك إنكارهم على أهلها لا يسمن ولا يغني من جوع، بل هم أشدّ حالاً وأعظم وبالاً من العصاة، فرحم الله عالماً قام بما

(١) . ينظر: الكشاف، للزمخشري (٦٨٧/١)

(٢) . فتوح الغيب، للطيبي (٥/ ٤١٤)

أوجبه الله عليه من فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهو أعظم ما افترضه الله عليه وأوجب ما أوجب عليه النهوض به ." (١)

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وبذلك قال أبو حيان (٢) وقال الطاهر: " و {يصنعون} بمعنى يعْملون، وإنّما خولف هنا ما تقدّم فيّ الآية قبلها للتّفنن " (٣)

ثانيهما : البعد عمَّا يشبهُ عيوب القافية من الإيطاء،وهو **تكرار القافية بنفس معناها**، وهذا وإنَّ فواصل القرآن قد جاءت في قمة البلاغة وكمال الفصاحة فقد يقع التكرار لكلمة الفاصلة في القرآن ولا عيبَ فيه إطلاقًا، قال الطاهر :" وليس تكرير اللفظة أو الجملة في فواصل القرآن بإيطاء لأن الإيطاء إنما يعاب في الشعر دون النثر لأن النثر إنما يعتد فيه بمطابقة مقتضى الحال " (٤) لكن وقوع التكرار في الفواصل المتقاربة قليل جدًّا بالنسبة إلى المتنوع منها، وفي الآيات الكريمة السابقة تنوَّعت الفاصلة (يعملون . يصنعون) وتعداد النغَم له أثر أجمل على النفس من الإبقاء على فاصلة واحدة مرتين .

١٤٣. [تصرفون ـ تؤفكون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ ﴿٣٤﴾} [سورة يونس:٣٢ــ٣٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (تُصْرَفُون) إلى (تُؤْفَكُون) وكلاهما فعل مضارع مبني للمجهول [و] تُفْعَلُون، وذلك في سياق التعجيب من انصراف الكفار عن الحق والتيئيس من إيمانهم وبيان مقدرة الله . عز وجل . على الخلق والبعث ليجازي كل امرئٍ بما كسب .

والعدول المعجمي من (تُصْرَفُون) إلى (تؤفكون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في ذم الكافرين لانصرافهم كليةً عن الحق، فأصل مادة أفك ترجع إلى الصرف عن الشيء والكذب والعجز في الرأي وضعف الحيلة قال في تاج العروس: " وقولُ رُؤْبَة: وجَوْن خَرقٍ بالرياح مُؤْتَفِكْ أي: اخْتَلَفَتْ عليه

(١) . فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٦)
(٢) . ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٥٣٣/٣)
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٢٤٨/٦)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (٦٥٠/١)

الرياحُ من كُلِّ وجهٍ ."[1] فالكافرون لا يريدون أن يستمعوا الحق أو يبصروا الآيات اعتبارا أو يقولوا كلمة حق (صم بكم عمي فهم لا يعقلون) ففي العدول تعجيب شديد لانصرافهم كليةً عن الحق إلى الباطل .

الثاني: التعريض بالكافرين الذين خدعوا من قبل الشيطان وقرناء السوء فجعلوهم يتخذون شركاء لله، قال في تاج العروس: " وقِيلَ: الأَفِيكُ: هو المَخْدُوعُ عن رَأْيِه ." [2] وفي ذلك إيذان بكمال جهلهم وعدم تثبتهم مما يقال لهم وفرط غباوتهم، فإن من له القدرة على الاختراع لهذا العالم بدون مثال سابق قادر على إعادتهم مرة أخرى وكونهم ينصرفون عن تلك الحقيقة ويرتابون فيها يدل على قلة حزمهم وضعف عقولهم ومدى تأثرهم بغيرهم من الذين ضلوا سواء السبيل .

الثالث: الإشارة إلى أن الكذب سبب للحرمان من كل خير، قال في تاج العروس: " ومن المجاز: *!الأَفِكَةُ، كفَرِحَة: السَّنَةُ المجْدِبَةُ وسِنُونَ أَوافِكُ: مُجْدِباتٌ." [3] كأن معنى هاته الجملة: فكيف يصرفون أنفسهم عما فيه نفعهم من الهدى والحق إلى ما فيه غاية ضرهم من الكذب والانشغال بعبادة غير الله . قال البقاعي: " التعجيب منهم في قوله: {فأنى تؤفكون*} أي كيف ومن أي جهة تصرفون بأقبح الكذب عن وجه الصواب من صارف ما، وقد استنارت جميع الجهات ." [4]

قال الرازي: " أما قوله: فأنى تؤفكون فالمراد التعجب منهم في الذهاب عن هذا الأمر الواضح الذي دعاهم الهوى والتقليد أو الشبهة الضعيفة إلى مخالفته، لأن الإخبار عن كون الأوثان آلهة كذب وإفك، والاشتغال بعبادتها مع أنها لا تستحق هذه العبادة يشبه الإفك."[5]

الرابع: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

١٤٤. [ترى - ينظر - يبصرون]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾} [سورة الأعراف:١٩٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تَرَاهُم) فعل مضارع [و] تَفَلُهُم، إلى (يَنْظُرُون) فعل مضارع [و] يَفْعُلُون، ومنه إلى (يُبْصِرُون) فعل مضارع [و] يُفْعِلُونَ، وذلك في سياق التوقيف على حقيقة تلك الأصنام التي يعكف عليها الكفار وأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر ومن كانت هذه صفته فلا يصح أن يكون إلها لما فيه من النقص والعيب .

---

(١) . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (أفك) .

(٢) . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (أفك) .

(٣) . ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة (أفك) .

(٤) . نظم الدرر، للبقاعي (٩/ ١١٦)

(٥) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٧/ ٢٤٩)

والعدول إلى الفعل (ينظرون) له أغراض بلاغية:

الأول: الإشارة إلى أن نظرهم لا تتحقق به رؤية لأن تلك الأصنام جمادات وصور لا حقيقة لها، قال النحاس: " ومعنى النظر فتح العينين إلى المنظور إليه وليس هو مثل الرؤية ." (١)

قال الطبراني: " وذلك أنَّهم كانوا يصوِّرُونَها فيجعلون لها أعيُناً وآذاناً وأرجُلاً، فإذا نظرَ الناظرُ اليها خُيِّلَ إليه أنَّها تنظرُ إليه وهي لا تبصرُ ." (٢) وذلك ذم لهذه الآلهة المزعومة التي تعبد من دون الله، قال ابن عطية نقلا عن الطبري: " المراد بالضمير المذكور الأصنام، ووصفهم بالنظر كناية عن المحاذاة والمقابلة وما فيها من تخييل النظر كما تقول دار فلان تنظر إلى دار فلان، ومعنى الآية على هذا تبين جمودية الأصنام وصغر شأنها ." (٣)

الثاني: المبالغة في التمثيل، حيث شبه الأصنام بأناس ينظرون إلى من يواجههم قال الطاهر: " مَعْنَى يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ عَلَى التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ، أَيْ تَرَاهُمْ كَأَنَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ، لِأَنَّ صُوَرَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَصْنَامِ كَانَ عَلَى صُوَرِ الْأَنَاسِيِّ وَقَدْ نَحَتُوا لَهَا أَمْثَالَ الْحِدَقِ النَّاظِرَةِ إِلَى الْوَاقِفِ أَمَامَهَا قَالَ فِي «الْكَشَّافِ» «لِأَنَّهُمْ صَوَّرُوا أَصْنَامَهُمْ بِصُورَةِ مَنْ قَلَّبَ حَدَقَتَهُ إِلَى الشَّيْءِ ينظر إِلَيْهِ» ." (٤)

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، ومما يحسن العدول فيه أن يكون بين الألفاظ المتقاربة المعاني في حالة التجاور، فلو قيل : (وتراهم يرونك) لثقل الكلام بالتكرار .

والعدول إلى الفعل (لا يبصرون) له أغراض منها:

الأول : ذم تلك الآلهة المزعومة، بأنها لا تبصر شيئًا، وفي هذا الوصف توبيخ ضمني للذين هم لها عاكفون، فهذه الآيات الكريمة قد بخت المشركين وآلهتهم أعظم توبيخ، وأثبتت بالأدلة المنطقية الحكيمة، وبوسائل الحس والمشاهدة أن هذه الأصنام لا تملك لنفسها نفعا ولا ضرا، وأن الذين قالوا في شأنها : (ما نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللَّهِ زُلْفى) هم قوم غافلون جاهلون، قد هبطوا بعقولهم إلى الدركات، لأنهم يتقربون إلى الله زلفى عن طريق ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنهم شيئا، بل لا يستطيع أن يدفع الأذى عن نفسه. (٥)

---

(١) . إعراب القرآن للنحاس (٨٥/٢)
(٢) . تفسير الطبراني (٣٠/٣)
(٣) . تفسير ابن عطية (٤٩٠/٢)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (٢٢٥/٩)
(٥) . التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي (٤٥٨/٥)

نقل البقاعي عن الحرالي أنّه قال " أول موقع العين على الصورة نظر، ومعرفة خبرتها الحسية بصر، ونفوذه إلى حقيقتها رؤية، فالبصر متوسط بين النظر والرؤية كما قال سبحانه وتعالى: {وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون} ". (١)

وعلى قول الحرالي يتبين سر العدول عن الرؤية إلى البصر لأن الرؤية تدل على تمام الإدراك للمنظور إليه، فقوله: (لا يبصرون) نفي للمرتبة الثانية، فقد أثبت لهم النظر ونفى عنهم البصر أما نفي الرؤية وهي إدراك المرئي على الحقيقة فهو مستلزم من نفي البصر، ونفي الأقل مستلزم لنفي الأكثر، وذلك من دقة القرآن الكريم وبلاغته العالية .

الثاني : الاحتراس من نفي ما أُثْبِتَ أوَّلًا، فلو قيل : (وتراهم ينظرون إليك وهم لا ينظرون) لحصل التناقض بنفي النظر وقد ثبَتَ لهم بمنطوق الآية، والمراد نفي الإدراك لأنها جمادات فعُدِل إلى (يبصرُون) وهذا من دقائق البلاغة القرآنية، **قَالَ تَعَالَىٰ**:﴿ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت: ٤٢]

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٤٥. [يأتيه ـ يحلّ]

قَالَ تَعَالَىٰ:{فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ مَن يَأۡتِيهِ عَذَابٞ يُخۡزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيۡهِ عَذَابٞ مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾} [سورة هود:٣٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَأْتِيهِ) إلى (يَحِلّ) وكلاهما فعل مضارع [و] يَفْعِل، وذلك في سياق تهديد نوح لقومه المكذبين المستهزئين بحلول العذاب الشديد عليهم الذي يوقعهم في الخزي والمهانة بسبب ما اكتسبوه من الآثام وارتكبوه من الجرائم .

وللعدول المعجمي من إلى الفعل (يحل) أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في التهديد، وذلك من عدة وجوه على النحو التالي:

١. تصويره بالقادم عليهم (٢) على سبيل الاستعارة المكنية مبالغة في تعقبهم وعدم إفلاتهم منه، قال الألوسي: " والتعرض لحلول العذاب المقيم للمبالغة في التهديد، وفيه من المجاز ما لا يخفى، وتخصيصه بالمؤجل، وإيراد الأول بالإتيان غاية الجزالة ." (٣)

---

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (٣٣/٢)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٦٩/١٢)

(٣) . تفسير الألوسي (٢٥٠/٦)

٢. الإشارة إلى استحقاقهم ذلك العذاب الدائم، قال أبو السعود: " {وَيَحِلُّ عَلَيْهِ} حلولَ الدَّيْن المؤجل ." [١] والدين مستحق للدائن حق على المدين، وقد استوجبوا الهلاك في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة بسبب تكذيبهم لنبي الله وسخريتهم به، وفيه إيذان بالعدل الإلهي .

٣. الإشارة إلى نزول العذاب من فوق رءوسهم، ولفظ (يحل) يفيد ذلك، قال البقاعي: " (يحل) ينزل ويجب في حينه الذي هو أولى الأوقات به ." [٢] وأصله " مِن حَلِّ الأَحْمالِ عندَ النُّزُول، ثمَّ جُرِّد استعمالُه للنُّزولِ" [٣] والنزول لا يكون إلا من عُلوٍّ .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما :التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : المناسبة اللفظية للمعنى، وذلك لأن اللفظ المعدول إليه (يحلّ) مشدد آخره، يوحي بتشديد العذاب عليهم يوم القيامة وأن ما ينالونه في الدنيا إنما هو يسير بالنسبة لعذاب الآخرة، قَالَ تَعَالَى:{لَّهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾} [سورة الرعد:٣٤]

١٤٦. [لتقرأه ـ يتلَى]

قَالَ تَعَالَى:{وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾} [سورة الإسراء:١٠٦ــ١٠٩]

في الآيات الكريمة عدل معجمي من (تَقْرَأَهُ) فعل مضارع [و] تَفْعَلَهُ إلى (يُتْلَى) فعل مضارع مبني للمجهول [و] يُفْعَل، وذلك في سياق الامتنان على العباد بتنزيل الكتاب المبين وتهديد الكافرين الذين لا يؤمنون به ومدح المؤمنين الذين يتأثرون بسماعه فيسجدون ويسبحون ويبكون من خشية الله .

وللعدول إلى الفعل (يُتْلَى) أغراض بلاغية منها:

---

(١) . تفسير أبي السعود (٤/٢٠٧)

(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (٥/ ٣٥)

(٣) . تاج العروس، للزبيدي مادة (حلل) .

الأول: التنبيه إلى أن قراءته من العامل به المتفهم لمعانيه أشد تأثيرًا؛ لذلك تكون سببا في السجود والبكاء والخشوع وهذا ما دل عليه المعنى اللغوي للفعل (تلا) الذي بمعنى: تبع، فقوله تعالى: (والقمر إذا تلاها) أي: إذا تبعها، وكأن ذلك يرشدنا إلى العمل به وتلاوته على الوجه المرضي فإن لذلك ثمرة عظيمة وهي شدة التأثير ومن ثم امتثال أوامره واجتناب نواهيه والاتعاظ بما فيه، قال الراغب في تفسيره: " والتلاوة في القرآن إتباع اللفظ اللفظ، أو إتباع اللفظ بتدبر المعنى، وهو المراد بقوله: {يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} ." (١) ونقل عنه الزبيدي في تاج العروس أنه قال :" التلاوة تختص باتباع كتب الله المنزلة تارة بالقراءة وتارة بالارتسام لما فيه من أمر ونهي وترغيب وترهيب أو ما يتوهم فيه ذلك، وهو أخص من القراءة، فكل تلاوة قراءة ولا عكس ." (٢)

فيكون هذا دالا على رجاحة عقول الذين أوتوا العلم أمثال: عبد الله بن سلام، ومعيقيب، وسلمان الفارسي وكمال معرفتهم وحرصهم على اتباع ما فيه، قال الطاهر: " وفي هذا **تعريض** بأن الذين أعرضوا عن الإيمان بالقرآن جهلة وأهل جاهلية." (٣)

الثاني: الإشارة إلى أن كثرة التلاوة تنفع المستمعين وتزيدهم إيمانا، فـ " التلاوة تقال اعتباراً بمساوقة بعض الكلام بعضاً بالولاء" (٤) فقراءة الآيات بعضها إثر بعض إمداد لهم بالحجج النيرات ودلائل الوحدانية والمواعظ والأمثال والقصص وغير ذلك مما يعرفهم بالخالق ويدعوهم إلى الفضائل والكمالات .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاث :

أولاهما : التفنن لزوال كلفة التكرار إذا قيل: (إذا يقرأ عليهم) فقبله (قرءانا . لتقرأه) .

ثانيهما : الخفة اللفظية فقوله: (إذا يتلى عليهم) أخف من (إذا يقرأ عليهم) لثقله بالهمزة ومجيئ العين في (عليهم) يزيد الأمر ثقلا لقرب المخرج، قال السيوطي في الإتقان: " ومنها قوله تعالى: {وما كنت تتلو من قبله من كتاب} أحسن من التعبير ب "تقرأ" لثقله بالهمزة ." (٥)

ثالثها : ائتلاف اللفظ والمعنى، فالخفة اللفظية المذكورة في الوجه السابق تتناسب معنى تيسير القرآن للتلاوة؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ القمر: ٢٢

---

(١) . تفسير الراغب (١/ ١٧٥)
(٢) . ينظر: المفردات، للراغب، تاج العروس، للزبيدي، مادة (تلو).
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٥/ ٢٣٣)
(٤) . ينظر: المفردات، للراغب،مادة (تلو).
(٥) . الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٤/٢٥)

١٤٧. [فيعلمون ـ فيقولون]

قَالَ تَعَالَى: {﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾} [سورة البقرة:٢٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَعْلَمُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، إلى(يَقُولُون) فعل مضارع [و] يَفْعُلُون، في سياق بيان المفارقة بين المؤمنين والكافرين في تلقي ما جاء به الذكر الحكيم من الأمثال الهادية إلى الحق المبين، فالمؤمنون يصدقونها ويتيقنون أنها الحق، والكافرون يظهرون الحيرة والدهشة من ضرب تلك الأمثال فيقولون مستنكرين: ماذا أراد الله بهذا مثلا .

فالعدول إلى (يقولون) لأغراض بلاغية منها:

الأول: التسجيل على الكافرين بقبح ما نطقوا به وأنه عين الضلال والفسق فهم لم يكتفوا بجهلهم بل عاندوا الحق واستكبروا وقالوا إفكا: أن هذه الأمثال: البعوضة والذباب والعنكبوت ونحوها لا ينبغي لله ذكرها في كتابه، وتلك الشبهة مردودة : " بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملا على حكم بالغة ." (١)

قال أبو السعود: " التمثيل كما مر ليس إلا إبرازاً للمعنى المقصودِ في معرض الأمرِ المشهود، وتحلية المعقولِ بحِلْية المحسوس، وتصويرُ أوابد المعاني بهيئة المأنوس، لاستمالة الوهم واستنزالِه عن معارضتِه للعقل، واستعصائه عليه في إدراك الحقائق الخفية، وفهمِ الدقائق الأبية، كي يتابعَه فيما يقتضيه ويشايعُه إلى ما يرتضيه، ولذلك شاعت الأمثالُ في الكتب الإلهية والكلمات النبويةِ وذاعت في عبارات البلغاء وإشارات الحكماء، ومن قضية وجوبِ التماثل بين الممثَّل والممثَّل به في مناط التمثيل تمثيلُ العظيم بالعظيم، والحقير بالحقير ." (٢)

قال الألوسي: " لم يقل سبحانه: وأما الذين كفروا فلا يعلمون؛ ليقابل سابقه؛ لما في هذا من المبالغة في ذمهم والتنبيه بأحسن وجه على كمال جهلهم لأن الاستفهام إما لعدم العلم أو للإنكار وكل منهما يدل على الجهل دلالة واضحة .

ومن قال للمسك أين الشذا *** يكذبه ريحه الطيب "(٣)

---

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢/ ٣٦١)
(٢) . تفسير أبي السعود (٧١/١)
(٣) . روح المعاني للألوسي (٢/١

الثاني: الإشارة إلى أن المؤمنين اكتفوا بالخضوع والطاعة من غير حاجة إلى التكلم والكافرون لخبثهم وعنادهم لا يطيقون الأسرار لأنه كإخفاء الجمر في الحلفاء . (١)

الثالث: التعميم، لأن منهم من يقول: (ماذا أراد الله بهذا مثلا) لأنه يجهل الحكم المنوطة بضرب تلك الأمثال، (وتلك الأمثال نضربها وما يعقلها إلا العالمون)، ومنهم من يعلم ذلك ولكنه قال ما قال عنادًا وصدًّا عن سبيل الله، فلو قيل: (يجهلون) ما شمل الفريقين، قال الألوسي: " وقيل: إن يقولون لا يدل صريحاً على العلم وهو المقصود والكافرون منهم الجاهل والمعاند {فَيَقُولُونَ} الخ أشمل وأجمع ." (٢)

الرابع: التعريض، قال الطاهر: " وإنما عبر في جانب المؤمنين بـ (يعلمون) تعريضاً بأن الكافرين إنما قالوا ما قالوا عناداً ومكابرة وأنهم يعلمون أن ذلك تمثيل أصاب المحز، كيف وهم أهل اللسان وفرسان البيان، ولكن شأن المعاند المكابر أن يقول ما لا يعتقد حسداً وعناداً " . (٣)

الخامس: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، وذلك من الفصاحة اللفظية .

١٤٨. [يشعرون ـ يعلمون]

قَالَ تَعَالَى: { وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ ۗ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾} [سورة **البقرة**:١١ــ١٣]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (يَشْعُرُون) فعل مضارع [و] يَفْعُلُون، إلى (يَعْلَمون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في سياق ذم المنافقين المتعدون حدود الله التاركين طاعته لفرط غباوتهم وكمال جهالتهم بما يجب عليهم من طاعة الله ورسوله، قال الطاهر: " فإن أفعالهم التي يبتهجون بها ويزعمونها منتهى الحذق والفطنة وخدمةِ المصلحة الخالصة آيلة إلى فساد عام لا محالة إلاَّ أنهم لم يهتدوا إلى ذلك لخفائه وللغشاوة التي ألقيت على قلوبهم من أثر النفاق ومخالطة عظماء أهله، فإن حال القرين وسخافة المذهب تطمس على العقول النيرة وتَخِفُّ بالأحلام الراجحة حتى تَرى حسناً ما ليس بالحَسَن . " (٤)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يعلمون) أغراض بلاغية منها:

---

(١) . روح المعاني للألوسي (٢١٠/١)

(٢) . روح المعاني للألوسي (٢١٠/١)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٣٦٤)

(٤). التحرير والتنوير، للطاهر (٢٨٦/١)

الأول: المبالغة في الذم، فمن تمام جهلهم أنهم لا يعلمون بحالهم في الضلالة والجهل، وذلك أردى لهم وأبلغ في العمى، والبعد عن الهدى، وكأنه ـ سبحانه ـ عدل إلى قوله: (لا يعلمون)؛ تسجيلًا لفرط غباوتهم وكمال جهالتهم بعد وصفهم بالسفه، الذي هو سخافة العقل وفساد البصيرة، والعلم يعد من أشرف الألفاظ، فنفيه عن هؤلاء يدلُّ على حقارتهم، فهم أشبهوا البهائم العجماوات، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩]

الثاني: مراعاة المناسبة المعنوية من أوجه ثلاثة:

أولها: " **أنه قد ذكر السفه** وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقاً له. [(١)]

ثانيها : أن أمر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحقّ وهم على الباطل، يحتاج إلى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة . وأما النفاق وما فيه من البغي المؤدّي إلى الفتنة والفساد في الأرض فأمر دنيويّ مبني على العادات، معلوم عند الناس ومحسوس مشاهد . [(٢)]

الوجه الثالث: أن الإيمان أمر معنوي يناسبه العلم، بينما الفساد في الأرض أمر محسوس فناسبه الشعور الذي هو أوائل الإدراك . [(٣)] .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

الأول: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، إذ لو قيل: " ولكن لا يشعرون " لكان في الكلام تكرار؛ حيث إن قبلها (وما يشعرون، ولكن لا يشعرون)، فالعدول إلى (يعلمون) أخف من البقاء على لفظة واحدة ثلاث مرات .

الثاني : البعد عما يشبه عيوب القافية من الإيطاء بتكرار الفاصلة؛ وقد ذكر الباحث من قبلُ أن القرآن الكريم في تمام البلاغة ومنتهى الفصاحة وأنه لا يوجد به إيطاء وإن تكررت الفاصلة، لأن بكل موضع لها من الفوائد والدلالات البلاغية ما لا تحيطه العبارة، فهو كلام الحكيم العليم، لكن التكرار للفواصل المتقاربة قليلٌ جدًّا في الذكر الحكيم، وذلك لأن في القرآن الكريم رُوعِي فيه تنوُّع الفواصل؛ طلبًا لزيادة النغم .

---

(١). البحر المحيط، لأبي حيان (١/١١٢)
(٢). الكشاف للزمخشري (١/٤٦)
(٣). تفسير ابن عرفة (١/٥٥)

١٤٩. **[يفقهون - يعلمون]**

قَالَ تَعَالَى:{ وَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٌ أَنۡ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُواْ مَعَ رَسُولِهِ ٱسۡتَـٔۡذَنَكَ أُوْلُواْ ٱلطَّوۡلِ مِنۡهُمۡ وَقَالُواْ ذَرۡنَا نَكُن مَّعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ﴿٨٧﴾} [سورة التوبة:٨٦–٨٧]

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسۡتَـٔۡذِنُونَكَ وَهُمۡ أَغۡنِيَآءُۚ رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٩٣﴾} [سورة التوبة:٩٣]

في الآيات السابقة عدول معجمي من (يَفْقَهُونَ) إلى (يَعْلَمُونَ) وكلاهما فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في سياق ذم القاعدين عن الجهاد في سبيل الله .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يعلمون) أغراض بلاغية منها:

الأول: إظهار المفارقة بين المؤمنين الذين يستجيبون للخروج، وبين أولئك الذين رضوا أن يتخلفوا عن الجهاد في سبيل الله، فنفي العلم عن المنافقين المتخلفين أنسب في هذا المقام؛ ذمًّا لهم، إذ لا يعلمون ما أعدَّه الله للمجاهدين في سبيله من عظيم الثواب، وناسَب هنا لأنّه تعالى قد ذكر المؤمنين الذي يستجيبون للخروج وتفيض أعينهم من الدمع لأنهم لم يجدوا ما يركبونه، وهم على علم بالثواب ويقين بما عند الله، فكان نفي العلم عن أضدادهم أولى (١).

الثاني: المبالغة في ذم المنافقين إذ نفى عنهم أشرف الألفاظ وهو العلم، قال الطاهر: " يكادون أن يساووا العجماوات. " (٢)

قال في درة التنزيل: " ولا لفظ من ألفاظ يعلمون ويعقلون ويفقهون ويشعرون إلا ولفظة (يعلمون) أعلى منه، ولذلك صحت في الخبر عن الله ـ تعالى ـ ولم يصح فيه غيرها من الألفاظ التي ذكرت فلما كان المعلوم أشرف المعلومات عبر عن الآيات التي نصبت للدلالة عليه باللفظ الأشرف." (٣)

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١). ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي (١/ ٧٢٣)

(٢). التحرير والتنوير، للطاهر (١١/٦)

(٣). ينظر: درة التنزيل وغرة التأويل، للخطيب الإسكافي (٢/٥٣١)

بينما اختير الفعل (يفقهون) في الآية الأولى إشارة إلى انعدام علم المنافقين " بالأمور التي يختص بعلمها أهل الأفهام، وهو العلم المعبر عنه بالفقه، أي إدراك الأشياء الخفية، أي فآثروا نعمة الدعة على سمعة الشجاعة وعلى ثواب الجهاد إذ لم يدركوا إلا المحسوسات فلذلك لم يكونوا فاقهين وذلك أصل جميع المضار في الدارين. " (١)

١٥٠. [يقبل ـ يأخذ]

قَالَ تَعَالَى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ **وَيَأْخُذُ** الصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾} [سورة التوبة:١٠٣-١٠٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَقْبَلُ) فعل مضارع [و] يَفْعَلُ إلى (يَأْخُذُ) فعل مضارع [و] يَفْعُل، وذلك في سياق الحث على إنفاق الأموال في سبيل الله وأن الله يقبلها منهم والتذكير بأن الله كثير التوبة على عباده رحيم بهم .

والعدول المعجمي إلى الفعل (يأخذ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهييج إلى الصدقة التي تحط الذنوب وتمحقها، فقوله تعالى : " (يأخذ الصدقات) أى: يتقبلها من أصحابها قبول من يأخذ شيئا ليؤدي بدله: فالتعبير بالأخذ للترغيب فى بذل الصدقات، ودفعها للفقراء، وعن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره، حتى إن اللقمة لتكون مثل أحد» وعن عبد الله بن مسعود قال: إن الصدقة تقع في يد الله- تعالى- قبل أن تقع في يد السائل، ثم قرأ هذه الآية :(أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقاتِ) "(٢) فالعدول إلى الأخذ لأن الله يأخذها بيمينه ويتقبلها ويضاعف الثواب عليها، وهذا تهييج إلى الصدقة التي تحط الذنوب وتمحقها، وذلك متناسب مع غرض السورة العام في الدعوة إلى الجهاد في سبيل الله وإذلال الكافرين بقتالهم، وهذا لا يتأتى إلا بإعداد العدة والعتاد ويتطلب المال الكثير، فكان الحث على الصدقة في تلك المواقف مما يعين على إتمام الأمر ونصرة الحق وإعلاء كلمة التوحيد .

الثاني: التعظيم لأمر الصدقة؛ ترغيبًا فيها، قال الألوسي: " والمختار عندي أن المراد بأخذ الصدقات الاعتناء بأمرها ووقوعها عنده سبحانه موقعا حسنا، وفي التعبير به ما لا يخفى من الترغيب." (٣)وقال الرازي: " قوله: ويأخذ الصدقات تشريف

(١). التحرير والتنوير، للطاهر (٢٩٠/١٠)

(٢). ينظر: التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي (٦/ ٣٩٩)

(٣). روح المعاني للألوسي (١٦/٦)

عظيم لهذه الطاعة ." [١] فالله ـ عز وجل ـ لا يكتفي بقبول الصدقة منهم بل يأخذها بيمينه، وفي ذلك غاية التشريف للمتصدقين وكمال العناية .

الثالث: التنويه بشأن النبي صلى الله عليه وسلم، [٢] فقوله : (ويأخذ الصدقات) وإن نُسِبَ الفعل إلى الله، فحقُّه أنْ يُنْسَبَ إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنه وردَ هكذا تبيينًا لمنزلة الرسول صلى الله عليه وسلم عند الله .

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٥١. [يخشون ـ يخافون]

قَالَ تَعَالَى: {﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾} [سورة الرعد:١٩ـ ٢١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَخْشَوْنَ) فعل مضارع [و] يَفْعَوْنَ إلى (يَخَافُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في سياق ذكر صفات المؤمنين بما أنزل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأنهم أهل التذكر والإيفاء بعهود الله ومواثيقه وصلة الرحم وخشية الله .

وللعدول المعجمي من إلى الفعل (يخافون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن الواجب على المؤمن أن يكون خوفه من الله؛ إجلالًا وتعظيمًا ومهابة، أكثر من خوفه من عقوبته، قال الزركشي: " الخوف والخشية لا يكاد اللغوي يفرق بينهما ولا شك أن الخشية أعلى من الخوف وهي أشد الخوف فإنها مأخوذة من قولهم شجرة خشية إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية والخوف من قولهم ناقة خوفاء إذا كان بها داء وذلك نقص وليس بفوات ومن ثمة خصت الخشية بالله تعالى في قوله سبحانه {ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب} . "[٣]

الثاني: الإشارة إلى أن من المؤمنين من يكون جانب الرجاء عنده أقوى من الخوف، لوقوفه عند الأمر والنهي وإخلاصه العبودية لله، قال الزركشي: " إن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد كيف كانت حاله وسوء الحساب ربما لا يخافه من كان عالما بالحساب وحاسب نفسه قبل أن يحاسب ." [٤]

الثالث: التخصيص، قال الطيبي في فتوح الغيب: " أما عطف (وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ) على "يخشون" فمن عطف الخاص على العام، ومن ثم قال: "ويخافون خصوصاً سوء الحساب"(٥٠٣/٨) لكن الحقُّ أن التخصيص ناشئٌ من عموم خشية الله إذ تشمل التعظيم وخوف المحاسبة، فيكون ذكر الخوف من سوء الحساب من ذكر الخاص بعد العام، وإذا نُظِرَ إلى اللفظين (الخوف والخشية) فحسب فالخوف أعمّ والخشية أخص إذ هي أشد الخوف .

---

(١). مفاتيح الغيب، للرازي (١٦/ ١٤١)

(٢). ينظر: تفسير أبي السعود (١/ ٤١)

(٣). البرهان في علوم القرآن، للزركشي **(٧/ ٤٧٠)**

(٤). البرهان في علوم القرآن، للزركشي **(٧٨/٤)**

الرابع: الإشارة إلى فظاعة سوء الحساب وأن أبدان العباد لا تقوى على النار وما فيها، فالخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف [١]، فيكون العدول للتذكير بشدة العذاب وضعف المعذبين .

الخامس: التعريض بالكافرين الذي لا يخشون الله وحسابه ويستعجلون العذاب استخفافًا به .

السادس: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، قال الألوسي: " والخشية والخوف قيل: بمعنى. "[٢]

ب) العدول المعجمي من المضارع غير الثلاثي إلى المضارع الثلاثي :

صدق الله [ينفقون ـ تعملون]

قَالَ تَعَالَى: {وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾} [سورة البقرة:٢٦٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ينفقون) فعل مضارع [و] يُفْعِلُون إلى (تَعْمَلُون) فعل مضارع [و] تَفْعَلُون، وذلك في سياق مدح الذين ينفقون أموالهم رغبة في ثوابه وأن الله يبارك لهم في اعمالهم ويضاعف لهم ثوابهم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تعملون) لأغراض بلاغية منها:

الأول: للتعميم؛ زيادة في الترغيب والترهيب، فالعمل يشمل الإنفاق والإحسان إلى الغير وتوابعه من عدم المن والأذى .

الثاني: التنويه بهؤلاء المنفقين المخلصين الذين يداومون على الإنفاق وأنهم لا يقطعون عطاءهم عن المحتاجين وصفة الاستمرارية عرفت من كون العمل يذكر فيما امتد زمانه [٣] ويؤيده استعمال المضارع فيه لما أن صفة الإنفاق منهم متكررة .

الثالث: الاختصار، لأنه لو قيل: (والله بما تنفقون ابتغاء مرضاته أو رئاءَ الناس بصير به) لطال الكلام .

الرابع: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

١٥٣. [يريد / نريد ـ نشاء]

---

(١). البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٧٨/٤) **ومقاييس اللغة، لابن فارس مادة(خوف)** .

(٢). روح المعاني، للألوسي (١٣٤/٧)

(٣) . البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٨٣/٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالَ تَعَالَىٰ:{مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾} [سورة الإسراء:١٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(يُرِيد) فعل مضارع [و] يُفْعِل إلى (نشَاء) فعل مضارع [و] نَفْعَلُ، ثم إلى (نُرِيد) فعل مضارع [و] نُفْعِل، وذلك العدول في سياق ذكر حال من يريد الدنيا وينسى الآخرة وأنه لا ينال في دنياه إلا ما أراده الله ثم يؤاخذ بعمله، وعاقبته دخول النار.

وللعدول المعجمي إلى الفعل (نشاء) أغراض بلاغية منها:

الأول: أن المشيئة تدل على الإسراع في الإيجاد لأنها تختص بإرادة الشيء بلا مهلة،[1] وهذا يبين قدرة الله في إمداد هذا المريد للعاجلة بما يرغب في حصوله على وجه السرعة ابتلاءً له واستدراجًا حتى تكمل غفلته عن الآخرة، قال تعالى: {ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾} [سورة الإسراء:١٨]، فالمشيئة متناسبة مع سياق التعجيل لذلك قال تعالى (عَجَّلْنَا) .

الثاني: **التنبيه إلى أن ذلك الإمداد وفق إرادته الكونية وهي لا تستلزم الرضا ولا المحبة**، فذكر المشيئة إيذان بأن هذا الإنعام . وإن كان الله قد أراده كونًا . لا يريده شرعًا ولا يرضى به ولا يحبه .

فالمشيئة في الاستعمال القرآني تطلق على الإرادة الكونية، وهي واجبة التحقق، أما الإرادة فتنقسم إلى نوعين: كونية وشرعية، والإرادة الكونية توافق المشيئة، والإرادة الشرعية تستلزم الرضا والمحبة ولا تستلزم التحقق، وعلى هذا فالعدول إلى [نشاء] أخصر من [نريده كَوْنًا] .

الثالث : لتفنن كراهية لتكرار اللفظ ثلاث مرات . [2]

ثم عدل عن (نشاء) إلى (نريد) لأغراض منها:

الأول: **وعلى شمول الإرادة** لما يكون على وجه السرعة ولما لا يكون كذلك يكون العدول إليها؛ تعميما إيذانًا بأن جميع النعم الحاصلة له إنما كانت بقدرة الله تعالى: " وما بكم من نعمة فمن الله "، وفيه امتنان ظاهر بأن الله عز وجل له الفضل **بالإنعام وإبقائه**، وهو ما دل عليه فعل الإرادة، كما أنه يدل على الوجه الآتي .

---

(١). ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣٥ .

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٥٩/١٥)

الثاني: **التوبيخ** لهؤلاء المفتونين بالدنيا ومتاعها والمعرضين عن الآخرة وثوابها، إذ لم يشكروا المحسن إليهم بأصول النعم وفروعها، فقد **عجل** لهم المنافع وكشف عنهم المضار **ثم متعهم سنين** ومع ذلك جحدوا تلك النعم فاستوجبوا الهلاك .

الثالث: أنه لما أسند الإرادة إلى الذي يريد متاع الحياة الدنيا نبَّه على أن ذلك بقوته عز وجل لا بقوة ذلك المريد، فأعاد لفظ الإرادة لتمكين ذلك المعنى في النفس[(١)] .

الرابع التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وهو قول الطاهر، [(٢)]ويؤيده أن الإرادة هنا كونية وليست شرعية وهو ما دل عليه فعل المشيئة السابق .

أما اختيار الإرادة أولا فلأغراض بلاغية منها:

الأول: تعريف الحرالي «الإرادة» **بأنها في الخلق نزوع النفس لباد تستقبله**[(٣)] يوضح سبب اختيار الإرادة أول الآية وهو الإشارة إلى أن من يريد الدنيا وزينتها **افتتن بظاهر متاعها** ولم يحسن التدبر في حقيقتها فمتاعها قليل وهي إلى زوال فكان الواجب عليهم ألا يغتروا بما بدا لهم من زينتها وأن يستعدوا إلى ما هو خير وأبقى، قَالَ تَعَالَى:{ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴿٧﴾} [سورة الروم:٧]

الثاني: أن أصل المادة (**راد**) بتقاليبها كما ذكر البقاعي تدور على الدوران[(٤)] ويلزم منه **القصد فيشير إلى أن غاية علم ذلك المريد هي الدنيا** وأن سعيه منصب إليها لا إلى غيرها وهذا يشير إلى مدى انهماكه في متاعها وتفضيلها على ما سواها، قَالَ تَعَالَى:{ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ الْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾} [سورة النجم:٢٩ـــ٣٠]

ويلزم من الدوران (**الإقبال والإدبار والرفق والمهلة وإعمال الحيلة**) وتلك المعاني تصور مدى الاجتهاد من هؤلاء المفتونين بالدنيا في تحصيل ما أرادوا منها فهم لا يقبلون ولا يدبرون إلا في التمكن من زينتها مع إعمال سائر الحيل في إدراك ذلك .

---

(١). نظم الدرر، للبقاعي (١١/ ٣٩٥)
(٢). التحرير والتنوير، للطاهر (٥٩/١٥)
(٣). نظم الدرر، للبقاعي (١/ ٢١٨)
(٤). نظم الدرر، للبقاعي (٢٧/٤)

الثالث: أن **الإرادة** أعم من المشيئة [(١)]، ودلالتها حينئذ الإشعار بمحبة ذاك الإنسان **لتعجيل** الخيرات الدنوية **والإسراع** بها وهو الغرض الذي سيقت له الآية، وتدل **على رغبته في ديمومتها وعدم انقطاعها عنه في حال من الأحوال** .

١٥٤. **[تقسطوا ـ تعدلوا]**

قَالَ تَعَالَى: {وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡۖ وَلَا تَتَبَدَّلُواْ ٱلۡخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِۖ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَهُمۡ إِلَىٰٓ أَمۡوَٰلِكُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبٗا كَبِيرٗا ﴿٢﴾ وَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تُقۡسِطُواْ فِي ٱلۡيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا تَعۡدِلُواْ فَوَٰحِدَةً أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُواْ ﴿٣﴾} [سورة النساء:٢–٣]

في الآية الثانية عدول معجمي من (تقسطوا) فعل مضارع [و] تُفْعِلُوا إلى (تَعْدِلُوا) فعل مضارع [و] تَفْعِلُوا، وذلك في سياق الأمر بالعدل مع النساء في المعاملة يتيمات كنّ أو غير يتيمات، قال ابن كثير: " وقوله: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى} أي: إذا كان تحت حجر أحدكم يتيمة وخاف ألا يعطيها مهر مثلها، فليعدل إلى ما سواها من النساء، فإنهن كثير، ولم يضيق الله عليه." [(٢)]

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تعدلوا) أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، حثًّا للأزواج على المبالغة في تحرّي العدالة مع الزوجات، وذلك لأن العدل أعم من القسط قال أبو هلال العسكري في الفروق: " الْقسْط هُوَ الْعدْل البين الظَّاهِر وَمِنْه سمي الْمِكْيَال قسط وَالْمِيزَان قسطا لِأَنَّهُ يصور لَك الْعدْل فِي الْوَزْن حَتَّى ترَاهُ ظَاهرا **وَقد يكون من الْعدْل مَا يخفى** وَلِهَذَا قُلْنَا إِن الْقسْط هُوَ النَّصِيب الَّذِي بيّنت وجوهه ." [(٣)] والسياق هنا في ذكر العدالة مع الزوجات، وما يقدمه الزوج لزوجته منه ما هو ظاهر كالمهر والنفقة والمسكن ومنه ما يخفى كالمعاشرة ونحوها، فحسن العدول إلى لفظ العدل لعمومه، قال الطاهر: " وخوف عدم العدل معناه عدم العدل بين الزوجات، أي عدم التسوية، وذلك في النفقة والكسوة والبشاشة والمعاشرة وترك الضرّ في **كلّ ما يدخل تحت قدرة المكلّف** وطوقه دون ميل القلب ." [(٤)]

الثاني: مراعاةً لخصوصية اللفظ في الاستعمال العربي، فالعدل في اللغة يطلق على التسوية ولا بد أن تكون بين اثنين فأكثر، والمذكور هنا الترغيب في نكاح النساء مثنى وثلاث ورباع، وذلك تعدد وتقع فيه التسوية، بينما القسط أعم

---

(١). ينظر: معجم الفروق اللغوية ص ٣٥ .

(٢). تفسير ابن كثير (٣/ ٣٤٠)

(٣). ينظر: معجم الفروق اللغوية ص٤٢٨ .

(٤). التحرير والتنوير، للطاهر (٤/ ٢٢٦)

من تلك الجهة إذ يطلق على التسوية وإعطاء النصيب، وحسن اختياره أولا لأن المراد منه إعطاء اليتيمة حقها من المهر، وقد تكون واحدةً فيقال: أقسط الرجل معها، ولا يقال: عدل .

١٥٥. [يتوارى ـ يدسّه]

قَالَ تَعَالَى:{ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَٰرَىٰ مِنَ ٱلْقَوْمِ مِن سُوٓءِ مَا بُشِّرَ بِهِۦٓ ۚ أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِى ٱلتُّرَابِ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾} [سورة النحل:٥٨–٥٩]

في الآية الثانية عدول معجمي من (يتوارى) **فعل مضارع [و] يَتَفَاعَل، إلى** (يَدُسُّهُ) **فعل مضارع [و] يَفْعُلُهُ**، وذلك في سياق التنديد بأفعال الجاهلية وبيان قسوة قلوبهم في عملية الوأد للإناث، فبدلَ أن يشكروا ربهم على تلك النعمة التي وهبها إياهم فإنهم يقتلونها ويدفنونها حيةً بدون رحمة وذلك من أفظع أعمال الجاهلية .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يدسه) **أغراض بلاغية منها:**

الأول: تفظيع ما يقومون به من وأد البنات؛ إذ أن الوأد ليس على هيئة الدفن المعروفة، قال البقاعي: " ولما كانوا يغيبون الموءودة في الأرض على غير هيئة الدفن، عبر عنه بالدس ." (١)

قال الرازي: " ثم قال: أم يدسه في التراب والدس إخفاء الشيء في الشيء. يروى أن العرب كانوا يحفرون حفيرة ويجعلونها فيها حتى تموت. " (٢)

الثاني: زيادة التصوير لهذا الحدث القبيح، لما كان ذلك الوأد مواراة بإدخال شيء في شيء وإخفائه فيه ناسبه الفعل (يدسه) لأنه لغةً كذلك وأكد ذلك المعنى الإدغام وزاده تصويرًا فالإدغام لغة الإدخال ومن دلالاته الخفاء كما صرح به البقاعي في أكثر من موضع (٣).

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فالضغط الصوتي عند النطق بالصوت المدغم يصور أتم تصوير ما يحصل في عملية الوأد من الضغط بالتراب وتثقيل الموءودة به، كما أن حرف السين من حروف الهمس يصور آخر الأنفاس التي تلفظها تلك الأنثى حال وأدها، فكان إيثار هذا الفعل دون نظيره (يواري) تقبيحًا واستفظاعًا لتلك الفعال التي تفعلها بعض القبائل العربية في

---

(١) . نظم الرر، للبقاعي (١١/١٨٣ ـ ١٨٤)

(٢) ينظر. على سبيل المثال : نظم الدرر، للبقاعي (٢/١٤٩)(٢/٤٨٢)(٢/٧٤٣)(٣/٣٦٥)(٣/٤٣٣)(٥/٦٣٣)

(٣) . مفاتيح الغيب للرازي (٢٠/٢٢٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإناث وتدل على غياب الرحمة من قلوبهم وشدة قسوتها، كما أن العدول فيه هزّ النفوس للتبصر في قبح هذا الفعل، فالتعبير عن المستقبح في النفوس بأكثر من لفظ لتنبيه المستمعين إلى كمال قباحته، والوأد كما قال الطاهر: " من أفظع أعمال الجاهلية " (١)

ويؤازر معنى التشديد في (يدسه) دلالة الوأد لغة ففيها معنى الثقل ومنه قوله تعالى: " ولا يئوده حفظهما " أي: لا يثقله، ولو قيل: (يواريه) لما أفاد معنى الثقل فكان العدول في غاية البلاغة .

قال الرازي: " قال المفسرون: كان الرجل في الجاهلية إذا ظهر آثار الطلق بامرأته توارى واختفى عن القوم إلى أن يعلم ما يولد له فإن كان ذكرا ابتهج به، وإن كان أنثى حزن ولم يظهر للناس أياما يدبر فيها أنه ماذا يصنع بها ." (٢)

١٥٦. [يتبين ـ تعلم]

قَالَ تَعَالَىٰ: {عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾} [سورة التوبة:٤٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يَتَبَيَّن) فعل مضارع [و] يَتَفَعَّل، إلى (تَعْلَم) فعل مضارع [و] تَفْعَل، وذلك في سياق اللطف في عتاب النبي صلى الله عليه وسلم على الإذن للمنافقين الحالفين في التخلف حين استأذنوا فيه معتذرين بعدم الاستطاعة، فقد ترك الأولى وهو التوقف عن الإذن إلى انجلاء الأمر وانكشاف الحال .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تعلم) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى اختلاف القبيلين: الصادقين والكاذبين، فالصادقون حريصون على الإخلاص وقلوبهم مليئة بالإيمان واليقين فيما عند الله من الثواب إن جاهدوا في سبيله ونصروا شرعته، والإخلاص أمر قلبي خفي، وذلك يناسبه لفظ (يتبين) أي يظهر بعد خفائه، أما الكاذبون فأمرهم مختلف يحرصون على إبداء أعذارهم ليتخلفوا عن الجهاد لكن حالهم لا يخفى على الرسول ومن معه لتمام ظهوره، وذلك يناسبه لفظ (العلم)؛ لأنه يشمل ما يعرف بدلائله الظاهرة .

الثاني: ذم المنافقين الكاذبين لأن أعذارهم لا حقيقة لها، فإن كذبهم أمرٌ حادثٌ لا دِلالة للخبر عليه في الجملة حتى يكونَ ظهورُه تبيّناً له بل هو نقيضٌ لمدلوله فما يتعلق به يكون عِلْماً مستأنفاً . (٣)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٤/١٨٥).
(٢) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢٠/٢٢٥)
(٣) . ينظر: تفسير أبي السعود (٤/ ٦٩)

ثانيهما : الخفة اللفظية، فالمضارع الثلاثي (تعلم) أخف من الخماسي (يتبيَّن)، فو قيل : (حتى يتبين لك الذين صدقوا ويتبين لك الكاذبون) لثقل الكلام بتكرار الفعل الخماسي .

١٥٧. **[يتفكرون ـ يعقلون]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۡهَٰرٗاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوۡجَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ يُغۡشِى ٱلَّيۡلَ ٱلنَّهَارَۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٞ مُّتَجَٰوِرَٰتٞ وَجَنَّٰتٞ مِّنۡ أَعۡنَٰبٖ وَزَرۡعٞ وَنَخِيلٞ صِنۡوَانٞ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٖ يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِى ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾} [سورة الرعد:٣-٤]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (يَتَفَكَّرُون) فعل مضارع [و] يَتَفَعَّلُون، إلى (يَعْقِلُون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون، وذلك في سياق تذكير الناس بمظاهر قدرة الله في الخلق والتدبير وأن تلك الآيات من مد الأرض إلى آخر ما ذكر في الآيتين دليل على وجود الخالق المدبر الحكيم، وأنه هو الحق وهو على كل شيء قدير .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يعقلون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى وضوح تلك الآيات المذكورة، [(١)] فقد عدل إلى (يعقلون) لأن دلالة تلك الأحوال المذكورة في الآية من تفضيل بعض تلك الثمار على بعض ظاهرة لكل عاقلٍ كأنه لا حاجة في معرفة إلى مزيد تأمُّل في كونها آيات دالة على باهر القدرة.

الثاني: التعريض بالمشركين من الفلاسفة وغيرهم بأنهم غير عاقلين، ووصفت الآيات بأنها من اختصاص الذين يعقلون تعريضا بأن من لم تقنعهم تلك الآيات منزلون منزلة من لا يعقل، [(٢)] قال البقاعي: " لا يمكن التعبير في وجه هذه الدلالة إلا بأن يقال : هذه الحوادث السفلية حدثت بغير محدث، فيقال للقائل: وأنت لا عقل لك، لأن العلم بافتقار الحادث إلى المحدث ضرورة، فعدم العلم بالضروري يستلزم عدم العقل. "[(٣)]

الثالث: التفنن في التعبير بالبعد عن التكرار .

واختير الفعل (يتفكرون) أولا؛ " إيماءً إلى أن الذين نسبوا أنفسهم إلى التفكير من الطبائعيين فعللوا صدور الموجودات عن المادة ونفوا الفاعل المختار ما فكروا إلا تفكيرا قاصرا مخلوطا بالأوهام ليس ما تقتضيه جبلة العقل إذ اشتبهت عليهم العلل والمواليد، بأصل الخلق والإيجاد." [(٤)]

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٥/٥)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٨٨/١٣)

(٣) . نظم الدرر، للبقاعي (٢٨١/١٠)

(٤) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٨٥/١٣)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المضارع غير الثلاثي

قد سبق في المطلب السابق الحديث عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من المضارع إلى المضارع الثلاثي، أما الآن فإن الحديث يكون منصبًّا على بلاغة العدول إلى المضارع غير الثلاثي، وذلك في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من المضارع الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من المضارع غير الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من المضارع الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي :

١٥٨. [تمسسكم ـ تصبكم]

قَالَ تَعَالَىٰ:{إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾} [سورة آل عمران:١٢٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تَمْسَسْكُم) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَلْكُم، إلى (تُصِبْكم) فعل مضارع مجزوم [و] تُفِلْكُمْ، وذلك العدول في سياق التعريف بأحوال المنافقين وإظهار ما في قلوبهم من العداوة والحقد والحسد للمؤمنين .

والعدول المعجمي في الآية الكريمة إلى (تصبكم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه إلى فرط عداوة المنافقين وشدة حسدهم للمؤمنين، ووجه ذلك أن الإصابة عبارة عن التمكن في الشيء؛ فإنّ المس ينبئ عن أدنى مراتب الإصابة، فهو اتصال أحد شيئين بآخر على وجه الإحساس والإصابة من إصابة السهم أو المطر[1]، فتأثيرها أقوى وأشد، فهم يفرحون أشد الفرح إذا نزلت الشدائد بالمؤمنين وتمكنت منهم وانتهت إلى الحد الذي يرثي عندها الشامت[2] .

قال أبو زهرة: " وقد عبر سبحانه وتعالى في جانب الحسنة بقوله: {إن تمسسكم حسنة} وفي جانب السيئة بقوله: {وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها} للإشارة إلى تمكن الحقد والحسد في قلوبهم بحيث إن أي حسنة ولو مست ولم تغمر وتعم- تسؤهم؛

(١) . ينظر: المفردات، للراغب، مادة (صوب) .

(٢) . ينظر: حاشية الشهاب على البيضاوي (٢/١٨٨ . ١٨٩) وتفسير أبي السعود (٢/٧٢)

لأنهم يستكثرون كل خير للمؤمن مهما ضؤل كالشأن في كل الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله، ولا يفرحوا بالمصيبة التي تمس، فإنها لا تشفى غيظهم بل لا يفرحون إلا بالمصيبة التي تغمر وتعم وتستمر ." (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاث :

أولها : التفنن في التعبير والبعد عن التكرار. (٢) قال رشيد رضا: " والأول هو الوجه وهو من دقائق البلاغة العليا ." (٣) لكن يرى الباحث أن الجمع بين الغرضين أولى من إسقاط أحدهما، لأن الجانب الإيقاعي مقصودٌ كالجانب المعنوي في القرآن الكريم .

ثانيها : الخفة اللفظية؛ فالعدول إلى (تصبكم) جاء من أجل تقليل ذوات السين؛ تخفيفًا، واستقصاءً للفصاحة، ففي الآية أكثر من كلمة بها صوت السين، (تمسسكم . حسنة . تسؤهم . سيئة) .

ثالثها : ائتلاف اللفظ والمعنى، فقد تبيَّن من الوجه الأول تمكن الحسد من نفوس المنافقين وفرحتهم بالمصيبة العظيمة التي تقع بالمسلمين، والفعل (تصبكم) أنسب؛ لاشتماله على الصاد المفخمة والباء الشديدة وذلك يشير إلى عظم المصيبة وقوتها، كما أن القلقلة في الباء تشير إلى الاضطراب والزعزعة واختلال الأمر، وذلك من أهداف المنافقين التي يحرصون على وقوعها بين المؤمنين .

١٥٩. [تعدوا ـ تحصوها]

قَالَ تَعَالَىٰ: { ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾} [سورة إبراهيم:٣٢ــ٣٤]

في الآية الأخيرة عدول معجمي من (تعدوا) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعُلوا، إلى (تُحْصُوهَا) فعل مضارع مجزوم [و] تُفْعُوهَا، وذلك العدول في سياق الامتنان على العباد بكثرة النعم التي منها: الغيث وما أخرج به من الثمرات وتسخير الفلك والأنهار والشمس والقمر والليل والنهار وإمدادهم بكل مطالبهم، ومع ذلك الإنسان كثير الظلم لأنه يشكر غير المنعم، كفار جحود نعمة الله التي أنعم بها عليه لصرفه العبادة إلى غير من أنعم عليه، وتركه طاعة من أنعم عليه.

وللعدول المعجمي إلى الفعل (لا تحصوها) أغراض بلاغية منها:

---

(١) . ينظر: زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٣/ ١٣٨٥)

(٢) . ينظر: روح المعاني، للألوسي (٢/ ٢٥٦)

(٣) . تفسير المنار، لرشيد رضا (٤/ ٧٥)

الأول: الإيذان بكثرة نعم الله؛ [1]حثًّا على المزيد من الشكر للمنعم ـ عز وجل ـ قال الزمخشري: " لا تُحْصُوها لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها، هذا إذا أَرادوا أَن يعدوها على الإجمال. وأمّا التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه إلا الله ." [2]

ومما يدل على التكثير قوله تعالى: " وآتاكم من كل ما سألتموه " قال الطبري: " وقد قيل: إن ذلك إنما قيل على التكثير، نحو قول القائل: فلان يعلم كل شيء ." [3]

الثاني: التنبيه على عجز الإنسان عن القيام بشكر جميع النعم التي وهبها الله له، لأن كل نعمة قد حوت كثيرًا من النعم الأخرى، لذلك ختمت الآية بقوله: " إن الإنسان لظلوم كفار "، فعد النعم مقدور عليه لكن على وجه الحصر فلا، قال أبو السعود: " أصل الإحصاءِ أنَّ الحاسبَ إذا بلغ عَقداً معيناً من عقود الأعدادِ وضعَ حصاةً ليحفظَ بها ففيه إيذانٌ بعدم بلوغِ مرتبةٍ معتدَ بها من مراتبها فضلاً عن بلوغ غايتِها ." [4]

قال ابن كثير: " وقوله: {وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها} يخبر عن عجز العباد عن تعداد النعم فضلا عن القيام بشكرها، كما قال طلق بن حبيب، رحمه الله: إن حق الله أثقل من أن يقوم به العباد، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العباد، ولكن أصبحوا توابين وامسوا توابين ." [5]

الثالث: الإشارة إلى عادة من عادات العرب في العد، تقريرًا للوجهين السابقين، قال البقاعي: " {لا تحصوها} أي لا تحيطوا بها ولا تعرفوا عد الحصى المقابلة لها إن عددتموها بها كما كانت عادة العرب، أو لا تجدوا من الحصى ما يوفي بعددها، هذا في النعمة الواحدة فكيف بما زاد ! ." [6]

قال الطاهر: " والإحصاء: ضبط العدد، وهو مشتق من الحصا اسما للعدد، وهو منقول من الحصى، وهو صغار الحجارة لأنهم كانوا يعدون الأعداد الكثيرة بالحصى تجنبا للغلط." [7]

الرابع: الاحتراز من إيهام التعارض بين أول الآية وآخرها، إذ لو قيل: " وإن تعدوا نعمة الله لا تعدوها " لنفى ما أثبته أولا وذلك لا يستقيم، فما عليه النظم الجليل أوفى معنًى وأسلم من الاعتراض، **قَالَ تَعَالَى:**{ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾} [سورة **النساء**:٨٢]

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٩/ ٩٩)
(٢) . الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٥٧)
(٣) . تفسير الطبري (١٧/ ١٤)
(٤) . تفسير أبي السعود (٥/ ٤٩)
(٥) . تفسير ابن كثير (٤/ ٥١١)
(٦) . نظم الدرر، للبقاعي (١٠/ ٤٢٢)
(٧) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٣/ ٢٣٧)

١٦٠. [تخافن ـ ترهبون]

قَالَ تَعَالَى:{ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَبَقُوٓا۟ ۚ إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾} [سورة الأنفال:٥٨-٦٠]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (تَخَافَنَّ) فعل مضارع [و] تَفْعَلَنَّ إلى (تُرْهِبُون) فعل مضارع [و] تُفْعِلُون، وذلك في سياق الأمر بإعداد العدة لقتال الكافرين الذين يحابون الإسلام وأهله .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (ترهبون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم؛ لزيادة الترهيب حتى يلقى في قلوب الذين كفروا الرعب والهلع وفي ذلك إضعاف لنفوسهم قبل إضعاف أبدانهم لأنه إذا خارت عزائمهم جبنوا عن ملاقاة المسلمين وقتالهم وحصل المقصود من إعزاز المؤمنين وإذلال الكافرين وقد فسر ابن عباس(ترهبون) بـ (تخزون) (١)، ويرى البقاعي أن : الرهبة هي الخوف العظيم الذي يؤدي الهرب (٢) إذن فالعدول مناسب لمقصود السورة .

الثاني : مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما : مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ : (ترهبون) يشمل الفعل على صوت الراء التي من معانيها اللغوية الامتداد ومن صفاتها التكرير وكل ذلك يشعر بامتداد الرعب في أنفس الأعداء، وارتعاد فرائصهم من سطوة الخوف، ويشتمل أيضًا على صوت الهاء الذي يخرج من أقصى الحلق بإفراغ الرئتين من الهواء، فهذا الصوت من ألصق الأصوات بالقلب، فيشعر باضطراب النفس وزعزعة الفؤاد، والباء الشديدة تدل على القوة المذكورة في الآية .

١٦١. [يعلمون ـ يفقهون ـ يؤمنون]

قَالَ تَعَالَى:{وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً

(١) . ينظر: تفسير الطبري (٣٥/١٤)

(٢) . ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٣١٤/٨)

فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾} [سورة الأنعام:٩٧-٩٩]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من الفعل (يَعْلَمُون) إلى (يَفْقَهُون) وكلاهما فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، ومنهما إلى (يُؤْمِنُون) فعل مضارع [و] يُفْعِلُون، وذلك في سياق الامتنان على العباد بخلق النجوم للاهتداء بها وبنعمة الإنشاء الابتدائي، وأن المنتفعين بهذه الآيات الآفاقية والأنفسية هم أهل العلم المتأملين في خلق الله .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يفقهون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، إذ الفقه هو العلم ببواطن الأمور ودقائقها، قال الراغب : " **الفِقْهُ: هو التّوصل إلى علم غائب بعلم شاهد، فهو أخصّ من العلم** " [١]، وناسب ذكره في هذه الفاصلة لأن استخراج الحكم والعبر من خلق البشر من نفس واحدة يتوقف على غوص في أعماق الآيات، وفطنة في استخراج دقائق الحكم والبينات، فعبر عن ذلك بالفقه، وأما العلم بمواقع النجوم والاهتداء بها في ظلمات البر والبحر فهو من الأمور الظاهرة التي لا تتوقف على دقة النظر [٢][٣]

فالعدول إلى مادة الفقه؛ لأن من معانيها (الشق) [٤] وذلك متناسب مع استخراج المكنون من الحقائق الأنفسية بطول التأمل ومعاودة النظر لمعرفة عجائب الحكم في أفعال بارئ النسم .

الثاني: التفنن في التعبير؛ تحرزًا من التكرار، قال الألوسي: " وقيل: هما بمعنى إلا «أنه لما أريد فصل كل آية بفاصلة تنبيهاً على استقلال كل منهما بالمقصود من الحجة وكره الفصل بفاصلتين متساويتين لفظاً للتكرار عدل إلى فاصلة مخالفة تحسيناً للنظم (وافتناناً) في البلاغة ." [٥] جاء في تاج العروس : " (وفقه مثل (فرح) فقها مثل عَلِمَ عِلْمًا زنة ومعنى ." [٦]

الثالث: التعريض بأن المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، قال الطاهر: " وعدل عن (يعلمون) إلى {يفقهون} لأنّ دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبّر، فإنّ المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبّر عن علمها بأنّه فِقه، بخلاف دلالة النّجوم على حكمة الاهتداء بها فهي دلالة متكرّرة، وتعريضاً بأنّ المشركين لا يعلمون ولا يفقهون، فإنّ العلم هو المعرفة الموافقة للحقيقة، والفقه هو إدراك الأشياء الدّقيقة . فحصل تفصيل

---

(١) . المفردات، للراغب، مادة (فقه) .
(٢) . تفسير المنار (٧/ ٥٣٤)
(٣) . تفسير الألوسي (٤/ ٢٢٣)
(٤) . تاج العروس، للزبيدي، مادة (فقه).
(٥) . تفسير الألوسي (٤/ ٢٢٣)
(٦) . تاج العروس، للزبيدي، مادة (فقه).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآيات للمؤمنين وانتفى الانتفاع به للمشركين، ولذلك قال بعدَ هذا {إنّ في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون} [سورة الأنعام: ٩٩ (١)".

ويري ابن المنير أن العدول للتعريض والذم بناءً على القول بأن الفقه أدنى درجات العلم، حيث قال: " جهل الإنسان بنفسه وأحواله وعدم النظر والتفكر فيها أبشع من جهله بالأمور الخارجة عنه كالنجوم والأفلاك ومقادير سيرها وتقلبها، فلما كان الفقه أدنى درجات العلم إذ هو عبارة عن الفهم نفى (بطريق التعريض عن أبشع القبيلتين) جهلاً وهم الذين لا يتبصرون في أنفسهم ونفي الأدنى أبشع من نفي الأعلى فخص به أسوأ الفريقين حالاً ." (٢)

قال رشيد رضا: " وقد فطن لذلك الزمخشري- وما أجدره به- فقال: (فإن قلت) لم « يعلمون » مع ذكر النجوم، و (يفقهون) مع ذكر إنشاء بني آدم (قلت) لأن إنشاء الإنس من نفس واحدة وتصريفهم بين أحوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له اه . **وتعقبه ابن المنير فزعم أن هذا كلام صناعي وأن التحقيق أن اختلاف التعبير للتفنن**، وذكر وجها آخر بناء على زعمه أن الفقه أدنى درجات العلم، لأنه عبارة عن مجرد الفهم، وما بني على الفاسد فاسد، وأين هو في فهم أسرار اللغة من الزمخشري ؟". (٣)

و جاء العدول إلى (يؤمنون) لأغراض بلاغية منها :

الأول : " **إتمام التّعريض** بأنّ غير العالمين وغير الفاقهين هم غير المؤمنين يعني المشركين ." (٤) وقال الشنقيطي في العذب النمير: " وإنما خص المؤمنين في قوله{لقوم يؤمنون} لأن الكفرة لا يتعظون بالآيات، ولا يفهمون عن الله غرائبه وعجائبه، لأن الله أعمى بصائرهم والعياذ بالله ." (٥)

الثاني: الإشارة إلى أن ما تقدم ذكره دال على وحدانية الله وقدرته وعلمه، قال السمين: " وناسب ختامَ هذه الآية بقوله " لقوم يؤمنون "كونُ ما تقدَّم دالاً على وحدانيته وإيجاده المصنوعات المختلفة، فلا بُدَّ لها مِنْ مدبِّر مع أنها نابتةٌ من أرضٍ واحدةٍ وتُسْقَى بماءٍ واحد، وهذه الدلائل إنما تنفع المؤمنين المتدبِّرين دون غيرهم ." " (٦)

١٦٢. [تأتينا ـ نتزل]

---

(١) . التحرير والتنوير (٧/ ٣٩٧)
(٢) . تفسير الألوسي (٤/ ٢٢٣)
(٣) . تفسير المنار (٧/ ٥٣٤)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (٧/ ٤٠٤)
(٥) . العذب النمير، للشنقيطي (٢/ ٣٢)
(٦) . الدر المصون، للسمين الحلبي (٥/ ٨٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قَالَ تَعَالَى:{ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِي نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٞ ﴿٦﴾ لَّوۡ مَا تَأۡتِينَا بِٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَمَا كَانُوٓاْ إِذٗا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾} [سورة الحجر:٦-٨]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (تَأْتِينَا) فعل مضارع [و] تَفْعِلُنَا إلى (نُنَزِّلُ) فعل مضارع [و] نُفَعِّلُ، وذلك في سياق ذكر مخاطبة الكفار للنبي صلى الله عليه وسلم واقتراحهم عليه أن يأتيهم بالملائكة علامةً على صدقه، وإخبارهم أن الملائكة لا تنزل إلا بالرسالة على الرسل أو بالعذاب على من أراد الله تعذيبه .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (ننزل) أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على عظمة الملائكة الكرام وعلو رتبتهم، فالتنزيل يكون من علٍ، فالعدولُ جاء ليؤكد على أن الملائكةَ لعلوّ رتبتهم أعلى من أن يُنسَبَ إليهم مطلقُ الإتيان الشاملِ للانتقال من أحد الأمكنة المتساوية إلى الآخر منها بل من الأسفل إلى الأعلى وإنما الذي يليق بشأنهم النزولُ من مقامهم العالي وكونُ ذلك بطريق التنزيل من جناب الرب الجليل . (١)

الثاني: إرشاد المخاطبين من المشركين و" تعليمهم الميز بين آيات الرسل وبين آيات العذاب ." (٢)

الثالث : الإيماء إلى ما في خاطر النبي صلى الله عليه وسلم من الرغبة في إسلامهم، قال الألوسي: " وقيل: لعل هذا جواب لما عسى أن يخطر بخاطره الشريف عليه الصلاة والسلام حين طلبوا منه الإتيان بالملائكة من سؤال التنزيل رغبة في إسلامهم فيكون وجه ذكر التنزيل ظاهرا وهو غير ظاهر كما لا يخفى." (٣)

الرابع: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

١٦٣. [يكسبون ـ يقترفون]

قَالَ تَعَالَى:{وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡسِبُونَ ٱلۡإِثۡمَ سَيُجۡزَوۡنَ بِمَا كَانُواْ يَقۡتَرِفُونَ ﴿١٢٠﴾} [سورة الأنعام:١٢٠]

في الآية الكريمة عدول من (يَكْسِبُون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون إلى (يَقْتَرِفُون) فعل مضارع [و] يَفْتَعِلُون، وذلك العدول في سياق النهي عن ارتكاب جميع الآثام وتهديد كل عاص بالعقاب يوم القيامة. قال أبو زهرة: " وقد جاء ذلك النص السامي في هذا الموضع الذي يذكر فيه إباحة الذبائح التي ذكر فيها اسم الله للإشارة إلى أن الأساس في الذبائح وغيرها، هو ترك

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود (٦٧/٥ـ ٦٨)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٤/ ١٨)

(٣) . تفسير الألوسي (٢٦٠/٧)

الآثام، فذكر اسم غير الله إثم ظاهر وهو شرك واجب تركه، وإن بجوار ترك الإثم الظاهر إثم باطن، وهو ما يتعلق بالنفس من حقد وحسد، ورغبة في الشر، والدس، والنميمة، والغيبة ." (١)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يقترفون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ اختصارًا، قال الطاهر: " ولما جاء في المذنبين فعل يكسبون المتعدي إلى الإثم، جاء في صلة جزائهم بفعل (يقترفون)، لأن الاقتراف إذا أطلق فالمراد به اكتساب الإثم ." (٢) فعلى كلام الطاهر بن عاشور يكون الكسب أعم من الاقتراف فالثاني إذا لم يقيد ينحصر في اكتساب الآثام، فالاقتراف قد يستعمل في الخير، فقد جاء في الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الشورى: ٢٣]

الثاني: الترهيب من اكتساب الآثام، لأنها توجب الخوف الشديد يوم القيامة، وتسبب الحرمان من اللطائف والرحمات، مما يزيد الحسرة والألم، وهذا الترهيب أشار إليه البقاعي . رحمه الله . معتمدًا على تقاليب الكلمة في تحديد دلالتها فقال: " {يقترفون} : يكتسبون اكتساباً يوجب الفرق وهو أشد الخوف ويزيل الرفق، وصيغة الافتعال للدلالة على أن أفعال الشر إنما تكون بمعالجة من النفس للفطرة الأولى السليمة." (٣)

الثالث: الذم، قال الطاهر: " والاقتراف افتعال من قرف إذا كسب سيئة...وهذه المادة تؤذن بأمر ذميم ."(٤) وصدق . رحمه الله . فقد رجعت إلى تاج العروس، فوجدت فيه : القِرْف : قشر الرمان، ميتتة الأرض مما يقتلع من النبات، والقِرفَة : التُّهمَة، وَمن المجازِ: القِرْفَةُ: هِيَ المخاطُ اليابِسُ اللازِقُ فِي الأَنْفِ، والقَرفُ: داءٌ يَقْتُلُ البَعِيرَ (٥)، وعلى هذا يتبين سر العدول وهو التنفير من ارتكاب الآثام وذم المتلبسين بها .

الرابع : الإشارة إلى أن مرتكب الآثام يعتاد المخالفة وتصير طَبْعًا فيه، فالمعصية من شؤمها استتباع أمثالها، ذكر ابن القيم : " أنّ المعاصي تزرع أمثالَها ويولّد بعضها بعضًا حتى يعزّ على العبد مفارقتها والخروج منها، كما قال بعض السلف: إنّ من عقوبة السيئةِ السيئةَ بعدها، وإنّ من ثواب الحسنةِ الحسنةَ بعدها." (٦) وهذا المعنى دلّ عليه فعل الاقتراف، قال ابن فارس :" القاف والراء والفاء أصلٌ صحيح يدلُّ على مخالطةِ الشيءِ والالتباس به وادِّراعِه... ومن الباب: اقترفْتُ الشيء: اكتسبتُه، وكأنه لابَسَه وادَّرَعه." (٧) فالعاصي لغفلته وانتكاس فطرته وانطماس بصيرته دائم المخالطة للمعصية ملتبسٌ بها .

---

(١) . زهرة التفاسير (٢٦٤٨/٥)
(٢) . التحرير والتنوير (٣٨/٨أ)
(٣) نظم الدرر، للبقاعي (٢٤٥/٧)
(٤) التحرير والتنوير (٨/ ١٣)
(٥) تاج العروس، للزبيدي، مادة (قرف) .
(٦) الداء والدواء، لابن القيم (١٣٩/١) ط: دار عالم الفوائد .
(٧) مقاييس اللغة، لابن فارس، مادة (قرف) .

الخامس : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٦٤. [يسمعون ـ يعقلون ـ يتفكرون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِي مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾} [سورة **النحل**:٦٥-٦٩]

في الآيات الكريمة السابقة عدول معجمي من (يَسْمَعُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، إلى (يَعْقِلُون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون، ومنه إلى (يَتَفَكَّرُون) فعل مضارع [و] يَتَفَعَّلُون، وذلك في سياق بيان قدرة الله على الخلق وامتنانه على عباده بالنعم الكثيرة التي لا تحصى كالماء والأنعام والألبان وأنواع الثمرات والعسل وما حوت من جليل المنافع وعظيم الفوائد .

وللعدول إلى الفعل (يعقلون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الحث على إعمال العقل والتدبر في آيات الله العجيبة، فإن ذلك يؤدي إلى المعرفة التامة بأنها من لدن حكيم قادر، قال في درة التنزيل: " وقد علمنا أن الفرث والدم لا ينعصر منه ما يسوغ للشارب، وأن الدم أحمر فيحول بقدرة الله تعالىَ لبناً أبيض طيباً بعد بُعده ممّا استحال عنه في اللون والطيب، ففيه عبرة لمن اعتبر، ولماّ قرن إليه ثمرات النخيل والأعناب وما يتحوّل من عصيرهما إلى ما يستلذ ويجلب ما يسرّ سوى طيب رطبها ويابسها احتاج ذلك إلا تدبّر يعقل به صنع صانع لا يقدر غيره عليه، فلذلك قال ...: (يعقلون) ." (١)

الثاني: الإيماء إلى أن الخمر وإن كان في هذا الوقت مباحًا فتركُه أولى لأنه يغيِّب العقل، كما أن وصف الرزق بالحسن وترك وصف السكر بذلك فيه تنبيه لأولى العقول إلى أنه مفضولٌ غيرُ فاضِلٍ، ويؤيده ما جاء في البقرة قبل التحريم: " **قَالَ تَعَالَىٰ**: { ۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ } [سورة **البقرة**:٢١٩] والعاقل يؤثِرُ ما كان فيه النفع أكبر، كل ذلك تمهيدٌ لتحريم الخمر كليًّا .

قال أبو السعود: " {وَرِزْقًا حَسَنًا} كالتمر والدبس والزبيب والخلّ والآية إن كانت سابقةَ النزول على تحريم الخمر فدالّةٌ على كراهتها ." (٢)

(١) . درة التنزيل (٨٥٠/١ : ٨٥٢)

(٢) . تفسير أبي السعود (١٢٥/٥)

قال الألوسي: " وأنا أقول: إذا كان في الآية إشارة إلى الحط من أمر السكر ففي الختم المذكور تقوية لذلك وله في النفوس موقع وأي موقع حيث أن العقار .كما قيل . للعقول عقال:

إذا دارها بالأكف السقاة ... لخطابها أمهروها العقولا ." (١)

وللعدول إلى الفعل (يتفكرون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى عجائب صنع الله في النحل، وأنها تحتاج إلى مزيد من التأمل والنظر، (٢) قال في درة التنزيل: " وأما اختصاص الثالثة بقوله: (يتفكرون) فلأن التفكر استعمال الفكر حالا بعد حال، وفي النحل عجائب من صنع الله تعالى تتبع كل أعجوبة أعجوبة من طاعتها رئيسها، ثم أشكال ما تبنى من بيوتها التي لو حاول الإنسان مثلها بأمثلة يحتذيها وتقديرات يقدّمها لتعذّر عليه، ثم إنها تجي من أزاهير النبات والأشجار ما هداها إليه إلهام الله تعالى لها وأرشدها إليه، ثم تَقْلِس ما يجتمع في جوفها عسلاً، فهذه أشياء تقتضى فكراً بعد فكر، ونظراً بعد نظر، فلذلك عقبت بقوله: (يتفكرون) ." (٣)

وقال أبو السعود: " {إِنَّ فِي ذَلِكَ} الذي ذكر من أعاجيب آثارِ قُدرةِ الله تعالى {لآيَةً} عظيمة {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} فإن من تفكر في اختصاص النحلِ بتلك العلومِ الدقيقة والأفعالِ العجيبةِ المشتملةِ على حسن الصنعةِ وصِحة القسمة التي لا يقدر عليها حُذّاقُ المهندسين إلا بآلات رقيقة وأدواتٍ أنيقة وأنظار دقيقة جزم قطعاً بأن له خالقاً قادراً حكيماً يلهمها ذلك ويهديها إليه جل جلاله ." (٤)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

و"**إنما ذكر (يسمعون) في الأولى؛ توبيخاً** لمن أنكر البعث واستبعد الحياة الثانية، فكأنه قيل له: إن ذلك قبل التدبر مقرر في أول العقل حتى إن من يسمعه يعترف به، وهو أن الأرض الميتة يحييها الله تعالى بماء السماء فتعود حيّة بنباتها، فكذلك لا يستنكر أن يحي الخليقة بعد موتها. (٥)

قال الطاهر: " والسمع: هنا مستعمل في لازم معناه على سبيل الكناية، وهو سماع التدبر والإنصاف لما تدبروا به. وهو تعريض بالمشركين الذين لم يفهموا دلالة ذلك على الوحدانية. ولذلك اختير وصف السمع هنا المراد منه الإنصاف والامتثال لأن دلالة المطر وحياة الأرض به معروفة مشهورة ودلالة ذلك على وحدانية الله تعالى ظاهرة لا يصد عنها إلا المكابرة." (٦)

---

(١) لـ تفسير الألوسي (٧/٤٢٠)
(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٤/٢١٠)
(٣) . درة التنزيل، للإسكافي (١/٨٥٠ : ٨٥٢)
(٤) تفسير أبي السعود (٥/١٢٦)
(٥) . درة التنزيل "(١/٨٥٠)
(٦) . التحرير والتنوير، للطاهر(١٤/١٩٨)

ب) **بلاغة العدول المعجمي من المضارع غير الثلاثي إلى المضارع غير الثلاثي :**

١٦٥. **[يؤمنون ـ يوقنون]**

قَالَ تَعَالَى: {ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾} [سورة **البقرة**:٢ـ٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (يُؤْمِنُون) إلى (يُوقِنُون) وكلاهما فعل مضارع [و] يُفْعِلُون، وسياق الآية في ذكر خصال المتقين بأنهم يؤمنون بالغيب وما أنزله الله من الكتب القيمة وهم يوقنون بالآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، **ومن أغراض العدول إلى لفظ (يوقنون) مع الآخرة ما يلي:**

الأول: التخصيص؛ مبالغةً في مدح المؤمنين، لأن الإيقان علم عن استدلال ونظر،[١] وهو متمكن في نفوسهم لا يمكن أن يدخله شك ولا شبهة، فهو أخص من الإيمان ومن العلم، قال ابن الجوزي: " اليقين: ما حصلت به الثقة، وثلج به الصدر، وهو أبلغ علم مكتسب "[٢]، وقال البقاعي: " والإيقان ... صفاء العلم وسلامته من شوائب الريب ونحوه، من يقن الماء وهو ما نزل من السماء فانحدر إلى كهف جبل فلم يتغير من قرار ولا وارد ." [٣] فقد أثنى الله على عباده بآكد مراتب العلم والتصديق ذلك لأن اليقين بدار الثواب والعقاب هو الذي يوجب الحذر والفكرة فيما ينجي النفس من العقاب وينعمها بالثواب وذلك الذي ساقهم إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم .[٤]

الثاني: التعريض والذم والتبكيت للكفار من أهل الكتاب وما كانوا عليه " من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمُهم أن الجنة لا يدخُلها إلا من كان هوداً أو نصارى، وأن النارَ لن تمسَّهم إلا أياماً معدوداتٍ... وفي تقديم الصلة وبناءِ (يوقنون) على الضمير تعريضٌ بمن عداهم من أهل الكتاب، فإن اعتقادَهم في أمور الآخرة بمعزل من الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين . "[٥]

وقال الطاهر: " فالتعبير عن إيمانهم بالآخرة بمادة الإيقان لأن هاته المادة، تشعر بأنه علم حاصل عن تأمل وغوص الفكر في طريق الاستدلال لأن الآخرة لما كانت حياة غائبة عن المشاهدة غريبة بحسب المتعارف وقد كثرت الشبه التي جرت

---

(١). تفسير المنار (١/١١٢.١١٣)

(٢). زاد المسير، لابن الجوزي (١/٢٩)

(٣). نظم الدرر للبقاعي (١/٣٦)

(٤). ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٢٣٩)

(٥). تفسير أبي السعود (١/٣٣) وتفسير الألوسي (١/١٢٥)

المشركين والدهريين على نفيها وإحالتها، كان الإيمان بها جديراً بمادة الإيقان بناء على أنه أخص من الإيمان، فالإيثَار {يوقنون} هنا خصوصية مناسبة لبلاغة القرآن ." [١]

الثالث: الاهتمام والتعظيم [٢]، **فقد نص على الإيقان بالآخرة** مع دخوله في الإيمان بالغيب لأهميته؛ لأن الإيمان بها يحمل على فعل المأمور، وترك المحظور، فالتقوى لا تتم إلا مع اليقين بالآخرة الذي لا يجامع نسيانها، دون الإيمان المجرد، فإن الإنسان ربما يؤمن بشيء ويذهل عن بعض لوازمه فيأتي بما ينافيه، لكنه إذا كان على علم وذكر من يوم يحاسب فيه على الخطير واليسير من أعماله لا يقتحم معه الموبقات ولا يحوم حول محارم الله سبحانه البتة .

فاليقين هو أساس الإيمان الذي لا يقوم إلا عليه، فإن إيمان من يعتمد على مجرد الظن إيمان متزلزل لا ثبات له، فهو منهار الأسس منهد الأركان، قال الطنطاوي: " ولا شك أن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من ثواب وعقاب، له أثر عظيم في فعل الخيرات، واجتناب المنكرات، لأن من أدرك أن هناك يوماً سيحاسب فيه على عمله، فإنه من شأنه أن يسلك الطريق القويم الذي يكسبه رضي الله يوم يلقاه ." [٣]

الرابع: الإشارة إلى كثرة غرائب الآخرة، قال أبو حيان: وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحابها على خلاف النشأة الدنيوية ورؤية الله تعالى . فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب المنزل، فلذلك خص بلفظ الإيقان ولأن المنزل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم مشاهد أو كالمشاهد، والآخرة غيب صرف، فناسب تعليق اليقين بما كان غيباً صرفاً." [٤]

الخامس: التفنن في التعبير؛ منعا للتكرار [٥]، قال الطاهر: "، والذين جعلوا الإيقان والإيمان مترادفين جعلوا ذكر الإيقان هنا لمجرد التفنن تجنباً لإعادة لفظ {يؤمنون} بعد قوله: {والذين يؤمنون بما أنزل إليك} ." [٦]

١٦٦. [نسبح ـ نقدس]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾} [سورة البقرة:٣٠]

---

(١). التحرير والتنوير، للطاهر (١/٢٤٠)
(٢). ينظر: نظم الدرر (١/٣٦)
(٣). التفسير الوسيط، للطنطاوي (١/٤٥)
(٤). البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ١٦٧)
(٥). ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ١٦٨)
(٦). التحرير والتنوير، للطاهر (١/٢٤٠)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نُسَبِّحُ) إلى (نُقَدِّسُ) وكلاهما فعل مضارع [و] نُفَعِّلُ، وذلك في سياق إخبار الله لملائكته بخلق آدم عليه السلام، وجعله خليفة في الأرض، وتفضيله على سائر مخلوقاته وتعليمه الأسماء كلها .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (نقدس) أغراض بلاغية منها:

الأول: التأكيد، وصرَّح بذلك الزمخشري وأبو حيان واستدلَّا على ذلك بأن التقديس هو: التطهير، والتسبيح هو: التنزيه والتبرئة من السوء، فهما متقاربان في المعنى[١] لكن الشوكاني عقَّب على ذلك قائلًا : " التأسيس خير من التأكيد خصوصاً في كلام الله سبحانه ." [٢] والأوجه البلاغية الآتية توضح ذلك .

الثاني: التعميم للمبالغة في التعظيم للباري عز وجل، [٣] وذلك لأن التقديس أعم فيشمل تقديس الله وتقديس غيره، فكأنهم قالوا : نطهر كل شيء نقدر عليه من نفوسنا وغيرها، ونعظمك غاية التعظيم؛ لأنك في الغاية من الطهارة والعلو في كل صفة . ورجَّح الماوردي كون التسبيح أخص من التقديس، وإن كان كلاهما دالا على التعظيم، حيثُ قال . رحمه الله . : " ولا يجوز أن يسبَّحَ غَيْرُ اللهِ، وإن كان منزهاً، لأنه صار علَماً في الدين على أعلى مراتب التعظيم الَّتي لا يستحقها إلا اللهُ تعالى ." [٤]

والتسبيح يكون بالقول، بينمَا التقديس يكون بالقول والعمل والاعتقاد، فيكون التعميم متوجِّهًا إلى متعلقات الأفعال، لذلك رأى الألوسي أن العدول إلى (نقدِّس) لأنه أبلغ، وقال : " ويشهد له أنه حيث جمع بينهما أُخِّرَ نحو (سبوح قدوس) "[٥]

الثالث: الإشارة إلى أن الملائكة الكرام دائمو التعظيم لله جل وعلا، **قَالَ تَعَالَىٰ:{يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠}** [الأنبياء : ٢٠]، نقل البقاعي عن الحرالي أنه قال : " القدس **طهارة دائمة** لا يلحقها نجس ظاهر ولا رجس باطن." [٦]

الرابع: التتميم للمعنى؛ لأن التسبيح: تنزيه لله عن كل سوء ونقيصة، والتقديس كذلك لكنْ يزيد عنه بأنه وصف الله بما يليق به من العلو والعظمة، قال الطاهر : " فلا يتوهم التكرار بين (نسبح) و (نقدس) ." [٧]

---

(١). ينظر: الكشاف للزمخشري (١/ ١٥٤)
(٢). فتح القدير، للشوكاني (٦٣/١)
(٣). ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٨٨/١)
(٤). النكت والعيون، للماوردي (١/ ٩٧)
(٥). ينظر: روح المعاني، للألوسي **(١/ ٢٢٤)**
(٦). ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٨٨/١)
(٧). ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٤٠٦)

الخامس : التفنن في التعبير،؛ تجنبًا للتكرار .

١٦٧. [وليبتلي ـ وليمحص]

قَالَ تَعَالَى:{ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾} [سورة آل عمران:١٥٤]

العدول في الآية الكريمة من (يَبْتَلِيَ) فعل مضارع [و] يفْتَعِلَ، إلى (يُمَحِّصَ) فعل مضارع [و] يُفَعِّلَ، وذلك في سياق الامتنان على المؤمنين بالأمن والنعاس، بعدما أصابهم الغم يوم أحد، وذكْر حال الذين أهمتهم أنفسهم فرُّوا من المعركة عندما أعمل المشركون فيهم سيوفهم بسبب انشغال الرماة المسلمين بجمع الغنائم، وتركهم ميدان القتال فتضرر المسلمون بذلك ضررا شديدًا .

والعدول المعجمي إلى (يمحص) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الامتنان على المؤمنين بتطهير قلوبهم وتخليصها مما يشينها، بعد تحذير المنافقين من كشف حالهم للمؤمنين، قال الألوسي: " وقيل: إن الخطاب الأول: للمنافقين، والثاني: للمؤمنين وأنه سبحانه إنما خص الصدور بالأولين لأن الصدر معدن الغل والوسوسة فهو أوفق بحال المنافقين، وخص القلوب بالآخرين لأن القلب مقر الإيمان والاطمئنان وهو أوفق بحال المؤمنين ." (١)

الثاني: الإشارة إلى أن التمحيص مورده النيات والعقائد التي في القلب (٢) قال ابن عادل: " لما اختلف المتعلَّقان حسنَ اختلافُ لفظَيْهما ." (٣) والتمحيص تخليص الشيء ممَّا يخالطه ممَّا فيه عيب له فهو ومعنى تمحيص ما فيه قلوبهم تطهيرها ممَّا يخامرها من الريب حين سماع شُبه المنافقين الّتي يبثُّوها بينهم ؛ لذلك عُدِّيَ إلى القلوب فعل التمحيص لأنّ الظنون والعقائد محتاجة إلى التمحيص لتكون مصدر كلّ خير (٤).

---

(١). روح المعاني، للألوسي (٢/ ٣١٦)
(٢). ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٢/٢٨٦)
(٣). تفسير ابن عادل (١٢٨٣)
(٤). ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٤/ ١٣٩)

الثالث: التفنن في العبارة؛ تجنبًا للتكرار، قاله النيسابوري [(١)].

١٦٨. [تعقلون ـ تذكرون ـ تتقون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ ۞ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾} [سورة الأنعام:١٥١ـ١٥٣]

يلاحظ في الآيات السابقة التعبير أولا بلفظ (تَعْقِلُون) فعل مضارع [و] تَفْعِلُون، ثم عدل عنه إلى (تَذَكَّرُون) فعل مضارع [و] تَفَعَّلُون، ومنه إلى (تتقون) فعل مضارع [و] تَفْتَعُون، وذلك في سياق ذكر الوصايا الربانية التي إن التزم بها العباد سعدوا في الدينا والآخرة .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تَذَكرون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الحث على تذكر تلك الخصال [(٢)] التي كان العرب يعتزون بها، وهي المحافظة على مال اليتيم وإيفاء الكيل والميزان والعدالة في القول والوفاء بالعهد، قال الطاهر: " وجاء مع هذه الوصية بقوله: لعلكم تذكرون؛ لأن هذه المطالب الأربعة عرف بين العرب أنها محامد، فالأمر بها، والتحريض عليها تذكير بما عرفوه في شأنها ولكنهم تناسوه بغلبة الهوى وغشاوة الشرك على قلوبهم." [(٣)]

قال الألوسي: " أما حفظ أموال اليتامى عليهم. وإيفاء الكيل. والعدل في القول. والوفاء بالعهد فكانوا يفعلونه ويفتخرون بالاتصاف به فأمرهم الله تعالى بذلك لعلهم يذكرون إن عرض لهم نسيان." [(٤)]

---

(١). ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري (٢/٢٨٦)

(٢) ينظر: درة التنزيل (٢/ ٥٦٩)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨أ / ١٧٠)

(٤) . تفسير الألوسي (٤/ ٢٩٩)

الثاني: الإشارة إلى أن بعض هذه الأحكام تحتاج لدوام التذكر لأنها تخالف شهوات النفس[1] فيكثر نسيانها وترك العمل بها، فلذلك ختمت الآية الكريمة بالتذكر الذي هو ضد النسيان، " فإنها خفية لَا يدركها المرء إلا بعد التأمل والنظر والذكر الكثير حتى يقف على موضع الاعتدال . [2] " ومن تذكر أبصر فعقل فامتنع، قال تعالى: "إن الذين اتقوا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " [3]

الثالث: التنبيه على أن التفكر فيما ذكر من وصايا يؤدي إلى الاتعاظ وذلك موصلٌ إلى التقوى، قال البقاعي: " إذا كان العقل دعا إلى التذكير فحمل على التقوى. ." [4]

الرابع : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تتقون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الحث على تقوى الله وأنها لا تحصل إلا باجتناب النواهي وامتثال الأوامر، ومنها الالتزام بتلك الوصايا العشر، فمن " عقل وتذكر اتقى والمتقون هم المفلحون ." [5] ففي الآية الأولى ذكر طائفة من المنهيات والثانية أكثرها أوامر، فحسن العدول إلى فعل التقوى في الآية الثالثة؛ إشارة إلى توقف التقوى على كلا الفعلين : اجتناب النواهي وامتثال الأوامر .

الثاني: التحذير من اتباع الملل الأخرى غير الإسلام، زيادة التحذير يناسبها التعبير بالتقوى، لأن معناها: أن يجعل العبد بينه وبين عقاب الله وقاية،، فاتباع السبل وترك صراط الله المستقيم سبب للهلاك ووقوع أشد العذاب، فذكر التقوى هنا أنسب، قال ابن جماعة: " ترك اتباع الشرائع الدينية مؤد إلى غضب الله تعالى وإلى جهنم لما فيه من معصية الله تعالى، فحسن: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) ذلك، أو تتقون عذاب الله سبحانه بسببه." [6]

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما اختيار الفعل (تعقلون) في الآية الأولى فلأن المذكور في الآية: الشرك وقتل الأولاد لأجل الفقر وارتكاب الفواحش وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وذلك مما يدرك قبحه عقلًا؛ "فلذلك قال: (لعلكم تعقلون) أي تستعملون العقل الذي يحبس نفوسكم عن قبيح الإرادات وفواحش الشهوات." [7]

---

(١) ينظر: نظم الدرر، للبقاعي (٧/ ٣٢٠)
(٢) . ينظر: تفسير ابن عرفة (٢/٢٠٠)، والبحر المحيط (٤/٦٩٠)
(٣) . ملاك التأويل، لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٢٤٤)
(٤) . نظم الدرر، للبقاعي (٧/ ٣٢١)
(٥) . ملاك التأويل، لأبي جعفر الغرناطي (١/ ٢٤٤)
(٦) . كشف المعاني، لابن جماعة ص (١٧٠)
(٧) . درة التنزيل، للخطيب (٢/ ٥٦٦ . ٥٦٧)

وقال ابن جماعة: " أن الوصايا الخمس إنما يحمل على تركها العقل الغالب على الهوى، لأن الإشراك بالله لعدم استعمال العقل الدال على توحيد الله وعظمته ونعمه على عبيده، وكذلك عقوق الوالدين لا يقتضيه العقل لسبق إحسانهما إلى الولد بكل طريق، وكذلك قتل الأولاد بالوأد من الإملاق مع وجود الرازق الكريم، وكذلك إتيان الفواحش لا يقتضيه عقل، وكذلك قتل النفس لغيظ أو غضب في القاتل فحسن بعده: (تَعْقِلُونَ) ." (١)

١٦٩. [يتفكرون ـ يعقلون ـ يذكرون]

قَالَ تَعَالَى:{ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرۡعَ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلۡأَعۡنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتُۢ بِأَمۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأَ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣﴾}
[سورة النحل:١١–١٣]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (يَتَفَكَّرُون) فعل مضارع [و] يَتَفَعَّلُون، إلى (يَعْقِلُون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون ومنه إلى (يَذَّكَّرُون) فعل مضارع [و] يَتَفَعَّلُون، وذلك في سياق الامتنان على العباد بالنعم الكثيرة من الزروع والثمار وتسخير الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغير ذلك، وذكر ذلك تبيينًا لبعض مظاهر قدرة الله ـ عز وجل.

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يعقلون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى ظهور دلائل القدرة في الآثار العلوية (٢) لكل ذي عقل، قال الطاهر: " وهذا انتقال للاستدلال بإتقان الصنع على وحدانية الصانع وعلمه، وإدماج بين الاستدلال والامتنان. ونيطت الدلالات بوصف العقل لأن أصل العقل كاف في الاستدلال بها على الوحدانية والقدرة، إذ هي دلائل بينة واضحة حاصلة بالمشاهدة كل يوم وليلة." (٣)

وفي ذلك ردٌّ ضمني لمن ينسبون تصريف الأمور إلى الكواكب والنجوم، بأنها مُسَخَّرةٌ بإذن الواحد القاهر الحكيم، قال السيوطي :" فجعل مقطع هذه الآية العقل، وكأنه قيل : إن كنت عاقلًا فاعلم أن التسلسل باطل، فوجب انتهاء الحركات إلى حركة يكون موجدها ... هو الإله القادر المختار ." (٤)

الثاني: التفنن في التعبير زوال كلفة التكرار .

---

(١) . كشف المعاني، لابن جماعة ص (١٧٠)
(٢) ينظر: تفسير البيضاوي (٢٢٢/٣)وحاشية الشهاب على البيضاوي (٣١٦/٥) البحر المحيط، لأبي حيان (٥١٣/٦)
(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١١٦/١٤)
(٤) . معترك الأقران، للسيوطي(٣٣/١)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (يذكرون) أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه إلى أن المشركين كانوا على معرفة تامة بما ذكر لكنهم تناسوا ذلك لغلبة الهوى وشدة العناد، قال أبو حيان: " وختم هذا بقوله: يذكرون، ومعناه الاعتبار والاتعاظ، كان علمهم بذلك سابق طرأ عليه النسيان فقيل: يذكرون أي: يتذكرون ما نسوا من تسخير هذه المكونات في الأرض." (١)

الثاني: الإيماء إلى ضرورة شكر المنعم على تلك النعم السالفة، لأن من تذكر نعمة الله عليه وإحسانه إلى خلقه بأصول النعم وفروعها دعاه ذلك إلى شكر ربه، وألمح إلى هذا المعنى ابن كثير رحمه الله . (٢)

الثالث: الحث على بذل الجهد في التأمل للتوصـــل إلى أن هذه المخلوقات و" اختلافها في الطباع والهيئات والمناظر ليس إلا بصنع صانع حكيم." (٣)

قال البقاعي: " ولما نبه في التي قبلها على أن الأمر وصل في الوضوح إلى حد لا يحتاج معه إلى غير بديهة العقل، نبه هنا على أن ذلك معلوم طرأ عليه النسيان والغفلة، حثاً على بذل الجهد في تأمل ذلك، وإشارة إلى أن دلالته على المقصود في غاية الوضوح فقال: {لقوم يذكرون} ." (٤)

الرابع: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما اختيار الفعل يتفكرون أولا فذلك لأن " مَنْ تأمل أن الحبة تقع في الأرض وتصل إليها نداوة تنفذ فيها، فينشق أعلاها ويخرج منه ساق الشجرة، وينشق أسفلها فيخرج منه عروقها. ثم ينمو ويخرج منه الأوراق والأزهار والأكمام والثمار، ويشتمل كل منها على أجسام مختلفة الأشكال والطباع مع اتحاد المواد ونسبة الطبائع السفلية والتأثيرات الفلكية إلى الكل، علم أن ذلك ليس إلا بفعل فاعل مختار مقدس عن منازعة الأضداد والأنداد." (٥)

وقال البقاعي: " ولما كان ذلك ممن يحس، وكان شغل الحواس بمنفعته – لقربه وسهولة ملابسته – ربما شغل عن الفكر في المراد به، فكان التفطن لدلالته يحتاج إلى فضل تأمل ودقة نظر، قال تعالى: {لقوم يتفكرون *} أي في أن وحدته وكثرة ما يتفرع عنه دليل على وحدة صانعه وفعله بالاختيار ." (٦)

---

(١) . البحر المحيط، لأبي حيان (٦/٥٠٠)
(٢) . ينظر: تفسير ابن كثير .(٤/٥٦٢)
(٣) . تفسير البيضاوي (٣/٢٢٢)
(٤) . نظم الدرر، للبقاعي (١١/ ١٢٣)
(٥) . تفسير البيضاوي (٣/٢٢١)
(٦) . نظم الدرر، للبقاعي (١١/١١٩)،

وقال أبو حيان: " وخص المتفكرين لأن ما احتوت عليه هذه الآيات من الصنيع العجيب لا يدرك إلا بالتفكر. " (١)

المبحث الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع

تقلُّ شواهد العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع في النصف الأول من القرآن الكريم، ولتوضيح هذا النوع العدولي فسوف يكون الحديث في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع الثلاثي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع الثلاثي

وفيه دراسة لبلاغة العدول المعجمي من الأمر(فأتوا) إلى المضارع(تفعلوا) في سورة البقرة، على النحو الآتي :

١٧٠. [فأتوا ـ تفعلوا]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾} [سورة البقرة:٢٣ـ٢٤]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (فَأْتُوا) فعل أمر [و] فَفْعُوا، إلى (تَفْعَلُوا) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَلُوا، وذلك في سياق تحدي العرب وتعجيزهم من الإتيان بمثل القرآن الكريم الذي فاق جميع الكلام فصاحة وبلاغة لأنه من لدن حكيم خبير .

---

(١) . البحر المحيط، لأبي حيان (٣٤٨/٦)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (تفعلوا) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيجاز والبعد عن التطويل، وقد ذكر الزمخشري أن لفظ الفعل جارٍ مجرى الكناية التي تعطي اختصاراً ووجازة تغني عن طول المكنى عنه وقال . رحمه الله . :" لو لم يعدل عن لفظ الإتيان إلى لفظ الفعل، لاستطيل أن يقال: فإن لم تأتوا بسورة من مثله . ولن تأتوا بسورة من مثله ." (١)وهكذا قال الرازي في تفسيره،(٢) لكنّ أبا حيان قد نبَّه إلى أن ما ذكره الزمخشري غير لازم؛ لأنه لو قيل: فإن لم تأتوا ولن تأتوا، كان المعنى على ما ذكر ويكون قد حذف ذلك اختصاراً، كما حذف اختصاراً مفعول لم تفعلوا ولن تفعلوا فهما سيان في الحذف . (٣)

الثاني: التعميم للمبالغة، قال البقاعي: " والتعبير بالفعل الأعم من الإتيان أبلغ لأن نفيه نفي الأخص وزيادة ." (٤) نقل الطيبي عن الراغب : أن لفظ الفعل أعم معنىً من سائر أخواته نحو الصنع والإبداع والإحداث والخلق والكسب والعمل (٥)، فالإخبار بأنهم لم يفعلوا أمكن في باب التحدي لأنهم لا يستطيعون من هذا القبيل شيئا إيذانا بتمكن عجزهم وضعف حيلتهم وتذكيرا بأنه من عند الله ولا يطيقه البشر .

الثالث: الإيذان بأن المقصود بالتكليف إيقاع نفس الفعل المأمور به؛ لإظهار عجزهم عنه لا تحصيل المفعول ضرورةَ استحالته، وإن مناط الجواب في الشرطية أعني الأمر بالاتقاء هو عجزهم عن إيقاعه لا فوت حصول المقصود . (٦) فكأن المطلوب منهم بذل المحاولة فحسب؛ وقد عجزوا عن ذلك مع توفر الدواعي لذلك .

الرابع: التهويل من شأن العناد، وذكره البيضاوي حيث قال: " عبر عن الإتيان المكيف بالفعل الذي يعم الإتيان وغيره؛ ...تهويلا لشأن العناد، وتصريحا بالوعيد مع الإيجاز ." (٧)

الخامس: التسجيل على الكافرين بعجزهم عن المعارضة والتنبيه على تباطئهم عن ذلك الفعل؛ تهكمًا بهم، فالفعل يدل على الإسراع في استعماله القرآني، ونفيه بقوله (لم تفعلوا) يشير إلى ذلك التباطؤ لعلمهم أن ذلك فوق طاقتهم وأنه ليس من قبيل كلام البشر، وكأن ذكر مادة الفعل المنفي تصوير لنكوصهم على أعقابهم خائبين وعدم اجترائهم على الإتيان بمثله قال الجصاص: " وقوله تعالى: {وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين} فيه أكبر دلالة على صحة نبوّة نبينا عليه السلام من وجوه: أحدها أنه تحداهم بالإتيان بمثله، وقرَّعهم بالعجز عنه مع

(١) الكشاف، للزمخشري (١٣١/١)
(٢) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣٥٢/٢)
(٣) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (٢٤٨/١)
(٤) نظم الدرر، للبقاعي (٦٥/١)
(٥) ينظر: فتوح الغيب، للطيبي (٢/ ٣٣٣)
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود (٦٦/١)
(٧) تفسير البيضاوي (٥٨/١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ما هم عليه من الأنفة والحميَّة، وأنه كلام موصوف بلغتهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم منهم تعلم اللغة العربية، وعنهم أخذ، فلم يعارضه منهم خطيب، ولا تكلفه شاعر، مع بذلهم الأموال والأنفس في توهين أمره، وإبطال حججه، وكانت معارضته لو قدروا عليها أبلغ الأشياء في إبطال دعواه وتفريق أصحابه عنه؛ فلما ظهر عجزُهم عن معارضته دلَّ ذلك على أنه من عندِ الله الذي لا يُعجزه شيء، وأنه ليس في مقدور العباد مثله ." (١)

السادس: مراعاة الفصاحة اللغوية من جهتين :

أولاهما :التفنن بالتعبير؛ تجنبًا للتكرار، فالعدول إلى (تفعلوا) أفضل من الإبقاء على مادة الإتيان ثلاث مرات .

ثانيهما : الخفة اللفظية، حيث لو قيل: (فإن لم تأتوا ولن تأتوا) لثقل الكلام لتكرر اللفظ واشتماله على أثقل الحروف وهو الهمز، فكان العدول إلى (تفعلوا) أخف لفظًا .

أما استعمال الفعل (فأتوا) لإرخاء العنان استدراجا لهم في بذل المحاولة ليقوموا بذلك فلا يستطيعوا. وذلك لأن الإتيان في لغة العرب يطلق على المجيء السهل، وعلى ذلك يشير إلى قوتهم في جانب البلاغة والفصاحة وتمكنهم من فنون القول وقد طلب منهم الإتيان باليسير ولو بأصغر سورة كالعصر والكوثر، فعجزهم عن الفعل مع قوتهم ويسر المطلوب حجة قاطعة عليهم بصدق النبي وأن هذا كلام الله لا قول بشر .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع غير الثلاثي

وفيه دراسة لشاهد واحدٍ لتوضيح الأوجه البلاغية للعدول المعجمي من الأمر(اعبدوا) إلى المضارع غير الثلاثي(تتقون) في سورة البقرة، على النحو الآتي :

١٧١. [اعبدوا ـ تتقون]

قَالَ تَعَالَى:{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ [سورة البقرة:٢١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اعْبُدُوا) فعل أمر [و] افْعُلُوا، إلى (تَتَّقُون) فعل مضارع [و] تَفْتَعُون، وذلك العدول في سياق الامتنان على العباد بنعمة الإيجاد والإمداد حثًّا لهم على صرف العبودية إليه سبحانه؛ لأنه ـ جل شأنه . أهل أن يتَّقى ويعبد .

(١) أحكام القرآن، للجصاص (٥٩/١)

والعدول المعجمي من الفعل (اعبدوا) إلى الفعل (تتقون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة، والتنبيه إلى فضيلة التقوى ووجوب الاجتهاد في عبادة الله ـ عز وجل ـ إذ هو المستحق لغاية الخضوع والطاعة وكمال المحبة؛ لأنه المتفرد بنعمة الإيجاد والإمداد قال الزمخشري: " فإن قلت: فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا ؟ أو اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم . قلت: ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدّي ذلك إلى تنافر النظم . وإنما التقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده . فإذا قال: {اعبدوا رَبَّكُمُ الذى خَلَقَكُمْ} **للاستيلاء على أقصى غايات العبادة كان أبعث على العبادة، وأشدّ إلزاماً لها، وأثبت لها في النفوس** . ونحوه أن تقول لعبدك: احمل خريطة الكتب، فما ملكتك يميني إلا لجرّ الأثقال . ولو قلت: لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع ." (١)

قال الطيبي: " وحاصل الجواب: **أن المطابقة حاصلة من حيث المعنى مع إعطاء معنى المبالغة**، وهي: أن التقوى عرفًا عبارة عن الإتيان بجميع المأمورات والانتهاء عن جميع المنهيات، وإليه الإشارة بقوله: "والتقوى قصارى أمر العابد ومنتهى جهده" ويمكن أن يكون الأسلوب من باب الترقي، والمراد في "لعلكم" معنى الترجي، لكن معناه راجع إلى المكلف، أي: اعملوا في عبادة ربكم علم من يرجو الترقي فيها من الأهون إلى الأغلظ." (٢)

الثاني : التحذير من اغترار العابد بعبادته، (٣) بل يجب أن يكون ذا خوفٍ من الله ورجاءٍ فيما عنده، مخلصًا لربه في كل ما يأتي وما يذر، فالتقوى منتهى درجات السالكين وتقتضي التبري من كل شيء سوى الله تعالى، والاعتماد عليه وحده في دفع المضار وجلب المنافع .

الثالث: الترهيب وذلك لأن " الاتقاء هو الاحتراز عن المضار " (٤)وناسب جدًّا هنا لأن من أعظم المضار زوال النعم، وسياق الآية الكريمة في التعريف بالمنعم وإحسانه إلى الخلق فقد جعل الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به ثمرات كل شيء رزقًا للعباد وذلك مما يوجب عبادته ـ عز شأنه ـ، فكأن ذكر التقوى ترهيب من زوال تلك النعم العديدة .

الرابع: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، لأنه لو قيل: " اعبدوا ربكم ... لعلكم تعبدون " لكان مثل: : اضرب زيداً لعلك تضربه، واقصد خالداً لعلك تقصده، ولا يخفى ما في هذا من غثاثة اللفظ وفساد المعنى، والقرآن متنزه عن ذلك،

(١) الكشاف، للزمخشري (١/ ١٢٤)
(٢) فتوح الغيب، للطيبي (٢/٣٠١)
(٣) ينظر: تفسير البيضاوي (١/٥٤)
(٤) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٢٣٥)

والذي جاء به القرآن هو في غاية الفصاحة، إذ المعنى أنهم أمروا بالعبادة على رجائهم عند حصولها حصول التقوى لهم، لأن التقوى مصدر اتقى، واتقى معناه اتخاذ الوقاية من عذاب الله، وهذا مرجو حصوله عند حصول العبادة، قاله أبو حيان [1] .

المبحث الرابع

بلاغة العدول المعجمي إلى الماضي والمضارع

ويندرج تحت هذا المبحث مطلبان :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي والمضارع .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي والمضارع .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي والمضارع .

قد ورد العدول المعجمي من المضارع إلى الماضي والمضارع في شاهدٍ واحدٍ في سورة النساء، وذلك على النحو التالي :

١٧٢. **[وليخش ـ خافوا ـ فليتقوا]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٩﴾} [سورة النساء:٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (وَلْيَخْشَ) فعل مضارع مجزوم [و] ولْيَفْعَ، إلى (خَافُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا ومنه إلى (فَلْيَتَّقُوا) فعل مضارع مجزوم [و] فَلْيَفْتَعُوا، وذلك في سياق أمر الأوصياء بالمحافظة على أموال اليتامى وأن يفعلوا باليتامى الفعل الذي يحبون أن يفعل مع ذرياتهم الضعاف من بعدهم، أو في سياق أمر عوَّاد المريض بأن يخشوا الله ولا يحملوا المريض على أن يحرم أولاده الضعفاء من ماله. أو في سياق أمر الموصين بأن يشفقوا على ورثتهم، فلا يسرفوا في الوصية لغيرهم لأن الإسراف في ذلك يؤدى إلى ترك الورثة فقراء.

---

(١) ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١/ ٢٣٥)

والعدول إلى الفعل (خافوا) له اغراض بلاغية منها:

الأول: إثارة الشفقة والحنان في قلوب الناس تجاه اليتامى والأولاد الصغار؛ لئلا يقع عليهم الفقر والحرمان، فالخوف: الحذر من وقوع المكروه و "يكون لضعف الخائف"[(١)] وناسب هنا لأنه في سياق التذكير بضعف المخاطبين وأنهم إذا اتقوا الله أمنوا على أنفسهم من العذاب وأمنوا على أولادهم من بعدهم، فالله حسبهم ونعم الوكيل .

الثاني: مراعاة للفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير والبعد عن التكرار.

ثانيهما : الخفة اللفظية، فقوله تعالى : (خافوا عليهم) أخف لفظًا من (خشوا عليهم) .

والعدول إلى (فليتقوا الله) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة الترهيب من الوقوع في المخالفة، فالتقوى من الفعل وقى ومعناها: أن يجعل المرء بينه وبين عذاب الله وقاية . قال الطاهر: " وقوله (فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا) فرع الأمر بالتقوى على الأمر بالخشية وإن كانا أمرين متقاربين: لأن الأمر الأول لما عضد بالحجة اعتبر كالحاصل فصح التفريع عليه والمعنى: فليتقوا الله في أموال الناس وليحسنوا إليهم القول ." [(٢)] ويؤيد هذا الوجه التعبير باسم (الله) الجامع لصفات الجلال والجمال؛ ليستحضروا عظمته ويخافوا عقابه .

الثاني: التعميم، قال الطاهر: " والتقوى الشرعية هي امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الاسترسال على الصغائر ظاهراً وباطناً أي اتقاء ما جعل الله الاقتحام فيه موجباً غضبه وعقابه ." [(٣)]

الثاني: الإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع، قال القاسمي: " وفي الآية إشارة إلى إرشاد الآباء، الذين يخشون ترك ذرية ضعاف، بالتقوى في سائر شؤونهم حتى تحفظ أبناؤهم وتغاث بالعناية منه تعالى . ويكون في إشعارهم تهديد بضياع أولادهم إن فقدوا تقوى الله تعالى . وإشارة إلى أن تقوى الأصول تحفظ الفروع . وأن الرجال الصالحين يحفظون في ذريتهم الضعاف ." [(٤)]

الثالث: الإشارة إلى أن تقوى الله من آثار خشيته، قال أبو حيان: " وانظر إلى حسن ترتيب هذه الأوامر حيث بدأ أولاً بالخشية التي محلها القلب وهي الاحتراز من الشيء بمقتضى العلم، وهي الحاملة على التقوى، ثم أمر بالتقوى ثانياً وهي متسببة عن الخشية، إذ هي جعل المرء نفسه في وقاية مما يخشاه . ثم أمر بالقول السديد، وهو ما يظهر من الفعل الناشئ عن التقوى الناشئة عن الخشية ." [(٥)]

---

(١). البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٧/ ٤٧٠)
(٢). التحرير والتنوير، للطاهر (٤/ ٢٥٣)
(٣). التحرير والتنوير، للطاهر (١/٢٥٦)
(٤). محاسن التأويل، للقاسمي (٣/٣٦)
(٥). البحر المحيط، لأبي حيان (٣/١٨٦)

الرابع : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الماضي والمضارع

في هذا المطلب سوف يكون الحديث عن التوجيه البلاغي للعدول من الأمر إلى الماضي والمضارع، ولذلك شاهد واحد في القرآن الكريم النصفِ الأولِ منه في سورة الأعراف، على النحو التالي :

١٧٣. [كلا ـ تقربا ـ ذاقا]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ فَكُلَا مِنۡ حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩ فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ ٢٠ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٖۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢} [سورة الأعراف:١٩ـ٢٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كُلا) فعل أمر [و] عُلَا إلى (تقربا) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَلَا ومنه إلى (ذاقا) فعل ماضٍ [و] فَعَلَا، وذلك في سياق ذكر قصة آدم عليه السلام وهو في الجنة إذ أمره الله تعالى أن يأكل مما في الجنة جميعًا إلا شجرة واحدة يجب أن يبتعد عنها ولا يأكل منها، لكن الشيطان وسوس إليهما ونسيا فتناولا منها شيئًا فبدت لهما سوءاتهما وغطيا أنفسهما بورق الجنة وعاتبهما ربهما على ذلك وتابا إلى الله وقبل توبتهما فهو الغفور الرحيم .

والعدول إلى الفعل (تَقْرَبَا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في تحريم الأكل من هذه الشجرة، ووجوب الابتعاد عنها، هكذا قال البيضاوي **في تفسيره، معتمدًا** على أن القرب من الشجرة من مقدمات التناول فالنهي عنه تأكيدٌ للحرمة [١] بما لا مزيد عليه .

الثاني: الإشارة إلى أن القرب من الحرام سبب يؤدي إلى الوقوع فيه، قال البيضاوي: " تعليق النهي بالقرب الذي هو من مقدمات التناول ... **تنبيهاً على أن القرب من الشيء يورث داعية،** وميلاً يأخذ بمجامع القلب ويلهيه عما

(١). ينظر: تفسير البيضاوي (٧٢/١)

هو مقتضى العقل والشرع، كما روي «حبك الشيء يعمي ويصم» فينبغي أن لا يحوما حول ما حرم الله عليهما مخافة أن يقعا فيه ." [1]

الثالث : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

أما العدول إلى (ذَاقَا) فقد أفاد أمورًا:

الأول: الإشارة إلى أنهما تناولا اليسير [2] **قصدا** إلى معرفة طعمه، وبه صرح الرازي [3].

الثاني: التنبيه على أن هذه العقوبة حلت بهما أثناء أكلهما فور حصول الذوق،[4] وهذا يؤذن بشؤم المعصية وسرعة مؤاخذة الله لمن عصى **ففيه ترهيب** من معصية الله والشروع فيها وخصت الأعراف بالذوق لأن مقصودها إنذار المعرضين .

قال الطاهر: " والذوق إدراك طعم المأكول أو المشروب باللسان، وهو يحصل عند ابتداء الأكل أو الشرب، ودلت هذه الآية على أن بدو سوآتهما حصل عند أول إدراك طعم الشجرة، دلالة على سرعة ترتب الأمر المحذور عند أول المخالفة." [5]

(١). ينظر: تفسير البيضاوي (٧٢/١)
(٢). ينظر: تفسير ابن عطية (٣٨٦/٢) وروح المعاني، للألوسي (٤/ ٣٤١)
(٣). ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٢٢٠/١٤)
(٤). ينظر: نظم الدرر (٧/ ٣٧٤)
(٥). التحرير والتنوير، للطاهر (٨ب/ ٦٢)

المبحث الخامس

بلاغة العدول المعجمي إلى المضارع والأمر

ويندرج تحته مطلبان :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع والأمر .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر والمضارع إلى المضارع والأمر .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى المضارع والأمر

وعلى هذا النوع العدولي في القرآن الكريم . وفق حدود الدراسة . شاهدان الأول في سورة آل عمران، والثاني في الأعراف على النحو التالي :

١٧٤. **[فاخشوهم ـ يخوف / تخافوهم / وخافون]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُواْ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾} [سورة آل عمران:١٧٣-١٧٥]

في الآية الأولى ذكر الفعل (فاخشوهم) فعل أمر [و] فافْعَوْهُم، وفي الآية الأخيرة عدل عنه إلى الأفعال (يخوف . تخافوهم . خافون)، (يخَوِّف) فعل مضارع [و] يُفَعِّلُ، (تخافوهم) فعل مضارع [و] تَفْعَلُوهم، (خافون) فَعلُونِ، وذلك في سياق مدح المؤمنين على ثباتهم وقوة يقينهم بالله . عز وجل . وتهوين كيد الشيطان وأوليائه، وأن المؤمن ينبغي عليه ألا يخشى إلا الله .

والعدول المعجمي من الخشية إلى الخوف هنا له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهوين من كيد الشيطان وأوليائه، فالشيطان له سلطان على ضعاف القلوب قليلي الإيمان فيخوفهم من لقاء عدوهم من المشركين، فاختيار [يخوِّف] فيه إشارة إلى ضعف المتأثرين بتخويف الشيطان، لأن الخوف يكون لضعف

الخائف وإن كان المخوف يسيرًا، قال الزركشي: " الخاء والواو والفاء في تقاليبها تدل على الضعف، وانظر إلى الخوف لما فيه من ضعف القوة ." (١)

الثاني: تثبيت أفئدة المؤمنين وتطمين لهم، فقوله: " فلا تخافوهم " أي: فلا يكن فيكم ضعفٌ في مواجهة عدو الله وعدوكم؛ لأن الله حسيبكم وناصركم عليهم، قال سيد طنطاوي: " فالمقصود بهذه الجملة الكريمة تشجيعهم، وتقويتهم، وإلهاب شعورهم إذ الإيمان الحق يستلزم الخوف من الله دون سواه . " (٢)

الثالث: التعميم، فالخوف أعم من الخشية، فهو يشمل الخوف الشديد واليسير كليهما، أما الخشية فهي " أشد الخوف فإنها مأخوذة من قولهم شجرة خشية إذا كانت يابسة وذلك فوات بالكلية " (٣) فيكون العدول إليه للتعميم وفيه تشجيع لهم وتقوية لعزيمتهم بأنه لا ينبغي أن يكون في قلوبهم أيُّ خوفٍ من هؤلاء الأعداء لا قليل ولا كثير .

الرابع: الاختصار، لأن لو استعمل مادة الخشية لقال مثلا: " إنما ذلكم الشيطان يجعل الخشية في قلوب أوليائه القاعدين عن الجهاد مع النبي صلى الله عليه وسلم، أو يجعل المؤمنين يخشون أولياءه كأبي سفيان ومن معه " أو نحو ذلك، فاختير الفعل (يخوِّف) لأنه أخصَر وأدلّ على المعنيين، فالفعل (خشي) يتعدى لمفعول واحد أما (يخوِّف) فلمفعولين، فالعدول لسبب لغوي وهو قابلية الثاني للتعدية لأكثر من مفعول .

قال ابن عطية: " {يخوف} فعل يتعدى إلى مفعولين، لكن يجوز الاقتصار على أحدهما إذ الآخر مفهوم من بنية هذا الفعل، لأنك إذا قلت: خوفت زيداً، فمعلوم ضرورة أنك خوفته شيئاً حقه أن يخاف ." (٤)

الخامس: الإشارة إلى ضعف المؤمنين بالنسبة إلى الله وأنهم في أمس الحاجة إلى نصره وتأييده، ولأنه لما حصل لهم من النعمة والفضل والشجاعة ذكَّرهم بضعف نفوسهم لئلا يغترُّوا بها وليعلموا أن ما النصر إلا من عند الله، فاختير ا(لخوف) لهذه اللطيفة كما " أن الله ـ تعالى ـ لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه فقال: {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون} فبين أنهم عند الله ضعفاء ." (٥)

السادس: التفنن في التعبير بالبعد عن التكرار .

أما اختيار [فاخشوهم] في الآية الأولى لعدة أغراض بلاغية منها:

---

(١) . البرهان في علوم القرآن (٤/٧٨ ـ ٧٩)
(٢) . التفسير الوسيط، لسيد طنطاوي (٢/ ٣٤٥)
(٣) . البرهان في علوم القرآن (البرهان ٤/٧٨ ـ ٧٩
(٤) تفسير ابن عطية (١/٥٤٤)
(٥) البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٤/٧٩)

الأول: زيادة الترهيب من كفار قريشٍ وإظهارهم في صورة العظماء في القوة والعتاد والشجاعة والبأس في الحروب، فالخشية: " تكون من عِظَم المخشِيِّ " (١).

الثاني: الإشارة شجاعة المؤمنين وثبات قلوبهم لما عندهم من حسن التوكل على الله واليقين بالنصر على عدوهم، وأن هذا الإرجاف الشديد من غيرهم كـ (نعيم بن مسعود) (٢) لم يزدهم إلا صلابةً وقوة ويقينًا .

١٧٥. [أرني / تراني ـ أنظر / انظر]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٤٣﴾} [سورة الأعراف:١٤٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي بين أفعال الرؤية والنظر :(أرني) فعل أمر [و] أَفِنِي، (أَنْظُر) فعل مضارع مجزوم [و] أَفْعُلْ، (تراني) **فعل مضارع [و] تَفَلنِي،** (انْظُر) **فعل أمر [و] اُفْعُل .**

وهذا العدول في سياق سؤال موسى رؤية الله تعالى؛ تطلعًا لزيادة المعرفة بالجلال الإلهي، ورؤية الله ممكنة ونفيها المذكور في الآية إنما هو في الدنيا وأما في الآخرة فإن المؤمنين يرونه جل وعلا بأبصارهم، كما صرح به تعالى في قوله: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، وقوله في الكفار: كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، فإنه يفهم من مفهوم مخالفته أن المؤمنين ليسوا محجوبين عنه جل وعلا.

والعدول المعجمي إلى الفعل (أنظر) **لأغراض بلاغية منها:**

الأول: الإشارة إلى أنه عليه السلام أراد رؤيةَ العين، قال البقاعي: " وحقق أنها رؤية العين بقوله في جواب الأمر –{أنظر} أي أصوب تحديق العين ." (٣) **فالنظر: " تقليب الحدقة السليمة إلى جانب المرئي التماسا لرؤيته " (٤)** والنظر الموصول بإلى نص في الرؤية لا يحتمل سواه (٥) .

---

(١) ينظر: المفردات، للراغب، مادة (خشي) .
(٢) ينظر: تفسير الطبري(٤/ ١٩١)
(٣) . نظم الدرر، للبقاعي (٧٧/٨)
(٤) . مفاتيح الغيب للرازي (٣٥٨/١٤)
(٥) . ينظر: تفسير الألوسي، (٤٦/٥)

الثاني: بيان معرفة موسى عليه السلام بأن الله خالق كل شيءٍ ولولا معونته وتأييده ما يحصل النظر ولا تتم الرؤية؛ فالله . عز وجل . خالق لأفعال العباد حتى النظر، وعلى هذا يكون المعنى " اجعلني متمكنا من رؤيتك حتى أنظر إليك وأراك " . (١)

وقال ابن عرفة: " إن قلت: النظر هو الرؤية؛ فكيف قال أرني أنظر إليك؟ قلت: أجيب بالنظر مطاوع، وأرني هو الفعل الأول، كقولك: أخرجني لمخرج، وأدخلني لمدخل ." (٢)

أما العدول المعجمي إلى الفعل (تراني) فلأغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على عدم تمكنه من رؤية الله . عز وجل . في الدنيا لتوقفها على إمكانات لم توجد فيه بعد؛ حكمةً من الله . سبحانه . قال البيضاوي: " لَنْ تَرَانِي دون لن أرى أو لن أريك أو لن تنظر إليَّ، تنبيهاً على أنه قاصر عن رؤيته لتوقفها على معد في الرائي لم يوجد فيه بعد ." (٣)

قال الألوسي: " وذلك لأن لن أرى يدل على امتناع الرؤية مطلقاً ولن أريك يقتضي أن المانع من جهته تعالى، وليس في لن تنظر تنبيه على المقصود لأن النظر لا يتوقف على معد وإنما المتوقف عليه الرؤية والإدراك، وعلل النيسابوري عدم كون الجواب لن تنظر إلى المناسب لأنظر إليك بأن موسى عليه السلام لم يطلب النظر المطلق وإنما طلب النظر الذي معه الإدراك بدليل أرني ."

وقال القاضي عياض في الشفا: " قال مالك، لم ير في الدنيا لأنه باق . ولا يرى الباقي بالفاني، فإذا كان في الآخرة، ورزقوا أبصارا باقية رئي الباقي بالباقي . وهذا كلام حسن مليح. وليس فيه دليل عن الاستحالة إلا من حيث ضعف القدرة، فإذا قوى الله تعالى من شاء من عباده وأقدره على حمل أعباء الرؤية، لم يمتنع في حقه". (٤)

الثاني: الإيذان بأن المقصود هو الرؤية لا النظر الذي لا رؤية معه، ذكره الرازي (٥)، فالنظر قد يستعمل في فتح العينين لرؤية الشيء وقد لا تحصل الرؤية معه، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾﴾ [سورة الأعراف:١٩٨] وقال البقاعي: " ولما كان سبحانه قد قضى أنه عليه السلام لا يراه في الدنيا {قال} نافياً المقصود، وهو الرؤية لا مقدمتها، وهو النظر الذي هو التحديق بالعين (لن تراني) " (٦)

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٣٥٨/١٤)
(٢) . تفسير ابن عرفة (٢٤٩/٢)
(٣) . تفسير البيضاوي (٣ /٣٣)
(٤) . الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢٠٠/١)
(٥) . مفاتيح الغيب (٣٥٨/١٤)
(٦) . نظم الدرر، للبقاعي (٧٨/٨)

وأما العدول إلى الفعل (انظر) **في قوله:** {وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ} **فلأغراض منها:**

" **تعظيم أمر الرؤية وأن أحدا** لا يقوى على رؤية الله تعالى إلا إذا قواه الله تعالى بمعونته وتأييده ألا ترى أنه لما ظهر أثر التجلي والرؤية للجبل اندك وتفرق فهذا من هذا الوجه يدل على تعظيم أمر الرؤية." (١)

إضافة إلى ما ذكر آنفًا من الأوجه المستفادة من العدول المعجمي بين تلك الألفاظ الشريفة، تحسن الإشارة إلى أن تغيير الأسلوب من لفظ إلى آخر يعد تفننًا في التعبير يعطي الكلام خفةً وحسْنًا، فلو كان التعبير بأحد اللفظين فحسب لكان تكرارا للفظ خمس مرات، وذاك ثقيل .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الأمر والمضارع إلى المضارع والأمر

وفيه شاهد واحد في سورة البقرة، وإليك بيان الأوجه البلاغية المنوطة به :

١٧٦. **[فاعتزلوا ـ ولا تقربوهن ـ فأتوهن]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ٢٢٢} [سورة البقرة:٢٢٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اعْتَزِلُوا) **فعل أمْر [و] افْتَعِلُوا إلى** (ولا تقربوهن) **فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَلُوهُنَّ ومنه إلى** (فأتوهن) **فعل أمر [و] فَفْعُوهُنَّ**، وذلك العدول قد ورد في سياق الأمر بترك مجامعة النساء زمنَ الحيض للأذى العارض، والأمر بإتيانهن بعد تطهرهن، لزوال علة التحريم .

وللعدول إلى الفعل (ولا تقربوهن) **أغراض بلاغية منها:**

الأول: التأكيد للأمر باعتزالهن زمنَ الحيض، فعدم القِربان يقارب معنى الاعتزال، فكلاهما كناية عن ترك مجامعة النساء، قال أبو زهرة: " وهي من الكنايات القرآنية التي تربي الذوق وتمنع عن الأسماع الألفاظ التي يجافي سماعها الأذواق السليمة، وكم للقرآن من كنايات ومجازات تعلو بمستوى القارئ، ولها وضوح وقصد إلى المعاني من غير خطأ في الفهم، ولا غموض في الموضوع، وأي قارئ يقرأ كلمات [فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن]، ولا يفهم منها النهي عن الحال التي يتقاضاها الطبع في الأحوال الاعتيادية، وأن النهي موقوت بذلك الوقت المعلوم ." (٢)

---

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٣٥٨/١٤)

(٢) زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٢/ ٧٣١)

الثاني: التبيين " للمراد من الاعتزال وإنه ليس التباعد عن الأزواج بالأبدان كما كان عند اليهود بل هو عدم القِربان "[١]، قال الطبري: " وإنما كان القوم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكر لنا عن الحيض، لأنهم كانوا قبل بيان الله لهم ما يتبينون من أمره، لا يساكنون حائضا في بيت، ولا يؤاكلونهنّ في إناء، ولا يشاربونهنّ، فعرّفهم الله بهذه الآية أن الذي عليهم في أيام حيض نسائهم أن يجتنبوا جماعهنّ فقط دون ما عدا ذلك من مضاجعتهن ومآكلتهن ومشاربتهن ." [٢]

الثالث: الإشارة إلى حكم فقهي، قال الرازي: " أما قوله تعالى: {ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله} ..يمكن...حملها على فائدة جليلة جديدة وهي أن يكون قوله: {فاعتزلوا النساء في المحيض} نهيا عن المباشرة في موضع الدم وقوله: {ولا تقربوهن} يكون نهيا عن الالتذاذ بما يقرب من ذلك الموضع ." [٣]

الرابع: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار .

ثم عدل إلى (فأتوهن) وذلك لأغراض منها:

الأول: التبيين للمراد بالقِربان، قال الطاهر: " عبر بالإتيان هنا وهو شهير في التكني به عن الوطء لبيان أن المراد بالقِربان المنهي عنه هو الذي المعنى الكنائي فقد عبر بالاعتزال ثم قُفِّيَ بالقربان ثم قفي بالإتيان ومع كل تعبير فائدة جديدة وحكم جديد وهذا من إبداع الإيجاز في الإطناب ." [٤]

ولعل اختيار مادة (الاعتزال) في بادئ الأمر جيء به؛ تنفيرًا عن قِربان النساء في فترة الحيض فـ" الاعتزال التباعد بمعزل وهو هنا كناية عن ترك مجامعتهن " للأذى الذي فيهن، كما أن الاعتزال يكون للمخالط فكان هنا أنسب لأن المخاطبين هم الأزواج .

الثاني: الإشارة إلى حكم فقهي، قال القاسمي: " تنبيه على أن المراد به عدم قربانهنّ، لا عدم القرب منهن، وكنى بقربانهنّ، المنهيّ عنه، عن مباضعتهنّ . فدل على جواز التمتع بهن حينئذ فيما دون الفرج ." [٥]

يلاحظ أنه لم يقل : ولا تباشروهن حتى يطهرن لأن المباشرة يكنى بها عن الجماع لكن أصل معناها ملاقاة البشرة بالبشرة، وهنا المحرم الوطء فقط أما المباشرة فجائزة كما نصت عليه السنة إذا شدت عليه إزارها، إذن فالعدول إلى مادة الإتيان

---

(١) التحرير والتنوير، للطاهر (٢/ ٣٦٦)
(٢) تفسير الطبري (٤/ ٣٧٢)
(٣) مفاتيح الغيب، للرازي (٦/ ٤١٩)
(٤) التحرير والتنوير، للطاهر **(٢/ ٣٦٩)**
(٥) محاسن التأويل، للقاسمي (٢/ ١١٨)

فيه تبيين وتنصيص على الحل بما لا مزيد عليه، قال الإمام الشافعي: " وبيِّنٌ في الآية إنما نهى عن إتيان النساء في المحيض، ومعروف أن الإتيان في الفرج، لأن التلذذ بغير الفرج في شيء من الجسد ليس إتيانا " . [(١)]

الثالث: التنبيه إلى ضرورة الرفق مع الأزواج وحسن معاشرتهن؛ إذ إن الإتيان لغةً هو المجيء السهل، وقد **قَالَ تَعَالَى:**﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ ﴾ [النساء: ١٩] كذلك لما كان الاعتزال وعدم القِربان فيه تنفير شديد للرجال من مجامعة النساء فحينئذ . أمرهم **بالإتيان خاصة** وذلك بعد طهرهن؛ ترغيبا لهم في هذا الفعل وحثًّا عليه؛ ومراعاةً لحق المرأة في حسن معاشرتها بعد الأمر باعتزالها . قال ابن كثير: " وقوله: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} **فيه ندب وإرشاد إلى غشيانهن بعد الاغتسال** . وذهب ابن حزم إلى وجوب الجماع بعد كل حيضة، لقوله: {فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ} وليس له في ذلك مستند ." [(٢)]

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية بالبعد عن التكرار .

(١) الأم، للشافعي (٦/ ٢٤٣)

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٠٤)

الفصل الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر

قد سبق الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الماضي وإلى المضارع، وفي هذا الفصل سوف يكون الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الأمر، والجدير بالذكر أن يقال : إن شواهد هذا النوع العدولي تعد الأقل بالنسبة للعدول إلى المضارِع والماضي .

وقد تطلب تبيين الأوجه البلاغية لهذا النوع العدولي أن يُقسَّم إلى ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الأمر .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر .

هذا ومن أبرز الأغراض البلاغية للعدول المعجمي من الفعل إلى فعل الأمر ما يأتي :

أولا : الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم، التعميم والتخصيص، والحث، والتعريض، والتحذير، والاحتراس .

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر

قد وجد الباحث في النصف الأول من القرآن الكريم شاهدين فقط من هذا النوع العدولي، وسوف يكون الكلام هنا عن بلاغة هذا العدول، وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر الثلاثي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر الثلاثي

قد ورد العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر الثلاثي في سورة الأعراف، وفيما يلي توضيح ما يحمله من بلاغة :

١٧٧. [جئت ـ فأتِ]

قَالَ تَعَالَى:{حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٖ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾} [سورة الأعراف:١٠٥ــ١٠٦]

في الآية الثانية عدول معجمي من (جئت) فعل ماضٍ [و] فِلْتَ إلى (فأْتِ) فعل أمر [و] فَفْعِ، وذلك في سياق ذكر طلب فرعون من موسى أن يظهر له المعجزات كأدلة بينة على صدقه وصحة نبوته .

والعدول المعجمي إلى الفعل (فأتِ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن فرعون يريد حضور تلك الآيات بين يديه، قال الزمخشري: " فإن قلت: كيف قال له فَأْتِ بِها بعد قوله إنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ؟ قلت: معناه إن كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك ." (١)، وقال الطاهر: " وقوله: فأت بها استعمل الإتيان في الإظهار مجازا مرسلا، فالباء في قوله: بها لتعدية فعل

(١) . الكشاف للزمخشري (٢/١٣٨)

الإتيان، وبذلك يتضح ارتباط الجزاء بالشرط، لأن الإتيان بالآية المذكورة في الجزاء هو غير المجيء بالآية المذكورة في الشرط، أي: إن كنت جئت متمكنا من إظهار الآية فأظهر هذه الآية. "[١]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير كراهية للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فالأمر من الإتيان (فأْتِ) أخف لفظًا من (فجِئْ) .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر غير الثلاثي

ورد في سورة البقرة العدول المعجمي من الماضي إلى الأمر غير الثلاثي، وذلك في ذكر أحكام الطلاق، على النحو التالي :

١٧٨. [طلقتم ـ سرحوهن]

قَالَ تَعَالَى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍۚ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُواْۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًاۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾} [سورة البقرة:٢٣١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (طَلَّقْتُم) فعل ماضٍ [و] فَعَّلْتُم إلى (سَرِّحُوهُنَّ) فعل أمر [و] فَعِّلُوهُنَّ، وذلك في سياق ذكر أحكام طلاق النساء وأن الأفضل هو الإمساك بالمعروف بالارتجاع بعد الثانية إلى حسن العشرة والتزام حقوق الزوجية، أو أن يطلقها الثالثة ليغني الله كلا من سعته .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (سرحوهن) أغراض بلاغية منها:

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (٤٠/٩)

الأول: الإشارة إلى الطلقة الثالثة، وذلك لأن التسريح: " إرسال لغير معنى الأخذ كتسريح الشيء الذي لا يراد إرجاعه . وقال أيضاً: هو إطلاق الشيء على وجه لا يتهيأ للعود، فمن أرسل البازي مثلاً ليسترده فهو مطلق، ومن أرسله لا ليسترجعه فهو مسرح ." (١)

وقال ابن عطية: " والتسريح يحتمل لفظه معنيين: أحدهما تركها تتم العدة من الثانية وتكون أملك بنفسها، وهذا قول السدي والضحاك، والمعنى الآخر أن يطلقها ثالثة فيسرحها بذلك، وهذا قول مجاهد وعطاء وغيرهما، ويقوى عندي هذا القول من ثلاثة وجوه: أولها أنه روي أن رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله هذا ذكر الطلقتين فأين الثالثة؟، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: هي قوله: أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسانٍ، والوجه الثاني أن التسريح من ألفاظ الطلاق، ألا ترى أنه قد قرىء وإن عزموا السراح [البقرة: ٢٢٧]، والوجه الثالث أن فعّل تفعيلا بهذا التضعيف يعطي أنه أحدث فعلا مكررا على الطلقة الثانية، وليس في الترك إحداث فعل يعبر عنه بالتفعيل ." (٢)

الثاني: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (٤٣٠/١)

(٢) . تفسير ابن عطية (٣٠٦/١)

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الأمر

لم يرد العدول المعجمي من المضارع إلى الأمر إلا بين الأفعال الثلاثية، وذلك في شاهدين فقط . وفقًا لحدود الدراسة . وبيان الأوجه البلاغية لهذا النوع العدولي فيما يلي :

١٧٩. **[يفعلون ـ اصنع]**

قَالَ تَعَالَى:{وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾} [سورة هود:٣٦–٣٧]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (يَفْعَلُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، إلى (وَاصْنَع) فعل أمر [و] افْعَل، وذلك في سياق إعلام نوح عليه السلام بكفر قومه وأنهم لا تنفع فيهم المواعظ فلا يحزن عليهم وأمره بصنع السفينة فالله . سبحانه . يراه ويوفقه إلى إجادة صنعها ونهيه عن المجادلة في أمر الكافرين لأنه قد حكم بإهلاكهم .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (واصنع / ويصنع) لأغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، لأنه (الصنع) فعل خاص وهو ما يكون بإتقان، ولأن صناعتها تستغرق جهدًا وزمنًا ليس باليسير وتتطلب العلم بفن النجارة كان الأنسب ذكر مادة الصنع لما تشير إليه من المهارة ودقة الصنعة، كما أن قوله: " بأعيننا "كما قال أبو حيان: " بأعيننا بمرأى منا، وكلاءة وحفظ فلا تزيغ صنعته عن الصواب فيها ." (١) قال البقاعي: " {ويصنع} أي صنعة ماهر جداً، له ملكة عظيمة بذلك الصنع ." (٢)

الثاني: الإشارة إلى جهل قومه بمقامه الشريف، إذ يسخرون منه وهو عليه السلام أرجحهم عقلا وأحكمهم فعلًا، فمادة الصنع تؤذن بالعلم والفطنة ومن كان هذا حاله فالسخرية منه أقبح وأشنع .

وإنما عبر عن تكذيبهم وإيذائهم ومعاداتهم بـ (بالفعل) تعميما، واستهجانًا لذكرها، وإيجازًا، وللإيذان بنقص عقولهم فالفعل قد يطلق على ما يقوم به المرء لنقص عقله لكونه غير موافقٍ للحكمة، كما أن فيه إشعار بسرعة التكذيب والسخرية وكأنه تمهيد لنوح عليه السلام قبل الشروع في صنع السفينة بأنهم قوم من عادتهم ذلك .

١٨٠. **[يخافون ـ فارهبون]**

---

(١) . ينظر: البحر المحيط، لأبي حيان (١٤٩/٦)

(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (٢٨٣/٩)

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ۞ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ ۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ ﴿٥١﴾} [سورة النحل:٤٩–٥١]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (يَخَافُون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون إلى (فَارْهَبُون) فعل أمر [و] فَافْعَلُون، وذلك العدول في سياق بيان عظمة الله ـ عز وجل ـ وأن جميع ما في السموات والأرض يسجد له؛ تعظيمًا لمقامه العلي وكذلك الملائكة يخافون ربهم ويسارعون في امتثال أمره وفي الآية الأخيرة ورد النهي عن اتخاذ الشريك ووجوب إفراد الله بالعبودية والرهبة والرغبة .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (فارهبون) أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التحذير من الشرك، والترهيب من العقوبة عليه، فالرهبة: تطلق على الخوف العظيم، والشرك ظلم عظيم يناسب التخويف العظيم، وناسب ذكر الرهبة في تلك السورة لأن من مقصودها الاستدلال على وحدانيته تعالى وانفراده بالإنعام على عباده والتحذير من الشرك، وقد بدأت السورة بوجوب توحيده سبحانه قَالَ تَعَالَىٰ:{أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾} [سورة النحل:١-٣] ويلاحظ تماثل الحروف في (رهب) و(هرب)، لأن الهرب يكون في شدة الخوف، فدلّ على أنها خوف خاصّ .

الثاني: التخصيص، فالرهبة خاصة بالخوف مما خالف العاصي فيه العلم، [(١)]وتعدد الآلهة مما تستقبحه النفوس وتعلم أنه سبب لفساد السموات والأرض، فالمتجرئون على نسبة الشريك لله سبحانه متجرئون على ما خالف الفطرة ومقتضى العقل والنظر الصحيح، ففي ذكر الرهبة زيادة في إلقاء المهابة في النفوس وحثّا على إعمال عقولهم في جوب الوحدانية وانتفاء الشراكة أصلا .

بينما اختير الفعل (يخافون) مع الملائكة، لأن مادة الخوف " في تقاليبها تدل على الضعف ... لما فيه من ضعف القوة وقال تعالى {ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب} فإن الخوف من الله لعظمته يخشاه كل أحد ... وفيه لطيفة وهي أن الله تعالى لما ذكر الملائكة وهم أقوياء ذكر صفتهم بين يديه فقال: {يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون} فبين أنهم عند الله ضعفاء ." (٢)

---

(١) ـ نظم الدرر، للبقاعي .(١٧٧/١١)

(٢) ـ البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٧٨/٤ ـ ٧٩)

قال الزركشي: " على المفسر مراعاة الاستعمالات والقطع بعدم الترادف ما أمكن فإن للتركيب معنى غير معنى الإفراد ولهذا منع كثير من الأصوليين وقوع أحد المترادفين موقع الآخر في التركيب وإن اتفقوا على جوازه في الإفراد ." (١)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : مراعاة التناسب الإيقاعي لفواصل السورة، فالمقطعان (ص ح . ص ح ح ص) بهذا التتابع يمثلان غالبية أواخر فواصل السورة نحو (رحيم . داخرون . يستكبرون . يؤمرون . فارهبون . تتقون . تجأرون . يشركون ....)، لكن إذا قيل: (فخافونِ) لم يحصل التناسب الإيقاعي بين تلك الفاصلة وغيرها من الفواصل إلا في الحرف الأخير وهو النون، فطلبًا لمزيد من التناسب عدل إلى (فارهبون) لاشتمالها على المقطعين المذكورين آنفًا .

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . البرهان في علوم القرآن، للزركشي (٤/٧٨ - ٧٩)

المبحث الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر

قد تناول الباحث فيما سبق العدول المعجمي من الماضي والمضارع إلى الأمر، وقد اتضح قلة أمثلتهما في النصف الأول من القرآن الكريم، وفي هذا المبحث سيكون الحديث عن العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر، وهو الأكثر شواهدَ من النوعين السابقين، ويشتمل هذا المبحث على مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر الثلاثي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر غير الثلاثي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر الثلاثي

وفيه دراسة ثلاثة شواهد وجميعها فيه العدول من الأمر إلى الأمر الثلاثي، وفيما يلي بيان الأوجه البلاغية لذاك النوع العدولي، في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الأمر الثلاثي إلى الأمر الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الأمر غير الثلاثي إلى الأمر الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من الأمر الثلاثي إلى الأمر الثلاثي .

صدق الله [ادفعوا ـ فادرءوا]

قَالَ تَعَالَى: {وَمَآ أَصَٰبَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ فَبِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَلِيَعۡلَمَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٦٦﴾ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ نَافَقُواْۚ وَقِيلَ لَهُمۡ تَعَالَوۡاْ قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْۖ قَالُواْ لَوۡ نَعۡلَمُ قِتَالٗا لَّٱتَّبَعۡنَٰكُمۡۗ هُمۡ لِلۡكُفۡرِ يَوۡمَئِذٍ أَقۡرَبُ مِنۡهُمۡ لِلۡإِيمَٰنِۚ يَقُولُونَ بِأَفۡوَٰهِهِم مَّا لَيۡسَ فِي قُلُوبِهِمۡۚ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يَكۡتُمُونَ ﴿١٦٧﴾ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخۡوَٰنِهِمۡ وَقَعَدُواْ لَوۡ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْۗ قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٦٨﴾} [سورة آل عمران:١٦٦-١٦٨]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (ادْفَعُوا) فعل أمر [و] افْعَلُوا إلى (ادرءوا) فعل أمر [و] افْعَلُوا، وذلك في سياق ذم المنافقين لتخاذلهم عن مناصرة المؤمنين في تلك المعركة، **وللعدول أغراض بلاغية منها**:

الأول: زيادة ترهيب المنافقين بأنه لا سبيل في الهروب من الموت أبدًا وهؤلاء المنافقون هم الذين ارتدوا على أدبارهم كعبد الله بن أبي سلول الذين رجعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه، حين سار نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين بأُحد لقتالهم، فقال لهم المسلمون: تعالوا قاتلوا المشركين معنا، أو ادفعوا بتكثيركم سوادنا ! فقالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لسرنا معكم إليهم، ولكنا معكم عليهم، ولكن لا نرى أنه يكون بينكم وبين القوم قتال . (١)

فالتعبير عن الدفع بالدرء لأن الثاني دفع معه شدة محتاج إليها وهو من لطائف التعبير القرآني وقد وردت هذه المادة في قوله تَعَالَى:﴿ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ ﴾ [النور: ٨] وفي قوله تَعَالَى:﴿ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ ﴾ [الرعد: ٢٢] وفي قوله تَعَالَى:﴿ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨] وفي قوله تَعَالَى:﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ﴾ [البقرة: ٧٢] ويلاحظ في هذه الموارد معنى الدفع بشدة، فالعذاب والسيئة والموت والاتهام بالقتل مما يحتاج إلى دفع بشدة لتحصل النجاة كما هو واضح .

الثاني: الاستهزاء بالمنافقين، فقد تسببوا في حصول الضر الشديد بالمسلمين في غزوة أحد فكان الأنسب أن يحقر صنيعهم في تخليهم عن صفوف المجاهدين، قال الزمخشري: " وقوله: {فَادْرَءوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ} استهزاء بهم، أي إن كنتم رجالاً دفاعين لأسباب الموت، فادرءوا جميع أسبابه حتى لا تموتوا ." (٢)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

ثانيهما : ائتلاف اللفظ والمعنى، وبيان ذلك أن يقال : الدرء معناه دفع بشدة، ويناسب تلك الشدة المعنوية شدة اللفظ، فقوله تعالى :(فادرءوا) اشتمل على الدال الشديدة المقلقلة، والراء المفخمة التي من صفاتها التكرير، والهمزة الشديدة، وكل ذلك يعكس شدة اضطراب النفس عند الموت، وعظم الخطب وصعوبة الموقف .

أما اختيار مادة الدفع أولا في قوله تعالى: " أو ادفعوا " أي المشركين عن دياركم وأولادكم، فقد طلب منهم بذل ما في وسعهم من تكثير السواد أو المرابطة وإن لم يقاتلوا فلأنه لم يكلفهم بما يشق عليهم ومع ذلك لم يستجيبوا لأمر

(١) ينظر: تفسير الطبري (٧/ ٣٧٨)
(٢) الكشاف، للزمخشري (١/ ٤٦٦)

الله، فاختيار لفظ [ادفعوا] متناسب مع الموقف أيما تناسب، ونحو ذلك قوله تعالى: " ادفع بالتي هي أحسن السيئة " [المؤمنون : ٩٢] لأن المقام في الدعوة إلى الرفق في المعاملة واللطف فيها، فناسبه الدفع لا الدرء .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الأمر غير الثلاثي إلى الأمر الثلاثي :

صدق الله [راعنا ـ انظرنا]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾} [سورة البقرة:١٠٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رَاعِنَا) فعل أمر [و] فَاعِنَا إلى الفعل (انظرنا) فعل أمر [و] اُفْعُلْنَا، وذلك في سياق أمر المؤمنين بحسن الأدب في مخاطبة النبي صلى الله عليه وسلم واختيار أحسن الألفاظ وأرقها؛ احترامًا لمقامه الشريف . صلى الله عليه وسلم .

وللعدول المعجمي إلى (انظرنا) أغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم للنبي صلى الله عليه وسلم وضرورة التأدب في مخاطبته، فأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أُمروا بالدنوّ من النبي . عليه السلام . والاستماع منه وتوقيره وتعظيمه، ونهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته وخوّفهم على ذلك حبوط أعمالهم، وأمرهم أن يتخيروا لخطابه من الألفاظ أحسنها، ومن المعاني أرقها، وقد كره الله لهم أن يقولوا (راعنا) لنبيه صلى الله عليه وسلم، وأن يقولوا بدلًا منها (انظرنَا)؛ مراعاةً لكمال الأدب معه، بترك الألفاظ الموهمة واختيار ما لا اشتباه فيه منها . (١)

الثاني: الاحتراس؛ فقد كان اليهود يقولون : راعنا يا رسول الله، وكانت هذه اللفظة سبا قبيحاً بلغة اليهود، وقيل: وكان معناها عندهم اسمع لا سمعت . وقيل: هي من الرعونة والحمْق، (٢) فمنع الله المسلمين من قولها للرسول صلى الله عليه وسلم؛ حتى لا يجد اليهود سبيلًا لشتم الرسول عليه الصلاة والسلام . قال الطاهر: " وقوله: {وقولوا انظرنا} أبدلهم بقولهم: {راعنا} كلمة تساويها في الحقيقة والمجاز وعدد الحروف والمقصود من غير أن يتذرع بها الكفار لأذى النبيء صلى الله عليه وسلم وهذا من أبدع البلاغة ." (٣)

(١) . ينظر: تفسير الطبري (٢/٤٦٥)
(٢) . ينظر: تفسير البغوي (١/١٣٢)
(٣) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٦٥١)

الثالث: الإشارة إلى حكم فقهي، وحكم أصوليّ، أما الحكم الفقهي فقد قال ابن العربي : " وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى تَجَنُّبِ الْأَلْفَاظِ الْمُحْتَمِلَةِ الَّتِي فِيهَا التَّعَرُّضُ لِلتَّنْقِيصِ وَالْغَضِّ." (١) وقال البقاعي: " وعوضهم منها ما لا يتطرق إليه فساد ... ففيه إلزام تصحيح الصور لتطابق تصحيح المقاصد وليقع الفرق بين الصورتين كما وقع الفرق بين المعنيين فهي آية فرقان خاصة بالعرب ." (٢) فاللفظان (راعنا وانظرنا) متقاربان في المعنى، لكن كلمة (انظرنا) لا يتطرّق إليها معنى فاسدٌ، فاختيرت دون الأولى، وهذا تعليم من الله لعباده وإرشاد لهم بتجنب ما يضرهم والحرص على ما ينفعهم، في الأقوال والأفعال، ويتفرّع عن هذا حكم آخر عند الشافعي وهو عدم صحة الصلاة بترجمة الفاتحة بالعبرية والفارسية مثلًا (٣) .

أما الحكم الأصولي، فقد قال الطاهر: " وقد دلت هذه الآية على مشروعية أصل من أصول الفقه وهو من أصول المذهب المالكي يلقب بسد الذرائع وهي الوسائل التي يتوسل بها إلى أمر محظور ." (٤)

الرابع: الإيذان بأن نظر المعلم إلى المتعلم أدعى إلى التفهم لما يقول، قال الرازي: " والمقصود منه أن المعلم إذا نظر إلى المتعلم كان إيراده للكلام على نعت الإفهام والتعريف أظهر وأقوى ." (٥)

١٨٣. [وآتوا ـ فادفعوا]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَءَاتُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰٓ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَتَبَدَّلُوا۟ ٱلْخَبِيثَ بِٱلطَّيِّبِ ۖ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴿٢﴾} [سورة النساء:٢]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٦﴾} [سورة النساء:٦]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (آتوا) **فعل أمر [و] أَفْعُوا، إلى** (ادْفَعوا) **فعل أمر [و] افْعَلُوا**، وذلك في سياق أمر الأوصياء بإعطاء اليتامى حقوقهم من مال أبيهم الذي تركه لهم و " العادة في أمثالهم ضعفهم عن التصرف لأنفسهم والقيام بتدبير أمورهم على الكمال حسب تصرف المتحنّكين الذين قد جرّبوا الأمور واستحكمت آراؤهم ." (٦)

---

(١) . أحكام القرآن، لابن العربي (٤٩/١)
(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (١/ ٢١١)
(٣) . ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (٣/ ٦٣٤)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٦٥٢)
(٥) مفاتيح الغيب، للرازي (٣/ ٦٣٥)
(٦) أحكام القرآن، للجصاص(١٧/٤)

وللعدول المعجمي إلى الفعل (فادفعوا) أغراض بلاغية منها:

الأول: التصريح بوجوب الإسراع في إيتاء اليتامى أموالهم فورَ خروجهم من حد اليتم، وذلك حكم فقهي، أفاده تغيير الأسلوب، قال الألوسي: " الآية الأولى: في الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم، والثانية: في الحض على الإيتاء الحقيقي عند حصول البلوغ والرشد، ويلوح بذلك التعبير بالإيتاء هنا وبالدفع هناك ." (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية بالتفنن في التعبير والبعد عن التكرار .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر غير الثلاثي

كان الكلام في المطلب السابق عن بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى الأمر الثلاثي، أما في هذا المطلب فإن الحديث يكون عن بلاغة العدول من الأمر إلى الأمر غير الثلاثي، وذلك في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الأمر الثلاثي إلى الأمر غير الثلاثي .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الأمر غير الثلاثي إلى الأمر غير الثلاثي .

أ) بلاغة العدول المعجمي من الأمر الثلاثي إلى الأمر غير الثلاثي .

١٨٤. [فاغفر ـ وكفِّر]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٣﴾} [سورة آل عمران:١٩٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اغفر) فعل أمر [و] اِفْعِلْ، إلى (كفِّر) فعل أمر [و] فعِّل، وذلك في سياق دعاء المؤمنين لله وتضرعهم إليهم وتوسلهم بإيمانهم به إلى أن يتجاوز عن ذنوبهم وأن يتوافاهم على الصلاح والبر .

(١) روح المعاني، للألوسي(٢/ ٣٩٧)

والعدول إلى الفعل (كفر) مع السيئات لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى المفارقة بين الذنوب والسيئات بالمخالفة بين اللفظين، فالذنوب: الكبائر، والسيئات: الصغائر التي تكفر من الصلاة إلى الصلاة، ودليله قوله تعالى: " إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم " [النساء : ٣١] . قال الألوسي :" وتأييده بأن الغفران مختص بفعل الله تعالى والتكفير قد يستعمل في فعل العبد كما يقال: كفّر عن يمينه وهو يقتضي أن يكون الثاني أخف من الأول على تحمل ما فيه إنما يقتضي مجرد الأخفية ." (١)

الثاني: التنبيه إلى أن فعل الخيرات سبب لتكفير السيئات، فيجب الاعتناء به، وقال الطاهر: " والغَفْر والتكفير متقاربان في المادة المشتقيْن منها إلاّ أنّه شاع الغفر والغفران في العفو عن الذنب والتكفير في تعويض الذنب بعوض، فكأنّ العوض كفّر الذنب أي ستره." (٢)

الثالث: التأكيد؛ لأن الإلحاح في الدعاء والمبالغة فيه مندوب، وقال ابن عطية: " وغفران الذنوب وتكفير السيئات أمر قريب بعضه من بعض، لكنه كرر للتأكيد ولأنها مناح من الستر، وإزالة حكم الذنب بعد حصوله ." (٣)

الرابع: إظهار الرغبة الشديدة في حصول تمام الستر أمام الأشهاد يوم القيامة، قال الألوسي: " وقيل: في التكفير معنى زائد وهو التغطية للأمن من الفضيحة، وقيل: إنه كثيراً ما يعتبر فيه معنى **الإذهاب والإزالة** ولهذا يعدى بعن والغفران ليس كذلك ." (٤)

الخامس: التفنن في التعبير لزوال كلفة التكرار .

١٨٥. **[اطرحوه ـ ألقوه]**

قَالَ تَعَالَى: { إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ٱقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾} [سورة يوسف:٨ــ١٠]

---

(١) روح المعاني، للألوسي(٢/ ٣٧٥)
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر (١٩٩/٤)
(٣) تفسير ابن عطية (١/ ٥٥٦))
(٤) روح المعاني، للألوسي(٢/ ٣٧٥)

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (اطرحوه) فعل أمر [و] افْعَلُوه، إلى (ألقوه) فعل أمر [و] أَفْعُوهُ، وذلك في سياق ذكر قصة إخوة يوسف وإرادتهم إقصاءه عن أبيه لفرط محبته له، فرأوا أن يقتلوه أو يلقوه في أرض بعيدة لئلا يعود إلى أبيه لكن أحدهم اقترح عليهم رأيًا أفضل وهو أن يلقوه في غيابات الجب ليلتقطه بعض المارة وذلك أخف من قتله .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (ألقوه) أغراض بلاغية منها:

الأول: الحث على الرفق في إلقائه في غيابة الجب، فلم يقل: (اطرحوه في غيابة الجب)، لأن الطرح إلقاء من مكان بعيد، فقد يؤذيه ذلك وهو لا يريد ضرَّه، قال الراغب: " الطرح إلقاء الشيء وإبعاده والطروح المكان البعيد، ورأيته من طرح أي بعد، والطرح المطروح لقلة الاعتداد به، قال: {اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا} ." [(١)]

الثاني: الإيماء إلى عظمة يوسف الصديق عند أخيه القائل: " ألقوه في غيابة الجب " وكراهته لإبعاده، وذلك مستفاد من العدول عن (اطرحوه) إلى (ألقوه) لأن الثاني أعم فيشمل الإلقاء من قريب وذلك أسلم لأخيه، والإظهار مقام الإضمار في قوله: (لا تقتلوا يوسف) استجلاباً لشفقتهم عليه أو استعظاماً لقتله، واختيار (غيابة الجب) فهو " مكان يمكن الاستقرار فيه ولا ماء به " [(٢)] وذلك حفظًا له، وذكر لفظ (يلتقطه) أي: " يأخذْه على وجه الصيانة عن الضياع والتلف فإن الالتقاط أخذُ شيءٍ مشرف على الضياع " [(٣)] "وفي هذا الرأي عبرة في الاقتصاد من الانتقام والاكتفاء بما يحصل به الغرض دون إفراط." [(٤)]

١٨٦. [فارهبون ـ فاتقون]

قَالَ تَعَالَى: {يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴿٤٠﴾ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُمۡ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦۖ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴿٤١﴾} [سورة البقرة:٤٠ـ٤١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (فارهبون) فعل أمر [و] فافْعَلُون، إلى (فاتقون) فعل أمر [و] فافْتَعُون، وذلك في سياق الامتنان على بني إسرائيل بكثرة النعم التي وهبها الله إياهم، وأمرهم بالوفاء بعهد الله والإيمان برسالة النبي محمد صلى الله وتحذيرهم من الكفر بما جاء به .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (فاتقون) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن تقوى الله هي الغاية من جميع العبادات، وأن الرهبة مبدؤها [(٥)] .

---

(١) . المفردات للراغب، مادة (طرح) .
(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (١٠/ ٢٥)
(٣) . تفسير أبي السعود (٤/٢٥٦)
(٤) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٢/٢٢٦)
(٥) . ينظر: تفسير البيضاوي(١/٧٦)

الثاني: الإيذان بتعين العقاب على ترك الإيمان بالله والكفر بآياته وشراء الثمن اليسير بها، فتلك الفعال أشد من ترك ذكر النعمة، فناسب ذكر التقوى تحذيرًا من مواقعتها، قال السمين الحلبي: " وذَكَر التقوى هنا لأنه كُفْرٌ لا يجوز العفو عنه، لأنَّ التقوى اتِّخاذُ الوقايةِ لِما هو كائنٌ لا بُدَّ منه ." (١)

الثاني: التعميم، لأن التقوى تكون بفعل المأمور وترك المحظور، والمذكور في الآية الثانية فعلٌ وتركٌ، فالفعل (الإيمان بالقرآن) والترك (الكفر بالمنزَّل واشتراء الثمن اليسير بآيات الله)، فناسب أن تختم الآية بتقوى الله التي تعم ذلك، "والآية المتقدمة تأمرهم بالوفاء بالعهد فناسبها أن يخوفوا من نكثه. "(٢)

الرابع: التنبيه على أن التقوى لا تكون إلا مع العلم بالمتقَى منه، فالآية الثانية تخاطب العلماء من بني إسرائيل، وتحثهم على الإيمان وتأمرهم بلزوم التقوى التي هي الغاية من جميع العبادات، بينما الآية الأولى، فهي تخاطب الكافة العالم والمقلد، فأمرتهم بالرهبة التي تورث التقوى، أفاده الألوسي . (٣)

الخامس: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الأمر غير الثلاثي إلى الأمر غير الثلاثي .

١٨٧. [استمعوا ـ أنصتوا]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾} [سورة الأعراف:٢٠٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (استمعوا) فعل أمر [و] افْتَعِلُوا، إلى (أنصتوا) فعل أمر [و] أَفْعِلُوا، وذلك في سياق الحث على استمعا القرآن وعدم التشاغل عنه وأن ذلك سبب من أسباب تنزل الرحمات وحلول البركات .

والعدول لمعجمي إلى الفعل (أنصتوا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه إلى ضرورة ترك الكلام أثناء استماع القرآن؛ تعظيمًا له، ورعايةً للتدبُّر، قال الطاهر: " والإنصات الاستماع مع ترك الكلام فهذا مؤكد (لا تسمعوا) مع زيادة معنى". (٤) فالقرآن الكريم كلام الله أعلى قدْرًا وأرفع شأنًا من أن

(١) . الدر المصون، للسمين الحلبي (١/ ٣٢٠)
(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١/ ٤٦٩)
(٣) . ينظر: روح المعاني، للألوسي (٢٤٧/١)
(٤) التحرير والتنوير، للطاهر (٢٣٩/٩)

يقرَأ والمرء ينشغل عنه بأي شغلٍ، فرحمة الله تنزل على الذين يوقِّرُون القرآن، الحريصين على تأمُّل معانيه، وقد كان بعض السلف كابن عمر رضي الله عنهما [(١)]إذا قُرِئَ القرآن سكت ولم يتكلم، احترامًا له وتكميلاً للاستماع .

قال ابن عطية: " وحكم هذه الآية في غير الصلاة على الندب أعني في نفس الإنصات والاستماع إذا سمع الإنسان قراءة كتاب الله عز وجل، وأما ما تتضمنه الألفاظ وتعطيه من توقير القرآن وتعظيمه فواجب في كل حالة، والإنصات السكوت ". [(٢)]

الثاني: التعميم؛ إرشادًا للمؤمنين وتبليغًا للكافرين، فالْإِنْصَاتُ السُّكُوتُ وَالِاسْتِمَاعُ [(٣)] قال الطاهر: " **ويكون الإنصات جامعا لمعنى الإصغاء وترك اللغو** . وهذا الخطاب شامل للكفار على وجه التبليغ، وللمسلمين على **وجه الإرشاد** لأنهم أرجى للانتفاع بهديه لأن قبله قوله: وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ." [(٤)]

الثالث: التعريض بحال المشركين بأنهم يعرضون عن استماع القرآن بل كانوا يريدون أن يلغوا فيه؛ ليصدوا الناس عن التأثر به والاهتداء بهديه .

الرابع : التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

---

(١) ينظر: التبيان في آداب حملة القرآن، للنووي ص ٩٣ .

(٢) تفسير ابن عطية (٢/٤٩٤)

(٣) ينظر: مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/٤٣٩)

(٤) التحرير والتنوير، للطاهر (٩/٢٣٩)

الباب الثالث

بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء والأفعال

الباب الثالث : بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء والأفعال

قد كان الحديث في البابين السابقين عن بلاغة العدول المعجمي بين اسمٍ واسْمٍ وبين فعلٍ وفعلٍ، أما في هذا الباب فسوف يتناول الباحث قضية العدول المعجمي سواء كان العدول بين اسم وفعل أم بين فعلٍ واسم .

ويندرج تحت هذا الباب ثلاثة فصول، على النحو التالي :

الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم .

الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي إلى الفعل .

الفصل الثالث: بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما.

ومن الجدير بالذكر أن الباحث لم يذكر نوع الكلمة المعدول منها في أسماء الفصول والمباحث؛ لتكون أكثر شمولية، فمثلًا الفصل الأول قد سمَّاه : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم وذلك؛ ليشمل نوعين من العدول :

الأول . العدول من الفعل إلى الاسم .

الثاني . العدول من الفعل والاسم إلى الاسم .

ولو قيل : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم لاشتمل الأول فقط، فلذلك عدل عنه الباحث إلى ما ذُكِر .

وإن قيل: إن العنوان هكذا قد يوهم الدخول في الباب الأول من الأسماء، فجوابه : أن اندراج الفصل في الباب الخاص بالعدول المعجمي بين الأفعال والأسماء كافٍ في قطع الوهم ومعرفة المقصود . والله المستعان .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الأول

بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم

الفصل الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم

قد سبق أن ذكرَ الباحثُ أن الاسم قد يكون اسمَ ذات وهو ما دلَّ شيء محسوس، وقد يكون اسمَ معنى وهو المصدر واسم المصدر، وقد يكون من المشتقات، وهي ما أُخِذَ من فعلٍ أو مصدرٍ .

وقد وجد الباحث من خلال النظر في شواهد العدول المعجمي في النصف الأول من القرآن أنّ هناك عدول معجمي يكون من الأفعال إلى الأسماء بأنواعها الثلاثة الآنفة الذكر، فجعل هذا الفصل يتضمن ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الذات .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي إلى اسم المعنى .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى المشتقات .

أما عن أبرز الأغراض البلاغية للعدول المعجمي إلى الاسم مما يخص هذا الباب، على النحو التالي :

أولا: الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم والتحقير، والتخصيص والتعميم، والمبالغة، والإعلام، والتعريض والتسجيل، والتعجيب، والتعليل، والتوضيح، والتهوين، والتنفير، والتحذير، والاحتراس .

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، المناسبة الإيقاعية بين الفواصل، والمناسبة اللفظية للمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الذات

سوف يكون الحديث في هذا المبحث عن بلاغة العدول المعجمي إلى أسماء الأعيان، وذلك في في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل والاسم إلى اسم الذات .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات

في هذا المطلب سيكون الحديث عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات، وقد وجد الباحث أن أسماء الذوات المعدول إليها من الأفعال إما مفردة، نحو(نور) وإما مجموعة، نحو(أنكاث)، كما أن الفعل قد جاء في هذا النوع العدولي ماضيًا ومضارعًا، فلذلك يكون الكلام في مسألتين :

أ) بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات المفرد .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات الجمع .

أ) بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات المفرد :

١٨٨. [أضاءت ـ نورهم]

قَالَ تَعَالَىٰ: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾} [سورة البقرة:١٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أضاء) فعل ماضٍ [و] أفْعَل، إلى (نور) مصدر سماعي [(١)] أو اسم ذات [و] فُعْل [(٢)] وذلك في سياق تعداد صفات المنافقين عن طريق ضرب المثل الذي يوضح المعنى، [(٣)] ويبرز أمر المنافق الذي ظهر

---

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (نور) .

(٢) . الجدول في إعراب القرآن (٦٢/١) .

(٣) . يقول الزمخشري: " ولضرب العرب الأمثال واستحضار العلماء المثل والنظائر- شأن ليس بالخفي في إبراز خبيات المعاني، ورفع الأستار عن الحقائق، حتى تريك المتخيل في صورة المحقق، والمتوهم في معرض المتيقن، والغائب كأنه مشاهد. وفيه تبكيت للخصم الألد، وقمع لسورة الجامح الأبيّ، ولأمر مّا أكثر اللّه في كتابه المبين وفي سائر كتبه أمثاله، وفشت في كلام رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وكلام الأنبياء والحكماء. قال اللّه تعالى: (وَتِلْكَ الْأَمْثالُ نَضْرِبُها لِلنَّاسِ وَما يَعْقِلُها إِلَّا الْعالِمُونَ)" . الكشاف(٧٢/١)

له نور الإسلام فاهتدى إليه ثم تركه، فالمنافقُ الذي لا يقاتل المسلمين يحقنُ دمه، ويناكحُ المسلمين فيكون له نورٌ بمنْزلة نور نار المستوقِدْ؛ فإذا بلغَ آخرتَهُ لَم يكن لإيْمانهِ أصلٌ في قلبه، ولا حقيقةٌ في عمله، سُلِبَ نورُ الإيْمان عند الموت فيبقى في ظلمةِ الكفر .

والعدول من الفعل (أضاءت) الاسم (نورهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم للاحتراس، فالعدول إلى النور أبلغ لأن الضوء فيه دلالة على زيادة النور فلو قيل: ذهب اللَّه بضوئهم لأوهم الذهاب بالكثير وإبقاء القليل، والغرض إزالة النور عنهم رأساً وطمسه أصلا، وهذا الوجه قواه الزمخشري بأنه قد ذكرت بعده الظلمات و هي عبارة عن عدم النور وانطماسه وقد جمعت لكثرتها، ونكّرتْ لتعظيمها، وقد أتبعت بقوله: " لا يُبْصِرُونَ " وذلك يدل على أنها ظلمة خالصة لا يتراءى فيها شبحان [١].

الثاني: المبالغة في وعيد المنافقين بإذهاب الإشراق وبقاء الإحراق، ليجتمع عليهم حرّها مع حر الفقد لما ينفعهم من النور . [٢] وهذا الوجه مبني على أن الضوء يستعمل لما فيه حرارة حقيقة كالذي في الشمس. [٣]قَالَ تَعَالَى:{ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا } [سورة يونس:٥]

الثالث: الإشارة إلى عظم خسارة المنافقين، " فإن الله سبحانه وتعالى سمى كتابه نورا، ورسوله صلى الله عليه وسلم نورا، ودينه نورا، وهداه نورا، ومن أسمائه النور، والصلاة نور، فذهابه سبحانه بنورهم ذهاب بهذا كله. "[٤]، وقد شاع التعبير عن الإسلام بالنور في القرآن فصار اختيار لفظ النور هنا بمنزلة تجريد الاستعارة لأنه أنسب بالحال المشبهة، وذكر ذلك الغرض الطاهر بن عاشور .[٥] وقال . رحمه الله .: " اختير هنا لفظ النور عوضا عن النار المبتدأ به، للتنبيه على الانتقال من التمثيل إلى الحقيقة ليدل على أن الله أذهب نور الإيمان من قلوب المنافقين، فهذا إيجاز بديع كأنه قيل فلما أضاءت ذهب الله بناره فكذلك ذهب الله بنورهم وهو أسلوب لا عهد للعرب بمثله فهو من أساليب الإعجاز."[٦]

قال الألوسي بعد نقله لأقوال العلماء في التفريق بين النور والضياء: " والذي يميل القلب إليه أن الضياء يطلق على النور القوي وعلى شعاع النور المنبسط فهو بالمعنى الأول أقوى وبالمعنى الثاني أدنى ولكل مقام مقال ولكل مرتبة عبارة ولا حجر على البليغ في اختيار أحد الأمرين في بعض المقامات لنكتة اعتبرها ومناسبة لاحظها ."[٧]

---

(١) . الكشاف : (٧٤/١)، مفاتيح الغيب : (٣١٤/٢)، تفسير البيضاوي : (٥٠/١)
(٢) . ينظر: تفسير البقاعي (١١٩/١)، وتفسير الثعالبي :(١٦٠/١)
(٣) . ينظر: روح المعاني : (١٦٨/١)
(٤) . اجتماع الجيوش الإسلامية، لابن القيم : (٦٥/٢)
(٥) . التحرير والتنوير: (٣١٠/١)
(٦) . التحرير والتنوير: (٣٠٩/١)
(٧) . روح المعاني، للألوسي (١٦٩/١)

١٨٩. [يقولون ـ حديثا]

قَالَ تَعَالَى: { أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾ } [سورة النساء:٧٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يقولوا) **فعل مضارع مجزوم [و] يَفْعُلُوا، إلى (حديث) اسم ذات** [١] **أو اسم مصدر من الرباعي (حَدَّث) [و] فَعِيل** [٢]، وذلك في سياق توبيخ شأن أهل النفاق ومن يستمعون إليهم من ضعفاء أهل الإسلام الذي يزعمون أن ما أصابهم من ضرٍّ فمن الرسول ـ عليه السلام ـ فهؤلاء لا يعلمون حقيقة ما يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من أن كل ما أصابهم من خير أو شر، أو ضرّ وشدة ورخاء، فمن عند الله، لا يقدر على ذلك غيره .

والعدول المعجمي من الفعل (يقولوا) **إلى الاسم** (حديثًا) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: التعميم؛ مبالغةً في ذم المنافقين وضعفاء النفوس؛ جعلوا بمنزلة البهائم الذين لا يفهمون شيئًا مما يقال لهم، وهذا الوجه إن أريد بالحديثِ الحديثُ المطلقُ [٣] أي: كل "كلام يحكى به أمر حدث في الخارج ."[٤].

الثاني: التخصيص؛ ذمًّا لهؤلاء أيضًا لانصرافهم عن تفهم ما يخبرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من الأخبار المستجدة مما يخص عقائد الإيمان: كمعرفة أن الله بيده مقادير كل شيء ولا يكون إلا ما يريد، وهذا مبني على أن الحديث: "هو الإخبار بالأمر الحديث"[٥] فهو أخص من القول المطلق .

هذا ولا يكون في الآية عدولٌ معجميٌّ إن أريد بالحديث كما قال الشهاب: "كل ما حدث، وقرب عهده كالحادث فالمراد أنهم لا يعقلون صروف الدهر وتغيره حتى يعلموا أنّ له فاعلاً حقيقيا بيده جميع الأمور ." [٦] وفيه ذمٌّ واضحٌ .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من وجهين:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (١٠٤/٥)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة(حدث) .
(٢) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (١٠٤/٥)
(٣) . حاشية الشهاب على البيضاوي : (١٥٧/٣)
(٤) . التحرير والتنوير : (١٩٣/١٦)
(٥) . التحرير والتنوير : (٢٥٥/١٥)
(٦) . حاشية الشهاب : (١٥٧/٣)

ثانيها: مراعاة المناسبة الإيقاعية لغالبية فواصل السورة في بنيتها المقطعية فجميع فواصل السورة يندرج تحت نوعين كالتالي:

١. ما يقوم على مقطعين وله صورتان:

أ. (ص ح. ص ح ح ص) وهذه الصورة قليلة ومنها: (رحيم، حكيم، مهين، عظيم)

ب. (ص ح ح. ص ح ح) وتمثل هذه الصورة فاصلة واحدة (قِيلا) .

ومع انفراد هذه الصورة في فاصلة واحدة إلا أنها تناسب أواخر غالبية الفواصل وهي التي تنتهي بالمقطعين (ص ح ح. ص ح ح) .

٢. ما يقوم على ثلاثة مقاطع وله صورتان:

أ. (ص ح. ص ح ح. ص ح ح) وعليها غالبية فواصل السورة ومنها: (عليما، حكيما، كبيرا، بليغا)

ب. (ص ح ص. ص ح ح. ص ح ح) وهذه الصورة فواصلها قليلة ومنها: (معروفا، مفروضا، مفعولا، تأويلا)

فلو قيل: (لا يكادون يفقهون قوْلا) لم يحصل التناسب الإيقاعي المقطعي؛ فلفظ (قَوْلا) بنيته المقطعية هي (ص ح ص. ص ح ح) ولم يوجد في السورة فاصلة تناسبه مقطعيًّا، فاختير لفظ (حديثًا) لمناسبته غالبية فواصل السورة من الناحية المقطعية .

ب) بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الذات الجمع .

١٩٠. **[أقسموا ـ أيمانهم]**

قَالَ تَعَالَى:{وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍۗ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَاۚ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾} [سورة الأنعام:١٠٨–١٠٩]

في الآية الثانية عدول معجمي من (أقسموا) فعل ماضٍ [و] أَفْعَلُوا، إلى (أيمان) اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعَال [1]، **والمفرد يمين بمعنى قسم**، وذلك في سياق ذكر أحوال الكافرين، و" شيء من تعلاتهم للتمادي على الكفر بعد ظهور الحجج الدامغة لهم، كانوا قد تعللوا به في بعض توركهم على الإسلام. ... وأنهم قالوا لما سمعوا قوله تعالى: إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين [الشعراء: ٤] أقسموا أنهم إن جاءتهم آية كما سألوا أو كما توعدوا ليوقنن أجمعون، وأن رسول الله- عليه الصلاة والسلام- سأل الله أن يأتيهم بآية كما سألوا، حرصا على أن يؤمنوا. فهذه الآية نازلة في ذلك المعنى لأن هذه السورة جمعت كثيرا من أحوالهم ومحاجاتهم." [2]

والعدول المعجمي إلى الاسم (أيمانهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التسجيل على الكافرين باجتماعهم على ذلك الحلف الكاذب وتصويرهم بهيئة الذين يتلاقون فيتعاهدون على شيء ما بحيث لا يتخلف أحدهم عن الوفاء بذلك الميثاق الذي أخذوه على أنفسهم ويتصافحون إيذانا برضاهم التام عن تلك المبايعة، قال الراغب: " اليمين أصله العضو، واستعير للحلف لما جرت به العادة في تصافح المتعاقدين ." [3] فالكافرون قد أكثروا الحلف بذلك تمويهًا للناس بأنهم صادقون فيما قالوا .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية، وذلك عن طريق أمرين:

أولهما: مراعاة الخفة اللفظية: فقوله: " وأقسموا بالله جهد أيمانهم " أخف لفظا من (وأقسموا بالله جهد أقسامهم).

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

١٩١. **[نقضت ـ أنكاثًا]**

قَالَ تَعَالَى:{ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَـٰنَكُمْ دَخَلًۢا بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِىَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ ۚ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ ٱللَّهُ بِهِۦ ۚ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٩٢﴾} [سورة النحل:٩٢]

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (يمن) .

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر(٧/ ٤٣٥)

(٣) . تفسير الراغب(١/ ٤٦٠)

شبكة الألوكة

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نقضت) فعل ماضٍ [و] فَعَلَتْ إلى (أنكاث) اسم ذات/جمع تكسير [و] أَفْعَال [(١)]، **والمفرد (نِكْث) وهو ما يُنقَض من الأكْسية والأخبية ليُغزل ثانيةً**،[(٢)] وذلك العدول أتى في سياق النهي عن نقض الأيمان بعد توكيدها والأمر بالوفاء بالعهود، وتمثيل الناقض للأيمان كالناقضة لغزلها بعد إحكامه وذلك غاية الحمق وسوء التصرف .

والعدول المعجمي من الفعل (نقضت) إلى الاسم (أنكاثًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: تقبيح نقض العهود والتنفير منه، " فالجملة الكريمة تحقر في كل جزئية من جزئياتها، حال من ينقض العهد، وتشبهه على سبيل التنفير والتقبيح بحال امرأة ملتاثة في عقلها، مضطربة في تصرفاتها." [(٣)] فتسمية تلك الأجزاء المنقوضة أنكاثًا تدل على الحقارة والضعف فهي: " ما يُقطع من الخيوط " [(٤)]، والمرأة الممثل بها قيل: " هي (رَيْطةُ بنتُ سعد بن تيم) وكانت خرقاءَ اتخذت مِغزلاً قدرَ ذراعٍ وصَنّارةً مثلَ أصبع وفَلْكَةً عظيمةً على قدرها فكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر ثم تأمرهن فينقُضْن ما غزَلْن ."[(٥)]، وفي ذلك تسجيل على المشركين بعدم الوفاء بالعهود من أجل الاستعلاء على الآخرين وذلك يتنافى مع مكارم الأخلاق الإنسانية، ويوجب الضعف والاضمحلال، فإن " الأمم مهما تكن قوتها إذا استهانت بالعقود لَا يثق الناس في رجائها، فإذا كانت الشديدة تلفتت فلا تجد أحدًا حولها؛ لأنه لَا ثقة فيها، وقد رأينا ذلك رأي العين في أمم شرقت وغربت، ثم تزايلت حتى زال سلطانها." [(٦)]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: الخفة اللفظية؛ فما عليه النظم الجليل أخف لفظًا مما لو قيل: " نقضت غزلها من بعد قوة أنقاضا "، فقوله: (أنكاثا) أخف لأن أصواته مرققة، بينما (أنقاضًا) أثقل للتفخيم الحاصل في القاف والضاد .

ثالثها: مراعاة المناسبة الصوتية للمعنى، فعند التعبير عن فك الغزل المحكم القوي استعمل اللفظ القوي (نقضت)، ولما أريد بيان ما صار إليه من الضعف والوهن عدل إلى اللفظ الأخف (أنكاثًا)، كما أن صوت الثاء يدل على الانتشار والتفريق وهو متناسب جدًّا مع المعنى فالشيء المغزول بعد نقضه يصير مبثوثًا مفرَّقًا .

---

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (نكث) .

(٢) . المعجم الوسيط، مادة (نَكَث) .

(٣) . التفسير الوسيط للطنطاوي : (١٤/ ٢٦٤)

(٤) . تفسير الطبراني : (٤/ ٢٠٥)

(٥) . تفسير أبي السعود : (٥/ ١٣٧)

(٦) . ينظر: تفسير أبي زهرة : (٨/ ٤٢٥٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

روى ابن جرير الطبري " عن بريدة، قوله (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) قال: أنزلت هذه الآية في بيعة النبيّ صلى الله عليه وسلم، كان من أسلم بايع على الإسلام، فقالوا (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ) هذه البَيعة التي بايعتم على الإسلام (وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا) البيعة، فلا يحملكم قلة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكثرة المشركين أن تنقضوا البيعة التي بايعتم على الإسلام، وإن كان فيهم قلة والمشركين فيهم كثرة." (١)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى اسم الذات

وفيه دراسة لشاهدين أولهما في سورة البقرة والثاني في سورة يوسف ـ عليه السلام ـ، وقد كان هذا العدول في صورتين :

أ) من(فعل ماض/اسم) إلى (جمع مؤنث سالم) .

ب) من(فعل مضارع/اسم) إلى(جمع تكسير)

١٩٢. [أنفقتم/نفقة ـ الصدقات]

قَالَ تَعَالَى: {وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾} [سورة البقرة:٢٧٠-٢٧١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من [(أنفقتم) فعل ماضٍ [و] أَفْعَلْتُم، (نَفَقَة) اسم ذات لما ينفق من الدراهم وغيرها،(٢) أو اسم مصدر من الرباعي (أنْفَق) (٣) [و] فَعَلَة إلى (الصدقات) اسم ذات/جمع مؤنث سالم [و] الفَعَلَات (٤)] ثم إلى (تؤتوها) فعل مضارع [و] تُفْعُوها، وذلك في سياق بيان علم اللهِ بأفعال العباد من الإنفاق والنذر، ووعد المنفقين المخلصين بالثواب العظيم وتكفير السيئات، فضْلًا منه . تبارك وتعالى . { هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾} [سورة الرحمن:٦٠]

---

(١) . تفسير ابن جرير الطبري (١٧/ ٢٨١)

(٢) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٣/٦٢)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة(نفق) .

(٣) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٣/٦٢).

(٤) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٢/٤٠٦)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة(صدق) .

أما العدول المعجمي من (أنفقتم، نفقة) إلى (الصدقات) فله أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص تنبيهًا على وجوب الصدق في الإنفاق والإخلاص لله فيه، فلفظ (الصدقات) أخصُّ من (النفقات) لأن الصدقات مشتق من الفعل (صدق) " والصَّدَقَةُ: ما يخرجه الإنسان من ماله على وجه القربة كالزّكاة، لكن الصدّقة في الأصل تقال للمتطوّع به، والزّكاة للواجب، وقد يسمّى الواجب صدقة إذا تحرّى صاحبها الصّدق في فعله. قال: خُذْ مِنْ أَمْوالِهِمْ صَدَقَةً [التوبة/ ١٠٣]" (١) لأن الإنفاق قد يكون في سبيل اللهِ كما قد يكون في غير ذلك فهو أعم، والدليل على ذلك من الآية الأولى إذ ذكر فيها وعيد الظالمين ويتحقق ذلك في " الإنفاق والنذر في المعاصي أو بإنفاق الخبيثِ أو بالرياء والمنِ والأذى وغيرِ ذلك ما ينتظمُه معنى الظلم الذي هو عبارة عن وضع الشئ في غير موضعِه الذي يَحِقُّ أن يوضعَ فيه ".(٢) إذن فالعدول مناسب جدًّا للنفقة التي يتقرَّب بها العبد إلى ربه متحريًا الإخلاص فيها، ابتغاء مرضاته وحسن جزائه .

الثاني: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

أما العدول إلى الفعل (تؤتوها) فلأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أهمية الاعتناء بالفقراء وتفقد أحوالهم؛ فالإيتاء يقتضي إيصال الأغنياء نفقاتهم إلى الفقراء وتمكينهم من الانتفاع بها، وفيه إشارة إلى فضيلة القيام بذلك وأنه يبعث إلى رؤية أحوال الفقراء والإحساس بهم وتمام المودة والألفة التي تحصل بين أفراد المجتمع: غنيهم وفقيرهم، فالفقير يحس بالفرحة والبهجة ويعرف أنه ذو منزلة بين الناس وليس مهملًا حين يرى الغني بتواضعه يذهب إليه ويطرق بابه ليعينه على نوائب الدهر ويفرج همومه ويسعى في إخراجه من العوز الذي وقع فيه .

الثانية: التنبيه على فضيلة الإنفاق بالمحبوب إلى النفس، قال الطاهر: " والإيتاء: الإعطاء . وهو مستعار للإنعام بالحالة النافعة، لأن شأن الإعطاء أن يكون تمكيناً بالمأخوذ المحبوب ." قَالَ تَعَالَىٰ:{لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} [سورة آل عمران:٩٢]

وهذا يؤكد وجوب سماحة الأنفس عند الإنفاق ولين الجانب مع الفقراء، لذلك خصَّت الزكاة بلفظ الإيتاء حيث ورد في الذكر الحكيم ومن ذلك قوله تَعَالَىٰ:{وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾} [سورة البقرة:٤٣]

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية، من ثلاثة أوجه:

---

(١) . المفردات للراغب : (٤٨٠)

(٢) . ينظر: (تفسير أبي السعود : (١/٢٦٣)

أولها: تحقق المناسبة اللفظية بين (تؤتوها) و(تخفوها) حيث يتفق الفعلان في الوزن (تُفْعُوها) والبنية المقطعية (ص ح ص.ص ح ح.ص ح ح)، ولو قيل (تنفقوها) أو (تتصدقوا بها) لم تتحقق تلك المناسبة .

ثانيها: إيثار الخفة اللفظية، فلفظ (تؤتوها) لخلوها من حروف التفخيم أخف لفظًا من (تنفقوها، تتصدقوا بها)، وذلك متناسب مع إخفاء الصدقة، وهو تناسب بديع لا يكون إلا في الكلام العالي البليغ .

ثالثها: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

١٩٣. [أرى/رؤيا ـ الأحلام]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾} [سورة يوسف:٤٣–٤٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أرى) **فعل مضارع [و] أَفَل،** (رؤيا) **مصدر سماعي [و] فُعْلَى، إلى** (أحلام) **اسم ذات/جمع تكسير لـ(حُلْم) [و] أَفْعَال**[١] وذلك في سياق قصة الرؤيا العجيبة لملك مصر ورغبته في معرفة تفسيرها الصحيح، لكن الملأ عدَّوا تلك الرؤيا من قبيل المنامات الباطلة ولم يعرفوا تفسيرها .

والعدول المعجمي من (أرى / الرؤيا) **إلى** (الأحلام) **فلأغراض بلاغية منها:**

الأول: تهوين أمر الرؤيا وأنها من قبيل الأباطيل المنامية والخيالات التي لا تفسير لها، لذلك سَمَّوْها (أضغاثًا) أي: أخلاطًا متضادة،قال الطبري: " "الضغث" أصله الحزمة من الحشيش، يشبه بها الأحلام المختلطة التي لا تأويل لها ." [٢] و" الرُّؤْيَا والحلم بِمَعْنى وَاحِد، لِأَن الْحلم مَا يرَاهُ الْإِنْسَان فِي نَومه، غير أَن صَاحب الشَّرْع خص الْخَيْر باسم الرُّؤْيَا، وَالشَّر باسم الْحلم." [٣] حيث قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الرؤيا الصادقة من الله، والحلم من الشيطان» [٤]

(١) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٤٤١/١٢)، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة(حلم) .

(٢) . تفسير الطبري : (١١٧/١٦)

(٣) . كشف المشكل من حديث الصحيحين : (١٤٣/٢)

(٤) . صحيح البخاري، باب الرؤيا من الله، حديث رقم (٦٩٨٤)

وكأن الملأ أرادوا أن يطمئنوا الملك فاكتفوا بهذا القول لئلا يشغل نفسَه بأمر تلك الرؤيا وينساها إذ هي خيالات شيطانية لا حقيقة لها، فعدلوا عن (الرؤيا) إلى (الأحلام) " حتى لَا يلج به الهم الغالب، وذلك هو الأقرب المعقول بين ملك وحاشيته."[1]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فقوله: " بتأويل الأحلام " أخف لفظًا مما لو قيل: " بتأويل الرؤى " .

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي إلى اسم المعنى

قد كان الحديث في المبحث السابق عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي إلى اسم الذات، أما في هذا المبحث فسوف يكون الكلام عن بلاغة العدول المعجمي إلى اسم المعنى : المصدر الصريح والميمي واسم المصدر .

ويتضمن هذا المبحث مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المعنى .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى اسم المعنى .

---

(١) . تفسير أبي زهرة : (٣٨٢٩/٧)

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المعنى

وسوف يكون الحديث عن بلاغة هذا النوع العدولي في ثلاث مسائل :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى اسم المعنى .

ب . بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى اسم المعنى .

ج . بلاغة العدول المعجمي من فعل الأمر إلى اسم المعنى .

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى اسم المعنى :

١. بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى المصدر الصريح :

١٩٤. [افترى ـ كذبًا]

قَالَ تَعَالَى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ الأنعام: ٢٠ – ٢١

في الآية الثانية عدول معجمي من (افترى) فعل ماضٍ [و] افْتَعَل إلى (كذب) مصدر سماعي [و] فَعِل وذلك في سياق التشنيع على أهل الكتاب الذين يخفون ما ورده في التوراة والإنجيل من صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك ظلم ولا يفلح الظالمون .

وهذا العدول له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم للإشارة إلى جرم الكذب على الله، فالافتراء على اللهِ بأي شيء شنيعٌ وظلمٌ قبيح، وذلك مستفاد من لفظ (كذبًا) الأعم من الافتراء . قال في معجم الفروق: " والافتراء: أخص منه، لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه ."[١] وقال ابن عرفة: "الكذب على قسمين كذب في أمر ظاهر لا نشك فيه فهذا افتراء وكذب في أمر يمكن أن يكون حقا أو

(١) . معجم الفروق اللغوية ص٤٥٠.

باطلا فهذا كذب من غير افتراء ." (١) قال الطاهر: " والافتراء الكذب المتعمد. وقوله: كذبا **مصدر مؤكد له**، وهو أعم من الافتراء، والتأكيد يحصل بالأعم. " (٢)

الثاني: التنبيه إلى أن الله جلَّ شأنه مستحقٌّ للوصف بالكمالات، وتسجيل على الكافرين المكذبين بتمكنهم في الجهالة وتقصيرهم أشد التقصير في جناب الحق تعالى فالكذب كما قال أبو هلال: " أَصله فِي الْعَرَبيَّة التَّقْصِير وَمِنْه قَوْلهم كذب عَن قرنه فِي الْحَرْب إِذا ترك الحملة عَلَيْهِ ." (٣) فالمشركون من عبدة الأوثان زعموا أن لله سبحانه وتعالى شريكًا من خلقه، والنصارى ادعوا أن له ولدًا .

الثالث: مراعاة الخفة اللفظية وتجنب التكرار، فقول تعالى: " افترى على الله كذبا " أخف لفظا من (افترى على الله افتراءً)، لخفة مصدر الثلاثي .

وهكذا نرى العدول المعجمي جمع بين الغايات الدلالية والصوتية .

١٩٥. **[أشركتم ـ ظلم]**

قَالَ تَعَالَىٰ: { وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾} [سورة الأنعام:٨١-٨٢]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (أشركتم) فعل ماض [و] أَفْعَلْتُم إلى (ظلم) مصدر سماعي [و] فُعْل، وذلك في سياق بيان أن " هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة."(٤)

والعدول المعجمي من الفعل (أشركتم) إلى الاسم (ظلم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنفير من الشرك بتعداد معانيه السيئة، وقد جاء في الحديث النبوي الشريف تفسير الظلم بالشرك، روى البخاري عن عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا} [سورة الأنعام: ٨٢] إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، قُلْنَا: يَا رَسُول

(١) . تفسير ابن عرفة (١٤٧/٢)
(٢) . التحرير والتنوير ١٧٢/٧)
(٣) . الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري(٤٥/١)
(٤) . تفسير ابن كثير: (٣/ ٢٩٤)

اللَّهِ، أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ؟ قَالَ: " لَيْسَ كَمَا تَقُولُونَ {لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} [سورة الأنعام: ٨٢] بِشِرْكٍ، أَوَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ لُقْمَانَ لِابْنِهِ يَا بُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ " (١)

قال الرازي: " والدليل على أن هذا هو المراد أن هذه القصة من أولها إلى آخرها إنما وردت في نفي الشركاء والأضداد والأنداد، وليس فيها ذكر الطاعات والعبادات، فوجب حمل الظلم هاهنا على ذلك." (٢)

فالظلم من معانيه اللغوية (النقص) كما في قوله تعالى: "كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئًا ". فادعاء الشريك لله ـ سبحانه ـ تنقيص لحقه في كمال الإلهيه، لذلك فالمؤمنون كانوا أبعد الناس عن ظلم أنفسهم وظلم الحق ـ تعالى ـ لكمال علمهم بما يستحقه من الوحدانية وتمام العبودية .

قال الطاهر: " والظلم: الاعتداء على حق صاحب حق، والمراد به هنا إشراك غير الله مع الله في اعتقاد الإلهية وفي العبادة، قال تعالى: إن الشرك لظلم عظيم [لقمان: ١٣] لأنه أكبر الاعتداء، إذ هو اعتداء على المستحق المطلق العظيم، لأن من حقه أن يفرد بالعبادة اعتقادا وعملا وقولا لأن ذلك حقه على مخلوقاته. ففي الحديث «حق العباد على الله أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا».(٣)

الثاني: التعميم، ليعم أقبح الظلم وهو الشرك وما دونه من الموبقات، والتعميم نقله غير واحد من المفسرين كالطبري والماوردي ورجحه الزمخشري، قال الطاهر: " وحمل الزمخشري الظلم على ما يشمل المعاصي، لأن المعصية ظلم للنفس كما في قوله تعالى: فلا تظلموا فيهن أنفسكم [التوبة: ٣٦] تأويلا للآية على أصول الاعتزال لأن العاصي غير آمن من الخلود في النار فهو مساو للكافر في ذلك عندهم، مع أنه جعل قوله: الذين آمنوا ولم يلبسوا إلى آخره من كلام إبراهيم، وهو إن كان محكيا من كلام إبراهيم لا يصح تفسير الظلم منه بالمعصية إذ لم يكن إبراهيم حينئذ داعيا إلا للتوحيد ولم تكن له بعد شريعة ." (٤)

الثالث: التنبيه على أن الظلم ليس من صفات المؤمنين لأن الإيمان يحث المرء على العدل في جميع شئونه .

١٩٦. [شغفها ـ حبًّا]

قَالَ تَعَالَى:{ ۞ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّاۖ إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٣٠} [سورة يوسف:٣٠]

(١) . صحيح االبخاري حديث رقم (٣٣٦٠)
(٢) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٣/ ٤٩)
(٣) . التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٢)
(٤) . التحرير والتنوير (٧/ ٣٣٣)

قد جاء في الآية الكريمة عدول معجمي من (شغفها) فعل ماض [و] فَعَلَها إلى (حُبّ) مصدر سماعي [و] فُعْل وذلك في سياق بيان لوم نسوة المدينة على امرأة العزيز بأنها أحبت يوسف حُبًّا شديدًا ووصفهن لها بأنها في ضلال مبينٌ لانحرافها عن الجادة بمراودة يوسف عليه السلام وهي زوج العزيز .

والعدول المعجمي من الفعل (شغفها) إلى الاسم (حبًّا) لأغراض بلاغية منها:

الأول: التوضيح باللفظ الأعم، إذ لو قيل مثلا: " شغفها شغفًا " لما كان في اتضاح ما عليه النظم الجليل، قال الطاهر: " والضمير المستتر في شغفها لفتاها. ولما فيه من الإجمال جيء بالتمييز للنسبة بقوله: حبا. وأصله شغفها حبه، أي أصاب حبه شغافها، أي اخترق الشغاف فبلغ القلب، كناية عن التمكن." [(١)] فالشغف: الحب القاتل كما روى الضحاك عن ابن عباس [(٢)] فالعدول إلى (الحب) ليبين مدى تعلق امرأة العزيز بيوسف وأن جميع معاني الحب قد تمكنت من قبلها فملأت جميع أركانه، قال الرازي: " ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغالها بحبه صار حجابا بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا إياه." [(٣)]

الثاني: الإشارة إلى الحالة النفسية لامرأة العزيز عند رؤية يوسف، فقلبها المعنى حينئذ يهش ويخفق من حرارة الحب، كما قال أبو صخر الهذلي:

وإني لتعروني لذكراك هزة ...كما انتفض العصفور بلله القطرُ[(٤)]

قال ابن القيم: " وقيل [أي: المحبة] مأخوذة من الحباب وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد فعلى هذا المحبة: غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب ." [(٥)]

الثالث: إظهار العجب من النسوة من حبها ليوسف إذ كان ثابتًا حتى اشهرت به وعرفته تلك النسوة، **قال ابن القيم:** " قيل مشتقة من اللزوم والثبات ومنه أحب البعير إذا برك فلم يقم قال الشاعر:

حلت عليه بالفلاة ضربا ... ضرب بعير السوء إذ أحبا

فكأن المحب قد لزم قلبه محبوبه فلم يرم عنه انتقالا ." [(٦)]

---

(١) . التحرير والتنوير (١٢/٢٦٠)
(٢) . ينظر: تفسير ابن كثير (٤/٢٨٥)
(٣) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٨/ ٤٤٨)
(٤) . نقلًا من كتاب : أوضح المسالك (٢/٢٠٠)
(٥) . روضة المحبين، لابن القيم، ص ١٧ .
(٦) . روضة المحبين، لابن القيم، ص ١٧ .

الرابع: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار .

١٩٧. **[آمنوا ـ هدى]**

قَالَ تَعَالَىٰ: { نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴿١٣﴾} [سورة الكهف:١٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آمنوا) **فعل ماض [و] أَفْعَلُوا إلى** (هدى) **مصدر سماعي [و] فُعَل** وذلك في سياق مدح أهل الكهف وبيان عقيدتهم الصافية إذ آمنوا بربهم واهتدوا بهداه، وصبروا على فراق دار قومهم .

والعدول المعجمي من الفعل (آمنوا) **إلى الاسم** (هدى) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: الإشارة إلى تعدد المنن الإلهية التى وهبها لأصحاب الكهف إذ ثبَّتهم على الإيمان وبصَّرهم بطرق الرشاد، وجعلهم يسعون في تكميل أنفسهم بالفضائل وآتاهم من الألطاف والمعارف الخفية التي تزيد يقينهم وتجعلهم يقبلون على المعاطب في سبيل نصرة الحق والثبات عليه، وهذا الوجه أشار إليه البقاعي [١] وأبو السعود [٢]، وكأنهما نظرا إلى أن الاهتداء قد يكون بالأشياء الخفية .

الثاني: الإيذان بأن الإيمان بالله تعالى سبب عظيم في الاهتداء إلى منافع الدارين، قَالَ تَعَالَىٰ:{ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٩٧﴾} [سورة النحل:٩٧] .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : مراعاة التناسب الإيقاعي بين فواصل السورة الكريمة، ولو قال: (وزادهم إيمانا) لم يتحقق ذلك التناسب، فالسورة كلها مبنية على الفواصل المنتهية بالمقاطع (ص ح . ص ح ح) أو (ص ح ص . ص ح ح) ولم تأتي إلا فاصلة (أعمالا) المنتهية ب(ص ح ح . ص ح ح) . فالعدول إلى (هدى) حقق انسجامًا إيقاعيًا بديعًا بين تلك الفاصلة وغالبية فواصل السورة من حيث: رويها، ومقاطعها .

ثانيهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . نظم الدرر (٢١/١٢)

(٢) . تفسير أبي السعود : (٢١٠/٥)

١٩٨. [أخذتهم ـ عقاب]

قَالَ تَعَالَى: { وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾} [سورة الرعد:٣٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أخذتهم) فعل ماضٍ [و] فَعَلْتُهُم إلى (عقاب) مصدر سماعي للرباعي (عاقَب) [و] فِعَال، وذلك في سياق بيان المصير المؤلم للمستهزئين بالرسل وأن الله تعالى عاقبهم على ذلك بأشد أنواع العذاب، قَالَ تَعَالَى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾} [سورة العنكبوت:٤٠]

فالعدول من الفعل (أخذتهم) إلى الاسم (عقاب) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهويل من عذاب الله وشدة أخذه للكافرين يوم القيامة، والتنبيه إلى أنهم في الآخرة يردون إلى أشد العذاب،ولفظ (عقاب) به صوت القاف الشديد المفخم وذلك ينبئُ عن فظاعة العذاب وشدته .

الثاني: الإشارة إلى كمال العدالة الإلهية، وأن هؤلاء الكفار مستحقون لهذا العذاب أيَّما استحقاقٍ؛ فالعقاب " ينبئ عن استحقاق وسمي بذلك لأن الفاعل يستحقه عقيب فعله، ويجوز أن يكون العذاب مستحقا وغير مستحق، وأصل العقاب التلو وهو تأدية الأول إلى الثاني يقال عقب الثاني الأول إذا تلاه " (١) .

الثالث: الإيذان بأن الله سريع العقاب، وذلك مستفاد من لفظ (عقاب) إذ يدل على المعاقبة وانعدام المهلة، وفيه من التهويل ما فيه، وأشار إلى هذا الغرض الطبري في تفسيره (٢)

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية، وذلك عن طريق عدة أوجه منها:

أولاهما .: التفنن في التعبير، والبعد عن التكرار .

ثانيهما .: مراعاة المناسبة الإيقاعية لكثير من فواصل السورة، فالفاصلة (عقاب) تناسب الفواصل (مآب . متاب . . .)

---

(١) . معجم الفروق اللغوية : (٣٦٤)
(٢) . تفسير الطبري : (٦/ ٢٢٣)

[دعوا ـ الدين]

قَالَ تَعَالَى: {هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾} [سورة يونس:٢٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (دعوا) فعل ماضٍ [و] فَعَوْا إلى (الدِّين) مصدر سماعي [و] الفِعْل، وذلك في سياق الامتنان على العباد بتسييرهم في البر والبحر ليبتغوا من فضله وليسهل عليهم إدراك حاجاتهم، وفي الآية إعلامهم بأن الذي يملك نجاتهم من أهوال البحر إنما هو الله وحده، فهو أهل أن يشكر ويعبد .

والعدول المعجمي من الفعل (دعوا) إلى الاسم (الدين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنويه إلى فضل الدعاء ومكانته إذ إنه مخُّ العبادة، لما فيه من صدق الافتقار إلى المولى ـ عز وجل ـ والعلم بأنه ـ تعالى ـ هو القادر على جلب المنافع ودفع المضارّ، **قَالَ تَعَالَى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾}** [سورة **غافر**:٦٠]

الثاني: التبكيت للمشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام ويتقربون بها إلى الله فإذا جاءتهم الحاجات والكربات والشدائد دعوا الله وحده وتركوها، وفي "هذا إقامة حجة عليهم ببعض أحوالهم، مثل قوله تعالى: أغير الله تدعون إن كنتم صادقين بل إياه تدعون [الأنعام: ٤٠، ٤١] ".(١) فكان المفروض عليهم أن يخلصوا لله في عبادته إذ هو المالك للنفع والضر وهو المحسن إليهم بأصول النعم وفروعها .

الثالث: الإشارة إلى أن الإخلاص في العبادات سببٌ لقبول الدعاء وكشف الكرب وحصول النجاة، فالواجب على المؤمن أن يكثر من العبادات ليقبل دعاؤه وتتم سعادته بحصول المطلوب وزوال المرهوب، **قَالَ تَعَالَى:{وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾}** [سورة الأنبياء:٨٩-٩٠]

(١). التحرير والتنوير: (١١/ ١٣٨)

١٩٩. [أهلكناها ـ بأسنا]

قَالَ تَعَالَى:﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ﴿٤﴾ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [سورة الأعراف:٤-٥]

في الآيتين الكريم عدول معجمي من (أهلكناها) فعل ماضٍ [و] أَفْعَلْنَاهَا إلى (بَأس) مصدر سماعي من الفعل بؤس يبؤُس [و] فعْل، في سياق ذكر عقاب الكافرين في الدنيا وأن سببه بغيها وفسادهم وانحرافهم عن الطريق المستقيم، وتلك سنة الله التي لا تختلف في أى زمان أو مكان. فالله يفاجئهم بانتقامه وهم في غفلتهم قائلون وفي ذلك تحذير ضمني لمشركي مكة من حلول العذاب عليهم بسبب تكذيبهم لآيات ربهم .

والعدول المعجمي من الفعل (أهلكناها) إلى الاسم (بأسنا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهديد الشديد للسامعين المعاندين وتحذيرهم من أن يحل غضب الله عليهم فيريد إهلاكهم، فضيق عليهم المهلة لئلا يتباطئوا في تدارك أمرهم والتعجيل بالتوبة، " والبأسُ النكاية والشدة في الحرب " (١) " والبأس ما يحصل به الألم، وأكثر إطلاقه على شدّة الحساب ولذلك سمّيت الحرب البأساء ." (٢) فلذلك يكون التعبير عن إهلاكه بلفظ (البأس) تهديدًا وتحذيرًا من أليم عقوبته فيكون على غرار: **(فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ) [البقرة: ٢٧٩].**

الثاني: التفسير، قال أبو حيان " .... وقال الفراء: إن الإهلاك هو مجيء البأس ومجيء البأس هو الإهلاك فلما تلازما لم يبال أيهما قدم في الرتبة، كما تقول شتمني فأساء وأساء فشتمني لأن الإساءة والشتم شيء واحد . وقيل: الفاء ليست للتعقيب وإنما هي للتفسير، كقوله: توضأ فغسل كذا ثم كذا ." (٣)

ويقول الرازي : " الفاء قد تجيء بمعنى التفسير، كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله صلاة أحدكم حتى يضع الطهور مواضعه فيغسل وجهه ويديه»، فالفاء في قوله فيغسل للتفسير لأن غسل الوجه واليدين كالتفسير لوضع الطهور مواضعة فكذلك هاهنا البأس جار مجرى التفسير لذلك الإهلاك لأن الإهلاك قد يكون بالموت المعتاد وقد يكون بتسليط البأس والبلاء عليهم فكان ذكر البأس تفسيرا لذلك الإهلاك ." (٤)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية عن طريق أمرين :

---

(١) . التحرير والتنوير: (٢/ ١٣٢)
(٢) . التحرير والتنوير: (٨/ ٢١)
(٣) . البحر المحيط، لأبي حيان (١١/٥)
(٤) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٩٩/١٤)

أولهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل، أخف مما لو قيل: (وكم من قرية أهلكناها فجاءها إهلاكنا) .

٢٠٠. [حبط ـ باطل]

قَالَ تَعَالَى:{ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾} [سورة هود:١٥ـ١٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (حبط) فعل ماضٍ [و] فَعِل، إلى (باطل) اسم فاعل [و] فَاعِل وقد استعمل اسمًا بمعنى ضد الحق فالإخبار به كالإخبار بالمصدر يفيد مبالغة في بطلانه [١]وذلك في سياق ذم الذين لا هم لهم إلا الدنيا والسعي وراء متاعها الفاني ووعيد هؤلاء بالعذاب الشديد يوم القيامة وأن ما عملوه في تلك الحياة الدنيا يكون هباءً منثورًا، قال البيضاوي: " والآية في أهل الرياء. وقيل في المنافقين. وقيل في الكفرة ." [٢]وقال الطاهر: " مورد هذه الآيات ونظائرها في حال الكافرين الذين لا يؤمنون بالآخرة." [٣]

وللعدول المعجمي من (حبط) إلى (باطل) أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة التحقير لأعمال الكافرين، بأن أعمالهم التي دأبوا عليها لا وزنَ لها أصلًا؛ لبنائها على غير أساس، وقد كان القرآن الكريم في غاية الدقة في وصف أعمال الكافرين فقد وصفها أوّلًا بالحبوط، وهذا مشعرٌ بأنّ الكافرين يظنون أنهم على شيء وأنهم يحسنون صُنْعًا، فينتفخُ المرء منهم مزهُوًّا بعمله مستكبرًا، وذلك المعنى لا يليق به إلا لفظ(حَبِطَ) قال الزبيدي :" الحَبَطُ: وَجَعٌ ببَطْنِ البَعيرِ من كَلإٍ يَسْتَوْبِلُهُ، أَي يسْتَوْخِمُهُ، كَذَا فِي المحْكَمِ، أَو من كلإٍ يُكْثِرُ مِنْهُ، فيَنْتَفِخَ مِنْهُ بُطُونُهَا فَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا شيء "،[٤] إذن هذا الوصف مؤذن بحقارة ما صنعوا لاسترسالهم فيما يضرُّهم كالبهائم التي تكثر من الكلأ فتنتفخ بطونها وتمرض، والوصف الثاني هو البطلان "والباطِلُ: ضِدُّ الحَقِّ وَهُوَ مَا لَا ثَبَاتَ لَهُ عندَ الفَحْصِ عَنهُ، وَقد يُقال ذَلِك فِي الاعتِبار إِلَى المقال والفِعال "[٥] ، فيكون بيانًا لمآل جميع أفعال الكافرين: أقوالًا وأفعالًا . بأنها إلى زوال واضمحلال،

---

(١) . الجدول في إعراب القرآن (٣٨٤/٢)،والتحرير والتنوير (١٨٩/٢)،(٨٣/٩) .
وقد ذكر أن لفظ (باطل) مصدر،كل من : المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم،مادة(بطل)، ودراسات لأسلوب القرآن الكريم (٤١٧/٦)

(٢) . تفسير البيضاوي (٣/ ١٣٠)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٢/ ٢٣)

(٤) . تاج العروس، للزبيدي، مادة(حبط)

(٥) . تاج العروس، للزبيدي، مادة(بطل)

فيكون(حبط) أشار إلى المبدأ و(باطل) أشار إلى المنتهى، ومصداق ذلك قوله تعالى :"﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الفرقان: ٢٣]

الثاني: الإشارة إلى أن الوعيد يشمل الكافرين والمرائين جميعًا، فأما كلمة (باطل) تشير إلى عمل الكافر الذي ضلَّ سعيه في الحياة الدنيا، فجميع أعماله باطلة من أصلها لسوء عمله وفساد نيته، قال ابن عرفة: " فقوله (وَحَبِطَ) إشارة إلى ما هو صحيح باعتبار أصله، وعرض له ما أوجب فساده، وقوله (وَبَاطِلٌ) إشارة إلى ما هو فاسد من أصله، فكذلك أتى بلفظ الاسم، والأول بالفعل هذا كعمل الكافر وعمل المسلم المرائي ." (١)

الثالث: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

٢ـ بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى اسم المصدر :

٢٠١. [كذبوا ـ ذنوبهم]

قَالَ تَعَالَىٰ:{كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾} [سورة آل عمران:١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كَذَّبُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَّلُوا إلى (ذنوب) اسم مصدر/جمع تكسير لـ(ذَنْب) [و] فُعُول، وذلك في سياق تهديد الكافرين من أن يحل عليهم العذاب الشديد كما حل بمن قبلهم من المكذبين بآيات الله .

فأما العدول المعجمي من الفعل (كذبوا) إلى الاسم (ذنوبهم) فله أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم إشارة إلى أن الكافرين قد عوقبوا على تكذيبهم وعلى سائر معاصيهم، وفيه دلالة على شدة الانتقام منهم وتفظيع ما حلَّ بهم من العذاب، قال الراغب: " والذَّنْبُ في الأصل: الأخذ بذنب الشيء، يقال: ذَنَبْتُهُ: أصبت ذنبه، ويستعمل في كلّ فعل يستوخم عقباه اعتبارا بذنب الشيء ."(٢)

الثاني: المبالغة في ذمّ الكافرين من آل فرعون ومن قبلهم لتعدد جرائمهم وإصرارهم على المخالفة، والغرض من ذلك الوجه والذي قبله **التعريض التهديدي بالكافرين المعاصرين** للنبي صلى الله عليه وسلم بإيقاع ألوان العذاب بهم على تكذيبهم رسول الله وكفرهم بآيته وإصرارهم على العناد والمخالفة .

---

(١) . تفسير ابن عرفة (٢/ ٣٥٤)
(٢) . المفردات : (٣٣١)

٢٠٢.   [كفروا/كذبوا ـ ذنوب]

قَالَ تَعَالَى: { كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ **كَفَرُوا** بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ **كَذَّبُوا** بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾} [سورة الأنفال:٥٢ـ٥٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من الأفعال (كفروا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا، (كَذَّبُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَّلُوا إلى (ذنوب) اسم مصدر/جمع تكسير لـ(ذَنْب) [و] فُعُول، وذلك العدول في سياق بيان سنة الله في إهلاك الكافرين الذين يكذبون رسله ويجحدون آياته ونعمه، وأنه تعالى قد جازى الكفار في غزوة بدرٍ بالقتل والسبي كما جازي آل فرعون بالإهلاك والإغراق .

والعدول من الأفعال (كفروا، كذبوا) إلى الاسم (ذنوبهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ مبالغة في ذم آل فرعون والذين من قبلهم من الكافرين المعارضين لدعوة الرسل، والذم الشديد نشأ من **تعدد قبائحهم** إذ جمعوا بين الكفر بالله والتكذيب بآياته وارتكبوا كبائر الذنوب إمعانًا في المخالفة وإصرارًا على العناد، وهذا الوجه مبني على أن **الذنوب أعم من الكفر والتكذيب** .

الثاني : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار " قال الغرناطي: " وعدل عن لفظ كفروا لثقل التكرر مع القرب " (١)

ب. بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى اسم المعنى :

١ـ بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المصدر الصريح :

٢٠٣.   [تحزن ـ ضيق]

قَالَ تَعَالَى: { وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾} [سورة النحل:١٢٧]

---

(١) . الغرناطي : (١٠٥/١)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تحزن) فعل مضارع [و] تَفْعَل إلى (ضيقٍ) مصدر سماعي [و] فَعْل وذلك في سياق تسلية النبي عليه الصلاة والسلام وأمره بالصبر في دعوته إياهم وألا يكون حزينًا على ابتعادهم عن موارد الهدى وصدهم عن سبيل الله .

والعدول المعجمي من الفعل (تحزن) إلى الاسم (ضيقٍ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن حزنه عليه السلام على عدم اهتدائهم كان أشد من غمِّهِ بتوقع ضررهم في المستقبل، لأنه على ثقة بنصر الله وتأييده وإعزازه لجنده المؤمنين، فالحزن " هو شدّة الأسف البالغة حدّ الكآبة والانكسار " (١) . وذلك يبين الحرص الشديد للنبي على هداية قومه وإخراجهم من الظلمات إلى النور، أما مكر الكافرين، " فأقْصَى ما يتوهّم توقعه في جانبه (صلى الله عليه وسلم) هو ضَيْق قليل يعرض له ."(٢) بسبب ذلك، وإلى ذلك أشار حذف النون في قوله: (تك) والتعبير باسم الفاعل (ضائق) دون الصفة المشبهة (ضَيِّق) في قوله تعالى: { فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعۡضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدۡرُكَ أَن يَقُولُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ كَنزٌ أَوۡ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌۚ} [سورة هود:١٢]

الثاني: التنبيه على أن الصبر لا يجتمع مع التأسف على فوات النفع، وتوقع الضرر في المستقبل، والأول أشار إليه قوله: (ولا تحزن)، والثاني نبّه عليه قوله: (ولا تك في ضيق)، قال الرازي: " ومن وقف على هذه اللطائف عرف أنه لا يمكن كلام أدخل في الحسن والضبط من هذا الكلام ." (٣)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من وجهين:

أولهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظُ (ضَيْقٍ) بإيحائه الصوتي يدل على حالة من كره مخططات المشركين التي يصدون بها عن سبيل الله وأنها تبعث على الغضب النفسي، لكن هذا لا يصل إلى لفظ (حُزْنٍ) لاشتمال الثاني على الحاء التي تدل على اضطرام نار الأحزان في أعماق النفس والضم يقوي ذلك المعنى، والزاي صوت صفيري مجهور يدل على قوة الغضب وكأنك تسمع في القلب أزيز المرجل والنون حرف أغن يدل على الألم النفسي العميق، فلذلك أوثر العدول عنه إلى (ضَيْقٍ) حتى لا يظن المشركون أن مكرهم أثر تأثيرًا شديدًا بالمسلمين ورسولهم، وهذا قبس من بلاغة الكلمات القرآنية الفريدة بدلالاتها المتنوعة وجرسها المتلائم للسياق والموفي بتمام المعنى وكماله .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير: (٤/ ٩٨)
(٢) . التحرير والتنوير: (١٢/ ١٦)
(٣) . ينظر: مفاتيح الغيب: (٢٠/ ٢٨٩)

٢ـ بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى المصدر الميمي :

٢٠٤. **[يبعثك ـ مقاما]**

قَالَ تَعَالَى:{ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴿٧٩﴾} [سورة الإسراء:٧٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يبعثك) فعل مضارع [و] يَفْعَلَك إلى (مقاما) مصدر ميمي [و] مَفْعَل وذلك في سياق أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقيام الليل وأن ذلك سبب لنيل المقام المحمود يوم القيامة .

والعدول المعجمي من الفعل (يبعثك) إلى الاسم (مقاما) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في تعظيم مقام النبي عليه السلام وهو ـ على قول أكثر أهل العلم ـ مقامه للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم . [١] ولفظ المقام تدل على أهليته عليه السلام بهذه المسئولية العظيمة وحسن قيامه بها " ويعني بقولهِ {مَقَاماً مَّحْمُوداً} أي يُعطِيكَ اللهُ يومَ القيامة مقاماً يحمدُكَ فيه الأوَّلون والآخِرون شرفٌ به على جميعِ الخلائق ."[٢]

الثاني: الإشارة إلى فضيلة قيام الليل وأنها سببٌ لرفعِ منزلة العبدِ يوم القيامة عند ربه،

أخرج الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن في الجنة غرفة يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها . فقال أبو موسى الأشعري: " لمن هي يا رسول الله ؟ قال: لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وبات لله قائما والناس نيام . " (٣) ويلاحظ أن الجزاء من جنس العمل؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام كان عبدًا شكورًا يقوم الليل حتى تتفطر قدماه وهو يناجي ربه ويدعوه فكان جزاؤه أن أقامه الله المقام المحمود يوم القيامة؛ تشريفًا وتكريمًا ـ عليه أفضل الصلاة والسلام .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولاها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

(١) ـ ينظر: تفسير الطبري : (١٧/ ٥٢٦)

(٢) ـ ينظر: تفسير الطبراني : (٤/ ٣٠٤)

(٣) ـ مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٣) حديث (٦٦١٥) .

ثانيها: الخفة اللفظية؛ فما عليه النظم الجليل أخف مما لو قيل: (عسى أن يبعث ربك مبعثًا محمودًا) .

ثالثها: المناسبة الصوتية لمعنى الرفعة المذكور آنفًا، فلفظ (مقاما) به المد الطبيعي بالفتح يشير إلى علو الشأن وتمام الظهور وكمال الاعتناء به عليه السلام، قال ابن القيم: " اللفظ قالب المعنى ولباسه يحتذي حذوه والمناسبة الحقيقية معتبرة بين اللفظ والمعنى طولا وقصرا وخفة وثقلا وكثرة وقلة وحركة وسكونا وشدة ولينا ". (١)، **وأمثلة ذلك في القرآن كثيرة** .(٢)

٣ـ بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى اسم المصدر :

٢٠٥. [نمد ـ عطاء]

قَالَ تَعَالَى:{مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾} [سورة الإسراء:١٨ــ٢٠]

في الآية الثالثة عدول معجمي من (نُمِدُّ) فعل مضارع [و] نُفْعِل إلى (عَطَاء) اسم مصدر من الرباعي (أَعْطَى) [و] فَعَال، وذلك في سياق بيان شمول العطاء الرباني لجميع العباد وأن ذلك مستوجب للشكر لا الكفران .

والعدول المعجمي من الفعل (نمدُّ) إلى الاسم (عطاء) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن " الإمدادَ المذكورَ ليس بطريق الاستيجابِ بالسعي والعمل بل بمحض التفضل " (٣) فالله ـ جلت حكمته ـ قد امتن على خلقه بأصول النعم وفروعها ابتداءً رحمةً منه بهم وكرمًا، ويؤيده استعمال حرف الجر (من) الدال على ابتداء الغاية، قَالَ تَعَالَى:{ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ} [سورة **النحل**:٥٣] وذلك عام في المؤمن والكافر .

---

(١) . بدائع الفوائد، لابن القيم (١٠٨/١)

(٢) . فلفظ (عباد) مثلًا لم يستعمل في مقام التحقير، لما فيه من الألف المدية الدالة على الرفعة نقل الطاهر في التفريق بين (عباد) و(عبيد) قول عن ابن عطية: (الذي استقريت في لفظ العباد أنه جمع عبد لا يقصد معه التحقير، والعبيد يقصد منه، ولذلك قال تعالى : (يا عبادي) وسمّت العرب طوائف من العرب سكنوا الحِيرة ودخلوا تحت حكم كِسرى بالعباد، وقيل لأنهم تنصّروا فسموْهم بالعباد، بخلاف جمعه على عَبيد كقولهم : هم عبيد العَصا، وقال حمزةُ بنُ المطلب هل أنتم إلاّ عبيدٌ لأبي، ومنه قول الله تعالى : (وما ربك بظلام للعبيد ((فصلت : ٤٦)؛ لأنّه مكان تشفيق وإعْلام بقلة مقدرتهم وأنه تعالى ليس بظلاّم لهم مع ذلك، ولما كان لفظة العباد تقتضي الطاعة لم تقع هنا، ولذلك آنس بها في قوله تعالى : (قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ((الزمر : ٥٣) **فهذا النوع من النظر يُسلك به سُبل العجائب في ميزة فصاحة القرآن على الطريقة العربية** ." (٣/ ٢٩٤)

(٣) . تفسير أبي السعود : (٥/ ١٦٥) وينظر: فتح القدير للشوكاني : (٣/ ٢٥٨)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهات ثلاث:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار.

ثانيها : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل في غاية الانسجام وتمام الفصاحة، فلو قيل: (كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من مدد ربك وما كان مدد ربك محظورًا) لثقل الكلام بالتكرار .

ثالثها : المناسبة الصوتية للمعنى، إذ إن المراد التنبيه على عظمة العطاء الرباني على عباده جميعًا، فاختير لفظ (عطاء) وبه صوت الطاء المفخم المفتوح بفتحة طويلة ممدودة خمسَ حركات؛ إشارة إلى عظم العطاء وكثرته وامتداد زمنه وشموله للفريقين المذكورين . فالزيادة في الصوت بتطويله بالمد تشير إلى زيادة في المعنى أو تمكين المعنى في النفس أو زيادة التنبيه على أمر ما، [1] كذلك من دلالات المد كمال الظهور لأن المد بالصوت يظهره فيشير إلى وضوح معنى الممدود وعدم خفائه، ونعم الله على الناس ظاهرة تستوجب الشكر، ففي ذلك تعريض بأهل مكة الذين لا يشكرون الله على إحسانه وعطائه المتواصل .

ج . بلاغة العدول المعجمي من فعل الأمر إلى اسم المعنى :

١ـ بلاغة العدول المعجمي من أمر الثلاثي إلى اسم المعنى :

٢٠٦. [ادعوه ـ الدين]

قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِٱلْقِسْطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾} [سورة الأعراف:٢٩]

والعدول المعجمي من (ادعوه) فعل أمر [و] افْعُوهُ إلى (الدين) مصدر سماعي [و] الفِعْل له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، لأن الدين يشمل الدعاء وغيره، والمراد: الإخلاص في جميع العبادات لا الدعاء وحده، روى الطبري عن الربيع في تفسير قوله تعالى: " (وادعوه مخلصين له الدين) أنه قال: أن تخلصوا له الدين والدعوة والعمل ."[2]

---

(١) . قال البقاعي في سبب اختيار (سيناء) بدلا من (سينين) في قوله تعالى{{ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْأٓكِلِينَ ﴿٢٠﴾} [سورة المؤمنون:٢٠] : " ولما كان السياق للإمداد بالنعم، ناسبه المد ." نظم الدرر : (٥/ ١٩١)

(٢) . تفسير الطبري : (١٢/ ٣٨١)

الثاني: الإشارة إلى المكانة الرفيعة للدعاء عند الله تعالى؛ ورد في الحديث: أن " الدعاء هو العبادة "، **وقَالَ** تَعَالَى:{وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾} غافر: ٦٠ فالدعاء سبب لحصول الداعي على خيري الدنيا والآخرة والتمسك بالدين كذلك، فيكون من باب المجاز المرسل علاقته الكلية للمبالغة وإنما سمى الدعاء دينا لأنه مما يجازى عليه العبد يوم القيامة وينال به الثواب الأعظم، وكل ذلك من أجل الترغيب في هذا العمل .

قال الطبري: " القوم أُمِروا أن يتوجهوا بصلاتهم إلى ربهم، لا إلى ما سواه من الأوثان والأصنام، وأن يجعلوا دعاءهم لله خالصًا، لا مُكاءً ولا تصدية. وإنما قلنا ذلك ... لأن الله إنما خاطب بهذه الآية قومًا من مشركي العرب ." (١)

قال الطاهر: " وهذا الأمر وإن كان المقصود به المشركين لأنهم المتصفون بضده، فللمؤمنين منه حظ الدوام عليه، كما كان للمشركين حظ الإعراض عنه والتفريط فيه. ." (٢)

٢ـ بلاغة العدول المعجمي من أمر الرباعي إلى اسم المعنى :

٢٠٧. [آتوا ـ نحلة]

قَالَ تَعَالَى:{وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةًۚ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيٓـًٔا مَّرِيٓـًٔا ﴿٤﴾} [سورة النساء:٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آتوا) فعل أمر [و] أَفْعُوا إلى (نحلة) مصدر سماعي من الفعل نَحَل يَنْحَلُ [و] فِعْلَة، وذلك في سياق أمر الأزواج بإعطاء المهور لنسائهم عن طيب نفس .

والعدول المعجمي من الفعل (آتوا) إلى الاسم (نحلة) في الآية الكريمة له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، فالإيتاء عامٌّ، والنحلة خاصةٌ بالعطية المسماة من غيرِ بدل أو عوض، فعدل إلى ذلك اللفظ لأغراض خاصةٍ:

---

(١) . تفسير الطبري : (١٢/ ٣٨١)
(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨. ب/٨٨)

١. **الترغيب في إبقاء صداقها عن طيب نفسٍ من الزوج** وإنما سمى المهر عطية، لأن الزوج لا يملك من بدله شيئا وفي ذلك كفُّ الأزواج عن الامتنان بالمهر، فهو حقها الذي فرضه الله لها على الأزواج، ولذلك أنكر عليهم أخذ مهورهن فقال عز شأنه: " وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضى بَعْضُكُمْ إِلى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثاقاً غَلِيظاً "(النساء ٢١) .[١]

٢. أنه قد يفرض المهر ولمَّا يدخلْ بها، فيكون المهر عطية بلا عوض .

٣. التنبيه على أن تلك العطية مقدَّرة؛ حفاظًا على حق المرأة من الضياع، وقد قال ابن جريج عن النحلة: فريضة مسماه،وقَالَ أَبُو عبيد: وَلَا تَكُونُ النِّحْلَةُ إِلَّا مُسَمَّاةً مَعْلُومَةً .[٢]

الثاني: التأكيد على حكم فقهي وهو وجوب المهر، وهذا الوجوب مستفاد من الأمر في الفعل (وآتوا) وأكده لفظ (نحلة) فمن معانيه اللغوية: الفريضة والواجب وذلك مروي عن قتادة وابن زيد، ومن معانيها أيضًا: الديانة، فيشير إلى كونها من شريعة الله فيبعث هذا اللفظ في النفس مدى قداسة ذلك الأمر الإلهي ووجوب الالتزام به .

المطلب الثاني

العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى اسم المعنى

في المطلب السابق كان الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المعنى، أما في هذا المطلب فسوف يكون الكلام عن العدول من الاسم والفعل كليهما إلى اسم المعنى، وذلك في أربعة شواهد منها اثنان إلى المصدر الصريح وآخران إلى اسم المصدر، وألحق الباحث بهذه الشواهد الأربعة شاهدًا خامسًا وذلك في العدول من الفعل إلى الظرف(الوقت) وهو اسم مبهم، ولم يجد الباحث أمثلة أخرى لهذا النوع، فجعله ضمن العدول إلى اسم المعنى؛ تغليبًا، والله الموفق للصواب .

أ. بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى المصدر الصريح :

٢٠٨. **[خيفة/تخف ـ الروع]**

قَالَ تعَـالَى: { فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي

(١) . ينظر: أحكام القرآن للكيا الهراسي (٢/٣٢٤)

(٢) . ينظر: تفسير البغوي : (١/٥٦٦)

شَيۡخًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عَجِيبٞ ٧٢ قَالُوٓاْ أَتَعۡجَبِينَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۖ رَحۡمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٞ مَّجِيدٞ ٧٣
فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ ٧٤} [سورة هود:٧٠–٧٤]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (خيفة) مصدر سماعي من خَاف [و] فِعْلَة، (تخف) فعل مضارع مجزوم [و] تَفَلْ، إلى (الرَّوْع) مصدر سماعيّ للفعل راع يَرُوع [و] الفَعْل، وذلك العدول في سياق قصة نزول الملائكة على إبراهيم عليه السلام لإعلامه أنهم مرسلون إلى قوم لوط لينزلوا بهم العذاب الأليم، كما جاءوا إبراهيم وزوجه بالبشارة بإسحاق ويعقوب، وقد أحس إبراهيم بالخيفة أول الأمر لكنه بعد البشارة وتطمين فؤاده سكن جأشه وذهب عنه الخوف الذي ألمّ به .

والعدول المعجمي إلى الاسم (الروع) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص للتوضيح، فالرَّوْع هو: " الفزع الشديد "(١) الذي يسيطر على الرُّوع: أي النفس التي " هي محل الرَّوْع "(٢)، ففي العدول إلى اللفظ الأخص بيان لحقيقة خوفه من هؤلاء الملائكة وأنه كان فزعًا شديدً إذ علم أن هؤلاء الرسل من ملائكة العذاب " وظن أنهم قد نزلوا به لأمر ينكره، لتعذيب قومه ." (٣) لذلك طمأنوه بقولهم: " لا تخف "كذلك قدموا البشارة بإسحاق ويعقوب على ذكر إنزال العذاب بقوم لوط .

الثاني: الفصاحة اللغوية بالتفنن في التعبير، قال الرازي: " واعلم أن الروع هو الخوف وهو ما أوجس من الخيفة حين أنكر أضيافه ." (٤)

٢٠٩. [علمناه/علما/تعلمني ـ رشدا ـ خبرا]

قَالَ تَعَالَى:{فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا ٦٥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا ٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ٦٧ وَكَيۡفَ تَصۡبِرُ عَلَىٰ مَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ خُبۡرٗا ٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ٦٩} [سورة الكهف:٦٥–٦٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي بين الأفعال والأسماء من (علمناه، علما، تعلمن) إلى (رشدا) ثم إلى (خُبرًا) وذلك في سياق قصة موسى والخضر عليهما السلام ورغبة كليم الله موسى في أن ينهل من علوم الخضر التي اختصه الله بها .

---

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (٣/ ٥٥٥)
(٢) . روح المعاني، للألوسي(٦/ ٢٩٩)
(٣) . فتح القدير، للشوكاني (٢/ ٥٧٨)
(٤) . مفاتيح الغيب، للرازي (١٥/ ٤٠١)

ونوع تلك الكلمات الواردة في العدول من الناحية الصرفية على النحو الآتي :

(علَّمْنَاه) فعل ماضٍ [و] فَعَّلْنَاهُ، (عِلم) مصدر سماعي [و] فِعْل، (تعلَمنِ) مضارع [و] تُفَعِّلَنِ، (رُشْد) مصدر سماعي [و] فُعْل، (خُبْر)مصدر سماعيّ للفعل خبر يخبر الشيء وبه علمه بحقيقته من بابي فتح وكرم [و] فُعْل .

والعدول المعجمي إلى الاسم (رشدًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، فالعلم نوعان: علم ينفع وعلم لا ينفع، والرشد المذكور في الآية الكريمة هو العلم النافع الذي يرشد صاحبه ويهديه إلى الحق، وهذا دليل على كِبَر هِمَّة نبي الله موسى عليه السلام في طلبه للعلم وحرصه على ما ينفعه، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم من دعائه: " اللَّهُمَّ إِنِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ وَمِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ وَمِنْ دَعْوَةٍ لاَ يُسْتَجَابُ لَهَا ." (1)

الثاني: التعظيم، وهو مبني على الغرض السابق، وقد صرح به النيسابوري؛ " فالإرشاد هو الأمر الذي لو لم يحصل حصل الضلال" (2)، وفي ذلك حسن أدب من موسى عليه السلام لأن تعظيمه لعلم الخضر دليل على تعظيمه للخضر نفسه، وهكذا ينبغي على طالب العلم أن يكون مقدّرًا لأرباب العلوم .

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولها : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها : الخفة اللفظية، فلو قيل :" على أن تعلمن مما علمت علما " لثقل الكلام لتقاربه، فبالعدول المعجمي إلى (رُشدًا) حصل الانسجام الصوتي .

ثالثها : البعد عما يشبه عيوب القافية وهو الإيطاء أي : تكرار القافية بنفس معناها(3)، وهذا وإنَّ فواصل القرآن قد جاءت في قمة البلاغة وكمال الفصاحة فقد يقع التكرار لكلمة الفاصلة في القرآن ولا عيبَ فيه إطلاقًا، قال الطاهر :" وليس تكرير اللفظة أو الجملة في فواصل القرآن بإيطاء لأن الإيطاء إنما يعاب في الشعر دون النثر لأن النثر إنما يعتد فيه بمطابقة

---

(1) .(رواه مسلم ٧٠٨١ باب التَّعَوُّذِ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلَ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ يَعْمَلْ)

(2) . تفسير النيسابوري : (٤٤٨/٤)

(3) . يرى الباحث أن الإيطاء من عيوب القوافي لأنه دال على قلة المفردات اللغوية في ذهن الشاعر، وملل النفس من التكرار.

مقتضى الحال " [١] لكن وقوع التكرار في الفواصل المتقاربة قليل جدًّا بالنسبة إلى المتنوع منها، وفي الآيات الكريمة السابقة تنوّعت الفاصلة (علما، رشدا، خبرا) وتعداد النغَم له أثر أجمل على النفس من الإبقاء على فاصلة واحدة ثلاثة مرات .

والعدول إلى الاسم (خبرًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، تنبيهًا إلى كون موسى عليه السلام غير عالمٍ بالحقائق الخفية لما عند الخضر من العلم المستغرب، وأكد هذا المعنى ابن عادل في تفسيره [٢]، وذكر الراغب أن الخبرة المعرفة ببواطن الأمر [٣]، فهي إذن علم خاصٌّ، وفي ذلك **تعظيم لما أوتيه الخضر من العلم**، تمهيدًا لكونه علمًا لطيف المسلك غير معتاد يحتاج إلى صبرٍ في تعلمه وفي معرفة الحكم الخفية التي يشتمل عليها .

الثاني: إظهار كمال الأدب مع نبي الله موسى، فالخضر عليه السلام من حسن أدبه سمّاه (خُبْرًا) لكيلا ينفي عنه العلم بلفظه الصريح كأنه قال له: (يا موسى هذا علم لمْ تُخبَر به) و" الخبر العلم بالأشياء المعلومة من جهة الخبر " [٤] وفيه تنبيه إلى أن هذا العلم ليس من قبيل الرأي أو التجربة بل من بإخبار من الحق جلَّ وعلا .

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية، وقد سبق بيانه .

ب . بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى اسم المصدر :

٢١٠. **[عهد/عاهدتم ـ إلا]**

قَالَ تَعَالَى:{كَيۡفَ يَكُونُ لِلۡمُشۡرِكِينَ عَهۡدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ فَمَا ٱسۡتَقَٰمُواْ لَكُمۡ فَٱسۡتَقِيمُواْ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُتَّقِينَ ٧ كَيۡفَ وَإِن يَظۡهَرُواْ عَلَيۡكُمۡ لَا يَرۡقُبُواْ فِيكُمۡ إِلّٗا وَلَا ذِمَّةٗۚ يُرۡضُونَكُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَتَأۡبَىٰ قُلُوبُهُمۡ وَأَكۡثَرُهُمۡ فَٰسِقُونَ ٨} [سورة التوبة:٧ـ٨]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (عهد / عاهدتم) و(عَهْد) اسم مصدر من الرباعي (عاهَد) [و] فَعْل، (عاهدتم) فعل ماضٍ [و] فَاعَلْتُم، إلى (إلّ) اسم مصدر بمعنى العهد أو القرابة [و] فِعْل، وذلك في سياق التحريض للمؤمنين على معاداة المشركين والتبري منهم، ومبينا أنهم لا يستحقون أن يكون لهم عهد لشركهم بالله وكفرهم برسول الله ولو أنهم إذ ظهروا على المسلمين لم يبقوا ولم يذروا، ولا راقبوا فيهم قرابة ولا ذمة .

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (١/٦٥٠)
(٢) . اللباب : (٣٤٤٧)
(٣) . المفردات للراغب : (١٤١)
(٤) . المفردات للراغب : (١٤١)

والعدول المعجمي من (عهد/عاهدتم) إلى (إلا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ ذمًّا للمشركين الذين لا يراعون في المسلمين إن يظهروا عليهم عهدًا ولا قرابة، وذلك التعميم واردٌ ليعدد قبائح المشركين وبيان قسوة قلوبهم وعدائهم الشديد لمن آمن بالله وتمسك بدينه، والغرض من ذلك البيان استنهاض الهمم لقتالهم واستئصال شأفتهم وذلك متناسب مع الغرض العام للسورة وهو الحث على قتال المشركين .

فالعدول المعجمي إلى لفظ (إلا) ساهم في كشف ذلك العداء المتأصِّل في قلوب المشركين وفضحهم، قال الطاهر: " والإل: الحلف والعهد ويطلق الإل على النسب والقرابة. وقد كانت بين المشركين وبين المسلمين أنساب وقرابات، فيصح أن يراد هنا كلا معنييه." (1)

الثاني: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار، قال البغوي: " قَالَ السُّدِّيُّ: هُوَ الْعَهْدُ. وَكَذَلِكَ الذِّمَّةُ إِلَّا أَنَّهُ كَرَّرَ لِاخْتِلَافِ اللَّفْظَيْنِ." (2)

٢١١. [ينصرونه/منتصرا ـ الولاية]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾} [سورة الكهف:٤٣ـ٤٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ينصرونه) فعل مضارع [و] يَفْعُلُونَهُ، (منتصر) اسم فاعل [و] مُنْفَعِل، إلى (الوَلاية) اسم مصدر من الرباعي (وَالَى) (3) **[و] الفَعَالَة**، وذلك في سياق ذكر نهاية صاحب الجنتين وأنه لم يجد له ناصرًا أو منجيًا من عذاب الله، وأن النصر من عند الله لأوليائه المؤمنين، " قال الفراء والكسائي الولاية بفتح الواو يعني به النصرة، أي هنالك النصرة لله ـ عز وجل ـ ودل على هذا قوله: {وما كان منتصرا} ". (4)

والعدول المعجمي إلى (الولاية) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعليل، فإن " الولاية من شأنها أن تبعث على نصر المولى وأن تطمع المولى في أن وليه ينصره. " (5) فكأن المعنى: وما كان صاحب الجنتين منتصرًا؛ لأن الوَلَايَةَ بالنصرِ لله الحقِّ، فهو الذي يَملكُ النصرَ لأهل الإيمان .

(١) . التحرير والتنوير (١٢٤/١٠)

(٢) . تفسير البغوي (٣١٩/٢)

(٣) . الجدول في إعراب القرآن (٢٧١/١٠)، والمصدر في القرآن الكريم ص ١٦٩ .

(٤) . تفسير مكي أبي طالب : (٤٣٩٠/٦)

(٥) . التحرير والتنوير: (٣٢٨/١٥)

الثاني: الإشارة إلى كرامة الرجل المؤمن ومكانته عند الله وأنه قد نال الخيرات وتمت له المسرات، فالله يتولى الصالحين بالنصر والتأييد وكمال المحبة، أما الكافرون ومنهم صاحب الجنتين فقد خُذِلَ أشدَّ الخذلان ونال غاية الحرمان فهو لم يجد له ناصرًا ولم يستطع نصرَ نفسِه فضْلًا عن وليٍّ يكشف عنه كربَهُ .

وهذا الوجه اتضح بناءً على معنى (الولاية) فهي من الفرائد وهى الإتيان بلفظة فريدة لا يقوم غيرها مقامها، وأشار إلى نحو ذلك الإمام السيوطي في (فتح الجليل للعبد الذليل) حيث قال: " الولي ... لا يقوم غيره مقامه لما فيه من الإشعار بالخصوصية الزائدة والقرب المعنوي والمكانة والاعتناء بمصلحة المؤمن فإن الولي يطلق لغة وشرعاً على القريب وخلاف الأجنبي ومن للولي به وصلة وقرابة أو نظر أو وصاية أو نحو ذلك ولفظ الناصر أو المعين أو المتولي مثلاً لا يفيد ذلك لأن كلاً مما ذكر قد يكون غريباً أجنبياً فأفاد بلفظ الولي أنه من يراعى مصلحة عبيده كما يراعى الولي مصلحة محاجيره ."[١]

ج . بلاغة العدول المعجمي من الاسم والفعل إلى الظرف :

٢١٢. **[يوم يبعثون ـ يوم الوقت المعلوم]**

قَالَ تَعَالَى:{قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمۡ أَكُن لِّأَسۡجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقۡتَهُۥ مِن صَلۡصَٰلٍ مِّنۡ حَمَإٖ مَّسۡنُونٖ ﴿٣٣﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴿٣٨﴾} [سورة الحجر:٣٢–٣٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يبعثون) فعل مضارع مبني للمجهول [و] يُفْعَلُون إلى (الوقت) ظرف [و] الفَعْل، وذلك العدول قد جاء في سياق مخاطبة إبليس وطرده من الجنة ولعنه؛ لأنه أبى أن يسجد لآدم . عليه السلام .

والعدول المعجمي من الفعل (يبعثون) إلى (الوقت المعلوم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إهانة إبليس وإعلامه بأنه سيذوق الموت [٢] قبل يوم القيامة، وإنما طلب أن ينظر إلى يوم البعث؛ لئلا يصيبه الموت[٣]، فأخبر أن ذلك لا يكون، " وليس هذا من الله تعالى إجابة لسؤاله , لأن الإجابة تكرمة , ولكن زيادة في بلائه , ويعرف أنه لا يضر بفعله غير نفسه."[٤]

---

(١) . فتح الجليل للعبد الذليل، للسيوطي ط مؤسسة الريان ص (٣٤) .

(٢) . ينظر: تفسير الطبراني : (٤/ ٩٩)،

(٣) . ينظر: تفسير الماوردي : (٣/ ١٥٩)، تفسير السمعاني : (٣/ ١٣٩) الكشاف للزمخشري :(٢/ ٥٧٨) مفاتيح الغيب : (١٩/ ١٤١) تفسير البيضاوي : (٣/ ٢١١) تفسير أبي السعود : (٥/ ٧٧)

(٤) . تفسير الماوردي : (٣/ ١٦٠)

الثاني: التنفير من إبليس لكثرة شروره فهو يريد أن ينظر إلى آخر مدة ليكون إغوائه متصلًا ما بقيت حياة الناس وهذا يدل على نفسه الخبيثة الكارهة للعنصر البشري لتمكن الحسد في نفسه، والإخبار بهذا يجعل العربي يأنف من طاعة الشيطان ويحتقره ولا يرضى بأي عمل يُنسَب إليه .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال الزمخشري: " ويَوْمِ الدِّينِ ويَوْمِ يُبْعَثُونَ ويَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ في معنى واحد، ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة."(١)

المبحث الثالث

بلاغة العدول المعجمي إلى المشتقات

قد كان الكلام في المبحثين السابقين عن بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الذات واسم المعنى، أما هذا المبحث فسوف يتناول العدول المعجمي إلى المشتقات : اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول واسم المكان .

ولتبيين التوجيه البلاغي لهذا النوع العدولي فإن هذا المبحث يكون في أربعة مطالب على النحو التالي :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم الفاعل .
المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة المبالغة .
المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الصفة المشبهة .
المطلب الرابع : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم بمعنى اسم المفعول .
المطلب الخامس: بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المكان .

(١) . تفسير الزمخشري : (٢/ ٥٧٨)

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي إلى اسم الفاعل

تعددت شواهد هذا النوع العدولي في القرآن الكريم . وذلك وفقًا لحدود الدراسة . وسيكون الحديث عن التوجيه البلاغي لهذا العدول في ثلاث مسائل :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى اسم الفاعل .

ب . بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى اسم الفاعل .

ج . بلاغة العدول المعجمي من الأمر إلى اسم الفاعل .

د . بلاغة العدول المعجمي من الاسم وفعل الأمر إلى اسم الفاعل .

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى اسم الفاعل :

١. بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى اسم الفاعل الثلاثي :

٢١٣. [جاء ـ آتيهم]

قَالَ تَعَالَى:{ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ﴿٧٦﴾} [سورة هود:٧٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (جاء) فعل ماضٍ [و] فَعَلَ إلى (آتيهم) اسم فاعل من (أتَى) [و] فَاعِلُهم، وذلك في سياق ذكر مجادلة إبراهيم عليه السلام لملائكة العذاب المنزَلين إلى قوم لوطٍ وقد قالوا له: قد جاء أمر الله بعذابٍ لا يردُّ لكثرة أفاعيلهم المنكرة وشناعتها .

والعدول المعجمي من الفعل (جاء) إلى الاسم (آتيهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بتتابع العذاب على الكافرين فالإتيان لغة مشعر بالتتابع كما في (الأتِي) وهو الجدول المائي الذي يجري فيه الماء ولا يعوقه شيء، وذلك متناسب مع لفظ (فأمطرنا عليهم حجارة) تشبيهًا بالمطر المتتابع الغزير .

الثاني: الإشارة إلى أن إيقاع الوعيد بقوم لوط يسير على الله، قال الراغب: " الإتيان مجئ بسهولة ومنه قيل للسيل المار على وجهه أتي وأتاوي "،[1] فهو أخص من مطلق المجيء ." [2] وفيه إشارة إلى قدرة الله المطلقة لسهولة تأتي مفعولاته .

الثالث: إعلام إبراهيم عليه السلام بأن وقوع العذاب بقوم لوط لا يؤخر عنهم، فقدكان عذابهم في الصبح القريب فالإتيان لغةً مشعرٌ بالسرعة، كما في أصل اشتقاقه من الأتي وهو الجدول المائي الذي يجري فيه الماء ولا يعوقه شيء وذلك إسراع، **قَالَ تَعَالَى**:{إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ ﴿٨١﴾} [سورة هود:٨١] .

الرابع: التعريض بالمشركين من العرب وإنذارهم من مغبَّة المخالفة، فالمقصود من السورة عامة إنذار المعرضين وكان الإلماح إلى سرعة وقوع العذاب بالأمم الخالية أشد على نفوس المستمعين منهم، كما أن الإتيان فجيء بسهولة فيشير إلى قوة الفاعل وسهولة تأتِّي الفعل على يديه وفيه من الترهيب ما فيه .

الخامس: مراعاة الفصاحة اللفظية، من وجهين هما:

١. الخفة اللفظية، فلفظ آتيهم أخف لفظًا من (جائيهم). لذلك في القرآن لم يأت اسم الفاعل من المجيء لثقله اللفظي .

٢. التفنن في التعبير بالبعد عن التكرار . قال الطاهر: " والإتيان والمجيء مترادفان، فذكر المجيء بعد الإتيان ليس لاختلاف المعنى، ولكنه للتفنن وكراهية إعادة اللفظ ." قاله في تفسير سورة الأعراف . [3]

٢١٤. [كفروا ـ الظالمين]

قَالَ تَعَالَى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾} [سورة إبراهيم:١٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (كَفَرُوا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا، إلى (الظالمين) اسم فاعل /جمع مذكر سالم [و] الفَاعِلِين، وذلك في سياق وعيد الكافرين الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم؛ تثبيتًا لفؤاد المصطفى وأمرًا له بالاصطبار عليهم لأن الله يهلكهم .

والعدول المعجمي من الفعل (كفروا) إلى الاسم (الظالمين) له أغراض بلاغية منها:

---

(١) . المفردات، للراغب ص ٨ .

(٢) . الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي (٢/ ٣٦٥)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر(٩/ ٦١)

الأول: تحقير الكافرين بالإشارة إلى فرط غباوتهم إذ ظلموا أنفسهم فأوجبوا لها العقاب بكفرهم بآيات الله ورسله وانهماكهم في المعاصي التي منها ظلم العباد، والآية الكريمة ذكرت طرفًا من ظلمهم حيث يهددون الأنبياء بإخراجهم من أوطانهم لئلا تنتشر أنوار دعوتهم بين الناس .

الثاني: التهديد للكافرين، والإيذان بأن هلاكهم بسبب عبادتهم الأوثان فيكون بوضعهم العبادة في غير موضعها، وفيه تعريض بمشركي مكة، وأنه سيصيبهم مثل ما أصاب الكافرين من قبلهم .(١)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ (الظالمين) يدل بإيحائه على ظلمة قلوبهم وأنهم يوم القيامة في ظلمات بعضها فوق بعض .

٢. بلاغة العدول المعجمي من الماضي الثلاثي إلى اسم الفاعل غير الثلاثي :

٢١٥. **[ظلموا ـ المجرمين]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾} [سورة يونس:١٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (ظلموا) فعل ماضٍ [و] فَعَلُوا إلى (المجرمين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، وهو اسم فاعل من الرباعي (أجرَمَ) أي : فَعَل الجُرْم أي الذَّنْب، وقد جاء العدول في سياق إخبار الله تعالى عما أحل بالقرون الماضية، في تكذيبهم الرسل فيما جاءوهم به من البينات والحجج الواضحات، ثم استخلاف الله هؤلاء القومَ من بعدهم، وأرسل إليهم رسولا لينظر طاعتهم له، واتباعهم رسوله (٢)، لكنهم أصروا على تكذيب الرسل، فاستحقوا الوعيد الشديد .

العدول إلى الاسم (المجرمين) لأغراض بلاغية منها:

---

(١) . تفسير الطبري (١٦/ ٥٤١)

(٢) . مقتبس من تفسير ابن كثير بتصرف يسير (٢٥٢/٤)

الأول: التعميم، ليشمل الظلم بالتكذيب وهو المذكور في أول الآية والإصرار عليه المفهوم من قوله: " فما كانوا ليؤمنوا "، وفي ذلك وعيدٌ شديدٌ وتهديدٌ أكيدٌ لأهل مكةَ لتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم، قال الشهاب في موضع آخر: " ووضع الظالمين موضع ضمير المجرمين، وهما بمعنى للتنبيه على جمع الصفتين ." (١)

الثاني: التنبيه على أن المعاصي من شؤمها حرمان العبد من الإيمان وسائر الألطاف الإلهية، فالإجرام كما تبين آنفًا لفظٌ عام فتدخل المعاصي في معناه، وقوله تعالى: (نجزي) دليل على أن عدم إيمانهم مسبَّبٌ عن إجرامهم .

الثالث: الإشارة إلى نوعٍ من جرائمهم وهو أنهم يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، قال البقاعي: " الإجرام ... هو قطع ما ينبغي وصله ." (٢) وهو . رحمه الله . قد نظر إلى أن أصل معنى الإجرام في لغة العرب : القطع، جاء في تاج العروس(٣) : الجَرِيمُ والجُرامُ :...(التَّمْرُ اليابِسُ) وَفِي الصِّحاح: المِصْرُومُ، .. يُقَال: تَمْرٌ جَرِيمٌ أَي: مَجْرُومٌ، قَالَ الشَّاعِر:

(يَرَى مَجْداً وَمَكْرُمَةً وعِزاً ... إذا عَشَّى الصَّدِيقَ جَرِيمَ تَمْرِ)

الرابع: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار .

صدق الله [كفرتم ـ مجرمين]

قَالَ تَعَالَى:{ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾} [سورة التوبة:٦٥ــ٦٦]

في الآية الثانية عدول معجمي من (كفرتم) فعل ماضٍ [و] فَعَلْتُم،إلى (مجرمين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] مُفْعِلين، وذلك في سياق بيان خطورة الاستهزاء بآيات الله ورسوله، وأنه كفر موجب للعذاب الشديد يوم القيامة، وسبب نزول هذه الآيات " على ما قال الكلبي ومقاتل وقتادة: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسير في غزوة تبوك وبين يديه ثلاثة نفر من المنافقين اثنان يستهزئان بالقرآن والرسول، والثالث يضحك. قيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه يغلب الروم ويفتح مدائنهم ما أبعده من ذلك.

---

(١) . حاشية الشهاب على البيضاوي (١٦٨/٤)

(٢) . نظم الدرر، للبقاعي (٨٦/٩)

(٣) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، مادة(جرم) .

وقيل: كانوا يقولون: إن محمدا يزعم أنه نزل في أصحابنا المقيمين بالمدينة قرآن، وإنما هو قوله وكلامه، فأطلع الله نبيه صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال: احبسوا علي الركب، فدعاهم وقال لهم: قلتم كذا وكذا، فقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، أي كنا نتحدث ونخوض في الكلام كما يفعل الركب لقطع الطريق بالحديث واللعب."(١)

والعدول المعجمي الفعل (كفرتم) إلى الاسم (مجرمين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التوبيخ بتعدادِ فظائعهم فقد جمعوا بين الاستهزاء بآيات الله ورسوله وبين الكفر والإجرام " فالمعنى لا حاجة بكم للاعتذار عن التناجي فإنكم قد عرفتم بما هو أعظم وأشنع." (٢)

الثاني: الإشارة إلى شؤم معاصيهم وأنها سبب للحرمان من خيري الدنيا والآخرة، ونبَّه على ذلك البقاعي (٣) واستفاد ذلك من لفظ (مجرمين) إذ إن " أصل الجَرْم: قطع الثّمرة عن الشجر ." (٤)

الثالث: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار، قال الطاهر: " والمجرم: الكافر "(٥)

٣. بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى اسم الفاعل غير الثلاثي :

٢١٧. [توليتم ـ معرضون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾} [سورة البقرة:٨٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (توليتم) فعل ماضٍ [و] تَفَعَّلْتُم، إلى (معرضون) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] مُفْعِلُون، وذلك في سياق ذكر إعراض اليهود عن المواثيق التي أخذت عليهم فوقعوا في الشرك وعقوق الوالدين وأساءوا لذوي القربى وأفحشوا القول مع الناس وتركوا الصلاة ومنعوا الزكاة التي فرضت عليهم .

---

(١) . تفسير البغوي : (٢/ ٣٦٦)

(٢) . التحرير والتنوير: (١٠/ ٢٥٢)

(٣) . نظم الدرر : (٨/ ٥١٨)

(٤) المفردات، للراغب، مادة (جرم) .

(٥) التحرير والتنوير، للطاهر (١٠/ ٢٥٣)

والعدول معجمي من الفعل (توليتم) إلى الاسم (معرضون) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص؛ ذمًّا ليهود؛ لانصرافهم عن الهدى رأسًا، وإصرارهم على هذا، " فإن (المتولي) على قسمين: فواحد يطمع في رجوعه، وآخر لا يطمع فيه بوجه فهذا هو المعرض."(١) وفيه إظهار لطبيعة الأنفس اليهودية وكرههم للتشريعات الربانية واستثقالهم الطاعة ونفورهم منها، فالتولي: الإعراض الذي تدل عليه مظاهر حسية وقوله تعالى: (وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ) معناه أنهم تولوا بأجسامهم ونأوا عنه بقلوبهم .(٢)

الثاني: زيادة التعجيب من فعال اليهود المعرضين عن محاسن الشريعة وأنها لكمالها وتوافقها مع العقل والفطرة السوية، لم يكن ليُعرَض عنها، قلبًا وقالبًا، لكن لفرطِ جهلهم وشدة عنادهم أصرُّوا واستكبروا ولم يرفعوا بها رأسًا .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار.

ثانيهما : الخفة اللفظية، فقوله: (معرضون) أخف لفظًا من (متولُّون) .

٢١٨. [وليتم - مدبرين]

قَالَ تَعَالَىٰ: { لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ } [سورة التوبة:٢٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (وليتم) فعل ماضٍ [و] فَعَّلْتُم إلى (مدبرين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] مُفْعِلِين، وذلك العدول قد ورد في سياق امتنان الله على عباده المؤمنين بنصرهم على أعدائهم المشركين بعدما كاد المشركون أن يهزموهم، لكن الرسول صلى الله عليه وسلم وطائفة من أصحابه الكرام صبروا في قتال العدو حتى كسروا شوكتهم وسبوا نساءهم وغنموا أموالهم .

والعدول المعجمي من الفعل (وليتم) إلى الاسم (مدبرين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، إظهارًا لفرار المؤمنين في أول المعركة لما ثار المشركون عليهم ورشقوا بالنبال، وأصلتوا السيوف، وحملوا حملة رجل واحد، كما أمرهم ملكهم. فعند ذلك ولى المسلمون مدبرين (٣)، قال الطاهر: " التولي: الرجوع، ومدبرين حال: إما مؤكدة

(١) . ينظر: تفسير ابن عرفة : (١٤٠/١)
(٢) . ينظر: تفسير أبي زهرة : (٢٩٣/١)
(٣) . ينظر: تفسير ابن كثير: (٤/ ١٢٦)

لمعنى وليتم أو أريد بها إدبار أخص من التولي، لأن التولي مطلق يكون للهروب، ويكون للفر في حيل الحروب، والإدبار شائع في الفرار الذي لم يقصد به حيلة فيكون الفرق بينه وبين التولي اصطلاحا حربيا." (١)

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاثة أوجه:

أولها: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

ثانيها: الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل أخف لفظًا من قولنا: (ثم وليتم مولّين) .

ثالثها: ائتلاف اللفظ والمعنى، فكلمة (مدبرين) أبلغ هنا من الناحية الصوتية لاشتمالها على القلقلة في صوت الدال الدالة على ما حصل في نفوس المسلمين من الزعزعة والاضطراب والقلق، واشتمالها على الراء الذي من صفاته صفة التكرير التي تصور فرارهم وتسجل حركة أرجلهم المسرعة نحو الهرب .

٢١٩. [تولوا ـ المفسدين]

قَالَ تَعَالَى:{إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾} [سورة آل عمران:٥٩-٦٣]

في قوله تعالى: {فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾} عدول معجمي من (تَوَلَّوْا) فعل ماضٍ [و] تَفعَّوْا، إلى (المفسدين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، وذلك العدول قد جاء في سياق نفي إلهية المسيح عليه السلام وإثبات وحدانية الله ونفي الشريك بالصراحة، وتسجيل على النصارى بأنهم نكصوا عن المباهلة مكابرة وعنادًا .

والعدول المعجمي من الفعل (تولوا) إلى الاسم (المفسدين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: " الإيذان بأن الإعراضَ عن التوحيد والحقِّ الذي لا محيدَ عنه بعدما قامت به الحججُ إفسادٌ للعالم ." (٢) وفي ذلك تهديد لمن تولى عن التوحيد، وأعرض عن دين الله عز وجل، وعاقبة المفسدين في الأرض من مكذِّبي الرسل المعرضين مذكورة

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٠/ ١٥٧)

(٢) . تفسير أبي السعود : (٢/ ٤٧)

في القرآن الكريم بكثرة، قَالَ تَعَالَى:{وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾} [سورة الفجر:٩-١٤]

الثاني: العموم؛ لأنه لو جاء الضمير هنا حسب السياق: " فإن الله عليم بهم " لاختص العلم بهم وحدهم فلما عدل إلى (المفسدين) صارَ عامًّا فيهم وفي غيرهم، وذلك الوجه يدل على سعة علم الله وأنه لا تخفى عليه خافية .

الثالث: التسجيل على أهل الكتاب المعاندين بالفساد بعد وصفهم بالتولي عن الحق والإعراض عن إفراد الله تعالى بالألوهية، وفيه تعديد لمساوئهم صدًّا عن سلوك سبيلهم .

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية؛ فقوله عز وجل: " فإن الله عليم بالمفسدين " أخف لفظًا مما لو قيل: " فإن الله عليم بالمتولين " لثقل (المتولين) عن (المفسدين) .

٢٢٠. [آمن - مسلمين]

قَالَ تَعَالَى:{ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾} [سورة النحل:١٠٢]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آمنوا) فعل ماضٍ [و] أفْعَلُوا إلى (المسلمين)اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِين، وذلك العدول في سياق بيان شرف القرآن الكريم وعظمته، فقد أنزل الله ـ عز شأنه ـ به جبريل ـ عليه السلام ـ على المصطفى عليه السلام؛ تثبيتًا للمؤمنين على الحق وتبشيرًا للمسلمين برضا الرحمن وعظيم الجنان .

والعدول المعجمي من الفعل (آمنوا) إلى الاسم (للمسلمين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة تشريف المؤمنين ومدحهم بوصف آخر جليل، وهذا ما صرَّح به الطاهر ابن عاشور [١]، وسورة النحل مكية أي نزلت قبل الهجرة على الرأي الراجح، والمسلمون حينئذٍ قليلون لاقوا من أذى المشركين الكثير وصبروا على ذلك ابتغاء رضوان الله، فكان التصريح بتبشيرهم وهم أول من أسلم لله طوعًا أنسب ومدحهم بالإيمان والإسلام كليهما أوقع في

(١) . ينظر: التحرير والتنوير: (١٤/ ٢٨٥)

نفوسهم وأسعد لقلوبهم وأدعى لمزيدٍ من الثبات في نشر الدعوة والاصطبار على ما تكلفهم به من تحمل المشاق ومكابدة الأهوال وبذل الأموال والأنفس في تحقيق توحيد الله ونشر تعاليمه السمحة .

الثاني: التعريض بعذاب الكافرين، وأن القرآن الكريم مليء بالإنذار لمن أعرض عن توحيد الله واتباع رسله، وهذا الوجه نبَّه عليه الإمام الرازي (١) والبيضاوي (٢) واستفيد ذلك بمفهوم المخالفة، قال أبو حيان: " ودل اختصاص التعليل بالمسلمين على اتصاف الكفار بضده من لحاق الاضطراب لهم وتزلزل عقائدهم وضلالهم. " (٣)

الثالث: الإشارة إلى أن التمسك بالعبادات الظاهرة كالصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان وسائر أعمال البر سبب لحصول خيري الدنيا والآخرة، فإيمان العبد لا يكمل بغير طاعة مولاه والاستقامة على شريعته، لذلك جمع بينهما في الآية الكريمة، وقَالَ تَعَالَى:{وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١} [سورة الأنفال:١]

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظية بالتفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

قَالَ تَعَالَى:{ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ ٨٤} [سورة يونس:٨٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (آمَنْتُم) فعل ماضٍ [و] أفْعَلْتُم إلى (مسلمين)اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] مُفْعِلِين، وذلك في سياق أمر موسى قومه بالتوكل على الله إذ من يتوكل على الله فهو حسبه، فإذا أحسنوا التوكل جاءهم الله بالنصر على عدوهم فرعون وملئه .

والعدول المعجمي من الفعل (آمنتم) إلى (مسلمين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان إلى أن التوكل الحقَّ لا يكون بالقلب فحسبُ، بل لا بد أن يكون بالأخذ بالأسباب والعمل على طاعة الله، قال البقاعي: " {مسلمين*} جامعين إلى تصديق القلب إذعان الجوارح ." (٤)

قال ابن القيم في مدراج السالكين: " التوكل حال مركبة من مجموع أمور، لا تتم حقيقة التوكل إلا بها. ... فأول ذلك: معرفة بالرب وصفاته من قدرته، وكفايته، وقيوميته، وانتهاء الأمور إلى علمه، وصدورها عن مشيئته وقدرته. ... الدرجة الثانية: إثبات في الأسباب والمسببات، فإن من نفاها فتوكله مدخول." (٥)

---

(١) . ينظر: مفاتيح الغيب : (٢٠/٢٧٠)
(٢) . ينظر: تفسير البيضاوي : (٣/٢٤٠)
(٣) . البحر المحيط لأبي حيان (٦/ ٥٩٤)
(٤) . نظم الدرر، للبقاعي (١٧٧/٩)
(٥) . مدارج السالكين، لابن القيم(٢/ ١١٩)

الثاني: التتميم، لأن العبد إذا كان مؤمنًا مسلمًا فوّض جميع أمره إلى الله، قال الرازي: " فكأنه تعالى يقول للمسلم حال إسلامه إن كنت من المؤمنين بالله فعلى الله توكل، والأمر كذلك، لأن الإسلام عبارة عن الاستسلام، وهو إشارة إلى الانقياد للتكاليف الصادرة عن الله تعالى وإظهار الخضوع وترك التمرد، وأما الإيمان فهو عبارة عن صيرورة القلب عارفا بأن واجب الوجود لذاته واحد وأن ما سواه محدث مخلوق تحت تدبيره وقهره وتصرفه، وإذا حصلت هاتان الحالتان فعند ذلك يفوض العبد جميع أموره إلى الله تعالى ويحصل في القلب نور التوكل على الله فهذه الآية من لطائف الأسرار، والتوكل على الله عبارة عن تفويض الأمور بالكلية إلى الله تعالى والاعتماد في كل الأحوال على الله تعالى. واعلم أن من توكل على الله في كل المهمات كفاه الله تعالى كل الملمات لقوله: ومن يتوكل على الله فهو حسبه [الطلاق: ٣] ." (١)

الثالث: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

ب . بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى اسم الفاعل :

١. بلاغة العدول المعجمي من المضارع الثلاثي إلى اسم الفاعل غير الثلاثي :

٢٢١. [تعثوا ـ مفسدين]

قَالَ تَعَالَى:{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾} [سورة الأعراف:٧٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تَعْثَوْا) فعل مضارع مجزوم [و] تَفْعَوْا إلى (مُفْسِدِين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] مُفْعِلِين، وذلك العدول جاء في سياق وعظ صالح ـ عليه السلام ـ لقومه وقد أمرهم أن يذكروا نعم الله المتوالية عليهم ونهاهم عن الفساد في الأرض .

العدول المعجمي من الفعل (تعثوا) إلى الاسم (مفسدين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، ليعم النهي جميع صور الفساد، بعد النهي عن أشد الفساد وهو (العثا)، قال الطبري: " وأصل العَثَا " شدة الإفساد، بل هو أشد الإفساد. "(٢)

---

(١) . مفاتيح الغيب، للرازي (٢٩٠/١٧)

(٢) . تفسير الطبري : (١٢٣/٢)

الثاني: التنبيه إلى وجوب التفكير في الأفعال قبل صدورها، فإن كانت توافق الحكمة فعلوها وإلا توقفوا عنها لئلا يقع منهم الفساد في الأرض، (مفسدين) أي فاعلين ما يكون فساداً في المعنى كما كان فساداً في الصورة، فهو دعاء إلى تقديم التأمل والتروي على كل فعل وذلك لأن مادة (عثى) بكل ترتيب دائرة على الطلب عن غير بصيرة ." (١)

الثالث: الاحتراس؛ تحذيرًا من تعمُّدِ الفساد، قال البقاعي: " واتباع ما معناه الفساد قوله: (مفسدين) دليل على أن المعنى ولا تسرعوا إلى فعل ما يكون فساداً قاصدين به الفساد، فإن العثي والعيث الإسراع في الفساد، لكن قد يقصد بصورة الفساد الخير فيكون صلاحاً في المعنى، كما فعل الخضر عليه السلام في السفينة والغلام ."(٢) وقال نحو ذلك أبو السعود (٣) والألوسي (٤).

الرابع: التعليل، وذكره الألوسي حيث قال: " وقيل: ليس الفائدة الإخراج المذكور فإن المعنى- لا تعثوا في الأرض بتنقيص الحقوق مثلا مفسدين مصالح دينكم وأمر آخرتكم- ومآل ذلك على ما قيل: إلى تعليل النهي كأنه قيل: لا تفسدوا في الأرض فإنه مفسد لدينكم وآخرتكم ."(٥)

الخامس: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، قال ابن عطية: " وتكرر المعنى لاختلاف اللفظ ." (٦)

السادس: التوكيد وصرح به الطاهر، حيث قال: " ومفسدين حال مؤكدة لمعنى تعثوا وهو وإن كان أعم من المؤكد فإن التأكيد يحصل ببعض معنى المؤكد. "(٧)

٢. بلاغة العدول المعجمي من المضارع غير الثلاثي إلى اسم الفاعل غير الثلاثي :

٢٢٢. [يؤمنون ـ المتقين]

قَالَ تَعَالَى: { لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ أَن يُجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾} [سورة التوبة:٤٤]

---

(١). نظم الدرر : (٥٦٥/٣)
(٢). نظم الدرر : (١٤٦/١).
(٣). تفسير أبي السعود : (١٠٦/١)
(٤). روح المعاني : (٣١٢/٦)
(٥). روح المعاني (٣١٢/٦)
(٦). تفسير ابن عطية (١٥٢/١)
(٧). التحرير والتنوير: (٨ب/٢٢١)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يؤمنون) فعل مضارع [و] يُفْعِلُون إلى (المتقين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم من الفعل (اتقى) [و] المُفْتَعِين، وذلك العدول قد وردَ في سياق التأكيد على أن المؤمنين لا يستأذنوا في القعود عن الغزو بل يرون الجهاد في سبيل الله قربة عظيمة يرجون بها ثواب الله في الدار الآخرة .

والعدول المعجمي من الفعل (يؤمنون) إلى الاسم (المتقين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: مدح المؤمنين وتعظيمهم بتعداد أوصافهم النبيلة فقد ذكرهم بعنوان الإيمان والتقوى، وذلك له مزيد من الثواب في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا العزة والكرامة، والعلو في الأرض من غير فساد، وفي الآخرة بالنعيم المقيم.

الثاني: التعليل، وإليه مال أبو السعود حيث بيَّن أن ذكرهم بوصف التقوى إشعار بأن الذي حملهم على المبادرة إلى الجهاد في سبيل الله ونصرة الدين إنما هو التقوى (١).

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ج . بلاغة العدول المعجمي من فعل الأمر إلى اسم الفاعل :

١. بلاغة العدول المعجمي من الأمر غير الثلاثي إلى اسم الفاعل الثلاثي :

٢٢٣. [أتموا ـ كاملة]

قَالَ تَعَالَى:{وَأَتِمُّواْ ٱلۡحَجَّ وَٱلۡعُمۡرَةَ لِلَّهِۚ فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ تِلۡكَ عَشَرَةٞ كَامِلَةٞۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمۡ يَكُنۡ أَهۡلُهُۥ حَاضِرِي ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٩٦} [سورة البقرة:١٩٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أتموا) فعل أمر [و] أَفْعِلُوا إلى (كاملة) اسم فاعل [و] فاعِلَة، وذلك العدول قد ورد في سياق الأمر بإتمام شعيرة الحج والعمرة ابتغاءَ مرضاة الله وحسن جزائه .

وللعدول المعجمي من الفعل (أتموا) إلى الاسم (كاملة) له أغراض بلاغية منها:

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود(٧١/٤)

الأول: الإيذان بالقبول التام لأفعال الذين لم يجدوا هدْيًا وصاموا عشرة أيام، كرمًا من ربهم وإحسانًا منه تعالى وجبرًا لخواطرهم، فالتمام والكمال من الألفاظ الموهمة بالترادف، لكن التمام يكون لنقصان الأصل والكمال لنقصان العوارض (١)، ولو قال: تلك عشرة تامة لصح المعنى، ... لكن عدل إلى لفظٍ دالٍّ على كمال عبوديتهم وأنه لا يحوم حولها نقصٌ البتة، وذلك محض تفضلٍ من الكريم إذ قبل منهم العمل القليل وأثاب عليه الكثير، قَالَ تَعَالَى:{إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾} [سورة **التغابن**:١٧]

الثاني: التعظيم لعبادة الحج والصيام، فلهما مزيد اختصاص بالله تعالى فقد قال في مطلع الآية: " وأتموا الحج والعمرة لله "، وقال في الحديث القدسي: " الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَأَكْلَهُ وَشُرْبَهُ مِنْ أَجْلِي ." (٢) فالحج والصيام عبادتان شاقَّتين على النفوس وثوابها عظيم جدًّا، فالحج يوجب مفارقة الأهل والوطن، ويوجب التباعد عن أكثر اللذات، فلا جرم لا يؤتى به إلا لمحض مرضاته، ثم إن هذه الأيام العشرة بعضه واقع في زمان الحج فيكون جمعا بين شيئين شاقين جدا، وبعضه واقع بعد الفراغ من الحج وهو انتقال من شاق إلى شاق، ومعلوم أن ذلك سبب لكثرة الثواب وعلو الدرجة فلا جرم أوجب الله تعالى صيام هذه الأيام العشرة، وشهد سبحانه على أنه عبادة في غاية الكمال والعلو . (٣)

الثالث: لما ذكر السبعة والثلاثة وهي عشرة في العدد، ولا شك في ذلك أتبعها بالكمال للتأكيد على ذلك؛ مبالغةً في التوصية بصيامها وأن لا يتهاون بها، قال الزمخشري: " فائدة الفذلكة في كل حساب أن يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به، ومن جهتين، فيتأكد العلم." (٤)

وذكر الرازي في تفسيره أن التوكيد طريقة مشهورة في كلام العرب ونبَّه على فائدته وهي أن الكلام الذي يعبر عنه بالعبارات الكثيرة ويعرف بالصفات الكثيرة، أبعد عن السهو والنسيان من الكلام الذي يعبر عنه بالعبارة الواحدة، فالتعبير بالعبارات الكثيرة يدل على كونه في نفسه مشتملا على مصالح كثيرة ولا يجوز الإخلال بها، فرعاية العدد في هذا الصوم من المهمات التي لا يجوز إهمالها ألبتة .(٥)

الثالث: الإشارة إلى أن التشريع الإسلامي في غاية الكمال ولا يقبل فيه الزيادة ولا النقصان، فالأيام العشرة المذكورة لا يجوز الزيادة عليها، ولا النقص منها؛ لأنها عبادة توقيفية، وهذا الوجه يؤيده استعمال الكمال مع الدين دون التمام في قوله تعالى: {ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ} [سورة **المائدة**:٣] لأن الدين تمَّت أصوله

---

(١) . ينظر: معجم الفروق اللغوية ص (١٤)
(٢) . صحيح البخاري، (٧٤٩٢) بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلاَمَ اللَّهِ} [الفتح: ١٥]
(٣) . ينظر: مفاتيح الغيب : (٥/ ٣١٢)
(٤) . الكشاف للزمخشري : (١/ ٢٤١)
(٥) . ينظر: مفاتيح الغيب : (٥/٣١١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفروعُهُ، والزيادة فيه بدعةٌ مردودة، وهكذا نجد الأحكام الشرعية أحيطت بسياجٍ حصينٍ يضمن خلودها وبقاءها مهما اختلف الزمان والمكان، قال الطاهر: " وأما قوله: كاملة فيفيد التحريض على الإتيان بصيام الأيام كلها لا ينقص منها شيء، مع التنويه بذلك الصوم وأنه طريق كمال لصائمه، فالكمال مستعمل في حقيقته ومجازه."(١)

الرابع: الاحتراس (٢)**، وذلك من جهتين:**

أولاهما: أن الواو في قوله: (وسبعة إذا رجعتم) ليست نصا قاطعا في الجمع بل قد تكون بمعنى(أو) كما في قوله: مثنى وثلاث ورباع [النساء: ٣] فالله تعالى ذكر قوله: عشرة كاملة إزالة لهذا الوهم .

ثانيهما: أن قوله (تلك عشرة كاملة) فيه تنصيص على هذا العدد المفصل بلا تخصيصٍ فلو أن الله ـ تعالى ـ قال: أوجبت عليكم الصيام عشرة أيام، لم يبعد أن يكون هناك دليل يقتضي خروج بعض هذه الأيام عن هذا اللفظ، فإن تخصيص العام كثير في الشرع والعرف .

فلذلك اختير لفظ الكمال الأقوى؛ نفيًا للوهم الحاصل في التخصيص أو إرادة أحد العددين، وهذا من الدقة البلاغية في كلمات القرآن الكريم .

وإنما اختير الإتمام في قوله: (وأتموا الحج والعمرة لله)، تنبيهًا على أنه ـ تعالى ـ أمر الناس بما استطاعوا من أمر النسك فيقومون بما تيسَّر لهم، فالحج فرض على المستطيع ماليًا وبدنيًّا وذلك من كمال رحمته بعباده، وقد طلب منهم إتمام العبادة ولو قال: " أكملوا " فلربما شقَّ على بعضهم أن يجعل حجه يبلغ حد الكمال، **قَالَ تَعَالَى:**{يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ} [سورة **البقرة**:١٨٥]، وقال ـ عز شأنه: {فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ} [سورة **التغابن**:١٦] وقال ـ سبحانه: {{وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلۡبَيۡتِ مَنِ ٱسۡتَطَاعَ إِلَيۡهِ سَبِيلٗاۚ } [سورة آل عمران:٩٧]

(١) . التحرير والتنوير: (٢/ ٢٢٩)
(٢) . ينظر: مفاتيح الغيب : (٣١١/٥)

٢. بلاغة العدول المعجمي من الأمر الثلاثي إلى اسم الفاعل غير الثلاثي :

٢٢٤. [فاصبر ـ المتقين]

قَالَ تَعَالَىٰ: {تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾} [سورة هود:٤٩]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اصبر) فعل أمر [و] افْعِل إلى (المتقين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم من الفعل (اتقى) [و] المُفْتَعِين، وذلك في سياق الامتنان على النبي صلى الله عليه وسلم بنعمة القرآن الكريم الذي حوى من قصص الأنبياء العظيمة وما تنطوي عليه تلك القصص من المعارف واللطائف والعظات، وأن تلك الأنباء العظيمة إنما أوتيها تسلية لنفسه الشريفة ودعوة له إلى الاصطبار على مشاقّ تبليغِ الرسالةِ وأذيَّةِ قومٍ كما صبر نوحٌ على أنواع البلايا في هذه المدة المتطاولةِ .

والعدول المعجمي من الفعل (اصبر) إلى الاسم (المتقين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التسلية " لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتعليلٌ للأمر بالصبر فإن كونَ العاقبةِ الحميدةِ للمتقين وهو في أقصى درجاتِ التقوى والمؤمنون كلُّهم مّتقون مما يسليه صلى الله عليه وسلم ويهوِّن عليه الخطوبَ ويُذهب عنه ما عسى يعتريَه من ضيق صدرِه ." (١)

الثاني: التعريض بتهديد المكذبين من المشركين، وذلك مستفاد من مفهوم المخالفة، فإذا ثبت أن العاقبة الحسنة للمتقين رسول الله والمؤمنين فإن غيرهم له أسوأ عاقبة يوم القيامة، قَالَ تَعَالَىٰ:{ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾} [سورة الروم:١٠]

قال الطاهر: " واللام في للمتقين للاختصاص والملك، فيقتضي ملك المتقين لجنس العاقبة الحسنة، فهي ثابتة لهم لا تفوتهم وهي منتفية عن أضدادهم." (٢)

الثالث: التنبيه إلى فضيلة التمسك بالصبر والتقوى معًا، فالتقوى سبب لكشف البلاء وزوال الهموم بل هي سبب لخيري الدنيا والآخرة، هذا ولا يتحقق الصبر إلا بالتقوى، وقد جمع الله تعالى بين الصبر والتقوى في القرآن الكريم كثيرا فمن

(١) . تفسير أبي السعود :(٤/٢١٦)
(٢) التحرير والتنوير، للطاهر (١٢/ ٩٣)

ذلك قوله تعالى: { قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾} [سورة الزمر:١٠]

الرابع: تعميم الحكم واستقلال الجملة، فما عليه النظم الجليل أعم وأكثر دلالة وأوفى معنى مما لو قيل: " فاصبر إن العاقبة لك " .

الخامس: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار، قال أبو السعود: " وجوز أن يراد بها [أي: التقوى] الدرجة الثالثة وهي بذلك المعنى منطوية على الصبر فكأنه قيل: فاصبر فإن العاقبة للصابرين ." (١)

٢٢٥. [فاعف /واصفح ـ المحسنين]

قَالَ تَعَالَىٰ: {فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ ۙ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾} [سورة المائدة:١٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من الأفعال : (اعفُ) فعل أمر [و] افعُ، (اصفح) فعل أمر [و] افعَل إلى (المحسنين) اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] المُفْعِلِن، وذلك العدول في سياق بيان جانب من رذائل بنى إسرائيل والعقوبات التي عاقبهم بها بسبب فسوقهم عن أمره: حلت عليهم اللعنة وأصيبوا بقسوة القلب فلا يقبلون الحق ولا يتأثرون بالمواعظ والنذر. كما نسوا الشريعة أي: تركوها وأهملوها، وفي الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم أن يعفو عنهم ويحسن إليهم عسى أن يهتدوا .

والعدول المعجمي من الأفعال (فاعفُ / واصفح) إلى الاسم (المحسنين) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ فالإحسان يشمل العفو والصفح ونحو ذلك، فيكون العدول إليه للحث على التخلق بهذا الخلق بشتى صوره مع أهل الكتاب(٢)، كما في قوله تعالى: " وقولوا للناس حسنًا "، وقوله عز شأنه: " وجادلهم بالتي أحسن "، فالإحسان هو منهج الإسلام في التعامل مع المخالف؛ وذلك فيه ترغيبٌ للناس في الدخول في دين الله وتحبيبٌ في فضائله والتمسك بآدابه .

قال ابن كثير: " وهذا هو عين النصر والظفر، كما قال بعض السلف: ما عاملت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه. وبهذا يحصل لهم تأليف وجمع على الحق، ولعل الله أن يهديهم ." (٣)

---

(١) تفسير أبي السعود (٢١٦/٤)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير: (٦/ ١٤٥)

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٦ . ٦٧)

الثاني: الإشارة إلى أن العفو عن المسيء والصفح عنه من خصال المحسنين (١)، وفي ذلك تنويه بعظمة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه قد بلغ المنتهى في الإحسان إلى الخلق

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

د . بلاغة العدول المعجمي من الاسم وفعل الأمر إلى اسم الفاعل :

٢٢٦. **[القعود/فاقعدوا ـ الخالفين]**

قَالَ تَعَالَى: { فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ﴿٨٣﴾} [سورة التوبة:٨٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (**القعود**) **مصدر سماعي [و] الفُعُول،** (**اقعدوا**) **فعل أمر [و] افْعُلُوا إلى** (**الخالفين**) **اسم فاعل/جمع مذكر سالم [و] الفَاعِلِين**، وذلك العدول في سياق أمر النبي صلى الله عليه السلام ألا يستصحب المنافقين في غزواته؛ لأن خروجهم يوجب أنواعًا من الفساد، فيقول الله تعالى له: إذا رجعت إلى المدينة فقل للمنافقين إذا استأذنوك للقتال: لن تخرجوا معي إلى غزوة لأنكم موصوفون بالغدر والخداع فقد رضيتم بالقعود عن الغزو في تبوك مع مسيس الحاجة إلى حضوركم فاقعدوا مع الخالفين من الصبيان والنساء، وفي ذلك الوصف " محوُ أساميهم من دفتر المجاهدين " (٢).

والعدول المعجمي من (**القعود / فاقعدوا**) **إلى** (**الخالفين**) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: المبالغة في ذم هؤلاء المنافقين الذي تخلفوا عن غزوة تبوك من ثلاثة أوجه:

أولها: لقعودهم في البيت؛ " لعدم لياقتهم للجهاد " (٣) كالنساء اللاتي لا تبرح مكانها، وذلك على القول بأن الخالف هو من يخلف الرجل في قومه فلا يبرح البيت .

---

(١) . ينظر: تفسير أبي السعود: (٣/ ١٦)
(٢) . ينظر: تفسير أبي السعود: (٤/ ٨٩)
(٣) . ينظر: تفسير البيضاوي: (٣/ ٩٢)

قال قتادة: الخالفين: النساء [1]، قال ابن جرير: " لو كان معنيًّا بذلك النساء لقال: فاقعدوا مع الخوالف، أو الخالفات، ولكن معناه ما قلنا، من أنه أريد به: فاقعدوا مع مرضى الرِّجال وأهل زَمانتهم، والضعفاء منهم، والنساء. وإذا اجتمع الرجال والنساء في الخبر، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث ".[2]

ثانيها: لكثرة خلافهم ومخالفتهم أمر الله بالجهاد في سبيله، وذلك على وفقًا لقول الليث: هذا الرجل خالفة، أي مخالف كثير الخلاف، وأشار إلى نحو هذا الفراء والأخفش [3] .

ثالثها: لفساد المنافقين وإفسادهم، " فالخالف هو الفاسد. قال الأصمعي: يقال: خلف عن كل خير يخلف خلوفا إذا فسد، وخلف اللبن وخلف النبيذ إذا فسد " [4]، والمنافون إذا خرجوا في الغزو لا يزيدون المؤمنين إلا ضرًّا وفسادًا .

قال الرازي: " وإذا عرفت هذه الوجوه الثلاثة: فلا شك أن اللفظ يصلح حمله على كل واحد منها، لأن أولئك المنافقين كانوا موصوفين بجميع هذه الصفات." [5] **وقال البقاعي:** " والأولى الحمل على جميع، أي لأن المراد تبكيتهم وتوبيخهم " [6]

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا لتكرار مادة القعود ثلاث مرات .

---

(١) . جامع البيان : (١٤/٤٠٤)

(٢) . جامع البيان : (١٤/٤٠٥)

(٣) . ينظر: مفاتيح الغيب : (١٦/ ١١٥)

(٤) . ينظر: مفاتيح الغيب : (١٦/ ١١٥)، تفسير القرطبي : (٨/٢١٨)، جامع البيان : (١٤/٤٠٥)

(٥) . مفاتيح الغيب : (١٦/ ١١٥)

(٦) . نظم الدرر، للبقاعي (٨/ ٥٦٥)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة المبالغة

ويكون الحديث عن بلاغة هذا النوع العدولي في مسألتين :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة مبالغة زنة [فَعِيل] .

ب . بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة مبالغة زنة [فَعُول]

أ . بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة مبالغة زنة [فَعِيل] .

٢٢٧. [خلق ـ بديع]

قَالَ تَعَالَى:{ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْۖ وَخَرَقُواْ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتِۭ بِغَيْرِ عِلْمٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾} [سورة الأنعام:١٠٠ـ١٠١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (خَلَقَهم) فعل ماض [و] فَعَلَهم إلى (بديع) صيغة مبالغة [1] أو صفة مشبهة[2] [و] فَعِيل، وذلك في سياق بيان قدرة الله المطلقة وأنه ـ تعالى ـ هو الخالق لكل شيء .

وللعدول المعجمي من (خلقهم) إلى (بديع) لأغراض بلاغية منها:

الأول: التعظيم لله والإشارة إلى المفارقة بين الخَلْقين، فخلق السموات والأرض أعظم فاختير لها لفظ (بديع) الدال على الإبداع والاختراع لا على مثال سابق [3] " ومنه سميت البدعة بدعة؛ لأنه لا نظير لها فيما سلف."[4]، قَالَ تَعَالَى:{ لَخَلْقُ

---

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (بدع) .

(٢) . الجدول في إعراب القرآن (١/٢٤٦)

(٣) . تفسير الرازي (١٣/ ٩٢) . وقال : (ولذلك فإن من أتى في فن من الفنون بطريقة لم يسبقه غيره فيها، يقال: إنه أبدع فيه.)

(٤) . تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٨) .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٥٧﴾} [سورة غافر:٥٧]، وعدل إلى (خلق) تنبيهًا على أن خلقه ـ سبحانه ـ لسائر المخلوقات هيِّنٌ عليه لكمال قدرته .

الثاني: دحض شُبَهِ المشركين، قال الطاهر: " ذلك التنزيه يتضمن نفي الشيء المنزه عنه وإبطاله، فعلل الإبطال بأنه خالق أعظم المخلوقات دلالة على القدرة فإذا كنتم تدعون بنوة الجن والملائكة لأجل عظمتها في المخلوقات وأنتم لا ترون الجن ولا الملائكة فلماذا لم تدعوا البنوة للسماوات والأرض المشاهدة لكم وأنتم ترونها وترون عظمها. فهذا الإبطال بمنزلة النقض في علم الجدل والمناظرة. " (١) وقال البقاعي: "{خلق كل شيء} أي مقدور ممكن من كل صاحبة تفرض، وكل ولد يتوهم، وكل شريك يدعي فكيف يكون المبدع محتاجاً إلى شيء من ذلك على وجه التوليد أو غيره. " (٢)

الثالث: التنبيه إلى جمال صنع الله، وذلك يحث على التأمل ويدعو إلى الإيمان، قال أبو السعود: "وقيل هو من إضافة الصفةِ المشبّهةِ إلى الفاعل للتخفيف بعد نصبِه تشبيهاً لها باسم الفاعِلِ كما هو المشهورُ أي بديعٌ سمواتِه وأرضِه من بَدَع إذا كان على نمطٍ عجيبٍ وشكلٍ فائق وحُسنٍ رائقٍ ." (٣)

٢٢٨. [يعلم ـ خبير]

قَالَ تَعَالَىٰ: { أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تُتۡرَكُواْ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَلَمۡ يَتَّخِذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَلِيجَةٗۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٦﴾} [سورة التوبة:١٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يعلم) فعل مضارع مجزوم [و] يفْعَل إلى (خَبِير) صيغة مبالغة [و] فَعِيل وذلك في سياق الترغيب في جهاد المشركين الذين يحاربون الإسلام وأهله وفي الآية بيان أن الغرض من القتال أن يؤتى به انقيادا لأمر الله عز وجل ولحكمه وتكليفه، ليظهر به بذل النفس والمال في طلب رضوان الله تعالى فحينئذ يحصل به الانتفاع، وأما الإقدام على القتال لسائر الأغراض فذاك مما لا يفيد أصلا.(٤)

وللعدول المعجمي من الفعل (يعلم) إلى الاسم (خبير) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بأن الله يعلم السرَّ وأخفى، " فيجب على الإنسان أن يبالغ في أمر النية ورعاية القلب."(الرازي ١٦/ ٨)

فالله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصًا، قَالَ تَعَالَىٰ:{وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ

(١) . التحرير والتنوير (٧/ ٤١٠)
(٢) . نظم الدرر (٧/ ٢١٧)
(٣) . تفسير أبي السعود : (٣/ ١٦٨)
(٤) . ينظر : مفاتيح الغيب : (١٦/ ٨)

وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾} [سورة البينة:٥]، و(خبير) مشتق من: خبر الأَمْر (كنصر): عَرَفه على حقيقته)، والمعنى المحوري لهذه المادة في كلام العرب هو رخاوة الشيء بحيث يوصل إلى عمقه . فالخبير: العالم الذي يَخبُر الشيء (أي: ينفذ إلى باطنه) بعلْمه .(١)

الثاني: الاحتراس، ببيان سعة علم الله وإحاطته بأمور العباد، فلما ذكر أول الآية قوله: " ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم " فقد يحصل التوهم بأنه ـ سبحانه ـ لم يعلم ذلك من قبل، فذكر لفظ (خبير)؛ نفيًا لهذا التوهم الباطل، ونبَّه على ذلك البيضاوي(٢)وأبو السعود (٣) .

الثالث: لما ذكر الوليجة " وهي الفعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنه يولجها، أي يدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء العدو بالمسلمين، وما يشمل اتخاذ أولياء من أعداء الإسلام يخلص إليهم ويفضي إليهم بسر المسلمين "(٤) ـ ناسب أن يذكر المولى ـ عز وجل ـ أنه خبيرٌ بأعمالهم ولا تخفى عليه خافية؛ تحذيرًا من موالاة المشركين (٥) وترهيبًا من ذلك العمل القبيح الذي يفضي إلى الإضرار بالمسلمين .

الرابع: مراعاة الفصاحة اللفظين بأمرين:

أولهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار . قال الطاهر: " إن تكرير الكلام في الغرض الواحد من شأنه أن يثقل على البليغ فإذا جاء اللاحق منه إثر السابق مع تفنن في المعاني باختلاف طرق أدائها من مجاز أو استعارات أو كناية. وتفنن الألفاظ وتراكيبها بما تقتضيه الفصاحة وسعة اللغة باستعمال المترادفات ... من الحدود القصوى في البلاغة، فذلك وجه من وجوه الإعجاز." (٦)

ثانيهما: مراعاة الخفة اللفظية بالبعد عما يتقارب لفظيًا، استقصاءً لمقتضى الفصاحة، فمادة (علم) و(عمل) من نفس الأصوات .

---

(١) ـ ينظر المعجم الاشتقاقي المؤصل : (١/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣)
(٢) ـ تفسير البيضاوي : (٣/ ٧٤)
(٣) ـ تفسير أبي السعود : (٤/٥٠)
(٤) ـ التحرير والتنوير : (١٠/ ١٣٩)
(٥) ـ ينظر تفسير الطبري : (١٤/ ١٦٣)
(٦) ـ التحرير والتنوير (١/٦٨)

٢٢٩. [تدرون ـ عليما]

قَالَ تَعَالَىٰ: {يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ .... ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١} [سورة النساء:١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تدرون) فعل مضارع [و] تَفْعُون إلى (عليم) صيغة مبالغة [1] [و] فَعِيل، وذلك في سياق بيان أحكام المواريث وأنصبَاء الورثة .

والعدول من الفعل (تدرون) إلى الاسم (عليمًا) فله أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على كمال علم الله وإحاطته بكل شيء على وجه التفصيل، والإيذان بكونهِ منزَّهًا عن مشابهة المخلوقين في صفاته، وذلك الوجه يدرك بمعرفة الفرق بين العلم والدراية، فالدراية " هي ما يفطن له الإنسان من المعرفة " [2] بعد الجهل به أو خفائه عليه [3]، وذلك يليق بالمخلوقين فلذلك لم يوصف الله به؛ فالحق ـ سبحانه ـ له العلم المطلق ولا يخفى عليه شيء في أي زمان، فتقسيم الميراث بهذه الكيفية التي حددها الشارع الحكيم هو تقسيم يتّسم بالعدالة وكمال الحكمة والعلم .

الثاني : التحذير لمن لم يلتزم بالتقسيم الإلهي للميراث، فالعدول إلى صيغة المبالغة (عليما) مناسب جدًّا في هذا السياق؛ ليرعوِي من يعترض على أحكام الله أو يَحْرِمُ بعض الورثة من أنصبائهم بهواه و ويخالف شريعة مولاه، فمن عرَفَ ربَّه بصفة العلم الشامل المحيط بتفاصيل أعمال العباد جميعها فإنه يكون على حَذَرٍ من مغبَّةِ المخالفة، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم : ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ فاطر: ٢٨.

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ب ـ بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى صيغة مبالغة زنة [فَعُول]

٢٣٠. [أعرضتم ـ كفورا]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا ٦٧} [سورة الإسراء:٦٧]

---

(١) ـ ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٤١٥/١) والجدول في إعراب القرآن (١/ ٩٢)

(٢) ـ معجم الفروق اللغوية : (٢٣٠)

(٣) ـ معجم الفروق اللغوية : (٤٠٨)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أعرضتم) فعل ماضٍ [و] أَفْعَلْتُم إلى (كَفُور) صيغة مبالغة [و] فَعُول وذلك في سياق بيان انفراد الله بكشف المضار وجلب المنافع على الحقيقة، وخير شاهدٍ على ذلك أن الناس إذا أصابتهم الشدَّة في البحرِ عند عَصْفِ الرياحِ وترادُفِ الأمواجِ وخافوا الغرق لا يرجُون النجاةَ إلا من اللهِ القادر على تخليصهم من المهالك .

هذا وتجدر الإشارة إلى أنه إذا كان المراد: " أعرضتم عن توحيد الله وشكره " وعليه كثير من المفسرين(١)، فلا عدول في الآية الكريمة، أما إن كان المراد بقوله: (أعرضتم): اتسعتم في كفران النعمة، وحكاه البيضاوي وأبو السعود (٢) فالعدول واردٌ في الآية الكريمة، ذكر البيضاوي أن ذلك المعنى يماثل " قول ذي الرمة:

عَطَاء فَتَى تَمَكَّنَ فِي المَعَالي ... فَأَعْرَضَ فِي المَكَارِمِ وَاسْتَطَالاَ

ودلالة مادة (عرض) على الاتساع قد ذكرت في المعاجم العربية ومن ذلك قول ابن منظور: " وفي حديث أُحُد قال للمنهزمين لقد ذَهَبْتُمْ فيها عَرِيضةً أَي واسعةً وفي الحديث لئن أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ لقد أَعْرَضْتَ المسأَلة أَي جِئْتَ بالخطْبةِ قصيرة وبالمسأَلة واسعة كبيرة ...وقوله تعالى: " فَذُو دُعاءٍ عَرِيضٍ " أَي واسع ." (٣)

والعدول المعجمي من الفعل (أعرضتم) إلى الاسم (كفورًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعليل، ونبَّه عليه البيضاوي (٤) وعلى ذلك يكون المعنى: فلما نجاكم إلى البر اتسعتم في كفران نعم الله لأن من عادتكم وطبعكم جحود النعم وكفرانها، وفي هذا ذم للمشركين المعرضين عن عبادة الله المحسن إليهم .

الثاني: الإشارة إلى ظهور آلاء الله على عباده وأنها أحرى أن تشهر ويتحدث بها لا أن تستر وتجحد، فمعنى (كفورا): " بليغ التغطية لما حقه أن يشهر " (٥)قَالَ تَعَالَى:{وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾} [سورة الضحى:١١]، والتحديث بالنعمة يكون بشكرِهَا وإشاعتِها وإظهارِ آثارِها .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: تفسير الطبري: (١٧/ ٤٩٧)، الهداية إلى بلوغ النهاية: (٦/ ٤٢٤٧)، الوجيز للواحدي: (٦٤١)، تفسير السمعاني: (٣/ ٢٦١)، تفسير ابن عطية: (٣/ ٤٧٢)، زاد المسير لابن الجوزي: (٣/ ٣٨)، تفسير القرطبي: (١٠/ ٢٩١)، تفسير ابن كثير: (٥/ ٩٦)، نظم الدرر (١١/ ٤٧٢)

(٢) . ينظر: تفسير البيضاوي: (٣/ ٢٦١)، تفسير أبي السعود: (٥/ ١٨٥) .

(٣) . ينظر: لسان العرب، مادة (عرض) .

(٤) . ينظر: تفسير البيضاوي: (٣/ ٢٦١)

(٥) . ينظر: نظم الدرر: (١١/ ٤٧٢)

ثانيها: مراعاة المناسبة الإيقاعية لكثير من فواصل السورة، ففاصلة (كفورا) تتناسب إيقاعيًا مع (كبيرا، موفورا، غرورا ....) في حرف الروي الراء وفي المقطع الأخير (ص ح ح) .

ثالثها: مراعاة المناسبة الصوتية للمعنى، فلفظ (كفورا) تعبر الراء فيه عن استرسال الكفران للنعم وتتابعه [(١)]، وهذا يوحي بعناد المشركين وإصرارهم على المخالفة وتماديهم في باطلهم رغم انغماسهم في نعمة ربهم التي لا تنقطع عنهم .

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الصفة المشبهة

وسوف يكون هذا المطلب في الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الصفة المشبهة في ثلاث مسائل :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الصفة المشبهة :

ب . بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الصفة المشبهة :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الصفة المشبهة :

١. بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى صفة مشبهة زنة [فَعُول] :

٢٣١. [أمسكتم ـ قتورا]

قَالَ تَعَالَىٰ:{قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ١٠٠} [سورة الإسراء:١٠٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أمسكتم) فعل ماضٍ [و] أفْعَلْتُم إلى (قتور) صفة مشبهة [و] فَعُول من الفعل (قَتَرَ) يقتُر ويقتِر أي : يبخل . وذلك العدول قد جاء في سياق رد شبهات المشركين وهي تعذر حصول مقترحاتهم من تفجير الينابيع على يدي النبي أو يكون له بيت من زخرف لعظيم قيمته، فجاء الرد بأن ذلك ليس بعظيمٍ على

(١) . ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل : (٤/ ١٩٠٣)

الله بجانب خزائنه الملأى فهو الذي بيديه ملكوت السموات والأرض وله الغنى المطلق، والعباد جميعهم فقرهم إليه ذاتي، والإنسان من صفاته الذاتية البخل عن الإنفاق في وجوه الخير .

قال الماوردي: " واختلف في هذا الآية على قولين: أحدهما: أنها نزلت في المشركين خاصة , قاله الحسن. الثاني: أنها عامة , وهو قول الجمهور. " (1)

والعدول المعجمي من الفعل (أمسكتم) إلى الاسم (قتورًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: المبالغة في وصف الإنسان بالبخل، فالقتور: الممسك المنوع، فالإنسان " خلق محتاجا والمحتاج لا بد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به لأسباب من خارج فثبت أن الأصل في الإنسان البخل." (2)، قال الراغب: " القَتْرُ: تقليل النّفقة، وهو بإزاء الإسراف، وكلاهما مذمومان ... وأصل ذلك من القُتَارِ والْقَتَرِ، وهو الدّخان الساطع من الشّواء والعود ونحوهما فكأنّ الْمُقْتِرَ والْمُقَتِّرَ يتناول من الشيء قُتاره " . (3) وذلك فيه تصوير للشحُّ الإنساني بما لا مزيد عليه، وقول الراغب: (وهو بإزاء الإسراف) يدل على شدة البخل (4) .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية وذلك بأمور:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: المناسبة الإيقاعية بين فواصل السورة، فلفظ (قتورًا) يناسب عددا من الفواصل مثل (كُفُورًا . مسحورًا . مثبورًا ....)، ولو قيل: (مُمْسِكًا) لما حصل ذلك التناسب .

٢ـ بلاغة العدول المعجمي من الماضي غير الثلاثي إلى صفة مشبهة زنة [فَعْل] :

٢٣٢. [اتقوا ـ الأبرار]

قَالَ تَعَالَى:{ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نُزُلٗا مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۗ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّلۡأَبۡرَارِ ﴿١٩٨﴾} [سورة آل عمران:١٩٨]

---

(١) . تفسير الماوردي (٣/٢٧٦)
(٢) . مفاتيح الغيب للرازي (٢١/٤١٣)
(٣) . المفردات، للراغب، مادة (قتر) .
(٤) . ينظر: التحرير والتنوير: (١٥/٢٢٤)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (اتقوا) فعل ماضٍ [و] افْتَعَوْا، إلى (الأبرار) صفة مشبهة /جمع تكسير لـ(بَرّ) [و] الأفْعَال، وذلك في سياق تكريم المؤمنين يوم القيامة ودخولهم جنات تجري من تحتها الأنهار وخلودهم فيها، جعلنا الله من أهلها .

والعدول المعجمي من الفعل (اتقوا) إلى الاسم (الأبرار) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التنبيه على أن تقوى الله وخشيته تدعو النفس إلى الإكثار من الطاعات ومن ثم حصول الثواب العظيم، لذلك قدَّم التقوى تقديمًا للوسائل إلى الغايات [1] . "فالبر " يفيد التوسع في فعل الخير، فهو إذا أدل على الكمال من التقوى التي هي عبارة عن ترك أسباب السخط، والعقوبة، وتحصل بترك المحرمات، وفعل الفرائض من غير توسع في نوافل الخيرات ." [2]

الثاني: مدح المؤمنين بتعداد أوصافهم العظيمة فهم متقون وأبرار، جمعوا بين الخوف والرجاء، يخافون عذابه ويرجون رحمته **."** فالرجاء حاد يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب." [3] وذلك لا يتم إلا بفعل الخيرات وترك المنكرات .

الثالث: الإيذان بأن المؤمنين قد كانوا محسنين مع أهليهم بارِّين بهم، نقل السيوطي في الدر المنثور عَن ابْن عمر رضي الله عنه أنه قَالَ: إِنَّمَا سماهم الله أبراراً لأَنهم بروا الْآبَاء وَالْأَبْنَاء كَمَا أَن لوالدك عَلَيْك حَقًا كَذَلِك لولدك عَلَيْك حق ." [4]

الرابع :مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين :

أولاهما : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، قال أبو حيان: " والأبرار هم المتقون الذين أخبر عنهم بأن لهم جنات." [5]

ثانيهما : ائتلاف اللفظ والمعنى، فالراء من معانيها اللغوية الاسترسال، ومن صفاتها التكرير، وهذا يؤيد معنى الانبساط والامتداد ويتناسب مع سياق الآية الدال على توسع المؤمنين في خصال الخير، ويتآزر مع الدلالة المعجمية يقول أ.د/ حسن جبل: " أما البِرّ – بالكسر – فإنه فسّر بالطاعة والخير. والطاعة تؤخذ من انبساط البَرّ؛ لأن الطاعة انقياد، والانقياد من الامتداد والانبساط بلا توقف ولا عَقَبات ... فمن البِرّ الصلة والإحسان والنفع المتسع {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ} [سورة البقرة: ٤٤] وكذا كل (البِرّ) في القرآن الكريم. "[6].

ب ـ بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الصفة المشبهة :

٢٣٣. [لنريه ـ البصير]

(١) . ينظر التسهيل لابن جزي : (١/ ١٧٥)

(٢) تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا(٤/ ٢٥٨)

(٣) مدارج السالكين، لابن القيم (٣٦/٢)

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي (٢/ ٤١٥)

(٥) البحر المحيط، لأبي حيان (٣/ ٤٨٤)

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل (١/ ٩٦)

قَالَ تَعَالَىٰ: {سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ①} [سورة الإسراء:١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نريه) فعل مضارع [و] نُقِلَهُ إلى (البصير) صفة مشبهة [و] الفَعِيل، وذلك في سياق ذكر حادثة الإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم وما تدل عليه من المقام الشريف الذي بلغه المصطفى . عليه السلام .

والعدول المعجمي من الفعل (نريه) إلى الاسم (البصير) له أغراض بلاغية منها:

الأول: إن كان الضمير في قوله (إنه هو السميع البصير) عائدًا إلى الرسول . صلى الله عليه وسلم . وهو ما استظهره الطاهر، ونقله عن الطيبي(١) . ونبه عليه البقاعي(٢) . **فالغرض من العدول التنبيه على شرف النبي صلى الله عليه وسلم وأن بلغ المنتهى في الإبصار ونفاذ البصيرة،** بدليل ما أخبر به من الآيات وصدَّقه من الدلالات حين وصف بيت المقدس لمن سألوه عن نعته وذكر لهم من أمر عيرهم عددَ جمالها وأحوالها .

جاء في نظم الدرر للإمام البقاعي: "كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم أبصر جميع ما في الملكوت بالعين المبصرة مشاهدة لم يسترب فيه ... وذلك لحدة بصره، والبصر على أقسام: بصر الروح، وبصر العقل الذي منه التوحيد، وبصر القربة الذي خص به الأولياء وهو نور الفراسة، وبصر النبوة، وبصر الرسالة. وهذه الأبصار كلها مجموعة لرسولنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم ...(روى) مسلم وأبو داود والترمذي عن ثوبان رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن الله تعالى زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها» وكان يبصر من ورائه كما يبصر من أمامه – كما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث أنس رضي الله عنه، وفي كثير من طرقه عدم التقييد بالصلاة، وهذا صريح في أن بصره لم يكن متقيداً بالعين، بل خلق الله تعالى الأبصار في جميع أعضائه ...ولم يكن الظلام يمنعه من نفود البصر ... وروى البيهقي في دلائل النبوة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يرى بالليل في الظلمة كما يرى بالنهار في الضوء ." (٣)

الثاني: إن كان الضمير في قوله (إنه هو السميع البصير) عائدًا إلى الله . عز وجل . كما ذكر الطبري وابن كثير والزمخشري وغيرهم (٤) . **فالعدول لأمور منها:**

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير: (٢٢/١٥)

(٢) . ينظر: نظم الدرر: (٢٩١/١١)

(٣) . نظم الدر، للبقاعي (١١/ ٢٩٢ : ٢٩٤

(٤) . ينظر: تفسير الطبري (٣٥٢/١٧) وابن كثير (٦/٥) والزمخشري (٦٤٨/٢) والبيضاوي (٢٤٨/٣)

أولها: التعظيم لأوصاف الكمال لله عز وجل؛ تحذيرًا للمشركين من تكذيب الرسول صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من قصة الإسراء العظيمة وأنه سميع لأقوالهم في ذلك بصيرٌ لأعمالهم لا تخفى عنه خافية، وسيجازيهم على ما فعلوا بما يستحقون .

ثانيها: التنبيه على أن الله تعالى كان الحافظ لرسوله في ظلمة الليل، وصرَّح بهذا الوجه السمعاني والبغوي. (١)

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية؛ فما عليه النظم الجليل أخف لفظًا مما لو قيل: " إنه هو السميع الرائي "، واسم الفاعل من فعل الرؤية لم يرد في القرآن الكريم؛ (٢) لثقله .

المطلب الرابع

العدول المعجمي من الفعل إلى اسم بمعنى اسم المفعول

لم يجد الباحث في النص الأول من القرآن الكريم شاهدًا على العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المفعول، بينما وجد أسماء مستعملة بمعنى اسم المفعول، وذلك نحو : رَسُول بمعنى مُرْسَل، وذلك في الشواهد الآتية :

٢٣٤. [بعثنا ـ رسولا]

قَالَ تَعَالَى:{ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٤﴾} [سورة الأعراف:١٠٣ـ١٠٤]

---

(١) . ينظر: تفسير السمعاني (٣/٢١٤) والبغوي : (٣/ ١٠٥) .

(٢) . ينظر: المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم مادة (رأى) ص (١٩٨)

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (بعثنا) **فعل ماضٍ [و] فَعَلْنَا إلى** (رسول) **فَعُول بمعنى مَفْعُول وذلك في** سياق ذكر بعثة موسى عليه السلام إلى فرعون وملئه، ودعوتهم إلى عبادة الله وحده وإظهار بعض من معجزاته أمام فرعون ليصدق فيؤمن لكن فرعون لم يستجب له .

والعدول المعجمي إلى الاسم (رسولا) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: التخصيص للتعظيم، وبيان أن موسى عليه السلام قد بعث برسالةٍ هاديةٍ إلى معرفة الحق . جل جلاله . فذكر عنوان الرسالة ترغيبًا إلى النظر فيها والعمل بمقتضاها، فلفظ رسول يشير إلى ذلك المعنى ولو قيل: (إني مبعوث) لما أفاد هذا المعنى من اللفظ، لذلك قال ابن عرفة: " لم يأت لفظ (بعثنا) إلا مقيدا بقوله تعالى: (بَعدِهِم) وذلك للتبيين أن المبعوث من جنس الرسل ." (١)

الثاني: الاختصار، فلفظ (رسول) أخصر من (مبعوث برسالة) وذلك مناسب للموقف في مخاطبة فرعون فموسى عليه السلام كان مستعجلا في نشر دعوة الحق وإظهار المعجزات الربانية الدالة على صدقه عليه السلام .

الثالث: التفنن في التعبير؛ دفعًا لكلفة التكرار .

٢٣٥. [نبعث ـ رسولا]

قَالَ تَعَالَى:{ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ١٥} [سورة الإسراء:١٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (نبعث) **فعل مضارع [و] نَفْعَل، إلى** (رسول) **فَعُول بمعنى مفعول**، وذلك في سياق بيان عدالة الحق سبحانه وتعالى وأن ليس بظلام للعبيد يجازي كلًّا بما كسب فقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وأقام عليهم الحجة واستبان السبيل؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة .

والعدول المعجمي من الفعل (نبعث) **إلى الاسم** (رسولا) **له أغراض بلاغية منها:**

الأول: الإيذان بعدل الله تعالى فهو . جل شأنه . لا يؤاخذ أحدًا قبل الرسالة وبيانها لهم، وهذا الذي تقتضيه رحمته التي وسعت كل شيء .

الثاني: الإشارة إلى أن الرسل يهدون إلى ربهم بالرسالة العالية والأخلاق السامية، ولو قيل: (نبعث مبعوثًا) لدَلَّ على الثاني فقط، لكن لفظ الرسول مشعرٌ بدلالة الاشتقاق إلى رسالته فيكون هاديًا إلى ربه بسمته وخلقه كما يهدي بما أرسل

---

(١) . تفسير ابن عرفة : (٢٣٩/٢)

به من الدين القويم، فالعدول فيه على هذا الوجه نعيٌ على الذين لم يستضيئوا بأنوار المرسلين وهم بين ظهرانيهم ولم يرفعوا بما جاءوا به رأسًا فحق عليهم العذاب .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من أوجه:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: الخفة اللفظية، فقوله: (رسولا) أخف لفظًا من (مبعوثًا) .

ثالثها: مراعاة كثير من فواصل السورة المنتهية باللام المفتوحة فلفظ (رسولا) يتناسب إيقاعيًا مع (وكيلًا . مفعولا . عجولًا . تفضيلًا ....) .

٢٣٦. [يوصيكم ـ فريضة]

قَالَ تَعَالَىٰ:{ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١١﴾} [سورة النساء:١١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يوصيكم) فعل مضارع [و] يُفْعِلُكُم،إلى (فَرِيضَة) فَعِيلة بمعنى مَفْعُولَة،[1] **أو مصدر سماعي ك(فَرْض)** [2] وذلك في سياق بيان أحكام المواريث وأنصباء الورثة .

أما العدول المعجمي من الفعل (يوصيكم) إلى الاسم (فريضة) فله أغراض بلاغية منها:

الأول : الإيذان بأن تلك قسمة مقدَّرة يجب الوفاء بها، ولفظ (فريضة) دالٌّ على كلا المعنيين: الوجوب والنصيب المقدَّر [3] والفعل فرض لغة يدل على قطع الشيء الصّلب والتأثير فيه [4] فيؤخذ من ذلك قوة الإلزام وثبوت الحكم .

وفي ذلك تأكيد على الالتزام بأحكام الميراث وعدم الإخلال بأنصباء الورثة لأن الله تعالى هو الذي اقتطع ذلك من الميراث لكل وارث وحدَّد لكل ذي حقٍّ حقَّهُ، وفي ذكر اسم الجلالة في آيات الميراث إلقاءٌ للمهابة في النفوس؛ تحذيرًا من

---

(١) . المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (فرض).
(٢) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٤٥٣/٤)
(٣) . ينظر: تفسير الراغب الأصفهاني : (١١٣٠/٣)
(٤) . المفردات في غريب القرآن، مادة (فرض) ص (٦٣٠)

المخالفة لما نص عليه الشارع الحكيم لذلك أعقب تلك الآيات بقوله . عز شأنه .: {وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾} [سورة النساء:١٤]

الثاني: الإشارة إلى أن التركات قد أوجبها الله للورثة تفضُّلًا لا باكتسابٍ، فالذي يموت لا يملك أحد من الخلق أعين أمواله، فالله ملك الورثة منافعها بعد وفاته بإيجابٍ منه . تعالى . فلذلك سميت المواريث فرائض، نبَّه على هذا الوجه الماتريدي [(١)].

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، وحسنت المغايرَة بين الألفاظ بذكر لفظ (فريضة)؛ لأن مادة (وصي) ذكرت في الآية التالية سبع مرات، قال الطاهر بن عاشور: " ولأهل البلاغة عناية بالالتفات لأن فيه تجديد أسلوب التعبير عن المعنى بعينه تحاشيًا من تكرر الأسلوب الواحد عدة مرار فيحصل بتجديد الأسلوب تجديد نشاط السامع ... فهذه فائدة مطردة في الالتفات. " [(٢)]

المطلب الخامس

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى اسم المكان

وفيه شاهدٌ واحدٌ على النحو الآتي :

٢٣٧. [رددت ـ منقلبا]

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾} [سورة الكهف:٣٥ـ٣٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (رددت) فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] فُعِلْتُ إلى (منقلبا) اسم مكان [و] مُنْفَعَل، وكان المتوقع أن يقول: (مَردًّا) وكلاهما يدل على مكان الرجوع، وقد جاء العدول في سياق ذكر المحاورة التي دارت بين الرجلين: المؤمن الفقير المتواضع، وصاحبه الكافر الغني المتكبر، وهذا الأخير يشك في لقاء ربه ويتمنى على الله الأماني وهو لا يؤمن به .

والعدول المعجمي من الفعل (رددت) إلى الاسم (منقلبا) له أغراض بلاغية منها:

(١) . ينظر: تفسير الماتريدي : (٣/ ٣٧)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر(١/١٧٩)

الأول: الإمعان في التمسك بالدنيا وزينها وافتتانه بها وإظهار رغبته في بقائه فيها، فانقلاب المرء يطلق على رجوعه إلى المكان الذي كان فيه من قبل وذكر الطاهر بأن هذا هو الاستعمال الشائع له ([1]) فهذا الرجل المتكبر لا يروم انتقالا من هذه الدار .

الثاني: الإشارة إلى أنه يرى رجوعه إلى الدار الآخرة أمرًا في غاية الاستغراب والعجب، ولفظ الانقلاب دلّ على ذلك حيث بيَّن الطاهر أن الانقلاب يكون من حال معتادة إلى حالة غريبة ([2]) صرح الخطيب الإسكافي في درة التنزيل بأنه استعمل (رددت) في الآية لأنه كاره للقاء ربهِ، حيث يقال: قصد فلان فرُدَّ عنه، وقصد فلان فرجع عنه .[3]

الثالث : مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولاها : الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل أخف لفظًا مما لو قيل : " ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها مردا" لتكرار صوت الراء، فالتنافر اللفظي ينشأ من تكرار الأصوات فيحدث ثقلًا ملحوظًا وقد عِيبَ البيت القائل :

وقبر حرب بمكان قفر ولیس قرب قبر حرب قبر

وثقل البيت نشأ لتكرار الأصوات: القاف والراء والباء تكرارًا أدَّى التنافر اللفظي . [4]

ثانيها : مراعاة المناسبة الإيقاعية للفواصل المتجاورة، فإن لفظ (منقلبا) ينتهي بالمقاطع الصوتية (ص ح . ص ح . ص ح ح) وهو يتناسب مع الفواصل التي قبله (نَهرا . نفرا . أبَدًا) والتي بعده (رجُلا . أحَدًا . وَلَدًا) ولو قيل (مَرَدًّا) لم يحصل التناسب المقطعي بين تلك الفواصل، فالبنية المقطعية لـ(مردًّا) هي : ص ح . ص ح ص . ص ح ح، فلم يحصل التشابه إلا في آخر مقطع (ص ح ح) فلذلك عُدِلَ إلى (مُنْقَلَبًا) لتمام تناسبه الإيقاعي .

ثالثها : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٥١/٩)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير، للطاهر (٥١/٩)

(٣) . درة التنزيل : (١/ ٨٧٤)

(٤) . معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : عالم الكتب – بيروت . (٣٥/١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفصل الثاني

بلاغة العدول المعجمي إلى الفعل

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفصل الثاني : بلاغة العدول المعجمي إلى الفعل

كان الحديث في الفصل السابق عن التوجيه البلاغي للعدول المعجمي إلى الاسم، أما في هذا الفصل فسوف يكون الحديث منصبًّا على بلاغة العدول إلى الفعل، وبالنظر إلى نوع الفعل المعدول إليه، سيكون هذا الفصل متضمنًا ثلاثة مباحث على النحو التالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الفعل الماضي .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الفعل المضارع .

المبحث الثالث : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع وفعل الأمر .

وأبرز الأغراض البلاغية للعدول المعجمي من الاسم إلى الفعل، ما يأتي :

أولا : الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتخصيص والتعميم، والتعريض، والامتنان، والحث، والتحقير .

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والخفة اللفظية، وائتلاف اللفظ والمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الماضي

وفيه دراسة لشاهدين على هذا النوع العدولي كلاهما في سورة الأنعام، والأول من مصدر صريح إلى فعل مبني للمجهول والثاني من مصدر ميمي إلى فعل مبني للمجهول أيضًا، وتفصيل ذلك على النحو الآتي :

٢٣٨. [حجر ـ حُرِّمت]

قَالَ تَعَالَى: {وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ ﴿١٣٨﴾} [سورة الأنعام:١٣٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (حِجْر) إلى (حُرِّمت)، و(حِجْر): مصدر سماعي بمعنى حرامٌ من الفعل (حَجَر يحْجُرُ)[1] [و] فِعْل، وقد استعمل في الآية كاسم المفعول أي : حرث محجورة [2]، فهو من باب الوصف

(١) . ينظر: مادة (حجر) في كلٍّ من لسان العرب، والمعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم .

(٢) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (٣٠٢/٨)

بالمصدر للمبالغة، والفعل (حُرِّمَتْ) فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] فُعِّلَتْ، وذلك العدول قد وردَ في سياق تعديد جرائم المشركين بافترائهم على الله وتعدِّيهم لحدوده وعدم التزامهم بشرائعه عتوًّا ونفورًا، وأَصْلُ الحجْرِ: المَنْعُ، قال ابن كثير: " وقال قتادة: {وقالوا هذه أنعام وحرث حجر} الآية: تحريم كان عليهم من الشياطين في أموالهم، وتغليظ وتشديد، وكان ذلك من الشياطين، ولم يكن من الله تعالى، وقال ابن زيد بن أسلم: {حجر} إنما احتجزوها لآلهتهم." (١)

والعدول المعجمي في هذه الآية له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم، تحريما على كل الناس الانتفاع بظهور بعض الأنعام، أما قوله: (حجر) فالمراد به منعٌ لبعضِ الناس دون بعضٍ (٢)، قال الطاهر: "كانوا يعينون من أنعامهم وزرعهم وثمارهم شيئا يحجرون على أنفسهم الانتفاع به، ويعينونه لمن يشاءون من سدنة بيوت الأصنام، وخدمتها، فتنحر أو تذبح عند ما يرى من عينت له ذلك، فتكون لحاجة الناس والوافدين على بيوت الأصنام وإضافتهم، وكذلك الزرع والثمار تدفع إلى من عينت له، يصرفها حيث يتعين. ومن هذا الصنف أشياء معينة بالاسم، لها حكم منضبط مثل البحيرة: فإنها لا تنحر ولا تؤكل إلا إذا ماتت حتف أنفها، فيحل أكلها للرجال دون النساء، وإذا كان لها در لا يشربه إلا سدنة الأصنام وضيوفهم، وكذلك السائبة ينتفع بدرها أبناء السبيل والسدنة، فإذا ماتت فأكلها كالبحيرة، وكذلك الحامي ." (٣)

الثاني: التعجيب من أفعال المشركين، إذ بالغوا في منع الانتفاع بظهور بعض الأنعام فاستعملوا لفظ (حرِّمَت) تلبيسًا للحق بالباطل بزعمهم أن ذلك مما حرَّمهُ الله وليس من تلقاء أنفسهم، ليضفوا على تشريعاتهم الباطلة صفة الموثوقية، لأن ما يمنعه الله لفظ التحريم يناسبه .

٢٣٩. [مرجعكم ـ ردوا]

قَالَ تَعَالَى:{وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾} [سورة الأنعام:٦٠ـ٦٢]

---

(١) . تفسير ابن كثير: (٣/ ٣٤٥)

(٢) . قال ابن عطية : " وقرأ ابن عباس وأبيّ وابن مسعود وابن الزبير والأعمش وعكرمة وعمرو بن دينار «حرج» بكسر الحاء وتقديم الراء على الجيم وسكونها، فالأولى والثانية بمعنى التحجير وهو المنع والتحريم، والأخيرة من الحرج وهو التضييق والتحريم، وكانت هذه الأنعام على ما قال ابن زيد محللة للرجال محرمة على النساء، وقيل كانت وقفا لمطعم سدنة بيوت الأصنام وخدمتها، حكاه المهدوي ". (٢/ ٣٥١)

(٣) . التحرير والتنوير: (٨أ / ١٠٦)

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (مرجع) مصدر ميمي [و] مَفْعِل إلى (ردوا) فعل ماضٍ مبني للمجهول [و] فُعِلُوا، وذلك في سياق بيان أن الله هو الذي يقبض أرواح العباد ليناموا ثم يحييهم بعد هذه الموتة الصغرى وهو العليم بأعمالهم وسوف يجازيهم عليها إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشرٌّ .

وللعدول المعجمي إلى الفعل (ردُّوا) أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن حساب الله غيرُ يسير على الكافرين، وذلك كشف عنه العدول إلى لفظ (ردوا) الخاص، قال بدر الدين بن جماعة: " في لفظ "الرد" من الكراهية للنفوس ما ليس في لفظ الرجوع ."(١) و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من حوسب يوم القيامة عذب قالت عائشة: أوليس يقول الله: {فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً} ؟ قال: ليس ذلك بالحساب إنما ذلك العرض ولكن من نوقش الحساب يهلك» . (٢)

وقال أبو جعفر بن الزبير: " ناسب آية الكهف قوله: (وَلَئِنْ رُدِدْتُ)، لما يشعر لفظ رددت ويحتمله من القهر والتعنيف وقوعاً أكثرياً لا بالوضع، بخلاف لفظ رجع إذا قلت منه: رجعته أو رجع فإنه لا يحتمل ولا يفهم من معنى القهر والتعنيف ما يحتمله ردّ، ألا ترى وروده في مثل قوله: (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا) (الكهف: ٨٧)، وقوله: (ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (التوبة: ٩٤)، وقوله بعد: (وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) (التوبة: ١٠٥)، وفي الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم في الشيطان حين تعرض (له) في صلاته، قال صلى الله عليه وسلم: (فرده الله خاسئاً)، ففي كثرة ورود هذا حيث يراد هذا المعنى أدل دليل على ما أشير إليه. أما رجع وما تصرف منه فقل ما يرد لهذا، وإن ورد فليس ككثرة رد."(٣)

فالعدول إلى اللفظ الخاص (ردوا) إنما جيء به تهويلًا وبعثًا للنفوس إلى أن تصلح ما تبقى من عمرها بالعمل الصالح لترجع إلى ربها رجوعًا حسنًا، والله عنده حسن المآب .

الثاني: مراعاة الخفة اللفظية فقوله (ردوا) أخف لفظًا من (أرجعوا) .

قال الراغب الأصفهاني في تفسيره: " والرد والرجوع متقاربان، إلا أن الرد يقتضي قهراً، أما للمردود إذا استعمل في الحيوان والرجوع لا يقتضي ذلك، فإن قيل : الردة عن الإسلام يتعاطاها صاحبها طوعاً، قيل إذا اعتبرت الردة بصريح العقل والفطرة التي فطر الناس عليها، فهي قهر للعقل على ما ليس من مقتضاه، لأن الكفر هو الاعتقاد الظني، كما أن الإيمان هو الاعتقاد اليقيني، والعقل لا يسكن إلى الكفر، [ولا يطمئن إليه] إذ هو مناف لمقتضاه . " (٤)

---

(١) . كشف المعاني : (٢٤٠)
(٢) . صحيح الجامع (٦٢٢٠)
(٣) . ملاك التأويل : (٣١٩/٢)
(٤) . تفسير الراغب (٢٥٢/١)

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع

قد كان الكلام في المبحث السابق عن العدول المعجمي من الاسم إلى الماضي، وهنا سيكون الحديث منصبًّا على بلاغة العدول من اسم الذات والمعنى إلى المضارع، وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى المضارع .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع

وفيه دراسة لمسألتين على النحو التالي :

أ . بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع الثلاثي .

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع غير الثلاثي .

أ . بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع الثلاثي :

٢٤٠. [أجر ـ ليجزيهم]

قَالَ تَعَالَى: { مَاكَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً

وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾} [سورة التوبة:١٢٠–١٢١]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من الاسم (أجر) إلى الفعل (ليجزيهم)، و(أَجْر) اسم ذات عن الشيء المُجَازَى به أو مصدر سماعي من الفعل (أجَرَ يأجُر أو يأجِر) [و] فَعْل(١)**، والآية الكريمة تحتمل المعنيين**، والفعل (**يجزيهم) مضارع [و] يَفْعِلَهم**، وذلك العدول قد أتى في سياق تحريض المؤمنين على الجهاد، وبيان أن كل ما يلاقونه في جهادهم من متاعب له ثوابه العظيم، وما دام الأمر كذلك فعليهم أن يصاحبوا رسولهم صلى الله عليه وسلم في جميع غزواته، لأن التخلف عنه لا يليق بالمؤمنين الصادقين، فضلا عن أن هذا التخلف– بدون عذر شرعي– سيؤدي إلى الخسران في الدنيا والآخرة.(٢)

والعدول المعجمي من (أجر) إلى (ليجزيهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى المفارقة بين ما ذكر في الآية الأولى والآية الثانية، نبَّه على ذلك أبو حيان وذكر أن الأولى أشق على النفس وأنكى في العدو، والثانية أهون لأنهما في الأموال وقطع الأرض إلى العدو، سواء حصل غيظ الكفار والنيل من العدو أم لم يحصلا، فلذلك عبر في الأولى بالأجر والثانية بالجزاء؛ تنبيهًا إلى أن المذكورين في الآية الأولى قد حازوا رتب الإحسان التي هي أعلى رتب المؤمنين.(٣) وفي ذلك ترغيب في الجهاد وتحريض عليه لإعلاء كلمة الله ونصرة دينه .

والأجر في الاستعمال القرآني أخص من الجزاء ولا يكون إلا في الخير بينما الجزاء يكون في الخير والشرِّ كليهما فلذلك ورد الأجر في الآية الأولى مع المحسنين وهم خاصة المؤمنين وأشرفهم .

قال أبو زهرة: " وعبر عن الجزاء بالعمل ذاته وقال: (لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) لبيان المساواة التامة بين أحسن العمل والجزاء ." (٤)

الثاني: تأكيد حصول الثواب العظيم لمن قام بتلك الأعمال الصالحة المذكورة في الآيتين، وذلك مستفادٌ من المغايرة في الأسلوب بتسمية ثوابه . تعالى . أجرًا وجزاءً؛ وكثرة الأسامي تدلُّ على أن المسمَّى سامٍ، وفي ذلك إبرازًا للإثابة " في معرِض الأمورِ الواجبةِ عليه " (٥)، وله الفضل والمنة .

(١) . ينظر: الجدول في إعراب القرآن (١٤٩/١) المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم، مادة (أجر) .

(٢) . ينظر: التفسير الوسيط للطنطاوي : (٤٢٦/٦)

(٣) . ينظر: البحر المحيط : (٥/ ٥٢٤)، نظم الدرر :) ٩/ ٤٦)

(٤) . تفسير أبي زهرة (٣٤٨١/٧)

(٥) . تفسير أبي السعود : (٢٤٦/٤)

قال في الدر المصون: " وفي هذه الجملة من البلاغةِ والفصاحةِ ما لا يخفى على متأمِّله لا سيما لمن تدرَّب بما تقدَّم في هذا الموضوع. " (١)، وقد ذكر أبو حيان بعض الأوجه البلاغية للآية في تفسيره القيم (٢) .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

الأولى: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار .

الثانية: الخفة اللفظية، فقوله تعال: (ليجزيهم) أخف لفظًا من (ليأجرهم) لثقل الثاني بالهمز .

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم الذات إلى المضارع غير الثلاثي .

٢٤١. [أيمانكم ـ يؤلون]

قَالَ تَعَالَىٰ: {لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾} [سورة البقرة:٢٢٥ــ٢٢٦]

في الآية الكريمة عدول معجمي من الاسم (أيمان)اسم ذات/جمع تكسير لـ(يمين) [و] أفْعَال، إلى (يؤلون) فعل مضارع [و] يُفْعُون، وهو من الرباعي (آلَى) بمعنى : حلفَ، وذلك العدول واردٌ في سياق بيان رحمة الله تعالى وحلمه على عباده وأنه لا يؤاخذهم على لغو اليمين، وذكر حكم الإيلاء في الشرع الإسلامي .

والإيلاء: اسمٌ لِيَمين؛ يمنع بها المرء نفسه مِن وطْء زوجته (٣)، فإذا حَلَف الرجل ألا يجامع زوجته؛ مُدّةً تقِلُّ عن أربعة أشهر؛ فالأولى أن يكفّر عن يمينه ويجامعها، لقوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "من حلف على يمين، فرأى غيرها خيراً منها؛ فليكفّر عن يمينه، وليفعل" (٤)، فإن لم يفعل فله أن ينتظر انقضاء المدة ثمّ يُجامعها. أمّا إذا زادت المدّة على أربعة أشهر؛ فللزوجة مطالبة الزوج عند انقضاء المدّة بالجماع أو الطلاق، وعلى الحاكم أن يُجبره على ذلك، كيلا يضرَّ بها.(٥)

وللعدول المعجمي من الاسم (أيمانكم) إلى الفعل (يؤلون) أغراض بلاغية منها:

(١) . الدر المصون، للسمين الحلبي(١٣٩/٦)،
(٢) . ينظر: البحر المحيط : (٥/ ٥٢٤)
(٣) . ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية : (٥/ ٣٦٢)
(٤) . صحيح مسلم (١٦٥٠)
(٥) . ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية : (٥/ ٣٦٢ . ٣٦٣)

الأول: ذم الإيلاء وفاعليه، " فالإيلاء الحلف المقتضي للتقصير في الأمر الذي يحلف عليه من قوله عز وجل: {لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا}، {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ} ." [1] وقد عبَّر عن حلف الرجل على امرأته بأن لا يمسَّها بالإيلاء؛ لأن فيه إجحاف بحق المرأة المعاشرة وتقصير شديدٍ في معاملتها، والإسلام قد حفظ للمرأة حقوقها وأمر الرجال بإحسان المعاملة معها وقال: (وعاشروهن بالمعروف)، وقال: (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف)، والرسول صلى الله عليه وسلم وصَّى بهن خيرًا، وقال: " رفقًا بالقوارير "، وغير ذلك من النصوص الآمرة بالعطف عليهن وحسن صحبتهن .

وفي التعبير بالإيلاء إيذان بكونه حرامًا لذلك اختتم الآية بالمغفرة التي تؤكِّد حصول الإثم من الذين يضرُّون أزواجهم بذلك الحلف المجْحِف[2] .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية، من جهتين:

الأولى: أن الأيمان من الأسماء الجامدة فلا يشتق منها أفعال، فاقتضى السياق العدول إلى نظائره من غير الجوامد نحو: (يقسمون، يحلفون، يؤلون) فاختير الفعل (يؤلون) للمعنى المذكور آنفًا .

الثانية: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من اسم المعنى إلى المضارع

وفي دراسة لثلاثة شواهد من شواهد العدول المعجمي، وبالنظر إلى اللفظ المعدول إليه فيها وجد الباحث أنه لا يكون إلا فعلًا ثلاثيًا، أما اسم المعنى المعدول إليه فقد يكون مصدرًا أو اسم مصدر، لذلك يكون الحديث هنا في هذا المطلب عن مسألتين :

أ . بلاغة العدول المعجمي من المصدر إلى المضارع .

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم المصدر إلى المضارع .

ج . بلاغة العدول المعجمي من اسم الهيئة المراد به المصدر إلى المضارع .

---

(١) . تفسير الراغب الأصفهاني : (٤٦٣/١)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير : (٣٨٦/٢)

أ. **بلاغة العدول المعجمي من المصدر إلى المضارع :**

٢٤٢. **[الظن - يخرصون]**

قَالَ تَعَالَىٰ: {وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿١١٦﴾} [سورة الأنعام:١١٦]

قال السعدي: " يقول تعالى، لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، محذرا عن طاعة أكثر الناس: {وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ} فإن أكثرهم قد انحرفوا في أديانهم وأعمالهم، وعلومهم. فأديانهم فاسدة، وأعمالهم تبع لأهوائهم، وعلومهم ليس فيها تحقيق، ولا إيصال لسواء الطريق. بل غايتهم أنهم يتبعون الظن، الذي لا يغني من الحق شيئا، ويتخرصون في القول على الله ما لا يعلمون، ومن كان بهذه المثابة، فحرى أن يحذِّر الله منه عبادَه، ويصف لهم أحوالهم؛ لأن هذا –وإن كان خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم– فإن أمته أسوة له في سائر الأحكام، التي ليست من خصائصه."(١)

وفي الآية الكريمة عدول معجمي من (الظن) مصدر سماعي [و] الفَعْل، إلى (يخرصون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك لأغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص إشارةً إلى أن ظنونهم في غاية البطلان فيجب الحذر منها، يرى الطاهر ابن عاشور . رحمه الله . أن الخرص: الظن الناشئ عن وجدان في النفس مستند إلى تقريب، ولا يستند إلى دليل يشترك العقلاء فيه،، ومنه خرص النخل والكرم، أي تقدير ما فيه من الثمرة بحسب ما يجده الناظر فيما تعوده. وذكر أن إطلاق الخرص على ظنونهم الباطلة في غاية الرشاقة؛ لأنها ظنون لا دليل عليها غير ما حسن لظانيها،. وضعَّف قول بعض اللغوين والمفسرين من أن المراد ب(يخرصون) : يكذبون، بأنه لو أريد وصفهم بالكذب لكان لفظ (يكذبون) أصرح من لفظ يخرصون.(٢)

قال الطاهر: " والظن، في اصطلاح القرآن، هو الاعتقاد المخطئ عن غير دليل، الذي يحسبه صاحبه حقا وصحيحا ".(٣)

الثاني: الإيجاز؛ فلفظ (يخرصون) أخصر مما لو قيل: (يظنون ظنونا لا دليل عليها) .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، فلو قيل: (إن يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يظنون) لم تفد ما أفاده اللفظ القرآني البديع.

(١) . تفسير السعدي : (٢٧٠) .
(٢) . ينظر: التحرير والتنوير (٨أ/٢٨)
(٣) . التحرير والتنوير : (٨أ/٢٦)

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم المصدر إلى المضارع :

٢٤٣. [العذاب ـ يأخذهم]

قَالَ تَعَالَى:{ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكَرُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَخۡسِفَ ٱللَّهُ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ عَلَىٰ تَخَوُّفٖ فَإِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾} [سورة النحل:٤٥– ٤٧]

في الآيات الكريمة عدول معجمي من (العذاب) اسم مصدر من الرباعي (عَذَّب) [و] الفَعَال، إلى (يأخذهم) فعل مضارع [و] يَفْعُلَهم، وذلك العدول جاء في سياق التحذير من ارتكاب السيئات وأن ذلك سبب للعذاب المفاجئ .

والعدول المعجمي من الاسم (العذاب) إلى الفعل (يأخذهم) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، فالأخذ انتزاع الشيء وتناوله من مقرّه [1] ويستعمل مجازًا في الاستئصال والإهلاك والاستيلاء والقهر والاحتواء والإحاطة [2]، فالمراد هنا: العذاب الشديد المحيط بالقوم الذي يستأصلهم ويفنيهم، فهو عذاب خاص جيء به تهويلًا وإنذارًا لمن يمكرون السيئات من أهل مكة المعاندين للرسول صلى الله عليه وسلم .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من وجهين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: المناسبة اللفظية للمعنى، فالخاء في الفعل (يأخذهم) تشير إلى التخويف لذلك نجد هذا الحرف متصدرًا في كلمتي (خوف، خشية)؛ لدلالته صوتيًّا على " تخلخل باطن الجرم "[3] والخائف ضعيف الفؤاد، كما في قوله: " وأفئدتهم هواء " .

ج . بلاغة العدول المعجمي من اسم الهيئة المراد به المصدر إلى المضارع :

٢٤٤. [حطة ـ نغفر]

قَالَ تَعَالَى:{وَإِذۡ قُلۡنَا ٱدۡخُلُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ فَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ رَغَدٗا وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا وَقُولُواْ حِطَّةٞ نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطَٰيَٰكُمۡۚ وَسَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٥٨﴾} [سورة البقرة:٥٨]

(١) . ينظر: التحرير والتنوير: (٧/ ٢٣٣)

(٢) . ينظر: التحرير والتنوير: (٢/ ٢٧١)،(٧/ ٢٣٣)، (٩/ ١٧)، (٩/ ١٢٥)، (٢٤/ ١٢٠)

(٣) . المعجم الاشتقاقي المؤصل: (٥٨١/١)

في الآية الكريمة عدول معجمي من (حطة) إلى (نغفر) و(حطة) اسم هيئة أريد به مطلق المصدر [1] **من (حَطَّ يَحُطُّ) [و] فِعْلَة والمراد من الحطة سؤال غفران الذنوب، و(نغفر) فعل مضارع [و] نَفْعِل**، وذلك العدول قد جاء في سياق الامتنان على بني إسرائيل بأن يأكلوا رغدًا ووعدوا المغفرة لذنوبهم إذا استغفروا ربهم، وأن يزيدهم من الخيرات العاجلة والآجلة إن أحسنوا .

والعدول المعجمي من الاسم (حطة) إلى الفعل (نغفر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ زيادةً في الامتنان على بني إسرائيل بأن الله تعالى سيسقط عقوبة الذنوب التي ارتكبوها إن قالوا: (حطة) أي: احطط عنا خطايانا، ويزيدهم ألا يفضحهم بها بل يسترها، ويبدي جميل فعالهم ويثيبهم عليه، وكل ذلك مستفاد من الفعل (غفر) لأن أصل معناه: الستر، قال الراغب: " قيل: اغْفِرُوا هذا الأمر بِغَفْرَتِهِ، أي: استروه بما يجب أن يستر به، والْمِغْفَرُ: بيضةُ الحديد، والغِفَارَةُ: خرقة تستر الخمار أن يمسّه دهن الرأس، ورقعة يغشّى بها محزّ الوتر، وسحابة فوق سحابة." [2] لذلك فلو قيل: " نحط عنكم خطاياكم " لأفاد إسقاط العقوبة فحسب، فأوثر لفظ (نغفر) لما فيه من الزيادة في العطاء وفاصلة الآية دالة على ذلك إذ قال . جل شأنه . (وسنزيد المحسنين) .

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاثة أوجه:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيها: الخفة اللفظية، فما عليه النظم الجليل أخف لفظا مما لو قيل: (قولوا حطة نحط عنكم خطاياكم "، فصوت الطاء مطبق مفخم، وتكراره يزيد الأمر ثقلًا .

رابعها: مراعاة المناسبة اللفظية للمعنى، فلفظ (نغفر) يحتوي على صوت الراء الذي من صفاته التكرير ومن معانيه الاسترسال، فيشير إلى تتابع مغفرة الله لهم وإن كثرت ذنوبهم ما داموا مستغفرين، والسياق في الامتنان عليهم فيناسبه ذلك المعنى كما أن اختيار جمع التكثير (خطايا) دون الجمع السالم الدال على القلة (خطيئات) مؤذن بعظم المنة وسعة الفضل .

---

(١) . ينظر: التحرير والتنوير (٥١٥/١)

(٢) . المفردات للراغب :مادة (غفر)، ص (٦٠٩)

المطلب الثالث

بلاغة العدول المعجمي من المشتقات إلى المضارع

العدول المعجمي من المشتق إلى المضارع شواهده تمتاز بالقلة . وذلك وفقًا لحدود الدراسة . ولتوضيح هذا المطلب سيكون الحديث في مسألتين :

أ . بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى المضارع .

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم التفضيل إلى المضارع .

أ . بلاغة العدول المعجمي من اسم الفاعل إلى المضارع :

٢٤٥. [مبصراً ـ يسمعون]

قَالَ تَعَالَىٰ: { هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٧﴾} [سورة يونس:٦٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (مبصر) اسم فاعل [و] مُفْعِل، إلى (يسمعون) فعل مضارع [و] يَفْعَلُون، وذلك في سياق التنبيه على عظيم قدرة الله وشمول نعمته لعباده، فهو المستحق لأنْ يفرد بالعبادة حيث جعل لعباده الليل ليستريحوا فيه من نَصَبهم وكلالهم وحَرَكاتهم، وجعل النهار مضيئا لمعاشهم وسعيهم، وأسفارهم ومصالحهم .

والعدول المعجمي من الاسم (مبصرًا) إلى الفعل (يسمعون) أغراض بلاغية منها:

الأول: زيادة الامتنان بتعداد النعم، فقد جمع بين نعمتين جليلتين بهما تحصل جل المنافع وهما: نعمتا البصر والسمع، وهذا يقتضي شكر المحسن والاعتراف بأفضاله العظيمة .

الثاني: التعريض بالمشركين عبدة الأصنام وتسفيه أحلامهم إذ عبدوها وهي لا تسمع ولا تبصر، قال البقاعي: " يجوز أن يكون المعنى: لآيات لقوم يبصرون إبصار اعتبار ويسمعون سماع تأمل وإدكار، ولكنه حذف «يبصرون» لدلالة {مبصراً}

عليه، ويزيد ذلك وضوحاً وحسناً كون السياق لنفي الشركاء، فهو إشارة إلى أنها لا تسمع ولا تبصر أصلاً فكيف بالاعتبار والافتكار ؟ فالذين عبدوهم أكمل حالاً منهم. "[١]

الثالث: الإشارة إلى أن الذين ينتفعون بآيات الله هم الذين يستجيبون لربهم إذا دعاهم إلى الهدى، وهذا إذا أريد بقوله: " يسمعون ": يجيبون، جاء في لسان العرب :" قد تأْتي سَمِعْتُ بمعنى أَجَبْتُ ومنه قولهم :سَمِعَ اللهُ لمن حَمِدَه أَي أَجاب حَمْدَه وتقبّله يقال : اسْمَعْ دُعائي أَي : أَجِبْ؛ لأَن غرض السائل الإجابةُ والقَبُولُ ."[٢] وقد **قَالَ تَعَالَىٰ**:{ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ } [سورة الأنفال:٢٤]

الرابع: التنبيه إلى كون آيات الله في الآفاق لشدة ظهورها " لا يحتاج إلى أكثر من سماعها ." [٣]

الخامس: التنبيه إلى فضيلة استماع آيات الله التنزيلية، بعد الدعوة إلى التفكر في الآيات الآفاقية؛ حيث إن القرآن الكريم مشحون بالحجج والبراهين الدالة على وحدانية الله وقدرته فمن تدبر آياته ازداد إيمانه وقوي يقينه وعرف قدْرَ ربِّهِ وعظمته، قال ابن القيم: " السمع متقدم على البصر حيث وقع في القرآن الكريم ... فاحتج بهذا من يقول إن السمع أشرف من البصر وهذا قول الأكثرين وهو الذي ذكره أصحاب الشافعي ...واحتج مفضلو السمع بأن الله تعالى يقدمه في القرآن حيث وقع وبالسمع تنال سعادة الدنيا والآخرة فإن السعادة بأجمعها في طاعة الرسل والإيمان بما جاءوا به وهذا إنما يدرك بالسمع ." [٤]

---

(١) . نظم الدرر، للبقاعي (٩/١٥٨ . ١٥٩)
(٢) . لسان العرب، لابن منظور، مادة (سمع) .
(٣) . نظم الدرر، للبقاعي (٣/ ٤٦٣)
(٤) . بدائع الفوائد، لابن القيم (١/٧٠.٧١)

ب . بلاغة العدول المعجمي من اسم التفضيل إلى المضارع .

٢٤٦. **[أحب ـ أصب]**

قَالَ تَعَالَى: { قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣ } [سورة يوسف:٣٣]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (أَحَبُّ) اسم تفضيل [و] أَفْعَلُ، إلى (أصبُ) فعل مضارع مجزوم [و] أفْعُ، بمعنى (أَمِلْ)، والمصدر (صَبْوًا وصُبُوًّا وصَبًا وصِبَاء) (١) وقد أتى ذلك العدول في مقام تضرع يوسف عليه السلام لربه ودعائه لينجيه من كيد النسوة وامرأة العزيز، وبيان أنه إن لم يصرف ربه عنه ما أردْنَ يملْ إليهن ويفعل ما يفعله الجهّال وحاشاه عليه الصلاة والسلام .

والعدول المعجمي من الاسم (أَحَبُّ) إلى الفعل (أصبُ) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإيذان بكمال معرفته عليه السلام بما جبلت عليه النفس الإنسانية من الميل الفطري إلى النساء، فأتى بلفظ (أصبُ) لأن: " أصل الكلمة من الميل يقال صبا إلى كذا أي مال إليه وسميت الصبوة بذلك لميل صاحبها إلى المرأة الصبية " (٢).

فالتعبير بكلمة (أصب) فيه مبالغة في استدعاء لطف ربِّه به في صرف كيدهن بإظهار أن لا طاقةَ له بالمدافعة كقول المستغيثِ أدركْني (٣)

الثاني: الإشارة إلى أن مجرَّد الميل إليهن في غيرِ ما أحلَّ الله يعدُّ من الجهالة ودليل على قلة العقل لترك النظر في العواقب وإيثار الأدنى على الأعلى، قال السعدي: " فإن العلم والعقل يدعو إلى تقديم أعظم المصلحتين وأعظم اللذتين، ويؤثر ما كان محمود العاقبة." (٤) فالميل من آثار المحبة وليس هو إياها، وموارد استعمال لفظ (صبا) ومشتقاته تنبئُ بالجهالة، وهو مناسب لما اختتمت الآية به، قال الجوهري: " وصبا يصبو صبوة وصبوا، أي مال إلى الجهل والفتوة. وأصبته الجارية. وصبي صباء، مثال سمع سماعا، أي لعب مع الصبيان ."(٥)

---

(١) . القاموس المحيط، مادة (صبو) .

(٢) . روضة المحبين لابن القيم ص ٢٤

(٣) . أبو السعود : (٤/ ٢٧٤)

(٤) . تفسير السعدي : (٣٩٧)

(٥) . الصحاح للجوهري (٢٤٨/٦) مادة (صبا) .

أما اختيار المحبة مع السجن فقد بينَه أبو السعود . رحمه الله . حيث قال: " صيغةُ التفضيلِ ليست على بابها إذ ليس له شائبةُ محبةٍ لما دعتْه إليه وإنما هو والسجنُ شران أهونُهما وأقربُهما إلى الإيثار السجنُ والتعبيرُ عن الإيثار بالمحبة لحسم مادةِ طمعِها عن المساعدة خوفاً من الحبس ." (١)

كما فيه إلماح إلى أنه آثر السجن وفيه ما فيه من العذاب وطول الحبس، والاشتقاق يبين ذلك، فالمحبة مشتقة من أحب البعير إذا برك فلم يقم وفيه معنى اللزوم والثبات، وهذا المعنى متناسب مع السياق لأن يوسف لا يجيب تلك النساء لما طلبنه وإن بقي في السجن طول عمره وقد لبث في السجن بضع سنين .قال الطاهر: " وفضل السجن مع ما فيه من الألم والشدة وضيق النفس على ما يدعونه إليه من الاستمتاع بالمرأة الحسنة النفيسة على ما فيه من اللذة ولكن كرهه لفعل الحرام فضل عنده مقاساة السجن. فلما علم أنه لا محيص من أحد الأمرين صار السجن محبوبا إليه باعتبار أنه يخلصه من الوقوع في الحرام فهي محبة ناشئة عن ملاءمة الفكر، كمحبة الشجاع الحرب." (٢)

---

(١) . تفسير أبي السعود (٤/ ٢٧٤)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر(١٢/٢٦٥)

المبحث الثالث

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع وفعل الأمر

وذلك المبحث سيكون في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر الثلاثيين .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر غير الثلاثيين .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر الثلاثيين

وفيه دراسة لشاهد واحدٍ في سورة المائدة، على النحو الآتي :

٢٤٧. **[القسط ـ تعدلوا/اعدلوا]**

قَالَ تَعَالَى: { يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٨﴾} [سورة المائدة:٨]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (القسط) إلى الأفعال (تعدلوا /اعدلوا)، (القِسْط) مصدر سماعي من (قَسَطَ يَقْسُط أو يقْسِط) [و] الفِعْل، و(تَعْدلوا) فعل مضارع [و] تَفْعِلُوا،(اعدلوا) فعل أمر [و] افْعِلُوا وذلك في سياق أمر المؤمنين بالعدل بين الناس في الشهادات والقضايا وأن ذلك من شيم المتقين .

والعدول المعجمي من الاسم (القسط) إلى الأفعال (تعدلوا /اعدلوا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التعميم؛ حثًّا على الالتزام بالعدالة بشتى صورها [١]، فالقسط المعدول عنه يطلق على العدل البيّن الظاهر[٢] فهو أخص وناسب ذكره لأن الكلام عن القيام بالشهادة وهي مما ينبغي أن تظهر ولا تخفى[٣] قال تعالى: " ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه "، فالعدول إلى العدل للتعميم تنبيهًا على أن يكون القاضي في حياد عند الحكم بين الناس فلا يحابي من يميل إليهم قلبه على حساب من يبغضهم، فذاك ظلمٌ نهت عنه الشريعة، لذلك "كان كثير من السلف الصالح يحجم عن تولي القضاء ويمتنع عنه أشد الامتناع حتى لو أوذي في نفسه، وذلك خشية من عظيم خطره ." [٤]

الثاني: مراعاة الفصاحة اللفظية من جهتين:

أولاهما: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

ثانيهما: الخفة اللفظية، فلو قيل: "كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تقسطوا أقسطوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله " لثقل الكلام جدًّا لتكرار صوت القاف المفخم ثماني مرات، لذلك ما عليه النظم الجليل أخف لفظًا كما هو مدركٌ بالحس .

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى المضارع والأمر غير الثلاثيين

وفيه دراسة لشاهد واحد في سورة البقرة، على النحو التالي :

٢٤٨. **[الرفث ـ باشروهن/تباشروهن]**

قَالَ تَعَالَى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْۚ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ

---

(١) . جاء في كتاب درر الحكام في شرح مجلة الأحكام : " إن القاضي مأمور بالمساواة بين الخصمين إذ ورد في الحديث الشريف «إذا ابتلي أحدكم بالقضاء فليسو بينهم في الجلوس النظر والإشارة ولا يرفع صوته على أحد الخصمين دون الآخر» وقد ورد في الكتاب الذي أرسله الخليفة عمر بن الخطاب إلى القضاة في زمانه أن آس بين الناس في وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا ييأس ضعيف من عدلك (فتح القدير) .

كما أن عدم المساواة بين الخصمين يوجب كسر قلب أحد الخصمين إذ أن القاضي لو توجه إلى أحد الخصمين يوجب ذلك أن يتجرأ على خصمه ويكون من نتيجته انكسار همة الخصم وضياع حقه في النتيجة (مجمع الأنهر والزيلعي) ." (٤/ ٥٩٥)

(٢) . الفروق اللغوية : (ص ٤٢٨)

(٣) . ينظر: الموسوعة الفقهية الكويتية : (١/ ٢٣٦)

(٤) . الموسوعة الفقهية الكويتية : (٣٣/ ٢٨٩)، ينظر: ذم القضاء وتقلد الأحكام،للسيوطي (ص ٨٩)

ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾} [سورة البقرة:١٨٧]

في الآية الكريمة عدول كنائي من الاسم (الرفث) إلى الأفعال (باشروهن، تباشروهن) و(الرّفَث) مصدر سماعي من (رَفَثَ يرْفُثُ)[و] الفَعَل، و(باشروهن) فعل أمر [و] فَاعِلُوهُنَّ، (تُبَاشروهن) فعل مضارع مجزوم [و] تفَاعِلُوهُنَّ، وذلك العدول قد جاء في سياق ذكر إباحة معاشرة النساء في ليالي رمضان بعد أن كان ممنوعًا، وقد ورد في سبب نزول الآية الكريمة بعض الآثار منها ما رواه البخاري عن البراء رضي الله عنه: لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله وكان رجال يخونون أنفسهم فأنزل الله {علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم} (١)

والعدول المعجمي من الاسم (الرفث) إلى الأفعال (باشروهن، تباشروهن) له أغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى إباحة الأمرين: الكلام الخاص بالوطء وشئونه، والمجامعة نفسها، وذلك مستفادٌ من الدلالة اللغوية للفظين (الرفث، المباشرة)، فالرفث: "كلام متضمن لما يستقبح ذكره من ذكر الجماع ودواعيه وجعل كناية عن الجماع في قوله تعالى: {أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم}؛ تنبيها على جواز دعائهن إلى ذلك ومكالمتهن فيه ." (٢) "والمباشرة الإفضاء بالبشرتين، وكني بها عن الجماع " (٣)"الذي يستلزِمُها "(٤)، فذكر الأمرين فيه تأكيد للحلِّ وتتميمٌ للنعمة على الصحابة رضوان الله عليهم وعلى من بعدهم، رحمة منه بعباده إذ علم أنهم لضعفهم لا يكادون يصبرون على ترك ذلك، وقد جاء في تفسير قوله تعالى: " وخلق الإنسان ضعيفًا " أن المعنى: ضعيف في أمر النساء.(٥)

الثاني: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار .

وإيثار لفظ (الرفث) على ما كني به عنه في جميع القرآن من التغشية والمباشرة واللمس والدخول ونحوها؛ استقباحا لما وجد منهم قبل الإباحة، ولذا سماه اختيانا فيما بعد (٦)

(١) . صحيح البخاري، باب (أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم) حديث رقم: (٤٥٠٨)
(٢) . المفردات للراغب الأصفهاني : (١٩٩) تاج العروس، مادة (رفث): (٥/ ٢٦٣)
(٣) . المفردات : (٤٨).
(٤) . تفسير أبي السعود : (١/ ٢٠١)
(٥) . تفسير الطبري : (٨/ ٢١٦)
(٦) ينظر: تفسير أبي السعود : (١/ ٢٠١)، تفسير البيضاوي : (١/١٢٦)، تفسير الألوسي : (١/٤٦١)

الفصل الثالث

بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما

الفصل الثالث : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما

تناول الفصل الأول العدول إلى الاسم، والثاني قد تناول العدول إلى الفعل، أما هذا الفصل فهو يتناول التوجيه البلاغي للعدول إلى الاسم والفعل كليهما، ويتضمن مبحثين على النحو التالي :

المبحث الأول : بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم و الفعل الماضي .

المبحث الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم و الفعل المضارع .

وأبرز الأغراض البلاغية . على سبيل الإجمال . للعدول المعجمي إلى الاسم والفعل كليهما . ما يأتي :

أولا : الأغراض المعنوية : التنبيه والإشارة، والتعظيم والتحقير، والتخصيص والتعميم، والمدح، والتشنيع، والتنفير .

ثانيًا : الأغراض اللفظية : التفنن، والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل، والمناسبة اللفظية للمعنى .

المبحث الأول

بلاغة العدول المعجمي إلى الاسم و الفعل الماضي

في هذا المبحث سوف يكون الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الاسم أو الفعل إلى الاسم والفعل الماضي، وذلك في مطلبين :

المطلب الأول : بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الاسم والفعل الماضي .

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم والفعل الماضي .

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الاسم إلى الاسم والفعل الماضي

وفيه شاهد واحد في النصف الآول من القرآن الكريم، وذلك في العدول من اسم الفاعل إلى الماضي والمصدر الصريح، وذلك في سورة المائدة، وبيانه على النحو التالي :

٢٤٩. [السارق/السارقة ـ كسبا ـ ظلمه]

قَالَ تَعَالَى:{ وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٣٨﴾ فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿٣٩﴾} [سورة المائدة:٣٨-٣٩]

في الآيتين الكريمتين عدول معجمي من (**السارق والسارقة**) **إلى**(**كسبَا**) ومنه إلى (ظلمه) **ونوع الألفاظ من الناحية الصرفية على النحو الآتي** :(**السارق/السارقة**) **اسم فاعل [و] الفاعِل/الفاعِلَة**، و(**كسَبَا**) **فعل ماضٍ [و] فَعَلا**، و(**ظلم**) **مصدر سماعي [و] فُعْل** .

وذلك العدول قد أتى في سياق بيان حد السرقة وهو من الحدود الشرعية التي جعلها الله ردْعًا لمن يظلمون الناس، وحمايةً لأموالهم، وفي الآية تصريح بأن من تاب إلى ربه فإن الله يقبل توبته ويغفر له .

والعدول المعجمي من السرقة إلى الكسب له أغراض بلاغية منها:

الأول: تقبيح السرقة وأنها يجب أن تجتث من أصولها ولا يكون لها وجود البتة بين الناس، فالعدول عن ذكرها مرات أخرى ألمحَ إلى هذا المعنى .

الثاني: الإشارة إلى أن تلك العقوبة إنما شرعت بهذه الكيفية؛ لهتك الحرمة، قال الماتريدي: " ليس القطع في السرقة جزاء ما أخذ من المال، ولكنه جزاء ما هتك من الحرمة . ألا ترى أنه قال: {جزاء بما كسبا} ولم يقل بما أخذا من الأموال ؟ فيجوز أن يبلغ جزاء هتك تلك الحرمة قطع اليد، وإن قصر علم البشر على ذلك لأن مقادير العقوبات إنما يعرفها من يعرف مقادير الإجرام . وليس أحد من الخلائق يحتمل علمه مبلغ مقادير الإجرام . فإذا لم يحتمل علمهم مبلغ مقادير عقوبات ماذا كان ؟ فحق القول فيه الاتباع والتسليم بعد العلم في الاتباع أن الله لا يجزي السيئة إلا مثلها ." (١)

وفي العدول إلى (**ظلمه**) **أغراض بلاغية منها:**

الأول: الإيذان بأن السرقة فعلٌ شنيعٌ؛ لأنها ظلمٌ وتعدي على ممتلكات الغير بغير وجه حق، ففي تسمية السرقة ظلمٌ تنفيرٌ منها فقد فُطِرت النفوس على قبح الظلم وأهله، كما أنها تقوم على إنقاص شيءٍ من المسروق والظلم لغة يدل على ذلك كما في قوله: (ولم تظلم منه شيئًا) أي: لم تنقص .

الثاني: التعميم، وصرَّح به البقاعي حيث قال: " وعدل عن أن يقول «سرقته» إلى {ظلمه} تعميماً للحكم في كل ظلم ." (٢)، وفيه إشارة إلى أن المعاصي سببها ظلمة القلب ونتيجتها ظلمة القبر والحشر والنار، فالظلم ظلمات يوم القيامة .

الثالث: التفنن في التعبير؛ تجنُّبًا للتكرار .

---

(١) . تفسير الماتريدي : (٣/ ٥١٣)

(٢) . نظم الدرر (٦/ ١٣٥)

المطلب الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم والفعل الماضي

و سيكون الكلام في هذا المطلب عن مسألتين :

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الاسم والفعل الماضي .

ب . بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الاسم والفعل الماضي .

أ . بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الاسم والفعل الماضي .

٢٥٠. [كرمنا ـ فضلناهم/تفضيلا]

قَالَ تَعَالَى:﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠]

في الآية الكريمة عدول معجمي من(كرَّمنا) فعل ماض [و] فَعَّلْنَا، إلى(فضلناهم) فعل ماض [و] فَعَّلْنَاهم،و(تفضيلًا) مصدر رباعي من الفعل(فَضَّل) [و] تَفْعِيلًا، وذلك في سياق ذكر منة الله على بني آدم ونعمه الظاهرة والباطنة عليهم؛ حثًّا على شكر ربهم الذي أحسن إليهم .

وللعدول المعجمي من(كرّمنا) إلى(فَضَّلْنَاهم/تفضيلا) له أغراض بلاغية منها :

الأول : التعميم؛ زيادة الامتنان على العباد، فالمراد بالتكريم هو تكريم الإنسان في ذاته وخَلْقِهِ في أحسن تقويم، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِيٓ أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ ﴾ [الانفطار: ٦ ـ ٨]، " والتفضيل منظور فيه إلى تشريفه فوق غيره، على أنه فضله بالعقل الذي به استصلاح شؤونه ودفع الأضرار عنه وبأنواع المعارف والعلوم." (١) فالتفضيل أعم من مطلق التكريم.

الثاني : مراعاة الفصاحة اللفظية من ثلاث جهات :

أولها : التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، فالعدول إلى(فضلنا/ تفضيلا) أولى من الإبقاء على مادة(كرم) ثلاث مرات

.

---

(١) . التحرير والتنوير، للطاهر(١٥/ ١٦٦)

ثانيها : **الخفة اللفظية**؛ فما عليه النظم الجليل، أحسن وقعًا على السمع مما لو قيل :" كرمناهم تكريما " وذلك لأن تكرار صوت الكاف يزيد الكلام ثقلًا خاصة إذا كان مشتملا على القاف التي تقترب من الكاف مخرجًا .

ثالثها : **مراعاة ائتلاف اللفظ والمعنى**؛ فاللفظين المعدول إليهما اشتملا على صوت الضاد المفخم وهذا يشير إلى عظم الفضل ومنتهى الإكرام وسعة العطاء .

ب . العدول المعجمي من المضارع إلى الاسم والفعل الماضي :

٢٥١. [ولنبلونكم ـ أصابتكم/مصيبة]

قَالَ تَعَالَى:{ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾} [سورة البقرة:١٥٥ــ١٥٦]

البلاء والمصيبة من الألفاظ الموهمة بالترادف، وقد جاء في الآية الكريمة عدول معجمي في سياق فضيلة الإيمان بالله والصبر على النوائب .من (لنبلونكم) إلى (أصابتهم / مصيبة)، ونوع الألفاظ من الناحية الصرفية على النحو التالي : (نَبْلُوَنَّ) فعل مضارع [و] نَفْعُلَنَّ، و(أصابت) فعل ماضٍ [و] أفْعَلَتْ، و(مُصِيبَة) اسم فاعل [و] مُفْعِلَة .

والعدول المعجمي من (ولنبلونكم) إلى (أصابتهم /مصيبة) له أغراض بلاغية منها:

الأول: مدح المؤمنين الصابرين على البلاء فورَ وقوعِه، لعظَمِ إيمانهم بقضاء الله وقدره، وذلك يستفاد من لفظ الإصابة حيث إنها مأخوذة من إصابة السهم (١) وفيها معنى الإسراع فالمعنى أنه إذا حلت عليهم النقم وفاجأتهم استرجعوا وصبروا ولم يجزعوا، روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى» (٢) قال ابن الجوزي في كشف المشكل: " إِنَّمَا الْقُوَّة فِي مُقَابلَة الْبلَاء عِنْد مبدئه، وَلَا يقدر على الصَّبْر حِينَئِذٍ إِلَّا أحد رجلَيْنِ: مُؤمن بِالْأَجْرِ فَهُوَ يصبر لنيل مَا يرجوه، أَو نَاظر بِعَين الْعقل إِلَى أَن الْجزع لَا فَائِدَة فِيهِ." (٣)

الثاني: التعظيم؛ لمدحِ المؤمنين أيضًا، وذلك مستفادٌ من الدلالة الصوتية للفظين (أصابتهم، مصيبة) لاشتمالهما على صوت الصاد المفخم الذي يشير إلى عظم البلاء وشدته على النفسِ ولكنهم يصبرون؛ رغبةً في حسن الجزاء يوم القيامة، **قَالَ تَعَالَى:**

---

(١) . المفردات في غريب القرآن (٢٨٨)

(٢) . صحيح البخاري،بَابُ الصَّبْرِ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولَى، حديث رقم (١٣٠٢)

(٣) . كشف المشكل (٣/٢٥٠)

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [سورة الزمر:١٠]، وقد ناسب ذكر هذين اللفظين المقام أيّما تناسبٍ، فالسياق في ذكر الموت في سبيل الله ونقص الأموال والثمرات وكلها شدائد عظام .

الثالث: التفنن في التعبير، والبعد عن التكرار .

أما استعمال البلاء أوّلا فقد جيء به تهوينًا للخطبِ على نفوس المؤمنين عند سماع الآية الكريمة، ولو قيل: ولنصيبنّكم لأفزعَهم قيلُها، ويؤيده الإتيان بلفظ (شيء) للتقليل، قال الطاهر: " وجيء بكلمة (شيء) تهوينا للخبر المفجع، وإشارة إلى الفرق بين هذا الابتلاء وبين الجوع والخوف اللذين سلطهما الله على بعض الأمم عقوبة ." (١)

٢٥٢. [نهلك ـ دمرناها/تدميرا]

قَالَ تَعَالَىٰ: { وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾} [سورة الإسراء:١٦–١٧]

في الآية الكريمة عدول معجمي من الفعل (نهلك) إلى (دمرناها تدميرًا)، ونوع الكلمات صرفيًّا كالتالي: (نُهْلِك) فعل مضارع [و] نُفْعِل، (دَمَّرْنا) فعل ماض [و] فَعَّلْنا، و(تدمير) مصدر رباعي [و] تَفْعِيل .

وذلك في سياق بيان عقوبة الفسق والفساد في الأرض وأن ذلك موجبٌ لشدة الهلاك، فالله ـ عز وجل ـ يأمر الناس بالإصلاح في الأرض والاستقامة على عبوديته فيتلقى المترفون أمره بالعصيان ويفسدون في الأرض فيستأصل الله شأفتهم جزاءً وفاقًا .

والعدول المعجمي من الفعل (نهلك) إلى (دمرناها تدميرًا) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص زيادةً في الترهيب من بأس اللهِ وأليم عقابه، فالدمار: " هلاك على سبيل الاستئصال" (٢) " مع طمس الآثار وهدم البناء "(٣)، فهو أخص من مطلق الهلاك، والمقصود من هذا الوجه التعريض بتهديد المشركين (٤) الذين كذّبوا الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم لم يهتدوا بما حل بالأقوام المكذبين للرسل من عذاب الاستئصال كعادٍ وثمود فنبههم

---

(١) . التحرير والتنوير: (٥٤/٢)
(٢) . مفاتيح الغيب : (٣١٤/٢٠)
(٣) . ينظر: تفسير ابن عطية : (٤٤٥/٣)
(٤) . ينظر: تفسير ابن عطية (٤٤٤/٣)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله بهذا؛ ليتدبروا، قال الطاهر: " ولقد أصاب المشركين عذاب السيف بأيدي الذين عادَوْهم وآذوهم وأخرجوهم، وذلك أقسى عليهم وأنكى . "(١)

ويؤيد هذا المعنى الخاص للدمار ذكر المصدر للمبالغة في العذاب الواقع بهم (٢) وأنه لا يماثلُ في شدته وفظاعته، كما أنه قال: " دمرناها " ولم يقل: " دمرناهم "؛ إشارة إلى هلاك من في تلك القرى وتخريبها عليهم، فالمعاصي إذا ظهرت ولم تغير كانت سببًا لهلاك الجميع، **كما قال تعالى:** {وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾} [سورة **النحل**:١١٢] ولم يقل: فأذاقهم الله لباس الجوع والخوف؛ تنبيهًا على حالة الجوع القاسية التي عمت كل شيءٍ وحالة الهلع الذي أصاب جميع ما في القرية؛ جزاءً على كفران بعض نعمه كما يشير إليه جمع القلة (أنعم)، وفي هذا تحذير شديدٌ للعرب المكذبين من أهل مكة .

الثاني: مراعة الفصاحة اللفظية من أوجه ثلاثة:

أولها: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار، إذ لو قيل: (فأهلكناها إهلاكا) لتكررت مادة (هلك) ثلاث مرات في الآية، وأربعةً بما بعدها .

ثانيها: مراعاة المناسبة الإيقاعية لكثير من فواصل السورة الكريمة، فالفاصلة (تدميرا) تناسب الفواصل (منشورا، بصيرا، محظورا، مدحورا ....) في حرف الروي (الراء) والمقطع الأخير (ص ح ص ح) .

ثالثها: المناسبة اللفظية للمعنى، فحروف الكلمتين تدل على شدة الإهلاك فالدال والتاء الشديدتان والراء المفخمة والميم المشددة كل ذلك يصور شدة البأس وقوة الحدث وكمال فظاعته كما أن الميم والنون صوتان يمتازان بالغنة وهي تشعر بالغضب الإلهي على الفاسقين المفسدين في الأرض .

---

(١) . التحرير والتنوير : (٣٧٢/٣٠)
(٢) . تفسير القرطبي : (٢٣٤/١٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

المبحث الثاني

بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم و المضارع

قد سبق في المبحث الأول الحديث عن بلاغة العدول المعجمي من الفعل إلى الاسم والفعل الماضي، أما في هذا المبحث فإن الكلام يكون منصبًّا على بلاغة العدول من الفعل إلى الاسم والفعل المضارع، وذلك في ثلاث مطالب:

المطلب الأول :بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الاسم والمضارع :

المطلب الثاني : بلاغة العدول المعجمي من المضارع إلى الاسم والمضارع :

المطلب الثالث : بلاغة العدول المعجمي من فعل الأمر إلى الاسم والفعل المضارع :

المطلب الأول

بلاغة العدول المعجمي من الماضي إلى الاسم والمضارع

وفيه دراسة شاهد واحد، على النحو الآتي :

٢٥٣. [افترى ـ إجرامي/تجرمون]

قَالَ تَعَالَىٰ:{أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴿٣٥﴾} [سورة هود:٣٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من الفعل (افتراه/افتريته) إلى الاسم (إجرامي / تجرمون) ونوع الألفاظ من الناحية الصرفية كالتالي: (افتراه) فعل ماضٍ [و] افْتَعَلَه، و(افتريته) فعل ماضٍ [و] افتعَلْتُهُ، و(إجرام) مصدر قياسي [و] إفْعَال، (تُجْرِمُون) فعل مضارع [و] تُفْعِلُون .

وذلك العدول قد جاء في سياق ذكر حال مشركي العرب وإنكارهم أن يكون القرآن من عند الله وقد جاء فيه من أخبار السابقين ما هو الحق الذي لا يحوم حوله باطل، ولكن المشركين لم يعتبروا بذلك، بل يقولون: إن محمدًا قد افترى هذا،

وقد أمر الله نبيه أن يبرئ نفسَه بأسلوب حكيم ويقول لهم إن افتريته واختلقته فعلى إثمي في افترائي ما افتريت على ربي دونكم.. وأنا بريء مما تذنبون وتأثمون في حقي وحق ربكم .

وللعدول المعجمي من (افترى) إلى (إجرامي) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التهويل من عاقبة الكذب على الله، والإيذان بأنه من أعظم الجرائم وعقوبته شديدة، فلا يليق بساحة الصادق المصدوق فعل ذلك أبدًا، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم أصدقهم قولا وأطيبهم ذكرًا وأرفعهم قدرا صلوات الله وسلامه عليه .

قال أبو زهرة: " وفى قوله تعالى: (إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي) كان التعبير بقوله (إِنِ) لبطلان أصل الافتراء واستحالته؛ لأنه – صلى الله عليه وسلم – لم يعرف عنه كذب قط ." (١)

قال الطاهر: " ولما كان الافتراء على الله إجراما عدل في الجواب عن التعبير بالافتراء ...وذكر حرف (على) مع الإجرام مؤذن بأن الإجرام مؤاخذ به كما تقتضيه مادة الإجرام، والإجرام: اكتساب الجرم وهو الذنب، فهو يقتضي المؤاخذة لا محالة ." (٢)

الثاني: الإشارة إلى كثرة جرائم المشركين غير المذكور في الآية ذمًّا لهم ووعيدًا بالمؤاخذة عليها، وأن نسبة الأنبياء إلى الافتراء من جرمٌ عظيم وفعلٌ في غاية الشناعة ولا يصدر إلا من ذوي النفوس الخبيثة من أهل العناد .

الثالث: التفنن في التعبير، وزوال كلفة التكرار، إذ لو لم يعدل إلى مادة الإجرام لتكررت مادة الافتراء أربع مرات في تلك الآية القصيرة، فطلبًا لخفة اللفظ عدل عنها .

---

(١) . زهرة التفاسير، لأبي زهرة (٧/ ٣٧٠٥)

(٢) . التحرير والتنوير، للطاهر (١٢/ ٦٥)

المطلب الثاني

العدول المعجمي من المضارع إلى الاسم والفعل المضارع

وفيه دراسة مثالين على النحو الآتي :

٢٥٤. [تكسب ـ تزر/وازرة/وزر]

قَالَ تَعَالَى:{قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ١٦٤} [سورة الأنعام:١٦٤]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (تَكْسِب)فعل مضارع [و] تَفْعِل، إلى (وازرة) اسم فاعل [و] فاعِلَة (وِزْر) مصدر من الفعل (وَزَر يَزِر) كَضَرَب [و] فِعْل قال ابن كثير: " قوله: {ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى} إخبار عن الواقع يوم القيامة في جزاء الله تعالى وحكمه وعدله، أن النفوس إنما تجازى بأعمالها إن خيرا فخير، وإن شرا فشر، وأنه لا يحمل من خطيئة أحد على أحد. وهذا من عدله تعالى ."(١)

والعدول المعجمي إلى مادة (وزر) له أغراض بلاغية منها:

الأول: التخصيص، فالكسب يكون في الخير والشر، قال البقاعي: " والسياق هنا واضح في أن الكسب مقيد بالذنب فإنه في دعاء غير الله ." (٢) والوزر خاصٌّ بالذنب، لذلك أعقبه به زيادةً في البيان، وقد سميت الذنوب أوزارًا؛ إشارة إلى ثقلها ومغبتها يوم القيامة تنفيرًا من ارتكابها، قال الطاهر: " وأما تسمية الإثم وزرا فلأنه يتخيل ثقيلا على نفس المؤمن ." (٣)

الثاني: الإشارة إلى ردّ بعض العادات الجاهلية، قال الشوكاني: " وفيه رد لما كانت عليه الجاهلية من مؤاخذة القريب بذنب قريبه، والواحد من القبيلة بذنب الآخر ."(٤)، فالإسلام جاء بتحقيق العدالة المطلقة في جميع شئون الحياة، وهذا المبدأ سارٍ في الأحكام الدنيوية والأخروية .

الثالث: مراعاة الفصاحة اللغوية عن طريق ثلاثة أمور:

---

(١) . تفسير ابن كثير : (٣/ ٣٨٤)

(٢) . نظم الدرر : (٧/ ٣٤٢)

(٣) . التحرير والتنوير، للطاهر (٨أ/ ٢٠٨)

(٤) . فتح القدير: (٢/ ٢١٢)

شبكة الألوكة

أولها: التفنن في التعبير وزوال كلفة التكرار .

ثانيها : الخفة اللفظية، إذ لو قيل (تكسب . كل . تكسب . كاسبة . كسب) لثقل الكلام من توالي صوتي الكاف والباء الشديدين، بخلاف ما عليه النظم الجليل (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فهو أخف وأحسن ائتلافًا .

ثالثها : **مراعاة المناسبة بين اللفظ والمعنى**، فأصوات الكلمة (وزر) تدل على القوة والاجتماع والامتداد، وذلك يناسب معنى الثقل الذي هو أصل معناه، والزاي حرف صفيري مجهور، والراء صوت مفخم كل ذلك مشعرٌ بثقل الذنب على صاحبه يوم القيامة، قال الباحث في منظومة له (١):

وَالــــزَّايُ جَـــاءَتْ بِاكْتِنَـــازٍ يَـــا فَتَـــى	**مَـــعَ ازْدِحَـــامٍ حَاصِـــلٍ قَـــدْ ثَبَتَـــا**
(زَيْـــزَاءُ) أَرْضٌ غَلَظَـــتْ فَلْتَفْطِنُـــوا	**قَـــفٌّ غَلِـــيظٌ مُشْـــرِفٌ وَخَشِـــنُ**
غَلِـــيظَ أَرْضٍ صُـــلْبُهَا الْمُرْتَفِـــعُ	**وَقَـــدْ أَتَـــى مِـــنِ انْضِـــغَاطٍ فَاسْـــمَعُوا**
بَيْـــتٌ أَزَزْ : بِالنَّـــاسِ هَـــذَا مُمْتَلِـــي	**وَمَجْلِـــسٌ مُـــزْدَحِمٌ كَـــذَا انْقَـــلِ**
مَخْرَجُهَـــا مِـــنْ طَـــرَفِ اللِّسَـــانِ مَـــعْ	**مَـــا بَـــيْنَ أَطْـــرَافِ الثَّنَايَـــا الْمُرْتَفِـــعْ**
مِنْهَـــا وَسُـــفْلَى بِانْضِـــغَاطٍ وَاقِـــعِ	**لِحَزْمَـــةِ الْهَـــوَا بِجَهْـــرٍ مُسْـــمِعِ**

٢٥٥. **[يحملون ـ أوزارهم/يزرون]**

قَالَ تَعَالَى:{قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾} [سورة الأنعام:٣١]

في الآية الكريمة عدول معجمي من (يحملون) فعل مضارع [و] يَفْعِلُون إلى (أوزارهم) مصدر/جمع تكسير لـ(وِزْر) [و] أفْعَال، (يزرون) فعل مضارع [و] يَعِلُون، وذلك في سياق التنصيص على خُسران المكذبين لدلائل الحق واليوم الآخر، والتأكيد على ندمهم يوم القيامة عند معاينة العذاب .

وهذ العدول له أغراض بلاغية منها:

(١) . يسّر الله طباعتها .

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الأول: التنبيه إلى شؤم المعاصي وسوء عاقبتها؛ تنفيرًا من ارتكابها، فالوزر لغةً: الحمل الثقيل، ففيه زيادة تصوير لمشهد المكذبين يوم القيامة وعظم فضيحتهم وانكسارهم وذلَّتهم أمام الخلائق إذ يحملون صحائفهم المليئة بالجرائم على ظهورهم كمثل البهائم التي لا تعقل، وذلك لأنهم كانوا في الدنيا كالأنعام بل أهم أضل، حيث تركوا إعمال عقولهم واتبعوا هواهم ولم يرفعوا بما جاءهم من الهدى رأسًا فأشبهوا البهائم، والجزاء من جنس العمل .

الثاني: الإشارة إلى أن التكذيب بيوم القيامة يجعل الإنسان منهمكًا في أنواع المعاصي متهاونًا في حدود الله، فلذلك لم يقل: (تكذيبهم) وقال: (أوزارهم)؛ تعميمًا وترهيبًا من شؤم التكذيب .

الثالث: التخصيص، فالحمل قد يكون ثقيلا أو خفيفًا، لكن (الوزر) لا يكون إلا ثقيلًا، فذكر (الأوزار / يذرون) أحصر في اللفظ وأكثر دلالةً .

المطلب الثالث

العدول المعجمي من فعل الأمر إلى الاسم والفعل المضارع

وفيه دراسة للتوجيه البلاغي لشاهد واحدٍ في سورة يوسف عليه السلام. وذلك على النحو التالي :

٢٥٦. **[أفتوني ـ تعبرون ـ تأويل]**

قَالَ تَعَالَىٰ:{ وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ إِنِّيٓ أَرَىٰ سَبۡعَ بَقَرَٰتٖ سِمَانٖ يَأۡكُلُهُنَّ سَبۡعٌ عِجَافٞ وَسَبۡعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضۡرٖ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٖۖ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَأُ أَفۡتُونِي فِي رُءۡيَٰيَ إِن كُنتُمۡ لِلرُّءۡيَا تَعۡبُرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوٓاْ أَضۡغَٰثُ أَحۡلَٰمٖۖ وَمَا نَحۡنُ بِتَأۡوِيلِ ٱلۡأَحۡلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَقَالَ ٱلَّذِي نَجَا مِنۡهُمَا وَٱدَّكَرَ بَعۡدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأۡوِيلِهِۦ فَأَرۡسِلُونِ ﴿٤٥﴾} [سورة يوسف:٤٣–٤٥]

في الآية الكريمة عدول معجمي من الفعل (أفتوني) إلى (تعبرون) ثم إلى (تأويل)، ونوع هذه الألفاظ من الناحية الصرفية على النحو الآتي : (أفتوني) فعل أمر [و] أفْعُوني، و(تعبرون) فعل مضارع [و] تَفْعُلُون، و(تأويل) مصدر قياسي من (أوّل) [و] تَفْعِيل .

وذلك العدول في سياق قصة الرؤيا العجيبة لملك مصر ورغبته في معرفة تفسيرها الصحيح، لكن الملأ عدُّوا تلك الرؤيا من قبيل المنامات الباطلة ولم يعرفوا تفسيرها .

فأما العدول المعجمي من الفعل (أفتوني) إلى (تعبرون) فله أغراض بلاغية منها:

. الإشارة إلى رغبته في استيضاح أمر رؤياه وعلمه أنَّ لها تفسيرٌ يتحقق في الوجود، وذلك مستفاد من لفظ (تعبرون) لأن التعبير من العبور وهو المجاوزة كما في قولهم: عبر النهر إذا قطعه وتجاوزه، فالتعبير: " الانتقال من الصور الخيالية المشاهدة في المنام إلى صورٍ وأمثلة لها من الأمور الواقعة في الخارج " (١)، فالذي يفسر الرؤيا سمِّي عابرًا؛ " لأنه يتأمل جانبي الرؤيا فيتفكر في أطرافها وينتقل من أحد الطرفين إلى الآخر ." (٢)

أما تسميته لتفسير رؤياه بالإفتاء أوَّلًا لتفخيم أمر الرؤيا، لأن الفتيا تكون لأمرٍ مهمٍ وهنا رؤية عجيبة من ملكٍ عظيمٍ فلها قيمتها وقد صدق تنبؤه وظهرت حقيقتها في الوجود بما أفاد المصريين قاطبةً وغيرهم من البلاد المجاورة .

والعدول إلى الاسم (تأويل) لأغراض بلاغية منها:

الأول: الإشارة إلى أن الملأ الذين قص عليهم الملك رؤياه " لم يكونوا في علمه عالمين بها لأنه أتى بكلمة الشك، وجاء اعترافهم بالقصور مطابقًا لشك الملك " قال أبو السعود: " يجوز أن يكون ذلك اعترافاً منهم بقصور علمِهم وأنهم ليسوا بنحاريرَ في تأويل الأحلامِ مع أن لها تأويلاً كما يُشعر به عدولهم عما وقع في كلام الملك من العبارة المعْربة عن مجرد الانتقالِ من الدالّ إلى المدلول حيث لم يقولوا بتعبير الأحلام أو عبارتها إلى التأويل المنبئ عن التصرُّف والتكلّف في ذلك ." (٣)وأشار الرازي إلى أنه سبحانه تعالى أعجز المعبرين الذين حضروا عند ذلك الملك عن جواب هذه المسألة وعماه عليهم ليصير ذلك سببا لخلاص يوسف من تلك المحنة. (٤)

الثاني: التفنن في التعبير؛ تجنبًا للتكرار .

---

(١) . تفسير أبي السعود (٤/٢٨١)

(٢) . تفسير الرازي (١٨/٤٦٣)

(٣) . تفسير أبي السعود (٤/٢٨١)

(٤) . ينظر: تفسير الرازي (١٨/٤٦٤)

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد :

لقد كشفت دراستي للعدول المعجمي في القرآن الكريم العديد من الأسرار البلاغية للتحول الأسلوبي بين الكلمات متقاربة الدلالة، وبعد التنزُّه في رياض هذه الظاهرة الفريدة اجتنى الباحث بعضًا من ثمارِها اليانعة، ويمكن إجمال ذلك في الآتي :

- اهتم كثير من الباحثين بظاهرة العدول في القرآن الكريم، وكان اهتمامهم منصبًّا على العدول الضمائرى والصرفي، بينما العدول المعجمي لم يأخذ حظه الأوفر من الدراسة البلاغية التي تكشف مزاياه ومقاصده المعنوية والصوتية .
- اهتم بعض المفسرين بإبراز الدلائل البلاغية لكثير من الشواهد العدولية على المستوى المعجمي، وفي مقدمتهم الزمخشري وأبو حيان وأبو السعود والبيضاوي والرازي والبقاعي والألوسي، وقد استفاد الباحث من أقوالهم في التوجيه البلاغي لهذا النوع العدولي .
- تعددت صور العدول المعجمي في القرآن الكريم حيث شمل الأفعال والأسماء وحروف المعاني، ولكثرة شواهده في القرآن اكتفى الباحث بتحليل نماذج من العدول بين الأسماء والأفعال من سورة البقرة إلى سورة الكهف، أما العدول بين حروف المعاني فقد أوصَى الأستاذ الدكتور : حازم علي كمال الدين ـ في مناقشة خطة البحث ـ بأن تُفرَدَ له دراسة مستقلة .
- يعد العدول المعجمي أسلوبًا بلاغيًّا تميَّز به القرآن الكريم حيث كثرت فيه شواهده، وذلك لما في الانتقال من أسلوب إلى آخر من تنشيط السامع وتنبيهه إلى المغزى، وتنقسم أغراض العدول قسمين : أغراض معنوية وأغراض صوتية، فمن الأغراض المعنوية : المبالغة؛ ترغيبًا وترهيبًا، والتعظيم والتحقير والتخصيص والتعميم والتنبيه ونحو ذلك، ومن الأغراض الصوتية : التفنن في التعبير ـ وائتلاف اللفظ مع المعنى ومراعاة الخفة اللفظية والمناسبة الإيقاعية بين الفواصل.
- للسياق وظيفة مهمة في تحديد معاني الألفاظ، ومن ثم فهم النص القرآني، فلا يتجلى معنى الكلمة إلا من خلال ربطها مع سابقها ولاحقها من الكلمات. أن للسياق وظيفة مهمة في توجيه المتشابه اللفظي، وبيان أسرار العدول المعجمي، فالقرآن الكريم كتاب معجز، فلا بد أن الاختلاف في صورة اللفظ، يفضي إلى اختلاف في المعنى، ومن دلائل إعجازه دقته العجيبة في اختيار الألفاظ، فكل لفظ وُضِعَ في مكانه المناسب في بناءٍ محكم، بحيث لا يمكن أن يُسْتَبْدَل بلفظ آخر .

- العدول إلى الاسم تعددت أنماطه، فشمل العدول إلى : اسم الذات واسم المعنى والمشتقات، والعدول إلى اسم الذات كان أكثره ورودًا في الذكر الحكيم العدول إلى اسم الجنس، أما العدول إلى العَلَم فقد امتاز بالقلة، والعدول إلى اسم المعنى فقد شمل المصدر واسم المصدر، والعدول إلى المصدر الثلاثي أبرز أنواعه وأكثرها ورودًا في القرآن الكريم، وبالنسبة للعدول إلى المشتقات فقد شمل العدول إلى اسم الفاعل، والصفة المشبهة وصيغ المبالغة واسم المفعول واسم المكان، وأقلُّها نماذج العدول إلى اسم المفعول والصفة المشبهة .
- العدول إلى الأفعال تعددت أنماطه، فشمل العدول إلى : الماضي والمضارع والأمر، وأكثرها الثاني، وأقلها الثالث، وقد كان العدول إلى المضارع الأبرز في القرآن الكريم، وتعددت أغراضه البلاغية بحيث جاء محققًا لجل الأغراض البلاغية للعدول المعجمي في القرآن الكريم على المستويين : المعنوي والصوتي .
- العدول بين الأسماء والأفعال قد كان أقلَّ أنواع العدول حضورًا في القرآن الحكيم مقارنة بالنوعين السابقين : العدول بين الأسماء والعدول بين الأفعال؛ وقد تنوَّعت أنماطه وهي . وفقًا للأكثر نماذج فالأقلّ . العدول إلى الاسم ثم العدول إلى الفعل ثم العدول إلى الاسم والفعل كليهما، وهذا النوع العدولي على قلته فقد امتاز بالدقة الفنية العالية واشتمل على فوائد ولطائف متنوعة .

توصية

يوصِّي الباحث أن يهتم الدارسون بدراسة لغة القرآن الكريم؛ ليقفوا على مكمَن الإعجاز، ويدركوا الأسرار الدلالية واللطائف المعنوية والهدايات الربانية التي احتوى عليها الذكر الحكيم، وأن يهتمّوا بدراسة العدول بين ألفاظ القرآن الكريم على المستوى التركيبي وعلى المستوى المعجمي في النصف الثاني من القرآن الكريم؛ لاستجلاء مراميه البلاغية والفنية، وأن يخصُّوا العدول بين حروف المعاني بدراسة تكشف عن أنماطه الفريدة ودلالاته المتنوعة .

والحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات

فهرس المصادر والمراجع

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المصادر والمراجع

. القرآن الكريم .

١. **إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي** . مدخل لغوي أسلوبي، للدكتور / محمد العبد . دار الهاني للطباعة .

٢. **الإتقان في علوم القرآن**، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي . تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م

٣. **اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . ط١. مكتبة ابن تيمية . مصر، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

٤. **أحكام القرآن**، لالكيا هراسى أبو الحسن على بن محمد دار الكتب العلمية . بيروت، ١٤٠٥ هـ

٥. **أحكام القرآن**، لأحمد بن علي أبو بكر الرازي الجصاص الحنفي . تحقيق : محمد صادق القمحاوي . دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٤٠٥ هـ

٦. **أحكام القرآن**، لمحمد بن عبد الله الأندلسي(ابن العربي) . دار الكتب العلمية .

٧. **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، لمحمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، أبو عبد الله، شمس الدين المقدسي الحنبلي . عالم الكتب.

٨. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين . ط٧. المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، ١٣٢٣ هـ

٩. **أسرار الترادف في القرآن الكريم**، لعلي اليمني دردير . دار ابن حنظل . ١٤٠٥ هـ . ١٩٨٥م

١٠. **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، للدكتور حسن طبل . ط١ . دار الفكر العربي . القاهرة . ١٤١٨هـ . ١٩٩٨م

١١. **الأسلوب والأسلوبية**، د . عبد السلام المسدّي . الطبعة الثالثة . الدار العربية للكتاب . تونس ١٩٨٢م

١٢. **الأسماء المتشابهة في الآية الواحدة في القرآن الكريم بين التأسيس والتأكيد**، للباحث : حمدان بن لافي بن جابر العنزي ط١ .كرسي القرآن وعلومه .كلية التربية . جامعة الملك سعود، ١٤٣٦هـ

١٣. **الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم، لعبد الحميد هنداوي** . المكتبة العصرية . صيدا . بيروت ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م

١٤. **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**، لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي . ط٨ . دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م

١٥. **إعراب القرآن**، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل النحاس . تحقيق د.زهير غازي زاهد . عالم الكتب . بيروت، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٨م

١٦. **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية . تحقيق : محمد حامد الفقي . ط٢ . دار المعرفة - بيروت ، ١٣٩٥ - ١٩٧٥

١٧. **الأم**، للإمام محمد بن إدريس الشافعي . تحقيق : رفعت فوزي عبد المطلب . ط ١. دار النشر: دار الوفاء المنصورة، ٢٠٠١م

١٨. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي . تحقيق : محمد عبد الرحمن المرعشلي . ط١ . دار إحياء التراث العربي - بيروت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٩. **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، لعبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام. تحقيق : يوسف الشيخ محمد البقاعي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع
٢٠. **البحر المحيط في التفسير**، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي. تحقيق : صدقي محمد جميل. دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ
٢١. **بدائع الفوائد**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان .
٢٢. **البرهان في علوم القرآن**، لبدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ط١، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م
٢٣. **بيان الدليل على بطلان التحليل**، لابن تيمية، تحقيق. حمدي عبد المجيد السلفي. ط المكتب الإسلامي
٢٤. **تاج العروس من جواهر القاموس**، لمحمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبي الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي. تحقيق مجموعة من المحققين. دار الهداية
٢٥. **التبيان في آداب حملة القرآن**، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي. تحقيق وتعليق: محمد الحجار ط٣. دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م
٢٦. **التحرير والتنوير** = تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، لمحمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ هـ
٢٧. **التسهيل لعلوم التنزيل**، لأبي القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، ابن جزي الكلبي الغرناطي. تحقيق : الدكتور عبد الله الخالدي. ط١. شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم - بيروت- ١٤١٦ هـ
٢٨. **التطبيق الصرفي**، للدكتور: عبده الراجحي، ط٢. دار المعرفة الجامعية .
٢٩. **تفسير ابن عرفة**، لمحمد بن محمد ابن عرفة التونسي المالكي، أبو عبد الله. تحقيق : جلال الأسيوطي ط١. دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ٢٠٠٨ م
٣٠. **تفسير أبي السعود** = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى . دار إحياء التراث العربي – بيروت.(دت)
٣١. **تفسير الراغب الأصفهاني**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى. جزء ١: المقدمة وتفسير الفاتحة والبقرة. تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني. الطبعة الأولى. كلية الآداب - جامعة طنطا، ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩م
٣٢. **تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)**، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠ م
٣٣. **تفسير القرآن العظيم**، لابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. تحقيق : سامي بن محمد سلامة. ط٢ . دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
٣٤. **تفسير القرآن**، لأبي المظفر منصور بن محمد السمعاني. تحقيق : ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم ط١. دار الوطن، الرياض – السعودية، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م
٣٥. **تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)**، لمحمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي. تحقيق : د. مجدي باسلوم. ط١ . دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان. ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٣٦. **تفسير الماوردي = النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي. تحقيق : السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم . دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان .

٣٧. **تفسير المراغي**، لأحمد بن مصطفى المراغي . الطبعة الأولى . شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر. ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م

٣٨. **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، لمحمد سيد طنطاوي. ط١. دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة، أجزاء ٦ - ٧: يناير ١٩٩٨، أجزاء ٨ - ١٤: فبراير ١٩٩٨

٣٩. **تفسير مقاتل بن سليمان**، لأبل الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى. تحقيق : عبد الله محمود شحاته . ط١. دار إحياء التراث - بيروت- ١٤٢٣ هـ

٤٠. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي. تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق. ط١ . مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م

٤١. **التيسير بشرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري. ط٣. مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٤٢. **جامع البيان في تأويل القرآن**، لمحمد بن جرير الطبري. تحقيق : أحمد محمد شاكر . ط١ . مؤسسة الرسالة . ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م

٤٣. **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. دار الجيل بيروت، ودار الأفاق الجديدة. بيروت .

٤٤. **الجامع الكبير - سنن الترمذي**، لمحمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى. تحقيق : بشار عواد معروف. دار الغرب الإسلامي – بيروت، ١٩٩٨ م

٤٥. **الجامع المسند الصحيح المختصر** من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، للإمام محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. تحقيق : محمد زهير بن ناصر الناصر ط١ . دار طوق النجاة، ١٤٢٢هـ

٤٦. **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي. تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. دار الكتب المصرية – القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م

٤٧. **الجدول في إعراب القرآن الكريم**، لمحمود بن عبد الرحيم صافي. ط٤ . دار الرشيد، دمشق - مؤسسة الإيمان، بيروت، ١٤١٨ هـ

٤٨. **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية. تحقيق : شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط. ط٢. دار العروبة - الكويت، ١٤٠٧ - ١٩٨٧

٤٩. **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، لأبي زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي. تحقيق : الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود. ط١ . دار إحياء التراث العربي - بيروت- ١٤١٨ هـ

٥٠. **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، لابن قيم الجوزية. تحقيق :. عبد الله عبد السميع . ط١ . مكتبة فياض . ١٤٤٢هـ . ٢٠٢١م

٥١. **حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي**(الْمُسَمَّاة) عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى، عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، لأحمد بن محمد بن عمر شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي. دار صادر. بيروت .

٥٢. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. تحقيق : الدكتور أحمد محمد الخراط. دار القلم، دمشق.
٥٣. **الدر المنثور، لعبد الرحمن بن أبي بكر**، جلال الدين السيوطي. دار الفكر – بيروت .
٥٤. **دراسات لأسلوب القرآن الكريم**، لمحمد عبد الخالق عضيمة، تصدير: محمود محمد شاكر. دار الحديث، القاهرة .
٥٥. **درة التنزيل وغرة التأويل**، للخطيب الإسكافي . دراسة وتحقيق وتعليق : محمد مصطفى آيدين . رسالة دكتوراه .كلية الدعوة وأصول الدين. جامعة أم القرى. السعودية ١٤١٤ هـ. ١٩٩٤م .
٥٦. **درر الحكام شرح غرر الأحكام**، لمحمد بن فرامرز بن علي الشهير بملا – أو منلا أو المولى – خسرو . دار إحياء الكتب العربية.
٥٧. **ذم القضاء وتقلد الأحكام**، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ـــ تحقيق ودراسة: مجدي فتحي السيد . ط١ . دار الصحابة للتراث، مصر، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م
٥٨. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي . تحقيق : علي عبد الباري عطية، ط١. دار الكتب العلمية – بيروت، ١٤١٥هـ
٥٩. **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل** من الكتاب والسنة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . دار الكتب العلمية – بيروت، ١٣٩٥ – ١٩٧٥
٦٠. **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م .
٦١. **زاد المسير في علم التفسير**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي. تحقيق : عبد الرزاق المهدي . ط١ . دار الكتاب العربي – بيروت- ١٤٢٢ هـ
٦٢. **زهرة التفاسير**، لمحمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة. دار الفكر العربي .
٦٣. **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، لأحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي . ط١. دار الفكر، ١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م
٦٤. **سنن ابن ماجه، لابن ماجة** – وماجة اسم أبيه يزيد – أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي . دار الفكر – بيروت
٦٥. **شذا العرف في فن الصرف**، للشيخ / أحمد الحملاوي، مكتبة الآداب . القاهرة،٢٠٠٧م
٦٦. **شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك**، لابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري . تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد. ط٢٠ . دار التراث – القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد جودة السحار وشركاه، ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠م
٦٧. **شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنَّة**، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني . مطبعة سفير، الرياض . توزيع: مؤسسة الجريسي للتوزيع والإعلان، الرياض.
٦٨. **شرح المفصل، لابن يعيش**، تحقيق: أحمد السيد سيد أحمد ط: المكتبة التوفيقية .
٦٩. **الشفا بتعريف حقوق المصطفى** – مذيلا بالحاشية المسماة مزيل الخفاء عن ألفاظ الشفاء، لأبي الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي. الحاشية: أحمد بن محمد بن محمد الشمنى . دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٨م

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧٠. **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ــ تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار . ط٤ . دار العلم للملايين — بيروت . ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م

٧١. **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ليحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ . ط١ . المكتبة العنصرية — بيروت، ١٤٢٣ هـ

٧٢. **عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . تحقيق: زكريا علي يوسف . دار الكتب العلمية - بيروت

٧٣. **العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**، لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي . تحقيق : خالد بن عثمان السبت . إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد ط٢ . دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة،١٤٢٦ هـ

٧٤. **علم الدلالة**، للأستاذ الدكتور: أحمد مختار عمر ط٥ . عالم الكتب ١٩٩٨م

٧٥. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، لأبي العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين تحقيق : محمد باسل عيون السود . ط١. دار الكتب العلمية، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

٧٦. **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، لابن رشيق، ط: دار الجيل، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، 1401 هـ - ١٩٨١ م (١/265)

٧٧. **عيار الشعر .، لابن طباطبا** . ط٢. دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ٢٠٠٥م . ١٤٢٦هـ .

٧٨. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري . تحقيق : الشيخ زكريا عميرات . ط١ . دار الكتب العلميه - بيروت- ١٤١٦ هـ

٧٩. **فتح الجليل للعبد الذليل**، للسيوطي . مؤسسة الريان . ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م .

٨٠. **فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن**، لزكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري . تحقيق : محمد علي الصابوني . ط١، دار القرآن الكريم، بيروت — لبنان، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

٨١. **فتح القدير**، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني . ط١. دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت- ١٤١٤ هـ

٨٢. **فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب** (حاشية الطيبي على الكشاف)، لشرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي . مقدمة التحقيق: إياد محمد الغوج . القسم الدراسي: د. جميل بني عطا . ط١ . جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم،١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

٨٣. **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف المناوي القاهري . ط١،المكتبة التجارية الكبرى — مصر، ١٣٥٦هـ

٨٤. **القاموس المحيط**، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى ــــ تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ـ بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ـ ط٨ ـ مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت — لبنان، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م

٨٥. **كتاب الكبائر**، ينسب لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي . دار الندوة الجديدة — بيروت

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٨٦. **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري ط٣ . دار الكتاب العربي – بيروت– ١٤٠٧ هـ

٨٧. **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي . تحقيق : علي حسين البواب . دار الوطن – الرياض

٨٨. **كشف المعانى فى المتشابه من المثانى**، لأبي عبد الله، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني الحموي الشافعي، بدر الدين . تحقيق: الدكتور عبد الجواد خلف . ط١. دار الوفاء . المنصورة، ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م

٨٩. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية** لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ـــــ تحقيق عدنان درويش – محمد المصري . مؤسسة الرسالة . بيروت، ١٤١٩هـ – ١٩٩٨م.

٩٠. **اللباب في علوم الكتاب**، لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني . تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض . ط١. دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ١٤١٩ هـ –١٩٩٨م

٩١. **لسان العرب**، لابن منظور ـــــ تحقيق : عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي ـــــ دار المعارف . القاهرة .

٩٢. **اللغة العربية معناها ومبناها**، للدكتور: تمام حسان، ط: دار الثقافة، ١٩٩٤م

٩٣. **محاسن التأويل**، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي . تحقيق : محمد باسل عيون السود . ط١ . دار الكتب العلميه – بيروت– ١٤١٨ هـ

٩٤. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي . تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد . ط١ . دار الكتب العلمية – بيروت– ١٤٢٢ هـ

٩٥. **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية تحقيق : محمد المعتصم بالله البغدادي . ط٣. دار الكتاب العربي – بيروت، ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦م

٩٦. **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، للإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني تحقيق : شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي . ط١ . مؤسسة الرسالة، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١م

٩٧. **معالم التنزيل في تفسير القرآن** = تفسير البغوي، لمحيي السنة، أبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي . تحقيق: عبد الرزاق المهدي . ط١. دار إحياء التراث العربي –بيروت، ١٤٢٠ هـ

٩٨. **معاني الأبنية**، للدكتور : فاضل صالح السامرائي . ط٢ . دار عمار . ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م

٩٩. **معاني النحو**، فاضل صالح السامرائي . ط١ . دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع — الأردن، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م

١٠٠. **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**، لعبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد، أبو الفتح العباسي، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد، ط : عالم الكتب — بيروت .

١٠١. **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، لجلال الدين السيوطي ـ ضبط وتصحيح : أحمد شمس الدين ـ دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

١٠٢. **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم** (مؤصَّل ببيان العلاقات بين ألفاظ القرآن الكريم بأصواتها وبين معانيها)، للدكتور: محمد حسن حسن جبل . ط١. مكتبة الآداب – القاهرة، ٢٠١٠ م.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠٣. **معجم الفروق اللغوية**، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري . تحقيق : الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي . ط١. مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ «قم»، ١٤١٢هـ

١٠٤. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**، للدكتور: أحمد مطلوب، ط: المجمع العلمي العراقي ١٤٠٣هـ . ١٩٨٣هـ .

١٠٥. **المعجم الموسوعي لألفاظ القرآن الكريم وقراءاته**، لأحمد مختار عمر وآخرين . ط١ . مؤسسة سطور المعرفة . الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ . ٢٠٠٢م

١٠٦. **المعجم الوسيط**، لإبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار . تحقيق: مجمع اللغة العربية . دار النشر : دار الدعوة .

١٠٧. **معجم مقاييس اللغة**، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين تحقيق : عبد السلام محمد هارون، . دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٠٨. **مفاتيح الغيب = التفسير الكبير**، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي . ط٣ . دار إحياء التراث العربي - بيروت- ١٤٢٠ هـ

١٠٩. **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية . دار الكتب العلمية – بيروت .

١١٠. **المفردات في غريب القرآن**، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى . تحقيق : صفوان عدنان الداودي ط١ . دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت- ١٤١٢ هـ

١١١. **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ** من آي التنزيل، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، أبي جعفر . وضع حواشيه: عبد الغني محمد علي الفاسيد دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

١١٢. **الموسوعة الفقهية الكويتية** . صادر عن : وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، الأجزاء ١ - ٢٣ : ط٢ . دار السلاسل – الكويت . من ١٤٠٤ - ١٤٢٧ هـ

١١٣. **موسوعة علوم اللغة**، لإميل بديع يعقوب . ط١ . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م

١١٤. **نظرية القوة الإيقاعية في الخطاب اللغوي**، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، ط: دار النور للطباعة_ سوهاج .

١١٥. **نظرية المناسبة الإيقاعية في القافية**، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين، ط١ ـــ مكتبة الآداب ـــ القاهرة، ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

١١٦. **نظرية المناسبة اللفظية في القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الحديث**، للأستاذ الدكتور: حازم علي كمال الدين . تقديم : أ.د : رمضان عبد التواب . مكتبة زهراء الشرق . القاهرة .

١١٧. **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، لإبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي . دار الكتاب الإسلامي، القاهرة .

١١٨. **النكت والعيون**، لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري تحقيق : السيد بن عبد المقصود بن عبد الرحيم . دار الكتب العلمية - بيروت . لبنان .

١١٩. **هداية القاري إلى تجويد كلام الباري**، لعبد الفتاح بن السيد عجمي بن السيد العسس المرصفي المصري الشافعي . ط٢ مكتبة طيبة، المدينة المنورة

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٢٠. **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره**، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي . ط١. مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م

١٢١. **الوافي في شرح الشاطبية في القراءات السبع**، لعبد الفتاح بن عبد الغني بن محمد القاضي . ط٤. مكتبة السوادي للتوزيع، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

١٢٢. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي . تحقيق: صفوان عدنان داوودي . ط١ . دار القلم , الدار الشامية – دمشق، بيروت، ١٤١٥ هـ

الرسائل العلمية

١٢٣. **أثر دلالة السياق القرآني في توجيه معنى المتشابه**، للباحثة: تهاني بنت سالم بن أحمد . رسالة ماجستير . تخصص التفسير وعلوم القرآن . جامعة أم القرى . كلية الدعوة وأصول الدين . نوقشت ١٤٢٨هـ . ٢٠٠٧م

١٢٤. **أثر السياق في توجيه المعنى**، للباحثة: مريم وصل الله صامل الرحيلي . رسالة دكتوراه . تخصص اللغة العربية . كلية الآداب . جامعة طيبة . السعودية . نوقشت ١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

١٢٥. **أسلوبية الانزياح في النص القرآني**، لأحمد غالب النوري . رسالة دكتوراه . جامعة مؤتة ٢٠٠٨ .

١٢٦. **السياق القرآني وأثره في الترجيح الدلالي**، للمثنى عبد الفتاح محمود ـــ رسالة دكتوراة ـــ تخصص التفسير وعلوم القرآن . جامعة اليرموك . إربد . الأردن . نوقشت عام ١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م

١٢٧. **شخصية فرعون في القرآن**، للباحث : قاسم توفيق قاسم خضر، وهي رسالة ماجستير . جامعة النجاح الوطنية . نوقشت ١٤٢٣ هـ /٢٠٠٣م .

١٢٨. **ظاهرة التغير الدلالي للألفاظ في السياق القرآني**، للباحث: طارق بولخصايم ـــ رسالة دكتوراه ـــ تخصص اللغويات . كلية الآداب واللغات . جامعة الإخوة منتوري . قسنطينة . ١ . نوقشت ٢٠١٨

١٢٩. **المصدر في القرآن الكريم** . رسالة دكتوراه للباحث : أبو سعيد محمد عبد المجيد وحيدي . الجامعة الأردنية . كلية الدراسات العليا . نوقشت ١٤١٢هـ . ١٩٩٢م .

ملخص

بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء والأفعال في السياق القرآني

إعداد الطالب : محمود محمد سيد علام

إشراف أصحاب الفضيلة :

الأستاذ الدكتور: بهاء محمد محمد عثمان، والدكتور: هناء عابدين عبد الله

حاولت هذه الدراسة أن تعرض موضوع العدول المعجمي باعتباره واحدًا من أهم سمات اللغة الأدبية، ويقصد به : الانتقال من كلمة إلى أخرى مقاربة لها في الدلالة لغرض بلاغي، وقد حاول البحث استجلاء هذه السمة في كتب أهل العلم من اللغويين والمفسرين والبلاغيين .

وهدفت هذه الدراسة إلى التعرف على ظاهرة العدول المعجمي في القرآن الكريم، والوقوف على أنماطها، والكشف عن أسرارها البلاغية والفنية .

وأشارت الدراسة إلى أنه لم تبذل إلى الآن محاولة جادة لوضع مؤلف يتناول هذه الظاهرة بأنماطها المختلفة من الناحية البلاغية أما من الناحية الدلالية فيوجد .

وتسعى هذه الدراسة إلى إبراز تلك الظاهرة ببيان أنماطها المختلفة. الاسمي والفعلي. وإبراز ما قيل فيها من آراء والوقوف على دلالة كل لفظ بحسب وروده في سياقه وعلة ذلك العدول. على المستويين : المعنوي والصوتي . ومن هنا تكمن أهمية هذه الدراسة في محاولة الوقوف على أنماط العدول المعجمي وتلمُّس بعض المعاني البلاغية والفصاحة اللفظية والإيحاءات الدلالية للكلمات التي تتقارب دلاليًّا .

وقد انقسمت هذه الدراسة إلى مقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب، ويندرج تحت كل باب ثلاثة فصول، ففي المقدمة تناول الباحث أهمية الموضوع وأسباب اختياره للدراسة، وأهداف البحث ومنهجيته، والدراسات السابقة، وخطة تنفيذ البحث والصعوبات التي واجهت الباحث.

وفي التمهيد عرض الباحث أسس التوظيف البلاغي للكلمة، ومفهوم العدول لغة واصطلاحا، وأنواع العدول وتعريف العدول المعجمي وصوره وأغراضه البلاغية والفنية، وتعريف السياق القرآني وصوره .

وفي الباب الأول تناول الباحث بلاغة العدول المعجمي بين الأسماء مبتدِئًا بعرض العدول المعجمي إلى اسم الذات، بنوعيه : العَلَم واسم الجنس، مبيِّنًا الأسرار البلاغية لهذا النوع العدولي، وتوصَّل الباحث إلى أنه عدول فني مقصود يحمل في طياته دلالات كثيرة وإيحاءات متنوعة يحددها السياق، أما العدول إلى اسم المعنى فقد تعددت شواهده في القرآن الكريم، واشتمل ذلك العدول إلى المصدر واسم المصدر.

أما العدول إلى المشتقات ففيه دراسة العدول من الاسم إلى اسم الفاعل وصيغ المبالغة والصفة المشبهة واسم المفعول واسم المكان، وقد أظهرت الدراسة أهمية السياق في معرفة الأغراض البلاغية للعدول إلى تلك المشتقات، وذلك من خلال النماذج القرآنية التي تخص هذا النمط الفنيّ .

وتناول الباحث في الباب الثاني بلاغة العدول المعجمي بين الأفعال، مبتدِئًا بالعدول المعجمي إلى الماضي، وأتبعه بالعدول إلى المضارع الذي يعد أكثر أنواع العدول الفعلي ورودًا في النصف الأول من القرآن الكريم، وفي الفصل الأخير من هذا الباب تحدث عن بلاغة العدول المعجمي إلى الأمر.

وفي الباب الثالث كان الحديث عن بلاغة العدول المعجمي بين الاسم والفعل في السياق القرآني، وجاء في ثلاثة فصول، فقد اختص الفصل الأول بالعدول من الفعل إلى الاسم والفصل الثاني تكلم عن العدول من الاسم إلى الفعل، والفصل الثالث كان مختصًّا بالعدول إلى الاسم والفعل كليهما، وهذا الباب شواهده القرآنية أقلّ بالنسبة للبابين السابقين .

وسوف ينهي الباحث الرسالة بخاتمة تتضمن أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة .

Holy Qur'an, and in the last chapter of this chapter he talked about the eloquence of lexical deviation to the command.

And in the third chapter, the talk was about the eloquence of the lexical deviation between the noun and the verb in the Qur'anic context, and it came in three chapters. This chapter has less Qur'anic evidence compared to the previous two chapters.

The researcher will end the thesis with a conclusion that includes the most important findings of the study.

Summary

The rhetoric of lexical deviation between nouns and verbs in the Qur'anic context

Prepared by the student: Mahmoud Mohamed Sayed Allam

Supervision of the honorable:

Prof. Dr. Bahaa Muhammad Muhammad Othma Dr.Hana Abdeen Abdullah.

This study attempted to present the subject of lexical deviation as one of the most important features of literary language, and it means: moving from one word to another approaching it in significance for a rhetorical purpose. The research attempted to clarify this feature in the books of scholars, including linguists, exegetes and rhetoricians

This study aimed to identify the phenomenon of lexical deviation in the Holy Qur'an, identify its patterns, and reveal its rhetorical and artistic secrets.

The study indicated that no serious attempt has been made so far to write a book that deals with this phenomenon with its various rhetorical patterns in terms of semantics, there is . This study seeks to highlight that phenomenon by explaining its different patterns - nominal and actual - and highlighting the opinions that were said about it and identifying the significance of each word according to its occurrence in its context and the reason for that deviation - on the two levels: the semantic and the phonetic.

Hence, the importance of this study lies in trying to identify the patterns of lexical deviation and touch on some rhetorical meanings, verbal eloquence and semantic overtones of words that converge semantically .

This study was divided into an introduction, a preface and three modules each module consist of three chapters. In the introduction, the researcher dealt with the importance of the topic, the reasons for choosing the study, the research objectives and methodology, previous studies, the research implementation plan and the difficulties that the researcher faced.

In the preface, the researcher presented the foundations of the rhetorical use of the word, the concept of deviation in language and idiomatically, the types of deviation, the definition of the lexical deviation and its forms, its rhetorical and artistic purposes, and the definition of the Qur'anic context and its images.

In the first chapter, the researcher dealt with the rhetoric of the lexical deviation between nouns, beginning with the presentation of the lexical deviation to the concrete noun, with its two types: the proper name and the generic noun, clarifying the rhetorical secrets of this adjective type.

The researcher concluded that it is a deviation technical modification that carries with it many connotations and various allusions determined by the context. As for the change to abstract noun, there are many evidences in the Holy Qur'an, and this includes the change to the infinitive and the substantive.

As for the deviation of derivatives, it includes the study of deviation from the noun to the noun of the subject, the intensive forms, the assimilate epithet, and the noun of the object and the noun of place. The study showed the importance of context in knowing the rhetorical purposes of reverting to those derivatives, through the Qur'anic models that pertain to this artistic style.

In the second chapter, the researcher dealt with the rhetoric of lexical equivalence between verbs, beginning with the lexical deviation to the past, and followed it with deviation to the present tense, which is the most common type of actual deviation in the first half of the

www.alukah.net

شبكة الألوكة

Sohag University

Faculty of Arts

Postgraduate Studies Department

A thesis submitted to obtain a master's degree in Arabic language and literature, majoring in literary studies: rhetoric and literary criticism

Titled

The rhetoric of lexical deviation between nouns and verbs in the Qur'anic context

Prepared by the student:
Mahmoud Mohamed Sayed Allam

(Arabic language teacher in high school, tema administration)

Supervision of the honorable:

Prof. Dr. Bahaa Muhammad Muhammad Othma
Associate Professor of Rhetoric and literary Criticism

Dr.Hana Abdeen Abdullah.
Associate Professor of Rhetoric and literary Criticism

Year 2022

شبكة الألوكة - قسم الكتب